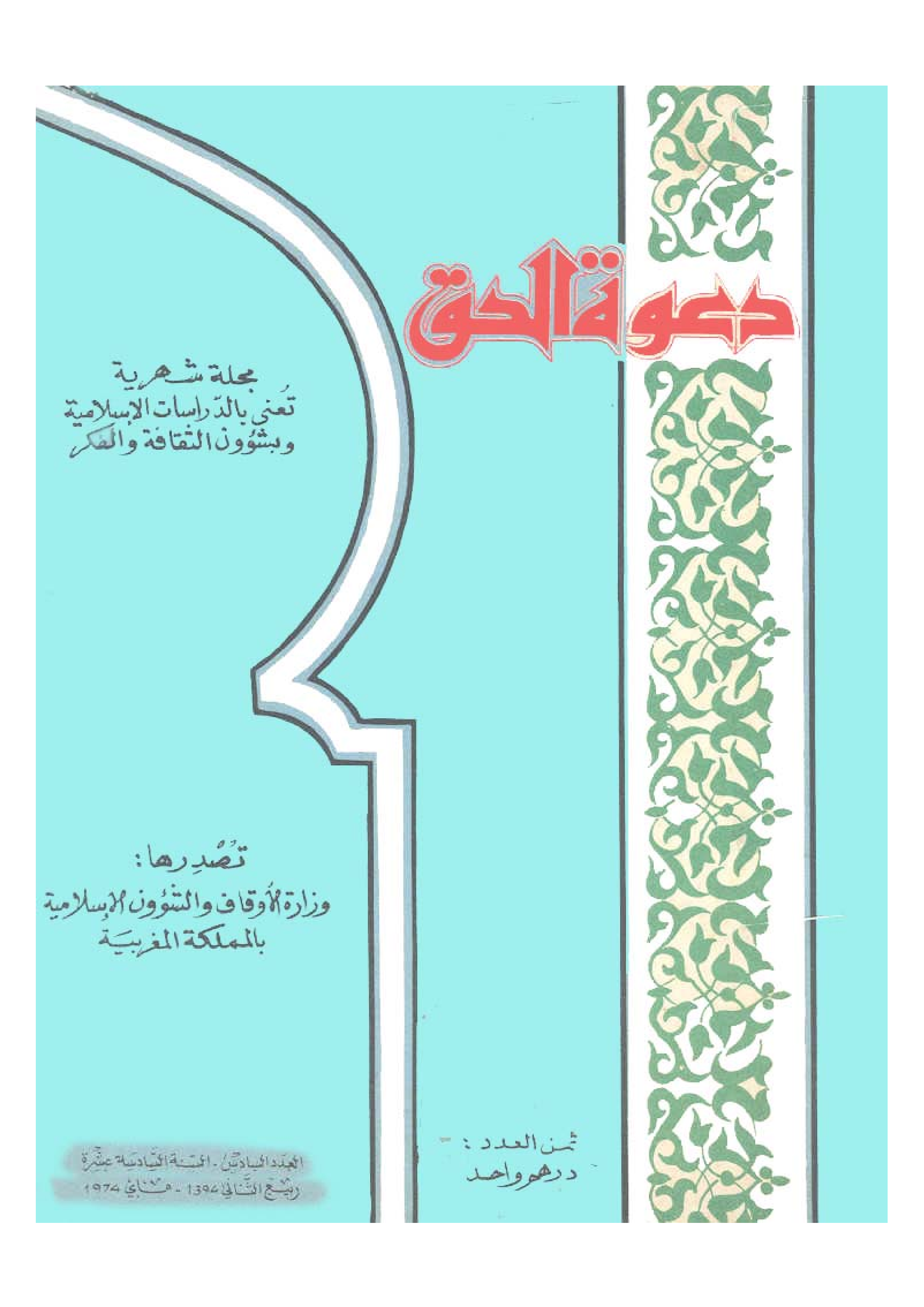

دعوة الحق
مجلة شهرية
تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها:
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية
ثمن العدد:
درهم واحد
العدد السادس - السنة السادسة عشرة
ربيع الثاني 1394 - ماي 1974

العدد السادس
السنة السادسة عشرة
ربيع الثاني 1394
مـــاي 1974
ثمن العدد : درهم واحد



مجلة تصدرها
وزارة الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات ادارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة الاوقـاف والشؤون الاسلامية ،الرباط-المغرب .الهاتف 10-308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فـأكثـــر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حســاب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحســاب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة الاوقـاف والشؤون الاسلامية ، الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة الأوقـاف والشؤون الاسلامية ـ الرباط تليفـون 10-308 ـ 03-327

كلمة العدد

ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله ...

المجلة

لئن كان للسنة الماضية مدلول خاص بها ، وشعار مميز لها ، تجلى اثره في الانطلاق الاجتماعي والاقتصادي الذى نادى به سيد البلاد مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده وبناه على الاشتراكية الاسلامية التى تعتمد على قاعدة متينة ، وتفتقر الى اطر قويمة وشباب متحمس واعضاء مفتولة ، وسواعد مجدولة ، تعمل على ايجاد الثروة لتوزيعها توزيعا عادلا بين افراد المجتمع فان سنتنا الحالية قد طبعها ، ايضا ، صاحب الجلالة الذي ملكه الله مفاتيح التغيير ، ووسائل الخلق والمبادرة ، وزمام الدعوة والاصلاح بطابع يقوم على بعث اسلامي جديد ذي سياسة مرسومة ، وغاية معينة ، يتغيا دراسة الناحية الفلسفية والناحية المذهبية تجاه الحضارة الحديثة ومعطياتها حتى لا نطعم ابناءنا فى الكليات بالخصوص بطعمة غير لائقة بهم ، ولا بأي مجتمع كان ، وحتى لا يكونوا اجانب فى عواطفهم وعقليتهم وثقافتهم ، وذلك بتصحيح المفاهيم اولا ، وبمراجعة القواميس ثانيا .. فلو اخذ ، مثلا ، كما قال جلالته ، اي عربي عربي ، ان يراجع القواميس السياسية يجد ان لفظة اشتراكية لا تؤدي المعنى للفظ العربي ، ومن ثم يمكن ان نرى المضاعفات فى الاغلاط ، وفى سوء المفاهيم حينما ننطلق من سوء الفهم الذى يؤدي بنا الى سوء التصرف ، وبالطبع الى سوء الهضم ..

وحتى نتزود بأسلحة المواجهة فى البناء النفسي ونكون على كثير من الوعي فى حكمنا على الاشياء ، وننطلق من التوجيه الرشيد الذى بلوره سيد البلاد فى خطابه الاخير الذى وجهه لشعبه الشكور الفخور بمناسبة عيد المولد النبوي ، فقد امتازت سنتنا هذه بحركة فلسفية اسلامية موحدة مؤلفة سمحة ، لا نبغي عنها حولا ، تدفع بالهمم الوانية الى اللحاق بالصفوف الاولى ، وتنشيء امة صحيحة الكيان ، قوية البنيان ، سليمة الوجدان ، ذات عقيدة سليمة ، وطابع خاص ، وتاريخ ممتاز ، ووحدة كاملة ، ومدنية اصيلة وحضارة ناضرة لا تدع ميدانا من ميادين الخير الا ووضعت بصماتها وآثارها على ارجائه ورحابه ، وتعيد تلك

الامجاد التى ارتفعت ، منذ الفتح الاول للاسلام ، على رباهـا رايـة التوحيـد ، وتسنمت ذراها امجاد امة انبثق وجودها من كتاب ، فنـزل على حكمهم الدهر ، ودخل فى ملكهم العالم ، وصنعوا ، فى عزمة لا تسعها قدرة ، وطموح لا تحده غاية، احداثا ما زال التاريخ يتحدث بها اناشيد واشعارا .

— ❋ —

ففي مطلع هذه السنة نظم اسبوع للشباب المسلم تحت اشـراف مديريـة التعليم الاصيل القيت اثناءه محاضرات ، وعقدت ندوات ومناظـرات ونظمت خلاله معارض للكتاب الاسلامي بغية توعية الشباب المسلم الذى يراد له ان يحمل عبء التغيير الى الافضل ، والاستشراف الى الامثل ، ويعرف الدور الذي يجب ان يضطلع به لمحاربة الميع والفساد والانحراف حتى لا يبقى معصوب العينيـن ، مغلق الفكر والعقل عن حضارة امته الماجدة ، وتاريخها الحافل ، ويعمل ، ايضا ، على نبذ النظريات الفلسفية المستوردة الاجنبية عن مبادئنا وتقاليدنا وحضارتنـا وتراثنا وعبقريتنا وحتى يسهم فى بناء حضارة راقية عصرية تضـع يد اجيالنـا الطالعة على الواقع التاريخي الذي اثبت صدق علاقة هذه الحضارة بالمعرفة والفكر والاخلاق، ويشيد بماضي الاسلام الذيحرر الرؤوس ، وطهر القلوب ، واصلح الارض ، وشنع على طغاة الاستعمار الذى كان سببا فى فساد التعليم ، وضعف التربية ، وعلقا سخره الشيطان لافساد الكون ، والعبث بالاذهان ، فسخر العلم لاستغلال الطبيعة ، وسخر الطبيعة لاستعباد النـاس ، فحكمهم بالعسـف والقهر ، واذلهم بالجهل والفقر ، وختلهم بالحيلة والمكر ، وفـرق بين اجزائهـم بالعزل والقطيعة ..

ونحن لا نملك ان نبقى امة اسلامية الا ان ان يبقى النشء الاسلامي فى ديار الاسلام متمسكا بحضارته ، حاملا لواءها داعيا اليها ، وهذا يعتمد كليا على سعي الجيل الحاضر لنقل الحضارة والتمدن الاسلامي فى منهجه الرباني الراشد الذي توارثناه عن اسلافنا الكرام ، وتميزنـا به لننقـله فى صدق وامانة الى الاجيال الصاعدة التي تلتهب فى نفوسها جذوة الشوق الى معرفـة ما هو المنهـاج الذى يضمن لهم البقاء وما هي الخصائص البـارزة المميـزة للامـة الاسلاميـة التى تحقق اشواقهـا وتطلعاتهـا .. فالـذي تتوقـف عليـه حيـاة شعـب من الشعـوب ويرجـع اليـه بقـاؤه واستمـراره هـو عنايتـه باعـداد جيل قادم على مستوى يجعله كفؤا للمحافظة على شخصيته القومية .

واذا لم تقدر الامة على ابقاء الخصائص الحضارية المميزة لها ، والتى تطبعها بطابعها الخاص ، واصبحت اجيالها الناشئة تصطبغ بالحضارة الاجنبيـة التى تبدو هزيلة شاحبة فى ساحة الافكـار السليمـة والنظريـات الصائبة ، وتفـتن ببريقها الخلاب الكاذب افتتانا ، وتنزل على امرها ، وتنصاع فى قالبها بدلا من مقدساتها وحضارتها ومشخصاتها فعليها العفاء ..

ومما لا مشاحة فيه انه لا اضر على امة عقيدة اغلبية مثقفيها واهية مهلهلة ، ومبادئهم ضعيفة مهزوزة ، باتوا عبيدا لثقافة ضحلة تلقوها من وراء البحار وخلف السهوب فسيطرت على اذهانهم وعقولهم وعواطفهم ، لان العبودية العقلية أسوأ اثرا ، واشد خطرا من العبودية الجسمية .. فاي شيء نملكه بعد هذا لنجعلهـم

قائمين على الميادين الصحيحة ، والقيم الخلقية ، والدين المتين حتى يستطيعوا ان يتحملوا الرسالة المقدسة التى تعاقبت الاجيال الصالحة على ائتمانها والحفاظ عليها ، ويعرفوا واجبهم ، ويؤدونه بوعي ونشاط لتتكون منهم مجموعة طيبة تستنير قلوبها بنور العقيدة وتقدر مسؤوليتها كمسلمين ، وتبذل قصارى جهدها فى بعث الروح الاسلامي فى المعاهد التعليمية والحقول التربوية للقضاء على كل حركة معادية ، او دعوة تدعو الى الالحاد والمادية ، وتعمل للتشكيك فى العقائد الاسلامية ، وتوهن الايمان بها ، فلا يسمحون لحركة هدامة من شأنها القضاء على هذه العقائد ان ترفع رأسها ، وتزدهر وتشق طريقها الى قلوب الشباب والايفاع .. اننا اذا اخذنا بهذه الحضارة الفاجرة التى طلعت علينا ، فى ركاب الاستعمار والتبشير والتغريب ، واتبعناها وترسمنا خطاها فانها تعود على عقيدتنا ومبادئنا بالاضرار ، وتزلزل دعائمها ، وتضعف اصولها فى قلوبنا ، وتثير فى نفوسنا اسباب التمرد على الله ورسوله وتبعثنا على الخروج عن الدين الحنيف ، والمحجة البيضاء ..

— ❋ —

ان حرص المسؤولين فى هذه البلاد الاسلامية على تقويم الشباب ، والنهوض بالتعليم ، وتصحيح المفاهيم والمحافظة على القيم الخالدة لهذه الامة واعطاء الحياة الاجتماعية طابعها الاخلاقي ، لضمان اكيد بأن دين الله له حماة فى كل مكان ، وسدنة فى كل بيت ، ودعاة فى كل الارجاء يحفظونه من التيارات الوافدة ، والمباديء الهدامة ، والحضارات الماجنة ، والفلسفات المائعة التى تعمل على افساد القلوب وتخريب الافئدة ، والتشكيك في العقائد ، وهذا ما دفع سيد البلاد ليعلنها صريحة واعية الى مراجعة البرامج العليا للتعليم حتى نجعل من هذا البلد، كما كان، دائما يصدر الفقهاء والعلماء والمحدثين والمفسرين وبمختلف اللغات .

— ❋ —

ان الفراغ الذى حدث فى قيادة الانسانية اليوم ، فراغ رهيب مخيف .. وهو فراغ لا يستطيع ان يملأه احد الا العالم الاسلامي وتعاليم محمد عليه السلام، فالعالم الاسلامي هو وحده مصباح الهداية والارشاد والنور فى بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، لانه يحفظ فى وعائه ايمانا أفلس فيه الغرب والشرق ، ودستورا لا يقبل النسخ والنقد ، وحضارة ما زال اثرها مشهودا له لدى الخاص والعام ...

ولعل من اسباب ذلك الفراغ الذى حدث فى قيادة الانسانية اليوم يعود الى الجهل التام ، والعلم الناقص ، ونشاط دعوات الالحاد الجماعي فى بعض الشعوب التى تحمل فى طياتها السخرية بالاديان ، ورسالات الاديان ، ورب الاديان ، والى جانب ذلك دعوات الحرية الفكرية والحرية العقائدية ، فانفلتت الاقلام من اعنتها تقول فى القيم الدينية ما تشاء ، وفى الاقلام طائش وزائغ ، وفيها مغرض وماجور، وفي الاديان قيم يعسر على العقول الفضة، والافهام الضحلة ان تستكنه السر فيها، فتقف منها موقف الحيرة والتردد ، او موقف الرفض والانكار ان لم تعتصم بالتسليم والقبول لتشعر بحرارة الايمان وسلامة اليقين ..

كل هذا كان سببا فى ان يتغير الجو الديني فى المنزل وفى المدرسة وفى المجتمع وفى الكليات، وان تنشا الاجيال خاوية النفوس من القيم الدينية والروحية، واصبحنا من جراء ذلك نشكو الغدر والاستغلال فى المعاملة ونشكو الذاتية والجفاف فى المعاشرة ، ونشكو التخاذل والتقاعس عن البر ، ونشكو الخيانة والمجاملة فى المصالح العامة ، ونشكو فقدان الغيرة والاعتداء على الحرمات ، ونشكو الاستهانة والاستهتار بالتقاليد والمقومات مما آل بالحالة الى هذه الصورة الطامسة والحال البائسة ...

ان العالم اليوم يشعر بهذه المجاعة الروحية ، لذلك نرى مؤتمرات عديدة تنعقد فى مختلف انحاء العالم ، ورفاع الدنيا لتدارس الحالة النفسية والخلقية والوجدانية لكثير من الشعوب بمختلف الدعوات والمعارف .

صحيح ان شبابنا اليوم يعيش صراعات داخلية وتمزقات فى بنيانه النفسي والروحي كادت ان تودي به بين الذوبان والضياع سواء فيما يتلقاه فى الجامعات التى تتسم دراساتها بروح من البحث جديدة وطرق من الاستقصاء مستحدثة عن سبيل التجربة والملاحظة والمقاييس ، وفيما تلقاه فى بيته او مدرسته الاولى التى غذته بعقيدة سليمة صحيحة تخضع للايمان المطلق ، وحضارة تنبع من حضارة التوحيد وتؤمن بالعلم الصحيح ، وتحارب التقليد الاعمى، وتفتح امام العقل آفاقه ورحابه ...

لقد ادرك « دريبر » الاستاذ بجامعة نيويورك فى كتابه : « النزاع بين العلم والدين » تحقق علماء المسلمين من ان الاسلوب العقلي النظري لا يؤدي الى التقدم، وان الامل فى وجدان الحقيقة يجب ان يكون معقودا بمشاهدة الحوادث ذاتها ، ومن هنا كان شعارهم فى ابحاثهم الاسلوب التجريبي والدستور العملي الحسي ، ان نتائج هذه الحركة العملية تظهر جلية فى التقدم الباهر الذى نالته الصنائع فى عصرهم ، واننا لندهش حين نرى فى مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر .. »

ان للمعرفة فى التربية الاسلامية طبيعة فريدة متميزة تشمل السمع والبصر والفؤاد ، وهذا المعنى يشير اليه قول الله تعالى :

« ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا » .

يقول الشيخ الامام ابو الاعلى المودودي فى شرح هذه الآية :

« ان السمع هنا يرمز الى استعماله فى احراز المعرفة التى اكتسبها الآخرون ، وخصوصا ممن سبقنا من آجيال البشرية ، والبصر يعني تنمية هذه المعرفة بما يضاف اليها من ثمرات الملاحظة والبحث والتجريب ، والفؤاد ويرمز الى تنقية هذه المعارف من ادرانها واوثانها ثم استخلاص النتائج منها واستخدامها فى اسعاد الفرد والمجتمع وفى كل غرض بناء .

وهكذا ، وتختلف التربية الاسلامية والدعوة الى الله عن سائر الدعوات فى التفكير والمنهج والعمل حيث انها تجمع بين الشعور والوجدان والعقل والعاطفة، وتهتم بالفرد الواحد مثلما تهتم بمجموعة الافراد ..

فهي ليست، كما يزعمها بعض المسحورين المبهورين الذين يخافون على انفسهم تهمة الرجعية فى كل حين ، ضرورية خلقية ، وحاجة اجتماعية ومصلحة بشرية بل انها قبل كل شيء الطريق الى الآخرة .. وان الدار الآخرة لهي الحيـوان لو كانوا يعلمـون .

وانها لدعوة صادقة الى الله ورسوله من سيد البلاد الذى يجدد لهذه الامة امر دينها وحياتها ويبصر هذا الشباب المسلم بما يحيط به من تيارات جارفـة ودعوات باطلة وعقليات آفنة ، فيدعوه مرة اخرى لتدارس مباديء الاسلام الصحيح والبحث عن فلسفته السامية، وقيمه الخالدة، واصوله العامة، ومبادئه القويمة خلال هذه السنة حتى تكون منطلقا، باذن الله، لمجتمع فاضل تطبع حياته بالصفاء والطهر، وتنزع ما فى صدره من سخيمة وغل ، وتفتح امامه آفاقا رحبة من السعادة الراضية والرضى والامن .

وانها لدعوة الى الله ..

ومن احسن قولا ممن دعا الى الله ..

دعوة الحق



وجه صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله يوم الاحد 3 مارس من مدينة فاس خطابا هاما الى شعبه الوفي بمناسبة الذكرى الثالثة عشرة لتربع جلالته على عرش أسلافه المنعمين .

وأعلن جلالة العاهل الكريم فى خطابه السامي عن اكتشاف كمية من الصخور والاحجار فى بلادنا تنطوي على مادة النفط تؤمن اكتفاءنا من هذه المادة عدة قرون ، كما اعلن حفظه الله عن تدشين بداية العمل لبناء سد وادي اللكوس بالشمال المغربي ، وكذا بناء معمل لصناعة الحديد وميناء جديد بالناضور.

وتحدث جلالة الرائد القائد في الخطاب عن اصلاح القضاء وتبسيط المسطرة الادارية والعودة الى الحياة النيابية حيث أشار جلالته ـ ونحن نخاطبك اليوم فى شؤوننا المختلفة لا نمتلك اننا ما فتئنا نفكر فى ناحية من نواحي الدستور الذي وافقت عليه وصادقت تلك الناحية التي لم تنل لحد الآن حظها من وسائل التنظيم ، وسيفضي بنا التفكير لا محالة الى اتخاد التدابير الضرورية التي من شأنها ان تتيح لممثليك ان يمارسوا حق التشريع و يباشروا مراقبة أعمال الحكومة ، كما سيفضي بنا الى تحديد موعد لوضع رغبتنا ورغبتك موضع الانجاز والتنفيـذ ـ .

وتطرق جلالة الملك فى خطابه السامي الى مواقف المغرب البطولية الى جانب القضايا العربيـة وجدد جلالته التأييد المطلق للعرب والمسلمين ، وبهذه المناسبة تحدث العاهل الحبيب على وحدة المغرب العربي فأكد نصره الله على ضرورة بناء هذه الوحدة عبر المراحل الضرورية والخطوات اللازمة.

وفيما يلي النص الكامل لخطاب العاهل الكريم الذي استغرق ساعة وعشر دقائق .

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه .

شعبي العزيز :

نتجه اليك مرة بعد مرة فى اثناء كل سنـة ، مخاطبين محادثين مجملين موجزين تارة ، ومفصلين مسهبين تارة اخرى لاطلاعك على ما نبـديء فيـه ونعيد ، من شؤون مختلفة ، وما نبذله من مساعي واعمال لطي مسافة او مرحلة ، من مسافات ومراحل المسيرة ، التى اخذنا على نفسنا ، ان يكون النجـاح حليفها فى كل خطوة نخطوها ، وكل تمهيد او تيسير وكل تحضير او تدبير ، وكل ما حدثناك وخاطبناك ، كان خطابنا او حديثنا لقاء بيننا يبشر بعمل انجزناه وحققناه ، او يوضح مشروعا درسناه واعددناه ، او يؤكد عزما عقدناه ووطدناه ، وما اكثر ما نلتقي والحمد لله ، خلال السنة الواحـدة ، وما اعظــم

سعادتنا بما كان حلول ذكرى ذلك اللقاء الميمون يتيح التبادل والتحاور ، ويمتن بيننا اسباب التكاثف والتناصر واذا كان حلول ذكرى ذلك اللقاء الميمون الذي يسره الله بيننا وبينك ، منذ ثلاث عشرة سنة ظرفا من ظروف حياتنا وحياتك ، تبلغ فيه مشاعر الائتلاف والتحالف ، المتبادلة بين ملك البلاد ، وعرش البلاد ، وشعب البلاد ، شاوها الاقصى ومداها الابعد ، فان الخطاب الذى نتجه به اليك في مثل هذا اليوم من كل عام خطاب تتوخى مقاصده واغراضه تشخيص حصيلة الجهود المصروفة ، طوال سنة كاملة . في كثير من المجالات التى تتناولها الدولة بالعناية ، مثل ما تتوخى تصوير الآمال ، والمطامح التى تنتظر المساعي الجادة ، وتشرئب الى التجسيم والتحقيق فهو خطاب ، قياس وتقييم ، لما اعطيت واعطينا وبذلت وبذلنا ، لشن الغارة تلو الغارة وكسب المعارك ، متساندين متآزرين ، سالكين للسبيل الذى تكشف اهدافها لامانينا ، وتوضحت غايتها لمطامحنا وتالقت انواره مؤداها لارادتنا وعزائمنا واذا كان من دواعي اغتباطنا ان تعلم بمناسبة حلول هذا اليوم المبارك السعيد ما اغذدنا فيه السير ، وارقلت فيه الخطى وما حالف السعي من فوز ونجاح وواكب الداب والسهر ، من جميل المغبات وصالح الاعمال ، فان ابتهاجنا شديد باظهارك على ما يتسع امام البصر من رحاب ، وينفسح من آفاق ويمتد من طريق ، ليتاح لك تقدير ما نحن مطالبون به من جهود مشتركة متكافلة ، مدعوون اليه جميعا من تفكير مبدع خلاق ودرس مستوعب شامل ، وانطلاق في مجالات التنفيذ والتطبيق لا تعوقه الحواجز والعوائق ولا تؤوده الصعاب والاعباء .

وان التفاتة الى الوراء شعبي العزيز لخليقة ان تدلك على ما استبدلناه من احوال ، في ظرف سنوات معدودة ، وانتقلنا فيه من اطوار وارسيناه من بنيان وعززناه من مكاسب وافدناه من ثراء واضفناه من امجاد ، ولم يتم لنا امر التجديد والتشييد والتطوير والتحوير ما تكامل وتم وظهر واستبان ، الا بفضل ما واظبت عليه المشيئة التواقة وداومت عليه القريحة الطماحة ، من حركة متلاحقة ، تكفلت باخراج ما تخيلناه ورسمناه ، من حيز التصور والدراسة ، الى حيز الواقع الذى تلمسه الحواس ، وتدركه الابصار والبصائر ، وتتملاه النفوس الطافحة ، بمشاعر المسرة والارتياح والاطمئنان والرضى ، ولو كنا اخلدنا الى ترف السير الوئيد ، والى يسر العمل الذى يتحرك حينا ويتوقف احيانا ، والعالم من حولنا يفور ويموج ، ويضطرب بالرغبة الملحة في اكتساب المكاسب المتواليه المتجددة فى كل وجه من وجوه العرفان والاقتصاد والاجتماع لو كنا سلكنا هذا المسلك السهل لفاتنا شيء كثير ومنينا بخسران كبير ، ولكانت الشقة بيننا وبين الدول العاملة على رقي متصل مستمر اشد اتساعا ، واكثر بعدا ، ولما كان لنا شان نابه وذكر مذكور ولكننا ابينا ان نجنح الى هذه الخطة ، ورغبنا بانفسنا ان تصبح بلادنا كيانا مغلولا مشلولا ، فى معترك تتسارع فيه الرغائب ، لتسنم ارفع الدرجات ، واسمى المقامات بالعمل الذى لا يناله فتور ولا يمسه لغوب ، وهكذا انصرفنا بعد تخليص سيادتنا وتحريرها ، الى اعتماد الاسباب والوسائل التى رايناها كفيلة بتحريك عجلة السير ، واظفارنا بالمثالة والوجاهة ، بين الدول النابهة الوجيهة ، مدفوعين بانصرافنا هذا بدافع التوقي والاحتراص ، والابقاء والصيانة ، محفوزين بحافز المنافسة والمباراة والحرص الشديد والعزم الاكيد على ربط الصلة بين مجد اثيل ، ومجد نريد له الاصالة والاثالة ، وعلى هذه الوتيرة سرنا في احكام الوشائج وتوثيق الصلات بين ماضينا وحاضرنا ، وتثبيت دعائم الاستمرار الممتد عبر القرون القائم على ما بين الرعية وراعيها ، من اواصر الوفاء والاخلاص ، والالفة التى تعصم الافئدة والافكار وتحصن العهود والمواثيق، وليس ببدع ان تتآزر فوق ارض هذا الوطن العزيز ، رغائب ملوك هذه البلاد ، ورغائب الشعب ، وتتعاون المشيئات الماسكة المتعاهدة وتتلاقى على صعيد واحد ، ونهج لا تباعد فيه ولا خلاف ، ذلك ان الشعور بالصالح العام والشعور بالواجب المفروض والمهام التى تولدت عن هذين الشعورين خلال القرون المتعاقبة ، حتى اصبحت لازمة من لوازم الحياة هذا وغيره من مشاعر الثقة والصفاء المصاحبة لاتحاد الدوافع والمقاصد ، تالف منه ذلك الاصل المشترك الذى خلق القربى ، واحكم الروابط والصلات ، وان نظرة عابرة يلقيها البصر المتجرد النزيه على طوايا تاريخ هذا البلد العزيز لكفيلة بالنفاذ الى حقيقة جلية ناصعة ، ثابتة لا غبار عليها تلك الحقيقة هي اتصال وامتداد التوافق والتمازج ، والتعاطف والتوادد على مدى الاحقاب ومسرى الازمان ، وجميع هذه الفضائل

وهذه النحائز والنقائب املى التاريخ ملوكك ، مثل ماسطر صفحات تاريخك ، واوضحت السبل والمسالك ونصبت المعالم والامارات ، وحددت الاغراض والغايات ورسمت اسارير المصير لوطن اجدادنا واجدادك فلم يكن داب الملوك الذين تعاقبوا على عرش هذه الدولة ، ولا كان همهم الاخلاد الى الراحة ، والسكون الى الدعة والاستنامة الى الترف والاستمتاع ، وانما كان كدهم وهجيرهم ان يكافحوا ويناضلوا ، ويقاوموا ويجادلوا ، ويحرروا ويوحدوا، ويؤسسوا وينشئوا دفاعا عن حوزة البلاد ، وصدا لاطماع الطامعين وردا لعدوان المعتدين وحفاظا على الكرامة وابقاء للسيادة وابتغاء لامنك ورقيك واعلاء لشانك ، ومدا لجاهك وتامينا ، لكريم عيشك وتوفيرا لاسباب ابهاجك واسعادك .

عندما كانت تتفجر الازمات ، وتنتاب المكاره والخطوب ، كنت تاوى من ملوك اسرتنا الى ركن متين ، وحصن حصين فكانوا يتصرفون فى هذه الاحوال الشداد بافانين من الراي الثاقب والوان من العزيمة التى لا تلين ولا تستكين واصناف من المهارة فى معالجة المعضلات وكثيرا ما كان التوفيق والحمد لله يثيب رايهم السديد ، وتعبيرهم الرشيد ، فتنقشع السحب وتنفرج الكروب والازمات ، وتفيء السكينة الى القلوب ، وتشرق النفوس والوجوه ، بالفرح المستفيض والاستبشار العميم ، وكنت ايها الشعب الكريم فى جميع الاحوال المتأرجحة بين الرخاء والشدة ، والسراء والضراء ، الحليف الذي يخيس بالعهد ، والمعتمد والمستند ، والنصير والظهير ، الجاري من الثقة والوفاء والاخلاص ، على اوضح سنن واقوم سبيل .

ان هؤلاء الملوك شعبي العزيز لم يفرضوا انفسهم عليك فرضا ، ولم يخضعوك لسلطانهم قهرا وقسرا ، وانما توثقت بينك وبينهم عرى الاسباب والصلات اختيارا او طوعا ، ورغبة وتاميلا ، لقد القيت اليهم زمام امرك ومقاليد تصريف شؤونك، لاقتناعك بانهم اهل لثقتك احرياء بالارتياد والاقتياد ، والطاعة والتسليم فقابلوا هذا الظن الجميل ، وهذا الاعتقاد الواثق بكفائهما من الحدب والرعاية وبالنظر الموقوف على دفع المضار ، والسهر المقصور على بذل الراحة والاطمئنان ، ونشر الرخاء والهناء ، ولم يحالفهم التوفيق فيما باشروه من تدبير وما مارسوه من تصريف ، الا انهم لم يلوذوا بالابراج العاجية ولم يقيموا بينك وبينهم السدود المانعة والحواجز الحائلة، ولم يباعدوا ما بين اهتمامك واهتمامهم ولم يباينوا ما بين مصالحك ومصالحهم بل ظلوا فى قربهم منك ، اقرب اليك من حبل الوريد ، وفى امتزاج بك وانصهارهم بين مآربك واوطارك ، وافراحك واحزانك ، ومطامحك وامانيك احرص الناس على دوام التحامهم بك واسعد الناس باستحكام ما بينك وبينهم من انسجام ووئام ، ودابوا على التمسك بحبل الله المتين ، والاسترشاد بكتابه المبين والاهتداء بسنة خير الانبياء والمرسلين فعرفهم الله طريق الخير والهمهم ركوب المحجة البيضاء فطفقوا يقودون السفينةالى الشواطيءالآمنةالسليمة قيادةتبصروحكمة يستصوبون الاقدام كلما دعت المصلحة العامة الى الجراة والشجاعة ويستحسنون الاناة والتربص بالظرف المناسب والفرصة المواتية متى اهابت الروية بالتريث والامهال .

فلما استخلفنا الله على عرش هذه البلاد وتسلمنا مقاليد القيادة شاكرين لله ما اسبغ علينا من افضال المعتزين اقوى ما يكون الاعتزاز بما خصنا به من شريف التكليف وجسيم الاعباء التزمنا بان رائدنا فيما نزاوله من مهام صالحك ـ شعبي العزيز ـ وصالح وطننا المحبوب لا نهاود ولا نهاون ولا يكل لنا عزم ولا يني تصميم فيما نريده ونرغبه ونصبو اليه ونتوق من اسمى المطالب واجدى المكاسب ، وها نحن منذ ذلك العهد نواصل التفكير والدرس والرسم والاعداد والانجاز والتحقيق غير هيابين ولا وجلين من الطرافة عليها ارادتنا وارادتك على هدى من الله الذى نستلهم والاستحداث والابتكار ونتابع المسيرة التى توافقت منه الطريقة المثلى ونتكل عليه فى قصد السبيل ونستمد منه الحول والطول والتسديد والتوفيق وعلى هدى من ارتباط اجدادنا المقدسين برغائبك واراجيك ومن سيرتهم الحافلة بصالح المساعي وجليل الاعمال .

شعبي العزيز :

ما نخالك بعد هذه التوطئة الا على بينة من السياق التاريخي الذى شكل فيما غبر من الازمان وما زال يشكل الآن المنطلق للاعمال التى قام بها اجدادنا رضوان الله عليهم ونقوم بها نحن موالين مواصلين بطريقة مستجدة واسلوب خاص ، ونود الآن وفاء بما واعدناك به في طليعة هذا الخطاب ان نظهرك على حظ غير يسير مما اسهمنا به خلال السنة

الماضية من مد لجاهك واعلاء لكلمتك وتيسير لاسباب رقيك وازدهار حاضرك ومستقبلك .

سجل تاريخ العالم العربي والاسلامي حدثا عظيما في الشهور الاخيرة من العام الفارط وبصورة ادق في الايام الاولى من شهر رمضان الاخير ، وقد تمثل هذا الحدث العظيم في انتفاضة مباركة محت بها الجيوش العربية وصمة العار ونسخت بها الهزيمة الشنعاء التى منيت بها القوات العربية المسلحة منذ بضع سنين وكان من آثارها ان اصيبت اجزاء شاسعة من التراب العربي بالاحتلال الصهيوني وانتهكت حرمة البقاع التى يقدسها المسلمون حيثما وجدوا من اقطار المعمور لما يربطهم باولى القبلتين وثالث الحرمين من رباط روحي مكين .

ولم تكد تتطاير انباء هذه الانتفاضة حتى تالقت في سماء العروبة ظاهرة رائعة استبشرت باشراقها القلوب وابتهجت لروعتها النفوس ، ولم تكن هذه الظاهرة التى طالما ترامت اليها الآمال وتعلقت بها الافكار والسرائر سوى اجتماع كلمة العرب والتئام شملهم واتحاد صفهم ، فلم تمض الا ايام معدودة حتى حطم العرب مجتمعين متراصين اسطورة غذاها المعتدين ومكن لها اشياعهم باشكال من التزييف والتضليل وعمدوا بها الى توهين عزائم العرب وحشد اصناف من مركبات النقص في افئدتهم وعقولهم تلك هي اسطورة التفوق والمناعة والاستعصاء على المناجزة والمصاولة واستحالة رجحان العرب وغلبتهم في حالة تلاحم الفريقين ونشوب حرب بين الفئتين ، وتبددت الاسطورة وسيم كبرياء العدو وخيلاؤه انواعا من الحقارة والمهانة وكتب الله النصر الذى تضافر المشارقة والمغاربة من اجله وتآزروا على تحقيقه واسترخصوا في سبيله جسيم التضحيات بعد المعارك الضارية التى كانت صحراء سيناء وهضبات الجولان مسارح لها وميادين واستفاق الغافلون الحالمون من غفوتهم وسباتهم وواجهوا الحقيقة التى لم يكونوا لها متوقعين ولا منتظرين وكانت يقظة الدهشة والذهول التى طوحت الاوهام والزمت بتصحيح الاخطاء وتعديل الموازين ، وافاض الناس في الحديث عن البطولات العربية وما زالوا يفيضون ويتناقلون اخبارها ويمجدون ما اعادته من عز مسلوب وانتقمت له من كرامة مهانة وشرف كان الاعداء قد داسوه من قبل واهدروه .

وكنا نخشى ـ شعبي العزيز ـ قبيل هذا الشهر من العام الماضي ان يشن الصهاينة حربا ضروسا على اشقائنا السوريين ويصاب القطر السوري الشقيق بهجوم مفاجيء عنيف فاهاب بنا داعي الواجب المقدس الى المؤازرة والمناصرة ووجهنا نداء الى قواتنا المسلحة دعوناها فيه الى تعريفنا بمن يود من افراد هاته القوات التطوع والالتحاق باشقائهم ويرغب في التضحية والاستشهاد فما كان اعظم سرورنا وافتخارنا عندما احاط علمنا بالعدد العديد من المتطوعين الا انه لم يكن في المستطاع ان نلبي جميع رغبات الراغبين المتطلعين المتحمسين فاقتصرنا على طائفة منهم ، وشكلنا منهم تجريدة بادرنا بارسالها الى سوريا الشقيقة مجهزة بالعدة والعتاد لتحل مواقعها من واجهة القتال فوق هضبات الجولان، فكانت هذه التجريدة يوم اندلاع نار المعركة متاهبة مستعدة لم تاخذها الحرب على غرة ولم تفاجئها الشراسة والضراوة بيد ان المعركة انتظمت واجهتين في وقت واحد وانتشر جحيمها في سيناء كما انتشر في الجولان فراينا واجبا علينا ان نشارك في معركة الكرامة الشاملة لواجهتين معا وان يعاين حضورنا الفعال ووجودنا كعامل من عوامل التأييد والتعزيز والاسهام في تحقيق النصر فوق تراب القطرين العربيين ، وما لبثنا ان سارعنا فور عبور القوات المصرية للقناة ذلك العبور الذى اثار الاعجاب وكفل الاكبار الى ارسال تجريدة من قواتنا المسلحة التحقت بشقيقتها المصرية وخاضت معها كما خاضت التجريدة الاولى مع اختها القوات السورية المعارك الطاحنة التى تكللت بالفوز المبين والنصر المكين .

وان من دواعي اغتباطنا ان ننوه في هذا المقام معتزين مفتخرين بما بذله المواطنون المغاربة من متلاحق الجهود وحميدها لنقل اخوانهم الجنود الى واجهة القتال المصرية ، فقد تم نقل الرجال والعتاد بالسرعة المطلوبة وفي الظروف والاحوال المرضية المرغوبة وتعاون المدنيون والعسكريون على مد الجسر الجوي بين المغرب ومصر فتحققت بذلك مساهمة المغرب بابنائه المدنيين والعسكريين في الصراع المسلح بين الحق والباطل .

وحري بنا من جهة اخرى ان نشيد ـ شعبي الكريم ـ بما برهنت عنه من اريحية وبادرت اليه من سخاء ودللت عليه من صفات الكرم والنبل واظهرته والمعركة حامية الوطيس من ماثور طباعك

ومشهود خصائصك ومعلوم تقديرك لواجب التضامن وفريضة التكافل فاوسعت على اسر اخوانك الذين غادروا عشائرهم وديارهم رغبة فى النصرة وحرصا على تاكيد الاخاء واسعفت بقلب جياش بمشاعر البر والايثار سباق الى المحامد والمكارم فاليك منا وافر الحمد وخالص الشكر والثناء .

اما جنودنا الذين قاتلوا الى جانب اخوانهم فى مختلف ساحات الوغى فقد جاهدوا جهاد الابطال وكافحوا بما هو معهود فيهم ومالوف من اقدام وجراة وشجاعة وصبر ومصابرة وثبات واستماتة حتى سارت بذكرهم الركبان وجرى حديث بطولاتهم على كل لسان فاضافوا بهذا المجد الطريف الى مجدهم التليد صفحات غراء سيبقى تاريخ هذه البلاد معطرا باريجها مشرقا وضاحا بما سطرته قواتنا المسلحة عليها من كرائم الاعمال وعظائم المواقف والماثرات ، ولم نكن ننتظر منهم غير ما صح عنهم وشاع واستفاض من بذل وعطاء بجود وسخاء ، ان ما يجيش به صدر قائدهم الاعلى من مشاعر التقدير والتكبير ويطفح به قلبه من عواطف الرضى والارتياح والاكبار ليستعصي على الوصف والبيان ويعز على التعبير والتحبير .

ولولا الانتصار الذى ظفر به العرب فى الميادين العسكرية والدبلوماسية بالمضاء والتصميم وحسن التدبير وبما كان يظن انهم عاجزون عنه من اصطناع للتكنولوجية واستخدام لاحدث الاسلحة والعتاد وادعاها الى الخبرة التقنية ولولا تلك الوحدة التى تراءى الشمل من خلالها جميعا غير شتيت وبانت الارادة العربية من ورائها كلا ثابت الاركان شامخ البنيان لما تحول الاهتمام اليهم واتجهت الانظار نحوهم واقيم لهم من الاوزان ما اقيم ولقد انضم الى هذا كله عامل آخر استبان اثره البعيد ودوره الكبير فى توطيد عزم العرب وتعزيز مواقفهم وتاييد مطالبهم المشروعة وحقوقهم المسلوبة ، وهذا العامل الذى توافق العرب على الزج بثقله فى كفة الميزان هو عامل النفط الذى تشكل مادته ثراء عريضا شائعا فى بطون الارض العربية ودعامة من دعائم الحضارة الغربية لا بديل لها فى الظروف الراهنة ولا غنى عنها لاستمرار الازدهار الاقتصادي للدول المصنعة ، ومنذ انطلاق شرارة معركة الكرامة والنفط العربي بكمياته التى يبذلها العرب على قدر ما يبتغون من تحويل للراي العام الغربي وانعطاف لاهتمامه وباثمانه التي يحددها العرب وفق ما يرونه من غايات ويخطبونه من نتائج لصالح العرب اجمعين يؤدي وظيفته كعامل فعال يرجي من ورائه قيام العدل والانصاف على اسس كفيلة باستقرار الحق فى نصابه واستتباب امن قار وسلام دائم .

وبهذا الصف المرصوص وهذه الوحدة الرائعة وهذه القوة الطائلة التى تفجرت بعد مهادنة ومسالمة وانتصار طويل وارتقاب مديد اجتمع رؤساء الدول العربية وزعماء المقاومة الفلسطينية بعاصمة الجزائر الشقيقة وانتظمهم مؤتمر حضرناه بنفسنا وسميناه مؤتمر الانبعاث وكانت هالة الظفر تحيط بالمؤتمرين والوية النصر ترفرف عليهم من كل جانب ، وفرغ المؤتمرون من اعمالهم التى طبعها الصفاء والوئام والجد والرزانة وشملهم جامع ورايهم واحد وصفهم قوي مكين ، وكان هذا المؤتمر فرصة ثمينة اغتنمناها للاتصال باشقائنا ملوك العرب ورؤسائهم وقادتهم ومناسبة جميلة اتاحت لنا التشاور وتبادل الراي معهم فى الشؤون التى تمت الى مصير امتنا بصلة ماسة .

وكما هبت دولتنا لمؤازرة الاشقاء ومناصرتهم فى الظروف الحرجة والاحوال المكتظة بالاخطار فاننا موطنون العزم على مواصلة تاييدهم وتعزيزهم ومساندتهم فيما يختارونه من طريق لاحقاق الحق وازهاق الباطل واننا لنرجو ان يستعيد اخواننا العرب جميع ما فقدوه من اراضيهم ويظفر الاشقاء الفلسطينيون بما لهم من مطالب وحقوق ثابتة مشروعة وذلك فى اقصر الآجال واقرب الاوقات .

واذا كان قوام سياستنا الخارجية فى مجال الشؤون العربية هو التايبد المطلق لمطالب العرب وحقوقهم والموافقة على الطرق التى يرونها كفيلة بايصالهم الى اهدافهم ومطامحهم فان المغرب بوصفه كيانا مسلما عريق الاصول فى الاسلام وبوصفه دولة افريقية موصولة الاواصر والروابط بالقارة السمراء ليشاطر اقرباء المسلمين اهتمامهم البالغ بالقضايا المصيرية ويساندهم مساندة كاملة فيما يعلنونه من مطالب ويبسطونه من حلول كما يشاطر عشيرته الافريقية عنايتها بماتتعرض لها حياتها من مشاكل ويؤازرها فيما تفكر فيه من اساليب المواجهة والمعالجة للقضايا التى تشغل البال وتقض المضاجع، واننا لنحمد الله سبحانه وتعالى على توفيق المغرب الذى لا يغيب ولا يفتقد كلماعن للعرب او المسلمين

او الافارقة شأن من الشؤون او حزبهم حازب من الامور الى اسماع صوته واعلان رأيه والقيام بالدور المطبوع بطابع الروية والحكمة الموسوم بسمة السداد والصواب فى مختلف الانحاء والجهات وسائر المحافل والدوائر الدولية ، كما نحمده على ما يسره لنا من استقرار على اقوم المبادىء وامثل القيم وركبه فى نفوسنا من وفاء واخلاص لاوثق المواثيق ومستحكم العهود .

ولا نريد ان نخلص من هذا المضمار الى غيره دون التصريح والتذكير بما يجمعنا بالمغرب العربي من جامعة لا تنفصم عراها وبما نحرص عليه قوي الحرص وشديده من بناء وحدته وتأسيس هذه الوحدة على الاسس التى تاخذ بعين الاعتبار المراحل الضرورية والخطوات اللازمة لكل عمل من هذا القبيل جدير وقمين بان تتوافر له جميع حظوظ النجاح .

شعبي العزيز :

لم ينحصر نطاق اهتمامنا طيلة السنة المنصرمة فى هذه الشؤون التى عرضناها عليك وبسطناها على وفرتها وتنوع اشكالها ولم يقتصر على ما كان يغادينا ويماسينا من انباء الاحوال النقدية والاقتصادية للدول الاوربية التى تربطنا بها روابط التعامل فى كثير من الميادين فقد انصرف الى جانب هذا كله بالغ اهتمامنا الى شؤوننا الداخلية الاقتصادية منها والاجتماعية وهي والحمد لله كثيرة تستوجب وافر الرعاية وكامل العناية ، فبعد ان وافقنا على مشروع المخطط الحالي الذى يسري مفعوله ابتداء من سنة 1973 وينتهي بانتهاء سنة 1977 وبعد ان اصدرنا امرنا بالعمل على ادخال ما ورد فيه من برامج ومشاريع فى حيز التطبيق والتنفيذ اخذنا نراقب سير الانجاز ونوالي تصويب النظر فى المراحل المحددة المعينة وتقييم النتائج الاولى والثمار المطلقة البواكير .

واذا كنا شعبي العزيز نستهدف بما نعكف عليه من درس وتفكير وابتكار وتخطيط وننقطع اليه من عمل لا يفتر ولا يسام قصد تطبيق وتحقيق ما توليناه بالوضع والاعداد غايا تمرسومة واغراضا معلومة فلان عزمنا وطيد وحرصنا شديد على ان يفضي هذا المجهود ببلادنا الى ان تتوافر لها اسباب المناعة والحصانة والجاه والقوة التى يحسب لها الحساب وتقام لها الاوزان فى عالم لا يرحم الفقراء الضعفاء ولا يحتفل بغير الاقوياء الاشداء ، ولا سبيل الى بلوغ المرام من الوجاهة والقدرة والتبجيل والاحترام الا باتساع الغنى وانتشار اليسار واطراد الرفاهية والازدهار .

وانطلاقا من هذه الدواعي والاسباب صح عزمنا على ان يكون مخططنا الخماسي الحالي اداة من ادوات العمل التى تنير الطريق وتسهل المسير الى بلوغ ما نبتغيه من اقلاع وتحليق وادراك لما نصبو اليه من اطراد النمو فى مختلف المجالات ومتعدد الميادين ، واذا نظرت شعبي العزيز فيما اوضحه هذا المخطط وابرزه من اهداف واغراض تبين لك جليا اننا اردناه ان يكون متصفا بصفة الطموح وان يكون هذا الطموح متصفا بصفة الطموح وان يكون هذا الطموح الذى يطبعه من ابتدائه الى انهائه اقوى واوسع طموح اتسمت به مخططاتنا ، وسواء تعلق الامر بالقطاعات التى دابنا على اضفاء الاسبقية عليها او تعلق بغيرها مما اوليناه الاهتمام والعناية فان الاهداف المحددة والاعمال المسطرة يجب ان تؤدى اذا اتسمت جهودنا بالجد وانطبعت مساعينا بالمواظبة والمداومة والفاعلية المتصلة المستمرة الى ما ننشده من ثراء وازدهار ، ولنا اليقين باننا بالفون بعون الله ما نتوق اليه من هذا الامر لما تاكد لدينا من طموح تمتلىء به نفسك ومن حب للمنافسة والمغالبة يتاجج ويغلي بين حناياك .

فما هي بعد هذا كله الاهداف المجلوة والمقاصد المسطرة التى نعتزم ادراكها والوصول اليها فى السنوات المقبلة ـ انها تتلخص فى تنشيط كل قطاع من قطاعات الفلاحة والصناعة والتجارة وكل مجال من مجالات الايواء والاستقبال والبناء والتعمير وفى المحافظة على شبكة المواصلات وتوسيعها وفى الاستثمار الفلاحي والصناعي وفى العمل على تصدير الانتاج وفى تكوين واعداد الاطر وفي بذل وسائل الوقاية والعلاج لجميع المواطنين بتعزيز اجهزة الصحة العمومية وفى تقريب القضاء من المتقاضين وتسهيل حصولهم على ما يتحاكمون فيه من حقوق وبفضل هذا التنشيط وهذا التحريك القوي وهذا التوسيع وهذا الاستثمار وهذا التكوين وهذا التقريب سينمو الانتاج بنوعيه الفلاحي والصناعي وتغزر موارد الدولة وموارد الافراد والجماعات وتقترب الشقة

بين المداخيل ويتسع الاستهلاك ويتأتى تحسين الاوضاع المادية والمعنوية للعمال على اختلاف اصنافهم ولموظفي واجراء الدولة على تعدد اسلاكهم ، وعلى بصيرة من هذه المتطلبات طفقنا نواصل العمل لتحقيق المطامح وتجسيم الرغائب فلم يخل ميدان من ميادين اهتمام الدولة من تنفيذ لخطة مرسومة وانجاز لمشروع مقرر موضوع ، وهكذا استرجعنا اراضي الاستعمار وشرعنا فى استغلالها بالطريقة التى وافتك انباؤها وولينا الاستثمار الفلاحي وتوزيع الاراضي على الفلاحين عملا بالاصلاح الزراعي كما من وسائل السقي التى نبثها جنوبا وشمالا ، وان مما تجدر الاشارة اليه فى هذا المضمار انادشنا خلال مقامنا الاخير بمدينة اكادير صحبة شقيقينا الرئيسين هواري بومدين والمختار ولد دادة سد يوسف بن تاشفين على وادي ماسة .

كما دشنا كذلك سدا بناحية فاس صحبة رئيس جمهورية ساحل العاج فخامة الرئيس هفويت بوانيي واننا لنرجو لهذين الاقليمين بفضل ما سيضطلع به هذان السدان من استصلاح للاراضي مزيدا من الثراء والغنى .

ونحن عازمون بعون الله عناية منا بشمال مملكتنا على تدشين الاعمال الرامية الى بناء سد على نهر لوكوس وذلك فى بحر هذا الشهر ان شاء الله ، وبالاضافة الى الاستثمار الفلاحي والتجهيز واعداد الاراضي قصد التوزيع فان وزارتنا فى الفلاحة ومؤسسات القرض الفلاحي جدت خلال السنة المنصرمة فيما هو منوط بها من توجيه للفلاحين ومساعدة بالتعريف والتنوير والسلف .

واننا لنغتنم فرصة هذا الخطاب لتاكيد الرغبة التى كثيرا ما اعربنا عنها فى اقبال المواطنين على اغزار الانتاج الفلاحي اغزارا يسد الحاجات ويرضي المتطلبات ويكفل علاوة على الاكتفاء والتحويل والتصدير ، انك لتعلم شعبي العزيز ان الحاجات تزداد وتنمو بازدياد السكان ونمو عددهم وان بلادنا تستورد من الخارج ما تسد به هذه الحاجات ولكنها تتحمل بسبب هذا الاستيراد وبسبب اثمان البضائع المتصاعدة كل يوم ضروبا من التكاليف والاعباء وما اخلق امكانات بلادنا ومقدراتها بان تقينا شر العوز والاضطرار وتحمينا من مكاره العنت والارهاق .

وبقدر ما نهتم به من امر الفلاحة فاننا نولي عناية فائقة للصناعة على اختلاف اشكالها واحجامها، فليست صناعة التحويل وحدها بالمطلب الذى يستأثر دون سواه فى هذا المجال باسترعاء الفكر والاهتمام لقد رحبنا بالمبادرة الفردية ايما ترحيب ويسرنا للقطاع الخاص اسباب العمل بما من شانه ان يؤمن الترغيب والاغراء ، فاعدنا النظر فى قانون الاستثمارات الصناعية واصبحت القوانين الجديدة اكثر اجتذابا للراغبين فى استثمار اموالهم سواء كان ذلك فى الصناعة العصرية او فى السياحة او فى الصناعة التقليدية ، بيد ان الدولة عزمت من جهتها على الاسترسال فى مزاولة التصنيع ، ولذلك فانها ستباشر فى مستقبل قريب تاسيس معمل لصناعة الحديد فى اقليم الناضور ولن يستفيد هذا الاقليم من المركب الذى نعتزم اقامته هذه الفائدة وحدها وانما سيستفيد فوق ذلك من ميناء جديد ننوي انشاءه فى ادنى الآجال اي فى 3 سنوات وأملنا عظيم ان تكون مبادرة التاسيس والانشاء هذه عاملا من عوامل بث روح وحياة جديدتين فى ذلك الاقليم من الاقاليم وما يجاوره وتشخيصا لمسعى من مساعينا الهادفة الى توزيع اوجه النشاط على مختلف الانحاء والارجاء وتحقيق التنمية الجهوية التى تشكل مطمحا من مطامحنا الاثيرة .

لقد اطلعناك ايها الشعب العزيز ، فى مثل هذا اليوم من السنة الماضية على اتخاذنا لتدبير مغربة القطاع التجاري وعلى الاسباب التى دعتنا الى اصدار قانون المغربة، وفور اتخاذنا لهذا التدبير عكفنا على تمهيد السبل وبذل المساعدات حتى تتم فى احسن الاحوال والظروف ويستفيد افراد شعبنا الفوائد التى توخيناها ورجوناها وسيكون من بواعث ارتياحنا ، وانشراح صدرنا ان تستقر المغربة على قرار مكين وينتفع من فوائدها اكبر عدد ممكن من المواطنين .

وهناك الى جانب هذا كله عدة ميادين انصب عليها اهتمام الدولة نذكر منها على سبيل الالماح والاشارة ما نعقد به واسع الآمال لما له من اثر كبير فى حياتنا الاقتصادية وحياتنا الاجتماعية ، ولما له من انعكاس مباشر على ازدهار هاتين الحياتين ، واخص ما تختص به العناية من هذه المجالات مجال التنقيب عن الثروات المعدنية الكامنة فى طوايا ترابنا الوطني واستغلال ما اخذت قيمته ترتفع وتعظم . ومجال التثقيف والتكوين ، ومجال القضاء وانظمة القضاء ، ومجال الاستفادة من شبابنا الذى اكتسب

حقلا مرموقا من المعرفة خليقا بأن يساعد على تحقيق اللا مركزية وتدبير شؤون البلاد في مختلف الجهات .

تعلم شعبي العزيز ان بلادك حباها الله بثروات معدنية نحن بصدد اكتشافها واستجلائها واستغلالها اجدى استغلال واوفره وانك لتعلم كذلك ان من بين الثروات الغزيرة المكتشفة ثروة ذات شان عظيم نوالي الجهود لتوفير اوسع حظ منها وتسويق اوفى نصيب وهذه الثروة هي الفوسفاط الذى يطرد انتاجه على مر الاعوام والسنين ، وترتفع اثمانه في الاسواق العالمية ارتفاعا يحملنا على الاعتقاد بان جزءا كبيرا من تمويل مشاريعنا ومخططاتنا سيتم في مستقبل الايام بمايدره علينا فوسفاطنا الذى يمتاز بالجودة المعروفة من موارد وارباح ، ونقدر ان يبلغ انتاجنا منه في نهاية المخطط الخماسي 27 مليون طن في السنة الواحدة وان ما ننتجه ونسوقه من هذه المادة ليحلنا من الآن منزلة رفيعة ومكانة عالية ، ويسرنا سرورا بليغا ان نزف اليك بشرى سيكون لها في نفسك اطيب الوقع واجمل الاثر ذلك اننا اكتشفنا ان ارضنا المعطاء غنية زاخرة بكمية من الاحجار والصخور تنطوي على مادة النفط الذى هو الآن جوهر نفيس وعنصر ثمين واصل من اصول الطاقة التى تبذل البلاد المصنعة في سبيلها الجهود الجهيدة والاموال الطائلة وان ثروتنا من هذه الاحجار والصخور المتسمة اتساعا سيؤمن اكتفاءنا من النفط عدة قرون وان تصاعدت الحاجة واشتد الطلب ويضمن ان شاء الله كميات فاضلة عن الحاجة نرجو من تصديرها مزيدا من الموارد والمداخيل . وان اكتشافا كهذا لمن شانه ان يمد انطلاقنا بقوة جديدة ويفسح للآمال ارحب الرحاب واوسع الآفاق.

وعلمك محيط شعبي العزيز من جهة اخرى باننا نخص التعليم وشؤونه في بلادنا بالحدب المعهود والرعاية الموصولة وتعتمد سياستنا التعليمية على دعامتين اثنتين اولاهما تكوين شباب صادق الايمان بقيمه الدينية والوطنية حريص على خصائص بلاده وتراث امته الثقافي قادر على اغناء هذا التراث ونشر اشعاعه وآخرهما توجيه هذا الشباب توجيها يستطيع معه التفتح على حقائق العالم الحديث والالمام بالمدركات العلمية والتقنية واكتساب الخبرة والمهارة ، اللتين تؤهلانه للاضطلاع بمهام الانماء والتطوير ، وانطلاقا من هذا المنطلق اخذت الدولة على نفسها سلوك سياسة تعليمية متوازية الجوانب قائمة على اساس مغربة اطر التعليم وتعريب مضامنه وتحقيق تعميمه ليظل بذلك تعليمنا اسلامي الروح عربي اللسان والمدلول مغربي الصبغة والاتجاه وليكون اثره شاملا للبلاد مفضيا الى تطور المجتمع من حيث الثقافة والتفكير ، ولادراك هذه الاهداف خصصت ميزانية الدولة رصيدا غير يسير من مداخيلها ومواردها وتقديرا منا لمدارك الطلبة وحرصا منا على تعويدهم الاضطلاع باعباء المسؤولية اعددنا مشروعا يقيم نظام الجامعة على اسس جديدة ويخول الطلبة في نطاق التعاون مع ادارات الجامعة ومجالسها حق المشاركة في تحضير واعداد الاختيارات التعليمية وحق المشاركة في تسيير الاحياء الجامعية مؤملين ان تؤتي هذه التجربة ثمارها المرجوة وان يبرهن طلبتنا على انهم اهل لتحمل الاعباء وتقلد المسؤوليات .

وما دمنا في مجال التعليم فان ما يجدر التنصيص عليه ان عنايتنا ما زالت مصروفة الى التعليم الاصيل لما نعقده بهذا التعليم من آمال ، ولن يطمئن لنا بال الا يوم تتوافر له جميع الامكانات ويتلاحق اداء الوظيفة التى انطناها برجاله ومعاهده ومؤسساته ، ونحن دائبون الآن على الاعتناء بمدارسه وبرامجه وخاصة منها برامج التعليم العالي .

وان من فضل الله علينا ان اخذت كلياتنا ومعاهدنا العليا توالي كل سنة تخريج افواج من الشباب على جانب كبير من المعرفة صالح لسد الثغرات الملموسة وهذا ما حملنا على التفكير في الانتفاع بهذه المعارف ، فلما اعدنا النظر في نظامنا الاداري واحدثنا اقاليم جديدة لتطبيق اللا مركزية وتقريب الادارة من الوافدين عليها شعرنا حينئذ بالحاجة الى توفير عدد من الاطارات استجابة للمتطلبات ، واصبح ضروريا فرض الخدمة المدنية الاجبارية الشاملة للمتخرجين من تلك الكليات والمعاهد العليا ليحصل التساوي بينهم وبين اخوانهم الذين سبقوهم الى امتثال هذه الخدمة ليؤازروا الادارة بمواهبهم فيما اذا استطابوا البقاء في رحابها بعد انقضاء مدة العمل الاجباري .

ولعل من نافلة القول ان نعيد مرة اخرى ما سبق ان وجهنا فيه الخطاب معربين عن رغبتنا الشديدة في ان تجري احوال القضاء والمتقاضين على نهج سليم وطريق سوي واذا نحن عدنا اليوم الى

الحديث فى هذا الموضوع فلاننا لاحظنا ولمسنا مدى ما يتردد فى اوساط شعبنا من اصداء التذمر والاستياء نتيجة التباطؤ فى اصدار الاحكام وتنفيذها ونتيجة التواء المسطرات وما اعتراها من تعقيد وتفاديا لاستمرار هذا الاستياء واستفحاله واستجابة لواجب الاسراع بما يضع حدا لفساد الاوضاع ويكفل الاصلاح الذى لا يقتصر على الرأب والترميم وضعنا تقريبا للشقة وتيسيرا على المتقاضين مشاريع تقضي باحداث محاكم جديدة فى الجماعات القروية والدوائر الحضرية وباسناد النظر الى هذه المحاكم فى نطاق من الاختصاص المحدود ، كما تنص بادخال تعديل على سلم المحاكم واحداث هيئة للتبليغ وتتناول هذه المشاريع زيادة على ما ذكرناه مراجعة المسطرتين المدنية والجنائية قصد التخفيف والتقليل من الاجراءات والتكاليف كما تستهدف رد الاعتبار لقضاة الاحوال الشخصية والميراث ، وترتكز هذه النصوص على مباديء فصل السلط وتطبيق القانون وضمان حقوق الدفاع وهي مباديء مسلمة نعدها من البداية ، وقد عرضنا هذه المشاريع على لجنة من العلماء ورجال الفكر والقانون لابداء رايهم فيما ترمي اليه من اصلاح ، وقد وافتنا وجهات النظر المختلفة وسيعتمد تجديدنا فى هذا الشان على ما يمكن ان يفضي اليه الاستخلاص والاستنباط من اقتراحات ايجابية تتلاءم وما تدعو اليه الضرورة من عميق التبديل وصلاح التطوير .

وان ما اوردناه من اهتمام ورعاية بما سلف من المجالات لا يقل عن رعايتنا وعنايتنا بعملتنا فى قطاعي الفلاحة والصناعة فعلاوة على ما كنا اعلناه وما بالعهد من قدم من اشتراكية مغربية اصيلة تجسمت فى الاقدام على تجربة مبتكرة وتمثلت فى اشراك الفلاح الصغير والعامل الفلاحي فى مورد من موارد الاقتصاد المغربي وذلك بتخويل الاسهام فى ملكية بعض المعامل وفيما تغدقه من ارباح اضفنا لعمالنا الفلاحيين والصناعيين مكاسب جديدة الى ما يتمتعون به بفضل سياستنا التقدمية من حقوق ومكتسبات فرفعنا الاجور وامددنا ظروف حياتهم واعمالهم بمزيد من التحسين .

واذا كنت شعبي العزيز الفت منا الافصاح فى غير ابهام والصراحة دون تردد ولا احجام فاننا ونحن نخاطبك اليوم فى شؤوننا المختلفة لا نكتمك اننا ما فتئنا نفكر فى ناحية من نواحي الدستور الذى وافقت عليه وصادقت تلك الناحية التى لم تنل لحد الآن حظها من وسائل التنظيم ، وسيفضي بنا التفكير لا محالة الى اتخاذ التدابير الضرورية التي من شانها ان تتيح لممثليك ان يمارسوا حق التشريع ويباشروا مراقبة اعمال الحكومة كما سيفضي بنا الى تحديد موعد لوضع رغبتنا ورغبتك موضع الانجاز والتنفيذ .

شعبي العزيز :

لعلنا بما اوردناه عليك وسقناه اليك فى تضاعيف هذا الخطاب قربنا الى الاذهان جملة مما اتجه نحوه اهتمامنا وتصدى اليه سهرنا من بذل المساعي والجهود لتحقيق المشاريع التى التزمناها وبوافي الرعاية تعهدناها ولتحديد ما رسمناه للمستقبل ووضعناه من مراحل واشواط ، وان فيما توالي وزارتنا فى الانباء نشره وعرضه مجالا فسيحا للمستزيد من البيان والتفصيل .

لقد اتيح لنا فى لقاءات سابقة اظهارك على اننا فيما ناتيه من اعمال ونوثره من ارساء لقواعد واعلاء لبنيان لا نتقيد باتجاه وارد معلوم ولا نتساق لمذهب عن عقيدتنا غريب وانما نلتزم اختيارا وايثارا باتجاه نؤمن بصلاحه وملاءمته لاقوم ما يقوم عليه مجتمعنا ككيان اصيل متمسك بعقيدته وتقاليده متشبث بالطابع الممتاز الذى يطبع الواقع ويبرز الحقائق .

وان اوجب ما نستوجبه ان تطرد السياسة التى سطرنا نهجها واوضحنا سبيلها على مبدا اساسي ترتكز عليه الارادة وتنطلق منه المبادرة الا وهو تيسير اسباب الانتفاع من امكانات البلاد لسائر المواطنين تحقيقا لما نرومه من اقرار للعدالة الاجتماعية ومن استفادة كل فرد من افراد شعبنا من جهود الامة كافة ، ولا سبيل فيما نتصوره ونرتئيه الى اكتساب هذا المطلب الاثير الا بان تتآزر جميع الطاقات المنتجة متعبئة متجندة ويسهم كل تطلع وطموح بما اختاره وتوخاه من مجال فى المجهود الشامل العام .

ان الخطة التى رسمناها لحاضرنا ومستقبلنا والاهداف والغايات التى ترمي اليها هذه الخطة والجهود التى نواصلها جميعا متكاتفين متساندين فى سبيل التمهيد والتيسير والانجاز وتعميم الرخاء

والازدهار كل هذا كفيل بايصالنا الى ما نرومه ونتوخاه من رغد عيشك واطمئنان بالك ونباهة ذكرك وسعادة احوالك . ان بشائر الحاضر وبسمات المستقبل لتغمر الفؤاد وتفيض فى طوايا النفس ينابيع الامل الرحب الوسيع والتفاؤل المشرق العميق ، فحري بك شعبي العزيز وامكاناتك وثرواتك هي ما هي ما ظهر منها وما بطن وما احاط به الاستقراء والاستقصاء وما زال فى عالم الغيب وطي الخفاء وانت من انت كفاية واقتدارا وحيوية وذكاء وحزما واقداما وعزما حري بك شعبي العزيز تلقاء هذا كله ان تقدر ما حباك الله به من نعماء واغدق عليك من عطاء وان تبدد ما قد يحيط بك من مخاوف ويساورك من قاتم الخواطر والهواجس ، فما عهدناك فى شتى الظروف والاحوال الا مطمئنا الى حسن المآل ناظرا بثقة قوية رصينة الى الغد السعيد والمصير المجيد .

واذا كانت الاقطار التى تربطنا بها روابط التعامل والتبادل تعاني مشاكل من جراء ازمة الطاقة والاثمان المتصاعدة ومعضلات المواد التى تستهلكها الصناعة وكان الاقتصاد العام بحكم هذه الصلات متأثرا بتلك المشاكل فان الاعتقاد راسخ بان للازمات نهاية وان الغيوم لا تلبث ان تنقشع وان الاوضاع الاقتصادية ستفيء لا محالة الى مستقر يمكن معه التقدير الحازم والتخمين الواثق والتحليل الذى لا يتعثر ولا يخطيء ومهما كانت الظروف والملابسات فان طريقنا واضح ومقاصدنا مرسومة معلومة وعزمنا اكيد على ان نبقى موالين لسيرتنا لا نحيد ولا نريم وجهتنا المنظورة وغرضنا الاسمى ان نقي البلاد شر ما يمكن ان يتناثر حولها من نقع المشاكل وان نقودها فى مدارج الارتقاء حتى تتبوأ ما هي خليقة به وجديرة من مقام محمود ومكان رفيع .

ها نحن واياك شعبي الوفي العزيز نحتفل بذكرى جلوسنا على عرش اجدادنا الاماجد وفاء منك شعبي لاسرتنا وتقديرا منا لنبيل مشاعرك وكريم التفافك وصادق ما تعرب عنه فى كل مناسبة لملكك ورائد مسيرتك نحتفل بهذه الذكرى والقلب مليء بالمسرات طافح بالثقة والطمأنينة والرضى والارتياح مفعم الى ذلك بذكرى جلالة والدنا البطل الامام فقيد العروبة والاسلام الذى جاهد فى الله حق جهاده وابلى بما هو شائع وذائع فى سبيل تحرير بلاده واستقلال وطنه ووطن اجداده محمد الخامس الذى ضم الشتات وجمع الشمل والهب الارادات والهم النفوس وعلم الصبر والتضحيات اجزل الله له المثوبة والاجر وبوأه منازل الرضى والرضوان وأفاض عليه وابل الرحمة والغفران وجعل مسكنه روضة من رياض الجنان .

اللهم حصن نفسي بالايمان واجعله ايمانا لا يفتر ولا يتردد ولا ينقطع ولا ينفد ومتن حبل اليقين فى نفس شعبي وادم نعمة الاعتصام بدينك والاهتداء بهديك والعمل بكتابك والاقتداء بسنة نبيك .

اللهم انك تعلم ان بيني وبين شعبي صلة حب أصيل وود أثيل وآصرة وثيقة الوشيجة محكمة الوصيلة راسخة الاركان باسقة الاغصان .

اللهم انك تعلم ان ليس وراء سؤالي لك وابتهالي اليك غاية تتطلع اليها النفس الشغوف والقلب العطوف الا املي فيك ان تحفظ وترعى الالفة الجامعة بيني وبين شعبي والود الممدود والتماسك المشدود .

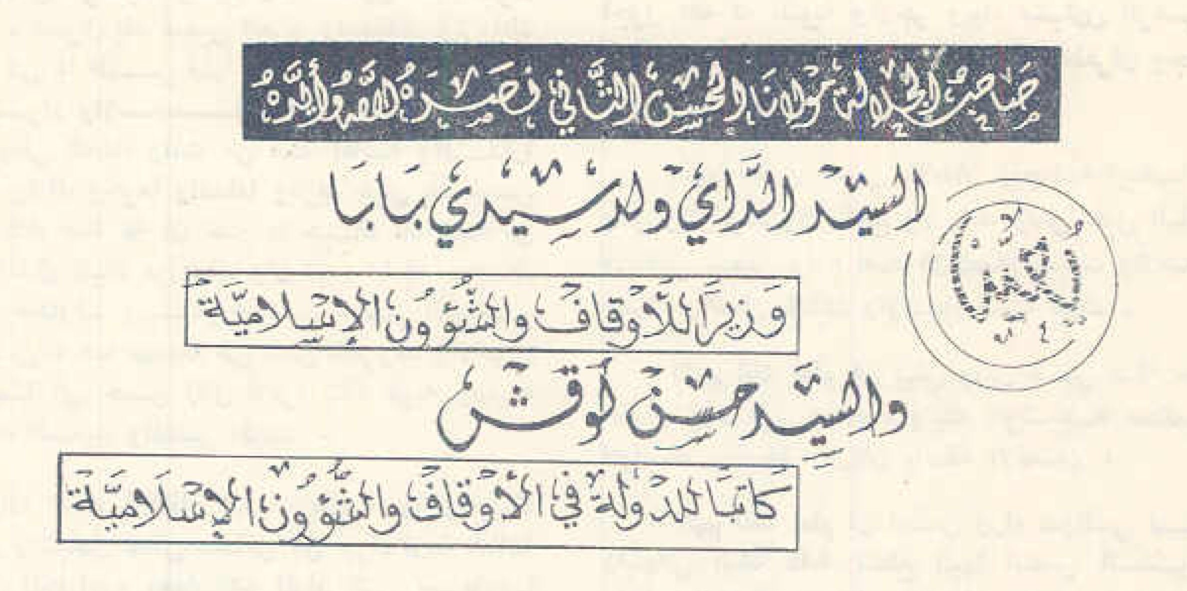
اللهم بحقك وجلالك وبما استأثرت به من قدرتك وعظمتك فاكشف عن الامة العربية والاسلامية كل بلاء وخلصها من كل عناء وجنبها كل مكروه وشقاء ورد اليها كامل عزتها وأعد على المسلمين بيتك المقدس الذى باركت حوله وحرمك الامين الذى اسرى اليه نبيك ورسولك وانشر على ارجاء المعمور ألوية الامن والسلام .

اللهم كما عودتنا الجميل من توفيقك والكريم من صنيعك فزدنا يقينا بوعدك ولا تؤاخذنا بالتقصير فى الثناء عليك وشكر آلائك ونعمائك .

اللهم انا نستمنحك التأييد والنصر فان النصر لا يصدر الا عنك والتأييد لا يكون الا منك وعززنا بعزك فانك العزيز الحكيم .

وصدق الله: «ولله العزة ولرسوله وللمومنين»

والسلام عليكم ورحمة الله .



ادخل صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده تعديلا على الهيئة الوزارية ، وقد استقبل حفظه الله مساء يوم الخميس 25 ابريل الماضي بقاعة العرش بالقصر الملكي السادة الوزراء الذين شملهم التعديل الوزاري ، وذلك بحضور الوزير الاول السيد احمد عصمان والجنرال مولاي حفيظ العلوي وزير التشريفات والقصور الملكية والاوسمة ، والسيد محمد حدو الشيكر وزير الداخليـــة .

وقد عين صاحب الجلالة نصره الله الاستاذ السيد الداي ولد سيدي بابا وزيرا للاوقاف والشؤون الاسلامية فى حكومته الجديدة ، والاستاذ السيد حسن لوقش كاتبا للدولة بهذه الوزارة

وقد ولد معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الداي ولد سيدي بابا بمدينة اطـار باقليم موريطانيا عام 1921 ، وتلقى تعليمه بها فى مختلف مراحله ، وكان له دور بطولي فى الكفاح الوطني لاسترجاع الاراضي الصحراوية المغتصبة التى فى يد الاستعمار الكافر ، كما تقلد عدة مناصب سامية وتراس عدة مؤتمرات كان فيها نجما متالقا لما عرف عنه من دماثة الاخلاق واطلاع شامل لمختلف القضايا الوطنية ، والاحداث الدولية مما اكسبه عطف ورعاية صاحب الجلالة حفظه الله .

فقد عين سنة 1958 مستشارا بوزارة الشؤون الخارجية ورئيس قسم افريقيا بهذه الوزارة من سنة 1959 الى 1960 ، ثم عينه صاحب الجلالة سفيرا للمغرب بجمهورية غينيا من عام 1961 الى 1962 ، ثم نائب رئيس الوفد الدائم لدى منظمة الامم المتحدة وممثل المغرب فى مجلس الامن برتبة سفير من عام 1963

الى 1964 ، ثم مندوبا دائما للمغرب لدى الامم المتحدة من عام 1965 الى 1967 ، واثناء هذه المدة انتخب نائبا لرئيس الجمعية العامة للامم المتحدة عام 1966 ، ثم بعدها اصبح وزيرا بالديوان الملكي من عام 1967 الى سنة 1971 ، ثم عينه صاحب الجلالة حفظه الله سفيرا للمغرب بالمملكة العربية السعودية من عام 1971 الى عام 1972 ، ثم بعدها مديرا للديوان الملكي من نوفمبر 1972 الى ماي 1973 حيث اسند اليه سيد البلاد نصره الله وزارة التربية الوطنية .

ومما تجدر الاشارة اليه ان السيد الوزير الداي ولد سيدي بابا شارك فى اكثر من عشر دورات للامم المتحدة منذ ان بدا نشاطه الديبلوماسي بوزارة الشؤون الخارجية كما تراس لجنة التفتيش التى عينها مجلس الامن عام 1964 للتوجه الى الفيتنام والكامبودج للبحث فى الحوادث التى جرت اذ ذاك فى تلك المنطقة من جنوب شرقي آسيا .. كما عين بقرار من مجلس الامن عضوا فى اللجنة المكلفة بالبحث فى مشكل الميز العنصري بجنوب افريقية حيث اسفرت اعمالها ونتائجها عن انشاء برنامج خاص تابع للامم المتحدة لمساعدة ضحايا الميز العنصري .

وهكذا مثل السيد الوزير الداي ولد سيدي بابا بلاده فى عدة مؤتمرات افريقية، وتراس الوفد المغربي فى بعض دورات مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية ، وقد نشرنا لمعالية بمجلة دعوة الحق فى الاعداد الماضية محاضرة قيمة كان قد القاها بنادي الضباط تعرض فيها لنشاة منظمة الوحدة الافريقية واهدافها ونشاطها حيث اعطى في ذلك البحث القيم الناضج نبذة مختصرة عن تاريخ افريقيا والاستعمار الذى تكبت به القارة فترة غير يسيرة من الزمن ، ودور حركات التحرير فى فك الاغلال ، وطرد المستعمر الى غير رجعة .. وقد قال : ان من اهداف الشعوب المتحررة والمنضوية تحت لواء منظمة الوحدة الافريقية تحرير بقية البلدان الافريقية التى ترزح تحت نير الاستعمار الى يومنا هذا مثل غينيا بيساو .. وانغولا ، وموزامبيق ، وروديسيا وناميبيا .

واننا لنهنيء السيد الوزير على الثقة الغالية التى جددها له صاحب الجلالة ، راجين لسيادته كامل التوفيق الذى حالفه منذ ان تقلد المهام التى انيطت به بنجاح ..

نبذة من حياة :
الأستاذ حسن لوقش

ازداد الاستاذ السيد حسن لوقش كاتب الدولة فى الاوقاف والشؤون الاسلامية بمدينة تطوان بتاريخ 16 دجنبر عام 1936 وتلقى تعليمه الابتدائي بالمدرسة الخيرية بها ومعهد امحمد جسوس بمدينة الرباط وقد اظهر نبوغا ملحوظا ، وتفوقا على لداته واترابه فى سن مبكرة ولاسيما فى دراسته الثانوية التي تلقاها بثانوية الليمون بالرباط ثم بليسي ريثيو بمدينة طنجة .. وسيادته يتقن عدة لغات .

وقد حصل على شهادة البكالوريا عام 1957 ونال شهادة الليسانس من كلية الادب بالرباط عام 1961 ، ونال ليسانس فى العلوم الاقتصادية من كلية الحقوق بجامعة محمد الخامس عام 1962 .

وقد شغل السيد حسن لوقش عدة مناصب سامية ، وتقلب فى وظائف عليا كان فيها مثال الاستقامة الفكرية ، والنزاهة الخلقية وطهارة اليد فالتحق باطار المفتشية العامة للمالية بوزارة الاقتصاد الوطني فى عام 1962 .

كما عين فى يونيو 1969 رئيسا لمصلحة مراقبة المؤسسات العمومية بوزارة المالية ، وفى يوليوز من عام 1971 عين مديرا لقسم الميزانية العامة بوزارة المالية ، وهو منصب ظل يشغله بكفاية وقدرة ونزاهة الى ان تم تعيينه من طرف صاحب الجلالة كاتبا للدولة فى وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية .

الأستاذ علال الفاسي في ذمة الله

استأثرت رحمة الله ومشيئته برائد الثقافة والفكر ، وبطل الزحف الوطني المقدس ، زعيم تحرير الامة ، ومفخرة العروبة والاسلام ، السلفي الصالح المغفور له الاستاذ الكبير سيدي علال الفاسي برد الله ضريحة بالصيب الهتون من رحمته بعد ما قضى حياة حافلة بخدمة الدراسات الاسلامية والثقافة والعلوم الانسانية ، ومليئة بالجهاد والنضال في سبيل الوطن والعرش ، وتحقيق المثل العليا والقيم السامية حتى آخر رمق من حياته ...

ففي الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الاثنين 20 ربيع الثاني 1394 ــ 13 مايو 1974 اختاره الله اليه في بوخارست عاصمة رومانيا ، وفي مكتب رئيس الدولة ، وهو يشرح نضال شعب فلسطين لاسترجاع ارضه المقدسة ..

لقد احدث النبأ الفاجع المفاجيء الذي يهظ النفس ، وصدع القوى ذهولا مروعا في القلوب ، وفراغا واسعا عميقا ، ورزءا وطنيا فادحا ترك في كل نفس لهيب الحسرة ، وعلى كل محيا سهوم الشجن والاسى فوقع نعيه على الامة الاسلامية وقع الصاعقة المروعة ، واعظم شيء حين يفجاك البغت ، فارتاعت لهول الخطب ، وفزعت لروعة المفاجاة وتصريف القدر الذي أودى بحياة زعيم التحرير الذي صرعه هذه الصرعة القاسية ، وهو في قمة نشاطه وكفاحه الذي لا يفتر .. غير ان للاقدار احكاما لا تجري على أبية المقول ، ولا تسير على رغائب الانفس ، كما ان اعاصير الخطوب الداجية ، وزعازع الاهوال العنيفة كانت اقوى من اماني القلوب ، ومعاكسة الاحداث ومفاضبتها كانت اعنف من تحقيق الرغاب ..

كان علال الفاسي ــ سقى الله بالرضوان ضريحه ــ علما يخفق بالآمال ، ومنارة تشع بالهداية وقمة هادية في دجنة الليالي الحالكات ، كما كان رضي الله عنه رمزا للحيوية الدافقة ، والنشاط الثائر ، والجراة القادرة ، والارادة الحكيمة ، وان اختفاءه في الظروف الحاضرة ، وغيابه عنا في معترك الخطوب الكثيرة المتنوعة التي يعيشها العالم اليوم لخسارة عظمى لا تعوض سواء بالنسبة للمغرب او للعالم العربي والاسلامي لما كان يتهيا له من وسائل السؤدد ، وخصائص الزعامة ، وجمال القدرة ، وشمائل الفتوة ، وجلال الاسوة ، والنفس الطويل ، وحسن الاحدوثة ..

لقد كان ، رضي الله عنه ، يخوض الاهوال في سبيل تحرير امته فما وهن لما اصابه في سبيل الله ، وما ضعف ، وما استكان ، ويركب الصعب والحزن لتحقيق رغائبها وتلبية اشواقها ، يسير من اجلها في الصلب ، ويسبح دائما في العباب ، ويطلب لها العلياء ، وكل الذي يلقاه فيها محبب اليه ، حفي به ، راض عنه ، ويرخص يوم الروع نفسه ، فيفور





الاستاذ علال الفاسي رحمه الله على ظهر الباخرة رفايلو وهو يرافق جلالة الملك الحسن الثاني في زيارته للولايات المتحدة في يبراير سنة 1967

فورة الجبارين ، ويثبت ثبات الانبياء ، ويصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ، يقارع الخصم بالحجج الملزمة والدلائل القاطعة ، ويجالد فى بسالة وشجاعة واستماتة ، ان الى يحقق المشروعية ، لا يعرف غدرا ولا بياتا ، ولا يخاف موتا ولا حياة ، ولا يبالي، فى سبيل الحق والدعوة اليه والدياذ عنه ، على اي جنبيه وقع الامر ..

يقود الخاصة فى دعوته بالرفق واللين، وياسرهم بالبسمة الصافية ، واللمحة الدالة والاشارة البعيدة، ويلاطفهم بالحكمة والوداعة ، كما يسوق العامة ، بحضوره وحديثه ، الى الطريق القويم ، والخطة التى تحددها المنفعة ، والى الغاية التى يرسمها الواقع ، ويخلب لب الاجانب بروحه الفياض ، وذكائه اللماح ، وحضور بديهته الناصرة ، فى اجوبته الحاضرة فاتفق على نبله الصديق والحميم ، والعدو الكاشح ، واعترف بفضله الوطني النزيه ، والاجنبي المنصف ، فكان ـ برد الله بالرحمة ثراه ، ملء السمع والبصر والفؤاد والتاريخ ...

— ✻ —

ان كل مغربي فى هذا الوطن المحبوب الا وهو مدين لك ، معترف بفضلك ، مقر بما اسديت لهذا الوطن من تضحيات جسام ، مومن بانك عشت من اجل الوطن بين جدران السجن وديار المنفى ، ووهبت حياتك وكل ما ملكت يمينك لهذا البلد العظيم وللعرش المغربي العتيد ..

فسلام عليك ..

— ✻ —

آمنت باستقلال بلادك ، لان ايمانك بالله كان يمدك بالعون ، ويرفدك بالقوة ، ويؤازرك بالتوفيق ، ويسندك بالالهام ، ويزودك بالثقة فى مواطنيك ، فحركت ساكن شعبك بوجيب قلبك ، وضحيت منذ شبابك من اجل وطنك وملكك ،وقدمت ، في سخاء ، روحك الطاهر فداء للقضايا المقدسة ، فكنت مثال الوطني الصادق والعالم العامل ، والمخلص النزيه ، والزعيم المؤمن الى ان لقيت الله وانت فى صميم المعركة ، مهاجرا الى الله ورسوله ، تدافع عن بيت الله وعن المسجد الاقصى اولى القبلتين وثالث الحرمين ، وتنافح من اجل استرجاع الارض ، وتكافح عن الشريعة الغراء ، وتذوذ عن حماها وتشرح فى كل مكان حللت به القضية الاسلامية الكبرى التى اقضت مضجعك ، وأطارت النوم عن معاقد اجفانك فوهبت لها حياتك وعملت لها فى صموت وصمود وثبات . فمت نازحا عن وطنك ، بعيدا عن اهلك وذويك ، فكتبت لك الشهادة ، كما ورد فى الحديث، وحشرت فى زمرة الشهداء ، فوقع اجرك على الله ..

ونعم اجر العاملين ..

لانك خرجت من بيتك، مهاجرا الى الله ورسوله، ثم ادركك الموت .

فسلام عليك يوم ولدت ، ويوم تموت ، ويوم تبعث حيا ..

— ✻ —

جاهدت فى سبيل نصرة الاسلام ، وتحقيق الكرامة والعزة للمسلمين ، وناضلت فى كل ميدان باليد واللسان ، والضمير والوجدان، فما عرفنا لك هفوة ، وما لمسنا فيك ازورارا عن المحجة البيضاء ، ولا انخزلت متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة ضالة وماطارحت فىمسيرتكالوطنية المظفرةالصابرة على اعتاب الاستعمار تطالب فتاته ونواله ، وتنخدع لمكره ومراوغاته، بل كنت كالجبل الاشم الذى يطاول اعنان السماء ، فتتكسر على صفاته قرون الفاشلين والمخذولين والمنهزمين ، حتى اصبحت علما خافقا فى دنيا العروبة والاسلام ، ومعنى مقدسا من معاني الشمول ، تختصر فى نفسك خصائص الامة الاسلامية ، وتجمع فى قلبك الاماني العذاب التى تعتلج فى ضمير المسلمين ..

لقد كانت وفاتك حسرة فى نفس شعب ، وقرحة فى كل وطن، وازمة حادة فى قلب الجماعة الاسلامية، وخسارة ، لا تعوض مني بها رفاقك العلماء الذين كانوا يجدون فيك السند والنصير ، الذى يرفع من شأن العلم ، ويعلي مناره ، والمعين والمشير الذي يحمي كيانه، ويقوم منآده، ويذود عن حماه، ويتقدم،

في شجاعة ادبية ، نادرة الضريب والمثال ، الى الصفوف الاولى للجهر بالحق لاعلاء كلمة الله ، بالتي هي ارفق ، وادعى الى القبول ..

— * —

لقد عشنا ساعات الدفن ، وتشييع الجنازة في موكبها الرهيب وجلالها الخاشع ، ولمسنا عواطف الشعب متاججة مشبوبة ، ومشاعر الامة فياضة محمومة تندب حظها العاثر الذي رماها بالارزاء ، حتى فؤادها في غشاء من نبال .. وتبكي فقيدها المحبوب بكاء الثكلى التي تجزع على من يعز الصبر عليه ، ويستحيل العوض منه .. ورأينا يوم تشييع النعش معنى القبول الذي يضعه الرب لعباده في الارض ، فتعبر عنه الجماهير الحاشدة في يومها المشهود بالدعاء والتهليل والتكبير والصلاة .. والدموع والبكاء .. والآهات والزفرات .. وفهمنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك المعنى الذي قال :

« اذا احب الله العبد نادى جبريل ، ان الله يحب فلانا ، فاحبوه ، فيحبه اهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الارض ..» .

وادركنا في وفاة علال معنى المحبة وفلسفتها وابعادها والتي تصدر من الجميع وتنبعث من اعماق الضمائر لتصب في شخص احبه الله ، ورضي عنه ملكه ، وتفانى فيه شعبه ، والتي اجملتها الآية الكريمة :

« ان الذين آمنوا ..
وعملوا الصالحات ..
سيجعل لهم الرحمن ودا .. »

— * —

لقد كان اول من انفعل وارتاع لفقدانك ، يا زعيم الامة ومحررها ، سيد البلاد امير المومنين ، وحامي حمى الوطن والدين مولانا الحسن الثاني اطال الله بقاءه ، وحفظه بما حفظ به الذكر الحكيم الذى تاثر تأثرا بالغا للخبر المفجع ، والنبأ المروع ، وذلك نظرا لما كنت تحتله من تقدير خاص لدى جلالته ولما كانت تحفل به حياتك العامرة العريضة من وطنية صادقة ، وجهاد مستميت ، وكفاح واصب ، ونضال متواصل ، وغيرة مثلى ، وتعلق باهداب العرش العلوي المجيد ..

— * —

ففي بيت الراحل الخالد ، وحيث كان يرقد جثمانه الطاهر وقبيل تشييعه لمرقده الاخير وصل صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله الى بيت الفقيد فارتفعت عاصفة من اصوات التكبير والتهليل والدعاء لجلالة القائد ، اب الامة المغربية وراعي كل ابنائها ، وتدافعت الجموع حول جلالته، وامتدت اليه الاكف الضارعة تعزي ، والوجوه الخاشعة تواسي ، وهب المواطنون لتقبيل راحة امير المؤمنين الراعي الامين تبكيه فقيد المغرب المناضل الوفي لدينه ووطنه وملكه .

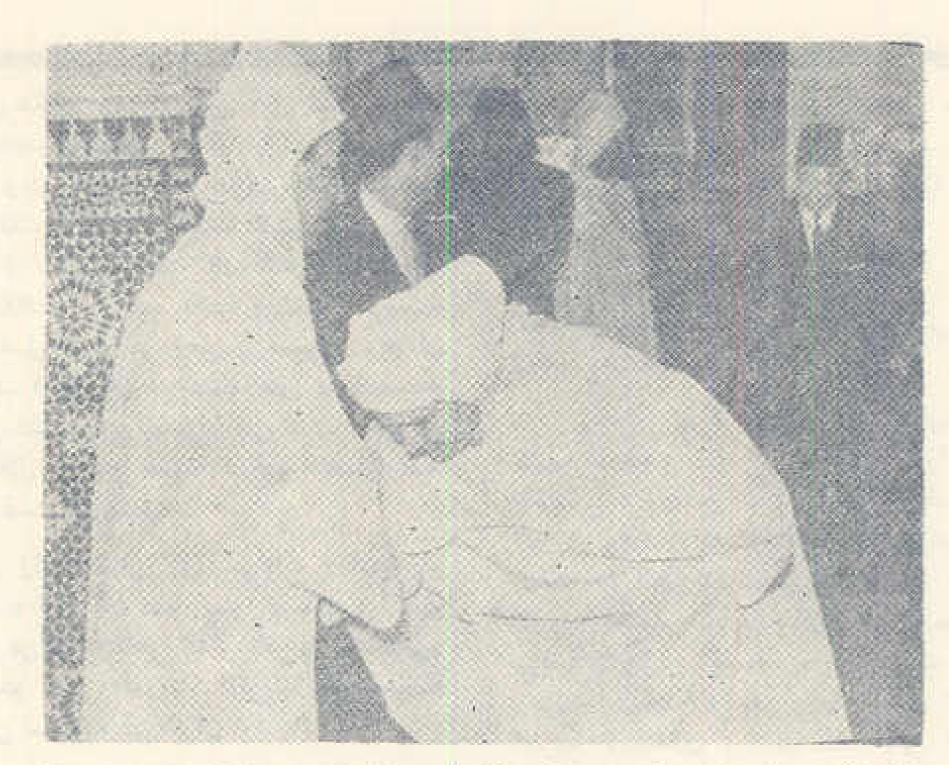
وكان جلالة الملك بادي التاثر والاسى ، وشق جلالته طريقه وسط جماهير المواطنين .

وامام جثمان الفقيد العزيز جلس جلالة الملك وقرا الفاتحة على الروح الطاهرة وغطى جلالته حفظه الله الجثمان بغطاء كتبت عليه « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

وتقدم لتعزية جلالة الملك بهذه المناسبة الاليمة اعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال وابناء الفقيد ثم انتقل جلالته الى الجناح النسوي لتعزية عائلة الراحل المبجل معبرا لافراد العائلة عن عواطفه الابوية ورعايته الموصولة .

وعندما تقبل جلالته تعازي اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال خاطبهم مشيدا بشخصية الراحل الكبير علال الفاسي الذى قال عنه جلالته انه كان رجلا وفيا واستاذ الاخلاق الوطنية وتاسف جلالة الملك ان يصاب المغرب في رجل مثل الاستاذ علال الفاسي كان اول من اوقد شعلة حركة الدفاع عن العرش سنة 1953 واشار جلالته الى ان خطب الجمعة ستخصص للتحدث على شخصية الراحل ثم تقدم للسلام على جلالته ابناء الفقيد العزيز عبد الواحد وهاني .

والتفت حفظه الله الى اسرة الفقيد ، والى اعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال فقال :



الاستاذ علال يسلم على صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله



امير المؤمنين يقرأ الفاتحة ويترحم على جثمان المرحوم علال الفاسي في بيته

« اذا كان هناك من ضاع في علال فانا اول من ضاع فيه كمجاهد ومناضل وعالم . لقد كان علال عالما واستاذا ، واذا كان هناك ما يعوض، فان استاذية علال للاجيال الكثيرة التى تتلمذت على يديه فى الوطنية والعلم لا تعوض ، لقد كان سلفيا بمقدار ما كان مناضلا ومكافحا ، احب بلاده وبلاد العروبة والاسلام . وناضل الى آخر رمق فى سبيلها ، وكان يرفع اسم المغرب اينما كان ، وحيثما حل ، والصيحة الاولى في عشرين غشت بعد العدوان على البلاد والعرش كانت صيحة علال ، ومن صوته انطلق النضال ضد الاستعمار بعد عشرين غشت !

كان علال زاهدا فى كل شيء ، ولكنه لم يزهد فى العلم ، لقد كان عالما كبيرا يشارك فى كل شيء ، ويكتب عن كل مظاهر الفكر العربي الاسلامي، وحتى فى النحو ابرز المدرسة المغربية الاندلسية وهو يحاضر عن سيبويه فى ايران ..

وكان وفيا عظيما ، وفاؤه دائم لبلاده ووطنه وللاسلام والعروبة بمقدار وفائه للعرش ... وانا شخصيا لن اعرف انه اختلف معي قط ، قد يكون اختلف معكم فى بعض الجزئيات او بعض الاشياء ولكنه لم يختلف معي فى اي شيء ..

ان امثال علال قليلون ، لانه كان فريدا ، وقد ضاع فيه المغرب ، وضاعت فيه البلاد الاسلامية والعربية ، وقد تعطي مثله الارض المغربية لانها معطاء ، فالارض التى اعطتنا علال لابد ان تعطينا اشخاصا مثله ولو على راس مائة سنة . ورحم الله فقيدنا علال لقد كان رجلا عظيما » ..

والتفت جلالة الملك الى ابني الفقيد وقبلهما وهو يقول لهما :

« لقد ضاع والدكما ، ولكن انا والدكما بعد الآن . اعتمدا علي ولكني اعرف ان الشخص الذى ضاع هو شخص فريد فى التاريخ، حاولوا ان تكونوا مثلا وان تسيرا على قدمه » .

وجدد لهما التعازي ..

وتناول الكلمة السيد الحج عمر بن عبد الجليل مخاطبا جلالة الملك بانه اذا فقد المغرب الاستاذ علال الفاسي فله العوض فى جلالة الملك الحسن الثاني ودعا له بطول العمر حتى يحقق الازدهار لبلاده .

وخرج موكب الجنازة من بيت الراحل بحضور اعضاء الحكومة واعضاء السلك الدبلوماسي وعدد كبير من الشخصيات الوطنية وجمهور غفير من المواطنين .

وفى مسجد السنة بالرباط اقيمت صلاة الجنازة بحضور صاحب السمو الملكي الامير سيدي محمد وسمو الامير مولاي عبد الله .

وقد مر الموكب الجنائزي قبل وصوله الى مقبرة الشهداء بأهم شوارع العاصمة مارا بشارع محمد الخامس ، ورافق الجثمان الى مثواه الاخير السادة الوزراء واعضاء الحكومة والسفراء العرب والمسلمون وعدد من الوزراء السابقين واعضاء المكتب الوطني المؤقت لقدماء المقاومين وجيش التحرير وممثل منظمة التحرير الفلسطينية فى المغرب وعدد كبير من رجال السياسة والفكر وكذا اعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال وبالاضافة الى العديد من الشخصيات وجمهور غفير من افراد الشعب كما شارك فى تشييع الجنازة آيت مسعودين وزير البريد فى الحكومة الجزائرية والسيد احمد المزيلي وزير الصحة العمومية فى الحكومة التونسية .

وقبل ان يوارى جثمان الفقيد الراحل ، جرى حفل تأبيني تحدث فيه عدد من الخطباء عن مناقب الزعيم الوطني الراحل ، وهكذا تحدث السادة : الهاشمي الفيلالي وعبد الهادي التازي وابو مروان ممثل منظمة التحرير الفلسطينية وعدد آخر من السادة الخطباء .

ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية واسرة « دعوة الحق » الذي كان الزعيم العزيز من ألمع كتابها ، والمؤسسين لها ، والعاملين عليها ، وممن يرعاها فى القرب والبعد ، والغياب والحضور، والظعن والاقامة والذى اختار لها هو بنفسه « دعوة الحق » لدى تأسيسها ، وكتب اول مقال فى اول عدد من اعدادها تحت عنوان : « لا جمود ، ولا جحود » تضرع الى الله العلي القدير ان يتغمد الفقيد العزيز برحمته ، ويجعل ثوابه كفاء لصدق جهاده ، وحسن نيته ، ويعوض امته من فقده خير العوض ، ويشعب قلبها بالصبر الجميل ..

وسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون .

نص الكلمة ..

التي ألقاها الدكتور عبد الهادي التازي باسم العلماء ...

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون »

باسم من ارثيك استاذنا الكبير . هل باسم الجيل الذى نقشت اسمك على صفحات قلبه . باسم الجيل الذى قدمت اليه المشعل ليسير فى طريق المجد . باسم الجيل الذى يردد اسمك فى مسيرته الهادفة هل باسم الوطنيين فى المغرب قاطبة وهم يعتبرون فيك رائدا زعيما كرس شبابه وكهولته لخدمة بلاده . باسم الوطنيين الذين كانوا يجدون فى الاضطهاد من اجل بلدهم شرفا ويجدون فى ارضاء توجيهاتك سببا يقربهم الى الله ويشعرون وهم يخدمونك بانهم يؤدون واجبا مقدسا للبلاد ولفتة البلاد ومقومات البلاد. هل باسم العرش الذى ظل ملاذا حصينا للعلماء .. افلست الذى خاطب عاهل البلاد بجامعة القرويين فى يوم مشهود بعد عودتك من منفاك ، خاطبته بقولك ..

علال لا يزال بذكرك شاديا
وخدمت عرشك حاضرا وغريبا

المدافع عن وجودنا كامة

هل باسم الاسلام الذى كنت ترفع رايته فى المجالس وتقاوم من اجل تثبيته وتركيزه فى مختلف الاندية فى الشرق والغرب . باسم الاسلام الذى ظللت الى آخر لقاء تحرص على ان تكتل الشباب من اجل بعثه والحفاظ عليه فى بهائه وصفائه واصالته. باسم الاسلام الذى عرف لك اياديك البيضاء عليه سواء لدى الذين ينطقون بالضاد او غير الضاد من المسلمين فى شتى القارات . هل باسم العربية التي وجدت فيك المدافع عن وجودها في البيت والمعهد والمكتب والشارع . العربية التى كانت طريقنا الوحيد نحو النور، العربية التى كانت وما تزال الضمان الوحيد لوجودنا كامة . هل باسم الوحدة بين البلاد الاسلامية والعربية التي ظلت تستقطب اهتمامك فتتطوع للوساطات من اجل اصلاح ذات البين عسى ان تتحقق فى يوم من الايام امنيتك فى ان يسود عالمنا مناخ صحي سليم يجمع كلمة العرب والمسلمين فى شتى جهات المعمور .

كنت تشحن معنويات العلماء

هل باسم الملوك والرؤساء والقادة والزعماء الذين قدروا فيك سموك فى سبيل المبدا الشريف الذى استشعرته منذ نعومة اظفارك وقدروا مثابرتك ودابك وجهادك فى اكثر من واجهة لتحقيق المثل العليا التى آمنت بها واقتنعت . هل باسم العلماء الذين كانوا يعتبرون فيك النصير الذى يرفع من شأن العلم ويحمي كيانه من ان يضيع فى خضم ما غزا البلاد من ترهات واباطيل . باسم العلماء الذين كانوا يجدون فيك الرصيد الثري الذى يشحذ معنوياتهم ويقوي من آمالهم في الابقاء على ما ورثوه من امانة او ما تحملوه من رسالة . باسم العلماء الذين يبكون اليوم علامة بحاثة واماما مجتهدا عرف كيف يغني المادة الاسلامية بما توفر عليه من غزير الاطلاع وعميق المعرفة ونفوذ للمدارك وادراك للنصوص .

عرفك قومك يا علال

لقد قلت قبل نصف قرن من الزمان :
سيعرفني قومي وقد عرفوك فعلا بعد تلك الحقبة من

التاريخ بل عرفك غير قومك . عرفوا فيك مثال المصلح الذى لا تلين له قناة مثال المؤمن الذى لا يغيب عنه ذكر الله. مثال المسلم الذى لا ييأس ولا يجبن عرفوا فيك مثال الوطني المخلص الوفي لمبادئك المقدسة . ان هذا الاجماع المنقطع النظير لهو ترجمان صادق عن تلك المعرفة لك من قومك القمة والقاعدة هنا فى وداعك الاخير والشيوخ والكهول والشباب والاباء والامهات والاخوات القرية والمدينة والجبل والصحراء من المغرب وخارج المغرب كلهم وردوا على العاصمة ليترجموا عن ذلك المعرفة لك كلهم ورد ليسلم الزعيم الشهيد الى ابنائه الشهداء ليكونوا غدا فى استقبال الشهداء الاخرين الذين هم على درب الكفاح والنضال . القاعدة والقمة هنا وردوا جميعا ليس فقط مجرد وداع ولكنه التزام امام جسدك الطاهر للسير على الطريق الذى كنت تسير عليه دفاعا عن الحق عن القيم عن المقدسات .

فنم قرير العين مطمئن النفس مرتاح الضمير فان الجيل الذى نقشت اسمك على قلبه والجيل الذى قدمت اليه المشعل هو الذى سيظل مرددا اسمك فى مسيرته الظافرة .

« من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » ــ صدق الله العظيم .

نص الكلمة..

التي ألقاها الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد باسم الاتحاد الوطني للقوات الشعبية

وداعا يا استاذنا العظيم ..

وداعا يا رائدنا . ورائد الحركة الوطنية لا فى المغرب فقط بل فى المغرب العربي والاقطار العربية جميعها .

وداعا ايها البطل ..

لقد كانت بطولتك تقتضي ذلك العمل اليومي المتواصل الذى لا يعرف الهوان ، ولا الملل ، ولا يعرف المرض ولا يقبله .

هكذا كنت يا علال ..

وهكذا حاولت ان تعلمنا ونامل ان تكون قد نجحت ..

فاننا سنسير فى هذا الطريق .. حتى يزدهر هذا الشعب المتشبث بتعاليمك ، هذا الشعب الذي اراد اليوم ان يقول ان علال الفاسي هو الرائد الاكبر للقضية العربية والاسلامية

ــ للثقافة العربية

ــ للفكر العربي المعاصر .

ــ ان علال الفاسي كتب صفحات خالدة فى تاريخ العالم العربي .

ان علال الفاسي كتب بفكره وكده وعمله اليومي التاريخ الحديث للمغرب الحديث وللاقطار العربية كلها .

وان الاقدار يا علال .. ارادت ان يكون مقرك الاخير بجوار قبر البطل علال بن عبد الله .

وان فى ذلك لرمزا ودرسا .

فعلال ابن عبد الله هو ابن الوطنية .

هو ابن عطائك يا علال .

وعلال بن عبد الله مثل ببطولته الميثاق الذى كان بين محمد الخامس رضي الله عنه

والحركة الوطنية ، ان في جوارك لعلال بن عبد الله ليبين تبيانا واضحا ان عطاءك خرج من طور الوعظ والارشاد والتوعية الى طور العمل والانجاز والثورة ضد المستعمر ، للحفاظ على وحدتنا وعلى كياننا الوطني ، وعلى سيادتنا .

وكان ذلك الميثاق الخالد بين العروش والحركة الوطنية ، قد تمثل فى المقاومة ، تمثل فى جيش التحرير ، تمثل فى هؤلاء الابطال الذين تشبعوا بمبادئك وتعاليمك وارشاداتك وخمسين سنة من كفاحك المتواصل .

واخيرا يا علال الفاسي ..

ستبقى كذلك خالدا ، باسهامك فى الفكر العربي المعاصر وتكوين الفكر العربي المعاصر يقتضي ثقافة واسعة عربية واجنبية يقتضي ان تكون هذه الثقافة اصيلة فى جذورها ومتفتحة على آفاق جديدة . فكان بطبيعة الحال رجوعك الى السلف الصالح هو الخطوات الاولى التى كانت تمتاز بها الحركة الوطنية ، اذ كانت حركة سلفية ، وكانت تعاليم عبده وجمال الدين الافغاني من المنابع التى استضاءت بها الحركة الوطنية .

ولكنك انت يا علال اردت لمدرسة عبده وجمال الدين وغيره ، اردت لها ان تسير الى ابعد ، فكانك تريد بكتاباتك وتفكيرك وارادتك .

ــ ان تعطي للنظرية

ــ ان تعطي للمذهب

ــ ان تعطي للتخطيط اقداما تسير عليها .

لذلك كنت يا علال مدرسة ، وكنت استاذا مطبقا لهذا الاصلاح .

رحمك الله يا اخانا العزيز ، ان قلوبنا مفعمة بالحسرة والالم والصمت ، لان الصمت افصح من الكلام ليعبر عما نحسه فى هذه الدقيقة الرهيبة .

تغمدك الله برحمتك ، ولن ينساك المغرب ولا الشعب المغربي الى الابد .

نص الكلمة
التي ألقاها الدكتور عبد الكريم الخطيب باسم المقاومة وجيش التحرير ...

بالاصالة عن نفسي ونيابة عن اخواني اعضاء المجلس الوطني المؤقت لقدماء المقاومين وجيش التحرير نودع اليوم اخا لنا فى الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله وفى سبيل الوطن المغربي المسلم ، اخا لنا عاش ومات داعيا لله مخلصا لملكه ، عاملا لوطنه ، متفانيا فى حبه .

اخي علال

قد سجل التاريخ مواقفك البطولية الوطنية الرائعة المتجلية فى كفاحك الطويل والمرير الذى نذكر منه اليوم بكامل الفخر والاعتزاز تجاوبك الفوري البديهي مع مواقف الشعب المغربي المتوقدة باصدارك لنداء القاهرة التاريخي يوم 20 غشت 1953 حينما تطاولت ايدي المستعمر واعتدت على رمز سيادتنا جلالة الملك المجاهد محمد الخامس تغمده الله برحمته .

فكان نداؤك تعبيرا قويا وصادقا على المشاعر الحماسية المتأججة للشعب الكريم الذى بلغت تفانيه فى حب الله وحب الحرية والعزة والكرامة حسب الفناء .

ولم تكتف يا علال بتوجيه النداء بل ايمانك الكبير ان تشارك عمليا فى الكفاح الذي خاضته بسالة العناصر الحية من الشعب بالفكر والقلم والنفس والنفيس مجيبا اطراف الدنيا داعيا لتاييد ومساعدة مواطنيك المجاهدين بالمال والسلاح الى ان جاء نصر الله .

نذكر هنا باعتزاز جهودك المشكورة فى اقناع السلطات الاسبانية بجعل المنطقة الشمالية من المغرب الخاضعة لنفوذها ملجأ ومنطلقا للفدائيين وجيش التحرير ولاشقائنا الجزائريين لانك كنت يا علال مؤمنا صادقا بضرورة توحيد قوات التحرير فى المغرب العربي الكبير للقضاء على النفوذ الاجنبي المتسلط .

وقد تجلت وطنيتك الصوفية الحقة فى رفضك الكامل لمفاوضات ايكس ليبان التى زيفت تاريخ الكفاح المسلح ولم تتطرق لكامل الاسف لمشاكل الحدود متضامنا ومؤيدا بتلقائية متناهية مواقف اخوانك المجاهدين .

وبعد الاستقلال لم تفتأ يا علال تكتب وتخطب وتحاضر مبينا ومدافعا عن الحدود الوطنية الحقة وعن فلسطين العربية المسلمة حتى آخر رمق من حياتك الحافلة بجلائل الاعمال الى ان تذوقت لذة الاستشهاد فى ميدان المعركة دون ان يقع علم الجهاد من يدك .

جزاك الله خير الجزاء واقر لك الثواب ونحن امام هذا الرزء الكبير ، وهذا المصاب الجلل الذي اصاب العالم الاسلامي بفقدك من المحيط الى الخليج .

نحن عبيد الله لا نملك الا ان نحمده على الاخذ والعطاء ، فلله ما اعطى واليه ما اخذ ولا حول ولا قوة الا بالله ، وانا لله وانا اليه راجعون .

نص الكلمة ..

التي ألقاها الأستاذ أبو مروان

ممثل الثورة الفلسطينية ...

بسم الله الرحمن الرحيم

« اقبل زيارة القدس سيدي الرئيس » هذه هي الكلمة التي نطق بها الاخ ابو عمار القائد العام للثورة الفلسطينية عندما سمع بنبأ الفاجعة لاول مرة ، قال : **« اقبل زيارة القدس يرحل عنا سيدي الرئيس ؟ » .**

كنا نود ايها الاخ ، كنا نود ايها الرئيس المناضل، ان تكون معنا يوم يدخل الجنود المغاربة ترفرف اعلامهم ، الى القدس ، اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

كنا نود ان تكون معنا يوم ترفرف اعلام المجاهدين على ربى يافا وحيفا والخليل وغزة .

كنا نود ان تكون معنا دائما ، ولكن قضاء الله اختارك الى جواره ، ولا مرد لقضائه ..

سيدي الرئيس :

لو كنت تفدى لفديناك بكتائب من الجيش ، لو كنت تفدي بالمال لدفعنا خزائن الارض ، ولكنها سيدي الرئيس ، حكمة الله الذى اختارك فى هذا الوقت ..!

سيدي الرئيس :

باسم القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ، وباسم اخواني المجاهدين ، والشعب الفلسطيني الذى عرفك مناصرا له طيلة حياتك ، لن ارثيك

سيدي الرئيس ، وانما من حقك علينا ان ننوه ببعض افضالك على مسيرة القضية الفلسطينية ، بل على مسيرة قضية الامة العربية والاسلامية جمعاء .

سيدي الرئيس :

اذا اردنا ان نذكرك كاتبا فيجب علينا ان نستوعب لا مدرسة ادبية واحدة ، وانما ان نذكرك ونتعرض لجملة مدارس ادبية . واذا اردنا سيدي الرئيس ان نذكرك مفكرا فلا بد لنا ان نستعرض تاريخ الفكر العربي والاسلامي المعاصر كله ، واذا اردنا سيدي الرئيس ان نذكرك مناضلا وجب علينا ان نستعرض تاريخ الامة الاسلامية فى القرن العشرين ، فقد كنت سيدي الرئيس فى كل دقيقة من حياتك التى قضيتها مناضلا ، فى كل دقيقة قضيتها على وجه هذه الارض مناضلا ، امتلات حياتك بجلائل الاعمال ..

سيدي الرئيس :

عندما كان الاستعمار يجثم فوق هذه الارض كان نشاطك اكبر من ان تقصره ضد الاستعمار الفرنسي . كان كل نشاطك من اجل قضايا الامة الاسلامية كلها ناصرت المسلمين في الباكستان واندونيسيا ، فى الوقت الذى كنت تحارب الاستعمار على ارض المغرب .

سيدي الرئيس :

ان الذي تسير فى موكبه كل هذه الجموع الحاشدة ، ان الذي تسير في موكبه الامة العربية والاسلامية ، لو فتحت السبل لا يستحق منا ان نرثيه ، يجب علينا ان نعطيه العهد على ان نسير على طريقته ، وان نطبق اهدافه ومبادئه حتى ترتفع راية امتنا خفاقة وحتى تاخذ راية امتنا الاسلامية موقعها فى ركب الحضارة المعاصر .

نم قريرا سيدي الرئيس ، فقد تركت كل هذه الجموع ، تركت كل هذا الشباب تركت هذه الامة كلها تسير على عهدك ، وعلى نهج خطاك .

ابناؤك سيدي الرئيس فى الجولان حيث سطروا ملاحم جديدة للبطولة ، ويرفضون العودة الا عندما يدخل الجيش المغربي بشاراته فى القدس والمسجد الاقصى . وهناك سيدي الرئيس ، نعدك باننا سنقيم صلاة الغائب على روحك الطاهرة سيقام الحفل الديني الذى نبشرك به بتحرير القدس والمسجد الاقصى ، ومسجد عمر فى الارض الفلسطينية المقدسة بتحرير القدس التى بارك الله ما حوله .

لن نودعك سيدي الرئيس فقد اعطيناك عهدا، وسنسير على العهد ، سيسير الشعب الفلسطيني على العهد الذى عاهدك عليه ، وعاهد عليه جميع المجاهدين ، والشرفاء من رجال امتنا ، بأن هذه الثورة النصبت فى سنة 1965 ، والتى نالت تايدك منذ اول يوم انطلقت فيه ، والتى بادرت الى دعمها منذ اول يوم انطلقت فيه ، سوف تستمر وتستمر حتى تحرر ارض فلسطين ، كل فلسطين من براثين الصهيونية وعندها سيدي الرئيس نعدك باننا سنشارك فى تطهير كل بقعة اسلامية .

وانها لثورة حتى النصر

وموعدنا مع النصر .

وداع

مهداة الى روح المجاهد الاكبر ورائد الجيل الخالد الذى وفى لامتـه أصدق وفـاء وأعطاها فاجزل العطـاء الفقيـد عـلال الفـاسـى

للشاعر محمد الحلوي

يا حادي الركب قف ! ان الشرى قدر ... اجهدت فى السير من ملوا ومن صبروا

الى متـى تقطـع الدنيـا وتعبرهـا ... حتى كانـك فى افلاكهـا قمـر !؟

هلا احتفـظت بانفـاس موزعـة ... ليستـجم مضـذ عمـره سفـر

لا تطمعوا ان اصوغ اليـوم مرثيـة ... فمن فقدنـاه دنيـا كلهـا صـور

واين مني بيـان كـان يسعفني ... واين مني لسـان عاقـه الحصـر ؟

ما كان عـلال فى تاريخنـا رجـلا ... وانما هـو سفـر ملـؤه سـور

وطاقة من نشـاط لا حـدود لهـا ... وشعلة حـد من اشعاعهـا العمـر

وغـرة رصعـت تاريـخ مغربنـا ... فى حقبة لم تعد تبـدو بها غـرر !

وقائـد لم تهـن يومـا عزائمـه ... ولا انحنى رغم من كادوا ومن غـدروا

وقلمة توجـت بالشمـس هامتهـا ... وسيرة فـذة لم تحكـها سيـر

وعبقري يرى بالقلـب ما قصـرت ... عنه العيون ولم تنبـض به الفكـر

بيانه السحـر الا انـه قطـع ... من الريـاض وبحـر كلـه درر

فى الدين والعلـم والآداب معجـزة ... كبرى لمن كابروا فيه ومن كفـروا

— * —

جاد الزمان به فى حقبـة عصفـت ... بها الخطـوب وليل البغـى معتكـر

فأيقظ القوم من اغفائهـم وصحـوا ... وكلهم شبه موتـى بغتـة نشـروا

وقـاوم الدجـل والالحـاد فارتجعـت ... قواهما وتـوارى وجههـا القـدر

وعاتق المجد ما طـرت شواربـه ... واينعت فى الصفـا آياتـه الكبـر

ولم يزل يرتقي فى المجد سلمه ... مخلفا فيه من زلوا ومن عثروا

حتى تبوأ فى العلياء صهوتها ... وراح يملي على الدنيا فتأتمر !

— * —

سلوا المحافل عنه وهو زينتها ... اذا تداعى اليها العرب وأتمروا

من كان يخطب فى اعلى منابرها ... فلا يفارقه سمع ولا بصر !؟

ومن اضاء دياجي الفكر مشعله ... وفاض كالغيث فى الارواح ينهمر !؟

وذب عن حوزة الضاد التي منيت ... بمحنة فانجلى عن افقها الخطر ..

من عاش للوحدة الكبرى يدعمها ... حتى تواصلت الارحام والاسر ؟

وكان ليثا هصورا لا يروعه المتا ... دون وان صالوا وان زاروا

— * —

يا من راى الشعب فى بحران ثورته ... كالسيل يهدر والبركان يتفجر !

دعاه للثورة الحمراء فاندفعت ... جموعه لحياض الموت تبتدر

رسالة لم يكن عيسى مبلغها ... ولا محمد بالقرآن ينتصر

وانما هو علال وشيعته ... بمعجزات من الايمان تنحدر

رسالة لم تزل للحق هادية ... ولم تكن بقضايا الشعب تتجر !

قد حررت ودعت لله وامتحنت ... وجاءها النصر موقوتا كما نصروا

كل الشعارات والهيئات قد نهضت ... ثم انتهت وتوارى العين والاثر

كانت قوافل تاهت فى مجاهلها ... بغير زاد ولا هاد له نظر

اما مبادئك المثلى فثابتة ... من الهدى ومن التنزيل تعتصر

فليس يمكن ان تفنى روافدها ... ولن تعفيها الايام والعصر

معالم شخصت فى كل منعطف ... والنجم لم تزل تعلو وتزدهر

— * —

بلغت ما لم تنل امثاله همم ... طماحة ومشى فى ركبك القدر

وسالمتك الاعادي وهي ماهرة ... حتى كأنك فى اسماعها الخطر

لم يثن عزمك اهوال تجابهها ... ولا اعاقك عن اهدافك الكبر

اخجلت بعدك من قضوا حياتهم ... بلا عطاء ، فلم يخلد لهم اثر

مطامح كالسماوات العلى قصرت ... عنها النفوس ولم يكتب لها ظفر

ومن تراه يداني الشمس فى فلك ... ومن يباري جوادا ليس ينبهر ؟

قد كان علال علالا لامته … يعلها بكؤس حمرها عطر
فمن سقاهم شذاها انتشوا طربا … ومن سقتهم يداه كاسها سكروا !
من يبك علال يبك العرب فى رجل … لم يترك العرب قط وهو يحتضر
وليبك فيه على الاسلام مقتربا … وقد توالت على ساحاته النذر
لقد اصيب وسيل المسخ مندفع … وموجة الشك والالحاد تنتشر
عجبت للموت كم ياتي على عجل … فليس يمهل من غابوا ومن حضروا !
ما كان ضر حمام الموت لو تركت … يداه قلبا شانه خطر !
يا ما تشكى فلم يسمع تاوهه … حتى استجاب الى اناته القدر
مرت عليه العوادي وهي عاتية … فلم تقف نبضات منه او وتر
رزء ولا كالرزايا لا عزاء له … سيان من جزعوا فيه ومن صبروا
فمن لها بعد علال اذا احتدمت … ومن ينوء باعباء فيقتدر !
يا حامل النعش لا تسرع فليس به … الا عظام وجسم سوف ينتثر
لم تودعوا القبر روحا فهي باقية … تضيق عنها قبور الارض والحفر !
ولا تقيموا تماثيلا تصوره … فجيلنا كله من روحه صور !

— ❊ —

يا رائد الجيل فى محياك مفخرة … وفى رحيلك عن اوطاننا عبر
ليس المراثي وان طالت ملاحمها … الا صحائف من دنياك تختصر !
اذا بكي الناس مفقودا بمرثية … ففي مراثيك من يحلو به السمر !
لو تفتدى لفداك الشعب اجمعه … حتى يظلك من اعماره عمر
لكنه الموت لا يرضي عواطفنا … ولا يبالي باكباد ستنفطر
جزيت يا خير من وفى لامته … جزاء من جاهدوا فى الله واعتمروا
ونم قريرا بما اسديت من منن … وانعم بما هو عند الله مدخر
وللعروبة والاسلام تعزيتي … والله اكبر : لا حول ولا قدر

— ❊ —

تطوان — محمد الحلوي

لا لم تمت بل أنت حي بيننا !!

قصيدة في رثاء فقيد الأمة، المجاهد الكبير والأستاذ المبرز، علال الفاسي تغمده الله برحمته

للشاعر محمد بن محمد العلمي

الحق صبح بالبشائر مسفر ، / وعزائم الاحرار فيه تظفر
والمجد ليس بسانح الا اذا / صار الجميع بواجباته يشعر
والشعب لم يظفر بنيل حقوقه / الا اذا ابدى اعتزاما يشكر
في هذه الدنيا سباق دائم / نحو المفاخر والسيادة يبدر
والنصر لا يجنيه من رضي الونى / اذ كيف يسعد ذو الهوان وينصر ؟
ولكل شعب قادة يحمونه / من كل غائلة تحل وتغدر
فهم العيون الناظرات لنفعه ، / وبهم يرى ان التخاذل يحذر
وهم القلوب النابضات بعزمه ، / ودماؤهم يوم الشهادة تصهر
ان الشجاعة والنزاهة دابهم / ولهم جميعا ذمة لا تخفر
وثباتهم حصن يصون بلادهم / من محنة فيها غدت تتعثر
وجهادهم من بيننا ، يحيي لنا / روح الزعامة ، واستحال يبشر
بنهوضنا من غفوة وتغافل / عما به نرعى العهود ، فننصر
ونضالهم بين الورى امسى على / مقياس غيرتهم يقاس ويذكر

— * —

خطرت لنفسي هذه الافكار اذ / نظرت الى صور الزعامة تشهر
فرات بأن النور حف بها كما / حف الضياء كواكبا قد تنشر
والحق قد اضفى عليها هيبة / قدسية تبدو ، ولا تستتر

فامدهـا بمعونـة وصلابـة   صارت من الظلم المعاند تسخـر
وتمثل الايمـان فى لمحاتهـا ،   والسر سر الله تام ، مبهـر !

— * —

(علال) يا رمز البطولة فى البلا   د ، لانت فينا بالوفاء تسير
منذ الطفولة لم تنم ابدا علـى   ضيم ، فانت مخطط ومدبـر
فى الخمس عشرة ، فى صفاء قريحة ،   قد كان شعرك كوثرا يتفجـر
قمت الوحيد بأمة مفكوكة الـ   ـأوطان لا تهـدى ، ولا تتذكـر
قد كنت وحدك فى الزعامة دولـة   والنور فيك طبيعة تتبلـور
احببت (عقبة) فى عظيم فتوحه ،   لا بدع ، انت حفيده المستعبر !
ووهبت روحك للرسول وهديه ،   فكأنك الصوت البشير المنـذر
وصدعت بالحق المبين مناديـا   ورجعت بالامر المفاجيء تجهـر
وجعلت فى الله الكفايـة كلمـا   امسيت عن نشر الهداية تزجـر
قد كنت وحدك امة في باسهـا ،   بالحق ، والمجد المؤثل تزخـر
قد قلت : (ما علال) يوجد وحده ،   بل كلنـا وطنيـة تتسعـر
واها لعزمك فى الوجود باسره !   فلانت فى عين العـداة غضنفر
قد ود (كسرى) ان تقوم مقامه ،   وارتد تحتك فى الزعامة (قيصر)
لم يستطع جور العداة بأن يهـ   ـد علاك ، حين اتاك منهم عسكـر
كم عذبوك وخوفوك ببأسهـم ،   والله من كيد الاعادي اكبر !
مكروا كما شاءوا ، فذاقوا مكرهم ،   والله من فوق الخلائق يمكـر
جهلوا كفاح (الاطلس) الحر الذي ،   قد كان فيه الظلم دوما يقبـر ،
اذ جولة المستعمرين قصيـرة ،   لكن صولتنـا عليهـم تظهـر
كانوا ذئابا غاصبيـن تألبـوا ،   وعن الضغينة والوقيعة كشـروا
ضحكاتهم صفر تشيع نفاقهم ،   والله يلعن ما تربي (خيبـر)
لكن عزمك قد احلك موئـلا   بين القلوب به تفـر وتضمـر
لم يفوك الجاه الرخيص وافكه ،   كلا ! ولا الذهب الكثير الاصفـر
بل كان همك ان تحـرر امـة !   ان المصاعب فى التحرر تصغـر
مهما يطل ليل الكفـاح ، فانـه   لابد ان يرد الصباح الانضـر
من يزرع الجهد الجهيد ، فقد غدا   يجني ثمارا ، توجت ما يبـذر

— * —

(علال) جاءتك العظائم خشعا ، ... تعنو اليك كما تشاء وتقصر
فأعدت فينا للنهوض مآثرا ، ... اذ بيننا صار الشعور يعمر
فى الوعى اصبح للضمير نفوذه ، ... فتخاذل الشر اللعين الاخسر
ورددت للشمل المشتت وحدة ... وصرخت: ان سيروا ولا تتأخروا ،
فالذل لا يرضاه شعب مثلكم ، ... فتهيأوا لحقوقكم ، وتحرروا ،
والموت اهون من حياة مذلة ، ... فاستيقظوا، وعن السواعد شمروا،
وحذار ، ثم حذار فى اوطاننا ... من فرقة ، لكياننا تتنكر !
فتأملوا فيما جرى ، وتوحدوا ، ... وتدبروا فى أمركم ، واستعبروا،
ولتنفذوا للعمق دوما ، واعلموا ... ان الزجاجة كسرها لا يجبر !
فأصالة الاحرار ملء طباعهم ، ... اذ عنهم المجد الاثيل يخبر
ما خاب من يسعي لنيل حقوقه ... ولبئس من يرضى الونى ويقصر !
قوموا لعزتكم ، ولا تخشوا منا ... كسة ، ولا تهنوا ، ولا تتهوروا ،
فالعيش بالذل استحال مصيبة ، ... والذل فى كل المواطن يهجر
والحر يسعى للحياة طليقة ، ... فتراه لا ينأى ، ولا يتقهقر
ما ضاع حقه من ورائه طالب ... بدعاية الاعداء لا يتأثر !

— * —

(علال) انت من الشجاعة هامة ، ... اذ انت مرشدنا ، وانت الحيدر
(علال) يا عز المغاربة الابا ... ة ، لانت بالحق الصراح تؤثر
جاوزت فى الامجاد كل تجلة ، ... فهفا لهمتك (الرشيد) و (جعفر)
والنصح منك لدى الجميع محبب، ... والقول منك كصارم قد يشهر
والامر منك منفذ من حينه ، ... والراي منك كحكمة تتقرر
فاذا عزمت فانت اصدق عازم ، ... واذا نطقت يهابك المستعمر
حتى الخصوم يقدرونك حينما ... يرعون فيك عزيمة لا تكسر
سجنوك مرات كثير عدها ، ... فرأوا لديك بطولة لا تنكر
ما كان يمعن فى خناقك معشر ، ... الا واعجب باصطبارك معشر
طوبى لسيدنا الزعيم وبأسه ! ... اذ كان شانك كل حين يكبر
ونفوك للغابون حين تيقنوا ... من ان صفو همو ، بقربك يكدر
فاريتهم بأسا لحر ثابت ، ... وبقيت فى البلوى زمانا تصبر
عرضوا عليك مناصبا ومراتبا ، ... كي لا تعود الى الصراحة تنظر

لكن مثلك لا يدين بغير ار ... ضاء الاله ، فيستريح ويظفر
باعوا العدالة بالمطامع صفقة ، ... فأريتهم عما المطامع تسفر ،
خابوا ، وما ربحت تجارتهم ، ولا ... كانوا امام العالمين ليعذروا !

— * —

(علال) يا ذاك الامين المرتضى، ... انت المؤمل ، والربيع الاخضر
ان السنا من فوق راسك هالة ... لألاؤها منها يروق المنظر :
بيت الكفاية ، والولاية ، والتقى ، ... والعلم ، فينا بالعناية اجدر
ما غاب بدر مشرق، الا وفى ... اعقابه يبدو الهلال المقمر !
ظن العداة بانهم كادوا لنا ... عند اعتقالك ان غدا يتكرر
لكنهم لم يعلموا فينا رسو ... خك ، واعتزامك دائما يتوفر
لم يجدهم ما دبروا وتآمروا ، ... والجو فيه تقلب وتذمر
ان (الظهير البربري) شجبته ، ... اذ ليس فينا للشقاق مبرر
فشريعة الاسلام فيها يستوي ... عرب سعوا نحو الخلاص ، وبربر
وارى الاسود اذا أصيب عرينها ، ... فى غضبة تحمي الذمار ، وتزار
لا بد من تمزيق راسمال لنا ، ... فالدهر مثل شعوبه يتطور
ان ظن الاستعمار خلدا هاهنا ، ... فالحلم يخذل بالسراب ويسحر
ما دام قيد ، فالجبال تقطعت ... مهما تفاقم فى الوجود توتر
والظلم لا يجتاز حد جسومنا ، ... وعلى الضمائر ، مااستحال يسيطر
فلأي شيء حرروك ؟ الاعتذا ... ر قدموه ؟ أم الاساءة تغفر ؟!
شهدوا بأنك قد قصمت ظهورهم ... ببراءة حين انتهوا ، وتفكروا
وكفى بأن الحق يعلو دائما ، ... ولو انقضت بعد الضلالة اعصر !

— * —

(علال) ، واسمك كلما رددته ، ... خشعت له روحي ، وصرت اكبر
وعليك قد اثنيت بالقلب الذى ... بالفضل من ينبوعه لا يكفر
ان العواطف فى الحشاشة روضة ... بروائع الاشعار صارت تثمر
ولسان روحي بالمحبة ناطق ... والحال للسر الدفين تفسر :
فى يقظة الوجدان صبح مشرق ... يجلو القلوب بنوره ، ويطهر
وصدى ندائك فى (الكنانة) ها هنا، ... نصغي له ، وفؤادنا متأثر
(علال) ، نورك ساطع متوهج ، ... والمغرب الاقصى به يتدثر

ما كنت اشقى او اضام ، لانني   آمنت انك للكسور تجبر
يا منقذ الاحرار من وعثائهم ،   ادرك فؤادا بالأسى يتفطر
ما انت الا كالملاك سماحة ،   فانظر لوجهك بالملاحة يقطر
وانا الجريح كما ترى مستنجد   بحنان روحك ، فليكن ما تنظر
واعذر قريضي ان بدا متلعثما ،   فالقلب ينطق ، واليراع يحبر
(فاس) العزيزة انجبتك زعيمها ،   والمغرب الاقصى بعزمك يفخر
حررتنا ، ودفعتنا فى حكمة ،   نحو الامام بهمة لا تفتر
والشرق قد حياك بين رجاله ،   وغدا لعزك فى الخلود يسطر
والغرب قدر فيك همة طامح   للحق ، تخترق الطريق وتعبر
وعملت بالشورى ، وكنت امامها   فى وحدة من وقعها تتأثر
اما (زعيم الريف) فهو لك المعا   ضد فى شؤون نيلها متعسر
لقنتنا الاخلاص دون هوادة ،   حتى يلوح لنا الخلاص الاكبر
نور المهابة ، فوق راسك ساطع   فى كل قلب يستزيد ويبهر
تحلو بمنهجك القويم هداية ،   من ذا الذي بضيائها لا يشعر !؟
وكفى جميع الناس انك خادم   للعرش من يرعى هداك ويقدر
اصبحت فينا للقداسة صورة   فيها بحار الفكر اذ يتدبر
لك قد اقام المخلصون بقلبهم   آيات شكر قد حواها الدفتر
هاجرت للشرق الحبيب مناضلا :   ان (الكنانة) للجهاد معسكر
قد كنت صوتا للبلاد مناديا   بحقوقها ، وبكل سر تخبر
ما ضرك الباغون حين تآمروا ،   او شانك الاعداء حين تجمهروا
لا بد للاوطان من نيل المنى   حتى يتم بالانطلاق تطور
والشعب يبدي فى بهاك محبة   بمعالم الاخلاص صارت تزخر
قسما بربي ، والنبي محمد   اني لحقك مخلص ، مستبشر
فاذا حضرت لدى المجامع اصبحت   كل الضمائر لاقتبالك تحضر
حاشاك ان تدع البعاد يمضني ،   فانا بفضلك رابح لا اخسر
انت المحطم للقيود ، فلا تذر   من صان عهدك للشقاء يجرر
وانا فداؤك ، استفيض حماسة ،   واقيم امرك دائما ، واعزر
كيف السبيل الى اقالة عثرتي ،   والموت من بين العباد مقدر ؟!

*

ان الفصاحة فى لسانك ثرة ، والشعر منك جميعه يستظهر

ما اسعد (البيضاء) حين تمتعت بحلاوة الذكرى ، ففيها الكوثر !

قد زان سيدنا الامام بنفسه جو المديح ، فراق منه المظهر

وتعطرت ارجاء مسجده الذى قد طاب فيه من العبادة عنصر

قد كان شمسا فى سناه ، وحوله من شعبه ، فى كل شخص نير

لله ما ابهى القلوب توجهت لله بالشكوى تئن وتجأر !

وتعانق النجوى ، وتدعو ربها فى خشعة ، ودموعها تتحدر !

(صلال) يا كنز القريض ونبعه ، الدر انت نظمته والجوهر

اذ انت غواص ، خبير ، ماهر ، تغزو المحيط كما تشاء ، وتبحر ،

تأتي البدائع ترتجي متبحرا ، وعليك اسرار البلاغة تعثر !!

فالشعر منك معبر عن روعة ، فكأنه روض نضير مزدهر

واهتزت الدنيا بشعرك ساعة ، وحباك بشراه النبي الاطهر !

انا نهيم بسحر شعرك مبدعا ، وجميعنا من غير خمر نسكر

اذ انت ذو حق ، ورب بلاغة منها تراقص قلبنا والمنبر

ما (ثورة الصحراء) غير قصيدة فى ذوقها شهد حلا او سكر

بلغت من وحي الجنان رسالة ، وتفجرت من نبع روحك ابحر

صورت بالفن الرفيع شعورنا ، وبريشة الاخلاص انت تصور

(هاروت) فى الالوان يبدو ناصعا فتراه يسبي العاشقين ويسحر

لو كان (سحبان) لشعرك مصغيا لارتاع مما انت عنه تعبر

قد كنت للنغم الدفين ملحنا اذ انت تشدو ، والعواطف مزهر

والشعر منك كوائر موروودة فى كامل تعنو اليه الابحر

وخواطري سمط الجواهر نضدت فى كل خاطرة تحل وتخطر

فاذا تخيرت النفائس ها هنا فانا الذي في حسنها اتحير !!

— * —

يا طالب الصحراء ، ترقب حقها ، ابشر ، سيعلوها اللواء الاحمر !

صحراؤنا اوطاننا ، وخصومنا من عتقها ، فى العالمين تطيروا!

راموا من البترول كنزا يختفي فى جوفها ، وفؤادهم يتنمر

واستكشفوا الفوسفاط بين رحابها، ورجاؤهم منه الثراء الاكثر

وتلمسوا منها مجال تجارب ... لقنادل الاشعاع : لما دبروا ،
وغدا بعزمك كل صعب هينا ، ... ومطامع الاعداء ، وهي تبخر !

— * —

اما (الجزائر) فهي اخت حرة ، ... ولبئس ما زعم الطغاة وزوروا !
انا لنذكر عندها الاسد الالى ... رفضوا الدخيل، وفى القيود تبختروا
صاموا ، فكان الصوم خير وسيلة ، ... حين اعتدى اعداؤنا واستكبروا
وتردد النبأ الرهيب كصفعة ... فى وجه من اعمالهم لا تغفر
لله در اشاوس لم يضعفوا ، ... بل آمنوا بحقوقهم وتذكروا !
ولئن تغير فى (فرنسا) معشر ، ... فشهامة الاحرار لا تتغير
هزاوا بالاستعمار ، وهو معاند ، ... وتثبتوا ، فالدهر منه يسخر
اذ كيف ننسى ديننا وعروبة ... هي امنا ، وملاذنا المتنور ؟
قد زاغ الاستعمار فى احكامه ، ... وهو الحقود ، المعتدي ، المتهور
كم من ضحايا صار يخنق صوتها ، ... وفؤاده من قسوة متحجر
سحقا للاستعمار فى استهتاره ، ... اذ راح ينحر من يشاء، ويأسر
ان صار ينهب خيرنا فى نشوة ، ... فلنحن ما خنا ، ولسنا نغدر
ان كان فى جبروته متماديا ، ... فالله فى عليائه متجبر
افريقيا تزهو بمجد شمالها ، ... توحيدها فى كل خير محور
وكذا الشعوب اذا ارادت حقها ، ... فنهوضها ذو موجة لا تحصر
و (المغرب العربي) رغم خصومه ... حصن حصين ، صامد ، لا يقهر !
فالنضج ميزتنا ، ورمز بلادنا ، ... فى ظل عرش قلبه متبصر !

— * —

(علال) يا مسكا يفوح اريجه ، ... مرحى، فانت لدى المجامع عنبر
تحميك من فوق السماء عناية ، ... والله فيما قد اردت معزز
انا لنبني فوق مجد جدودنا ، ... اذ نحن نمضي ، والذئاب تزمجر
(علال) بالايمان انت مدجج ، ... يعنو لك فى البسالة (عنتر)
(علال عبد الله) حين شحذته ، ... قد ثار وهو على الاعادي خنجر
من روحه ثارت شرارة ثورة ... كانت على الدخلاء طرا تشهر
دنيا واخرى ، انتما فى روضة ... متعانقان ، بذمة لا تخفر

فى ذمة العليـــاء ســر باهـــر ... يخفى ، فلا يدريه حتى المجهـــر
سبحان من جمع الاصول ببعضها ! ... سبحانه فيما يشا ، ويقــدر !

— * —

انت الذى تجلو العيون ، فشاهدت ... من حولها ســرا به تستبصـــر
يا ابن الكرام الاقدسين تحيــة ، ... اذ انت فرع من اصولـك خيــر
قد بعت نفسك فى الكفاح رخيصة، ... وكـذاك يربـح فى علاك المتجــر
لم تغوك الدنيا بحسن مظاهــر ، ... بل انت فى دنياك التحرر جـؤذر
لبيت من هذي البـلاد نداءهـــا ... لما غدت بك فى الورى تستنســر
ان انت ابرزت الحقائق جهرة ، ... فلانت فى كل الضمائر مضمــر
دم فى الخلود لمجدنا وخلاصنــــا ... تحمي العرين ، بعزمة لا تقصـــر
متمسكا بالعرش ، تحمي شوكـــة ... للدين والدنيا ، فلا تتكســـر
ويلوح فى الامجاد ، بعلو مصعـدا ... بين الشموس جبينك المتنـــور
بشرى لاندلس غرست بذورهـــا ... فينا ، فاينع روضها المتعطــــر
من نسل (فهــر) كنت من قوم لقد ... ثبتوا ، فهم ما بدلوا او غيـــروا
فى كل احط كنت تبني مجدنا ، ... والجهد منك ـ كما نرى ـ متكرر
لم ننس فى رمضان ، بين دروسه ... نفحات ذكر فى المجالس تنشـــر
ان (القوي) هو (العزيـــز) وحسبنا ... منه المعونة فى كفاح يعصــــر :
انوار علم ، فى زعامـة رائـــد ، ... فالشمس لا تخفى ، ولا تستتر !
لله فى رمضان تحتسب التقى ، ... وعلى محبتـه تصـوم وتفطـــر
قد ضاعف الله الثواب لمؤمـــن ، ... والفضل فضل الله ليس يحجـــر
جاوزت (غاندي) فى التجرد والحجى ... والشعب نفد ، اذ تشير وتامــر
فلانت كالعود الذكي ، بطيبــــه ... يحيي القلوب ، ومنه فاح المجمر
ولانت بالنصر المبين لجيشنــا ، ... فى الجبهتين ، وبالبطولـة تفخـــر
ترتاح للحسن العظيم ، وقد غـدا ... يحمي العروبة بالســلاح ويخفــر
فى (سوريا)، فى (مصر)، انا كلنـــا ... لمناعـة الاســلام قمنـا نثــأر
(سيناء) و(الجولان) قد شهـدا لنا ... ببطولة عنها ستحكي الادهــــر
فالى الامام لقد مضينا دائمـــــا ... للنصر ، لا نخشى الردى ، لا ندبر
تجريدتان لنــا تجلـى فيهمـــا ... سر به فتـح السبيـل الاوعـــر
فى (خط بارليف) ، وفى تحطيمه ... درس له يرتاع (موشي) الاعور !

يرتاح ماضينا لحاضرنا ، بما ... نسديه فى ساح الفداء ، ونفخر

صدقت فراسة عاهل متبصر ... فيما يراه من العدو ، ويحذر !

من نفسه اعطى المثال مضحيا ... بدمائه ، وله العطاء الاغزر

نظراته للعمق تسري دائما ، ... وتجس ابعاد الامور ، وتسبر

وسياسة العرش المجيد سياسة ... بالعز والتقدير عنا تؤثر

فهي اشتراكية لاغناء الفقيـ ... ـر . والغني معينة لا تفقر

وكذا من صنعوا الملاحم فى الورى ... لولا بطولتنا . سجل ابتر

نتوي ، فينصرنا القضاء ، ولا نرى ... الا الذى نسعى له ونقرر

والحق يؤخذ ، لا ينال تفضلا ، ... وعليه اعداء الحقيقة اجبروا !

انت المعبر عن وطيد ولائنا ، ... اذ كان قلبك فى قريضك يعصر

وهتفت بالحسن العظيم ، وخامس، ... والحب انت شعاره المتبلور

يكفيك فخرا ، واعتزازا انه ... يبكيك فى وجدانه ، اذ يذكر

يكسوك رايتنا العزيزة ، عندما ... امسى يقبلك الامام الاكبر !

وولي عهد الاكرمين (محمد) ... فى حضن (عبد الله) رمز يظهر ،

يتلو كتاب الله ، مع اخوانه ، ... والشعب فى طبقاته متجمهر

والكون عبر عن تعازيه التي ... من قلبه ، وضميره ، تتسطر

والجو اصبح مكفهرا صاخبا ، ... فى رزئنا ، وسماؤه تتكدر !

كيف العزاء لاسرة منكوبة ، ... وجدانها وفؤادها متعسر ؟!

انا لنرثي فى المصاب نفوسنا ، ... فى امة ، منها الجواهر تنثر !

والكون يعلن يتمه وحداده ، ... والعين منه بالمدامع تمطر

جاوزت فى البعد الثريا همة ، ... والصعب يخضع ، انفه متعفر

ولقد تغير من تسافل طبعه ، ... اما مطامحنا : فلا تتغير

ان نام غر فى نعيم مذلة ... فلانت فى صون الكرامة تسهر

وسعيت فى جعل الجلاء حقيقة ، ... وكذاك يامل شعبك المتحرر

فلانت فى دنيا الفداء مبرز ، ... ولانت جوهره ، وفيك المخبر ،

ولانت ينبوع لكل زعامة ... فى المغرب الاقصى ، وانت المصدر

ولانت عربون الى استقلالنا ، ... ولو اشتهى تشويهه المتنكر

ما نال عزمك ظالم مستعمر ، ... كلا ! ولا المتشدق المتاجر

وكان ذكرك بيننا كازاهر ... امست بها ارواحنا تتعطر

علمتنا سلفية صوفية ... وهديتنا ، حتى يزول المنكر

فاقبل رثاء من فؤاد ثاكل ... قد صاغه فى ظل مجدك عبقر

— * —

من(بوخاريست) الى(الرباط) لقداتوا ... بك ، والمنون بقلبنا مستأثر

هذا قضاء الله ، لا يجدي به ... طب ، ولا جهد لنا متوفر

قد كنت فى (ايران) تنطق باسمنا ، ... وتكرم الاوطان فيما تصدر

(شيراز) عنك تحدثت اعلامها ، ... والفكر منها مطرق متحير

ماضيك بالنور المبين مسطر ، ... والمجد منه لك النصيب الاوفر

انى اتجهت فان ركبك آمن ، ... من كل ضيم ، فى الوجود موقر

قد عشت فى حضن الكفاح مصمما ، ... وعلى العقيدة ، فى القيامة تحشر !

فاقرأ سلام المغرب الاقصى الى ... شهدائه الابرار ، حين تعبر ،

فهم الاوائل قد لحقت بركبهم ، ... ويليك من هم فى العبور تأخروا

فوق المنابر جمعة مشهودة ، ... فيها مآثرك الحسان تفسروا ،

صلت عليك جموعنا فى غيبة ، ... والشعب فيه تفجع وتحسر .

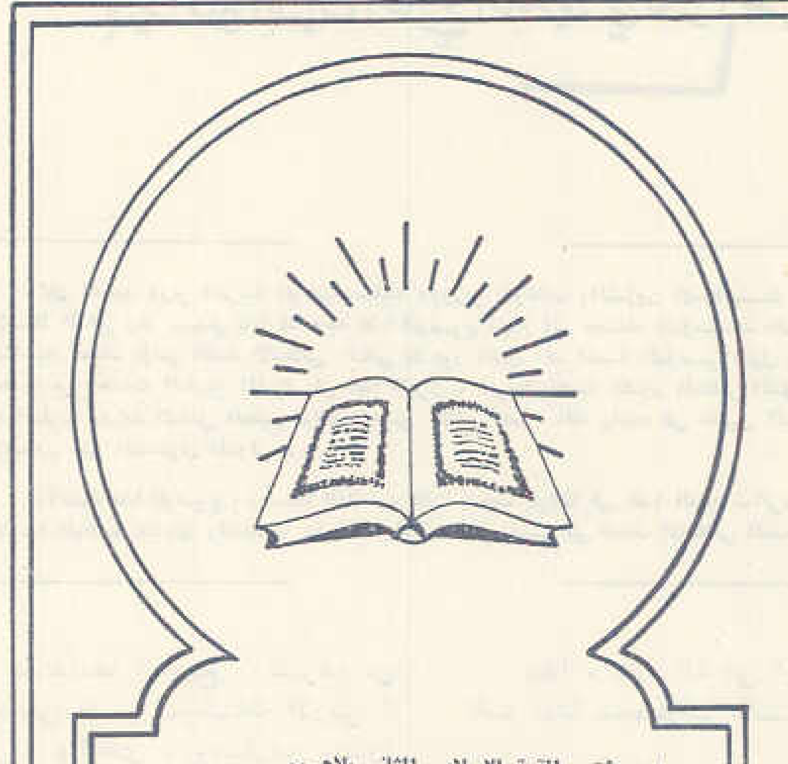
عند الحياة ، وفى الممات ، قلوبنا ... لك فى الكفاح المستميت تؤزر ،

والقدوة الكبرى، من (الحسن) الذي ... منه بتكريم الزعامة نؤمر !

لا! لم تمت بل انت حي بيننا ، ... نرعى جميلك دائما ، ونقدر !

الرباط ـ محمد بن محمد العلمي

دراسات إسلامية



مؤتمر القمة الإسلامي الثاني بلاهور

يؤكد أهمية المؤتمر الأول بالرباط كحدث من أحداث التاريخ الكبرى في هذا القرن

بقلم

كان السيد وزير التربية الوطنية سابقا ، ووزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الحالي الاستاذ الداي ولد سيدي بابا قد وجه هذا الموضوع الهام الى مختلف المؤسسات المدرسية بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الاسلامي الثاني بلاهور الذي اكد اهمية المؤتمر الاول بالرباط كحدث من احداث التاريخ الكبرى في هذا القرن ، تعريفا باهمية الدور الخطير الذي يضطلع به المغرب بقيادة العاهل العظيم مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده في تحقيق التضامن الاسلامي على المستوى الدولي ...

ولاهمية هذا الموضوع ، وتعميما للفائدة ، فاننا نتحف قراءنا في هذا العدد شاكرين لوزارة التربية الوطنية عنايتها واهتمامها بهذه الدراسات التي تسير في الخط الاسلامي الصحيح .

ارض الاسلام بامتدادها الفسيح ، تشرف من جوانب متعددة ، على اهم محيطات الارض : الاطلسي ، والهندي ، والهادي ، وتشارف بحارا ذات مواقع حساسة في العالم (البحر الابيض المتوسط ، البحر الاسود ، البحر الاحمر ، بحر الصين) ، كما تحتضن خلجانا عظيمة ، كالخليج بين ايران والجزيرة العربية ، وخليج عمان ، وخليج عدن . وترقب مضايق حيوية على الصعيد الدولي ، انطلاقا من مضيق جبل طارق ، الى مضيق البوسفور، ومضيق باب المندب ، الى قناة السويس ومضيق مالاقا ، وتترامى اقاصيها الجنوبية حتى جزر المالديف في المحيط الهندي ، بين آسيا والقارة القطبية الجنوبية ، فيما تمتد اقاصيها الشمالية، لتواجه قمم الهملايا ، واعالي الهند ، واراضي شاسعة تابعة للصين والاتحاد السوفييتي في آسيا الوسطى .

هذا ، بالاضافة الى ان اجزاء من هذه الارض كانت مهدا للحضارات الانسانية القديمة .

في هذا العالم المترامية اطرافه ، الحساسة مواقعه ، يعيش نحو سدس سكان اليابسة ، تضم مواطنهم ، معظم الخامات ، ومصادر الطاقة ، ومختلف مكامن الثروة الطبيعية في الارض ، وتشكل قدراتهم البشرية في عمومها ، امكانية ذات اثر بعيد ، في توازن الحياة السياسية والاقتصادية على الصعيد الدولي .

الا ان ضخامة الممكنات المتوفرة في العالم الاسلامي ، وامتداده الترابي ، جعله في فترات متعددة من التاريخ ، عرضة لمطامع الغزاة ، واهداف التوسعيين من مختلف الاجناس ، كالتتر والصليبيين ثم الاستعماريين الغربيين في العصور

الحديثة ، فواجهت مواطن الاسلام فى هذا النطاق ، اشكالا من الاستعمار ، تتراوح بين استعمار الابادة (التتر) والاستعمار الاستيطاني (الصليبي والصهيوني) والاستعمار الاستغلالي (الاوربي) .

وفى مختلف مراحل هذا الصراع الطويل على اختلاف اشكاله ، الذى خاضه العالم الاسلامي مع المهاجمين ، كان واضحا باستمرار ، ان التضامن بين المسلمين ، هو مناط المنعة لهم ، وقاعدة الحصانة وان ما بين الجماعة الاسلامية فى كافة الاصقاع ، من تشارك فى العقيدة ، وتلاحم فى المشاعر ، كفيل ان يمتن قواعد هذا التضامن ، ويجعل منه القوة الراسخة ، التى ترتد امامها العاديات ، وينحسر كل مد توسعي على حساب الارض او العقيدة .

وقد برز المغرب طوال العصور — فى طليعة المؤيدين لمبدأ التضامن الاسلامي هذا ، المبادرين الى تحقيق مدلوله ، ايجابيا وعمليا ، غير مدخر فى ذلك جهدا ، ولا مبد تحفظا .

وهكذا ظل المغرب للمسلمين فى مشارق الارض الاسلامية ومغاربها ، ذلك المتحفز ، المنجد من استنجد به ، الغيور على كل حمى اسلامي ، يهب اليه — ما استطاع — بالعون الناجع ، ويفتديه برجاله وماله .

لقد امضى المغرب القرون ملتزما بموقفه التضامني هذا من المسلمين تستظل الاندلس الاسلامية بحمايته ، وتعتضد شعوب الضفة الجنوبية من البحر المتوسط ضد الغزاة الاوربيين بشدة صولته ، ويجد رواد الاشعاع الاسلامي ، فى غرب افريقيا السوداء المنطلق من ارضه ، والرفد الفزير من امكانياته ، ويستعين العثمانيون فى توفير عدة الجهاد ، وافتداء الاسرى ، ويلتمسون تعزيز مواقفهم بنفوذه الدولي ، على شتى المستويات .

انها تقاليد عريقة لبلادنا فى مضمار التضامن مع المسلمين ، دعوة الى هذا التضامن ، وحثا عليه ، وبذلا فى سبيله ، واستعدادا لتجشم المصاعب ، وتحمل ابهظ التكاليف ، ايفاء بما يقتضيه واجب الجهاد والدفاع عن حوزة الاسلام ، وما يترتب عنه . وقد جاء مؤتمر القمة الاسلامي الاول ، الذى انعقد بالرباط فى شتنبر سنة 1969 بدعوة من جلالة الحسن الثاني نصره الله ، تأكيدا تاريخيا في عصرنا الحديث لهذه التقاليد المغربية فى مجال التضامن الاسلامي ومأثرة فذة ، تحددت بها معالم الطريق ، نحو رفع فاعلية هذا التضامن ، الى مستوى تحديات العالم المعاصر .

ومن ثم ، يتخذ مؤتمر الرباط بعدا تاريخيا ضخما وحاسما ، يجعله فى درجة الاحداث العالمية الرئيسية ، التي شهدها هذا القرن ، ويعمق من مدلول انعكاساته ، الى مدى بعيد ، سواء على الصعيد العربي الاسلامي او على صعيد العالم فى مجموعه ، وتبرز اهمية هذا الحدث كلما زادت فكرة التضامن الاسلامي استحكاما ، ونفوذا ، وتطورا فى نطاق المبادىء والمؤسسات التى وضعت فى الرباط .

ويتجلى بعض من هذا ، فى الاوليات التى احدثها انعقاد المؤتمر ، وهي اوليات يتصل مغزاها بالتاريخ ، قدر ما يتصل كذلك بالواقع الدولي فى اوجهه المختلفة ، فلاول مرة بعد قرون عديدة ، يتخذ مدلول التلاحم العربي الاسلامي فى حظيرة مؤتمر الرباط ، شكلا عمليا وشاملا ، فى مستوى قمة المسؤولية فى مختلف الاقطار العربية والاسلامية ، وهذه معلمة جديدة فعلا فى تاريخ صلات العرب بغيرهم من الشعوب الاسلامية ، وظاهرة تشكل بعثا قويا لايجابية تلك الصلات ، التى صنعت التاريخ والحضارة ، العربيين الاسلاميين .

ان تكاملية الوجود الاسلامي فى العالم ، هي حقيقة خالدة ، وراسخة الاصول ، ولكن مقدرة المسلمين ، قصرت طويلا فى التعبير عن تكامليتهم هذه ، بالاسلوب العملي المتجدد ، الخلاق ، وقصرت بالتالي — عن ادراك الفاعلية الخارقة ، التى يتميز بها هذا التكامل ، والمستوحاة من تلك العظمة التى وصل اليها الاسلام فى عصور امجاده وقد ذاق المسلمون من المحن ، ومرارة الذل ، والتحديات ، ما جعلهم يتنادون ، فحدث ذلك التطور التاريخي الجذري ، الذى انتهى الى انعقاد مؤتمر الرباط ، وبه برهنت حالة التكامل بين الشعوب الاسلامية عن حيويتها القائمة اصلا ، وبه اتضح ان مدلول العالم الاسلامي ، ليس مجرد اصطلاح تاريخي او جغرافي او حضاري ، وانما هو تعبير عن وجود فكري ومعنوي حي ومتماسك ، لا يمكن ان يصاب مطلقا بنضوب ، حتى ولو تفككت طاقته وضعفت حينا من الدهر اوصاله .

واذا ما تجاوزنا هذا ، لنتبين مدى انعكاسات مؤتمر الرباط على الحياة الدوليـــة نجد ان الحالة التى احدثها ذلك المؤتمر تبرز عدة ظواهر منها :

فى المستوى الدولـي :

ـ ظهور واجهة دولية جديدة ، تستطيـع ان تسهم فى ايجاد حلول لمشاكل عالم اليوم ، وتقويـة الاتجاه فيه ، نحو التكافل والتقـدم والسلام بيـن الامم .

ـ باعتبار ان اكثرية المسلمين هي من افريقيـا وآسيا ، فان التعاون بينهم فى النطاق الدولـي ، وقد رسم مؤتمر الرباط ، اولى خطوطه ، لمن شأنه ان يزود تطلعات العالم الثالث نحو النهوض والتطور ، بمزيد من الحوافز البناءة ، وبمزيد من تراص هـذا العالم وتكاتفه .

ـ بروز اطار جديد لامتصاص الخلافات بيـن الدول الاسلامية وايجاد حلول لما يمكن ان يقوم بين بعضها والآخر من نزاع ، وهذه امكانيـــة مهمة ، للاستقرار والتفاهم الدوليـين اللذيـن برهنـت التجارب على ان التسويات الجهوية تؤدي خدمـات جد مثمرة فى تركيز دعائم السلام بكيفيـــة فعالـة وراسخة .

فى المستوى الاسلامي :

تشكل الجماعات المسلمة خارج العالم الاسلامي، كيانات ثقافية وحضارية مهمة ، ترتبط بدنيا المسلمين روحيا وفكريا ، بقدر ما ترتبط بمواطنها الاصيلـة قانونيا واقتصاديا . وقد كانت حالة التئام الشمل الاسلامي ، التى احتضنها مؤتمر الربـاط ، خطـوة كبيرة نحو انعاش آمال هذه الاقليات فى توثيـــق روابطها المعنوية مع العالم الاسلامي على نحو فعـال ومنظم ، والافادة من امكانياته للحفاظ على اصالتها الثقافية الخاصـة ، وتقويـة مناعتهـا الروحيـــة والفكرية .

ومن زاوية الفكر السياسي :

يمكن النظر الى المؤتمر الاسلامي الاول ، على انه مظهر من مظاهر الاستقلال فى الاتجاه السياسي لدى الامم الاسلامية بالنسبة للمعسكرين الشيوعـي والراسمالي وايذان بتحرك هذه الامم نحو الاعتمـاد ـ فى المقاصد الاساسية ـ على تفكيرها الخـاص ، النابع من احساسها بذاتيتها ، وادراكها لمصالحهـا الحقيقية ، واستيعابها لاوجه الصواب والخطـأ فى بناء علاقاتها مع بعضها البعض ، ومع العالم .

لقد كان القاسم المشتـرك بين المشتـــركين فى المؤتمر ، هو الاسلام ، ومن هـذا التشـــارك فى العقيدة ، برزت وحدة فى الشعور والهدف ، والمصير عند هذه الشعوب كلها . التى اتى ممثلوهـا الى العاصمة المغربية ، ومن ثم ، فلم يكـن تجمع ذلك الحشد الكبير من الدول داخلا فى نطاق قومي او جهوي ، او قاري ، او فلسفي ، بالمفهوم الذى تعرف فى المعتاد ، التجمعات ذات الحوافز الايديولوجية .

لقد استوعب التجمع كل هـذه المدلـولات فى حظيرته ، وصهرها ، وبلور منها الموقف الجامع الذى انتهى اليه المؤتمرون .

وفى عالم متكالب ، نبذ الرابط الـروحي من حـسابات تجمعاته الدولية ، واقام الاعتبار المصلحـي الاقتصادي او المذهبي او نحوه ، كمقيـاس وحيد للتحالف او التضافر ، تبدو تلك المبادرة التوحيدية بكامل صورتها الابداعية ، المختلفة عن كل ما عهد من العوامل الداعية لعقد التجمعات بين الدول فى عالمنا الحاضر ـ عالم التكتلات الكبـــرى ـ والمقاييـس المرعية فى الدعوة الى هذه التجمعات .

ان بداية اتجاه حقيقي ، نحو عدم التبعية للفكر الغربي او الشيوعي ، قد ارتسمت على اوسع نطاق فى المؤتمر الاسلامي الاول ، ولقد انبثـقت عن هـذا الاتجاه جملة من الحقائق يمكن اجمالها فيما يلي :

ـ استئناف الاسلام للدور الذى اداه فى تاريخ الانسانية ، كقوة طلائعية واعية فى المجال العالمـي ، وارتباطه فى هذا الدور الجديد الذى اخذ يقوم به ، بمصالح الشعوب المستضعفة ، والمغلوبة على امرها ، المنضوية تحت لواء العالم الثالث .

ـ ظهور التراث المشترك بين المسلمين فى تمام نصاعته ، القائم على المبادىء القوية ، المستوحاة من عقيدة تسامت وتفوقت ـ روحيا ـ على غيرها من

العقائد الدينية والفلسفية ، فكانت هي المنطلق لهذا التراث الفكري العريق ، الذى وقد بواعث اللقاء ، بوحيه المستمده ن التحامات الماضي ، ويسر بذلك السبيل لاقامة اصول حية متينة للتجربة الجديدة ، استلهاما من اصالة التعارف والترابط القديم .

وقد برهنت الخطوات التالية فى مجال التضامن الاسلامي ، التى اعقبت المؤتمر الاول ، على صحة القواعد التى انطلق منها المؤتمر ، وحتمية التواصل فيما رسمه من خطوات لانبعاث العالم الاسلامي .

ففي المؤسسات التى — بالاضافة الى ميثاق المؤتمر الاسلامي — انبثقت من الرباط ، كالكتابة العامة ، ومجلس وزراء خارجية الدول الاسلامية ، الذى انعقد مرتين بجدة ، واخيرا ، فى مؤتمر القمة الذى انعقد بلاهور (باكستان) ، تقوت فكرة التكافل والتضافر والتعاون بين الدول الاسلامية ، وارتقت الى مستوى العمل المنظم ، واتسع نطاق المشاركة ، ليشمل المزيد من الدول ، واشتد العزم اكثر ، على تكتيل الجهود ، وتنسيق المواقف فى القضايا الاسلامية ، وارتقت الى مستوى العمل المنظم ، واتسع نطاق المشاركة ، ليشمل المزيد من الدول ، واشتد العزم على اكثر ، على تكتيل الجهود ، وتنسيق المواقف فى القضايا الاسلامية ، ومواجهة المصاعب التى قد تعترض هذا التكتيل والتنسيق ، هذا فيما تواترت كذلك مظاهر الحرص على التفتح فى هذا النطاق الاسلامي على العالم ، ومد اليد للتعاون معه ، لما فيه خير الانسانية جمعاء .

وتبدو هنا ، الاهمية القصوى ، والتى تأكدت بقوة فى انعقاد مؤتمر لاهور ، لهذا الحدث التاريخي الذى تم بالرباط سنة 1 969 . والحقيقة ، فان هذا الانجاز لم يكن ليتم بالوجه الذى حصل به ، لولا الجهد الخارق الذى قام به المغرب بمبادرة من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ، لصرف التحديات المفترضة ، وهي تحديات ضخمة ، نمتها قرون من الانزواء والتردد والانحلال ، وغذتها مؤثرات الغزو الاجنبي ، وتراكم عوامل التخلف والاستغلال الاستعماري .

لقد كان على المؤتمر الاسلامي الاول ، أن يهيىء المنطلق السليم باجتيازه كل هذه الحوائل والعقبات، ولو ان بعضها كان صعب الاجتياز . والاهمية الكامنة فى انعقاد هذا المؤتمر ، هي كونه حقق لاول مرة فى عالمنا المعاصر ، انطلاقة امكن بفضلها تخطي الحواجز التاريخية والنفسية والفكرية والدولية بين المسلمين حتى تيسر اللقاء بين قادتهم على صعيد واحد ، ويرجع وجود هذه الحواجز فيما يرجع اليه ، الى عهود التدخل الاجنبي فى البلدان الاسلامية ، وخاصة تدخل الامبريالية العالمية فى القرون الاخيرة ، فقد اقام الامبرياليون فيما بين العالم الاسلامي وغربه كافة الحوائل التى امكنهم ان يقيموها ، تجسيما لمصالحهم الاستعمارية فى الاقطار الاسلامية التى كانت تقتضي منهم ، ان ينفرد كل بمنطقة نفوذ خاصة به . ونتيجة لهذا ، نشأت على مر الايام ، وبتوسع رقعة الارض الاسلامية ، وبتعدد الثقافات ، حالات من التباين فى النظر والتقييم والاستنتاج عند النخبة فى الاقطار الاسلامية ، وبفعلها ، برزت بعض مظاهر التفاوت فى المصالح بين بلدان مسلمة واخرى .

وقد استمرت هذه الحال حقبة من الدهر ، ثم ساهم الوضع الدولي ، الذى قام غداة الحرب العالمية الثانية ، من جهته ، فى تغذية عوامل هذا التفاوت بين الكيانات الاسلامية . وحتى فى المدار الفكري ، فخلال هذا الظرف ، خبت فكرة تجمع دولي اسلامي ، بعد ان كانت ، اثناء القرن الماضي ، واوائل هذا القرن ، محط النظر والنقاش فى الاوساط المثقفة الاسلامية ، ومثار عاطفة ملتهبة عند كثيرين .

لقد كانت سنة 1969 — حيث التأم المؤتمر الاسلامي الاول بعاصمة المملكة المغربية — سنة الايذان بأن هذه الحال المثقلة برواسب العصر الاستعماري، وازمنة التقهقر لم يعد لها مكان فى ارض الاسلام ، وان صفحة جديدة قد فتحت ، ليسجل فيها عهد للمسلمين موصول العرى بالحقب المتألقة من تاريخهم القديم ، متوشج الروابط بمأثرات ذلك التاريخ ومناقبه .

واذا كان انعقاد هذا المؤتمر ، حصيلة تطور اساسي فى الشعور والتفكير داخل الاقطار الاسلامية، ومرآة لدرجة العمق الذى بلغه هذا التطور ، ومدى الآفاق التى تفتحت به ، فقد كان من الضروري ان

يوجد من بين قادة المسلمين زعيم فذ ومفكر عظيم : تحتل بلاده من المكانة فى تاريخ الاسلام ونضال شعوبه مما يؤهله لهذه المهمة ، ويستطيع بنظرته الشمولية ان يتخذ من المبادرات ، ويهيىء من الظروف ما هو كفيل بتحقيق هذه المعجزة التى انطلق منها كيان هذا التنظيم الاسلامي الجديد ، الذى يشق الآن طريقه . فشاء القدر الالهي ، ان يكون ذلك الزعيم وذلك المفكر ، هو جلالة الملك الحسن الثاني عاهل البلاد ورائد نهضتها .

وان مما تتعلق به الرغبات ، ان يتزايد هذا التطور المثمر بالقدر الذى ينتهي الى تحقيق او فى مدلول لفكرة التجمع الاسلامي العالمي ، وتوفير اقوى حظوظ لنجاحها ، الى ان التوصل الى ذلك ، هو فى الواقع رهين بمستوى وعي الشعوب الاسلامية لقيمة الارتباط الذى يجب ان يجمع بينها كافة فى كل الوطن الاسلامي، ومقدار حرص كل منها ، على رعاية هذا الارتباط ، وتنمية دواعيه ، وترسيخ اسسه ، واذكاء فاعليته ، سعيا الى اقامة عالم اسلامي متماسك ، ومتطور ، وكفء للعمل على صيانة ذاتيته وتراثه واداء الرسالة التى عليه ان يؤديها لصالح المجتمع الانساني قاطبة .



الرد القرآني على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن؟

للأستاذ عبد الله كنون

- 3 -

ما هو القرآن ؟ :

عقد الكاتب تحت هذا العنوان الفصل الاول من تاليفه للتعريف بالقرآن تعريفا يظهر منه ان الشيوعية لا ترهب كتابا كما ترهب القرآن ، ولذلك فهو لم يال جهدا فى ابداء حقده على هذا الكتاب العزيز ، وتلفيق التهم ضده وكيل المطاعن فيه بما ظن انه ينال منه شيئا ، والامر كما قال الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

وهذه اولى كلماته فى ذلك : « القرآن ، هذه الكلمة السحرية التى ظهرت منذ مئات السنين ، ما تزال تضرب قلوب المسلمين بسياط الفزع والخوف » . وهي اعظم اكذوبة يسطرها هذا المؤلف فى كتيبه على المسلمين ، من غير حياء ولا خجل ، وهم شعوب وامم يعدون بمئات الملايين ، وينتشرون فى بقاع الارض من جميع القارات ، وما فيهم الا من يؤمن ويشعر بأن القرآن كتاب هداية ونور ، وطمانينة تشيع فى النفوس ، ورحمة تغمر القلوب ، يفزعون اليه عند الكرب ، ويفرجون به الغم ، ويستوحون منه المعارف والعلوم ، ويعتبرونه العروة الوثقى والصلة المكينة بينهم وبين الخالق عز وجل لانه كتاب الحكيم ورسالته الى الناس اجمعين .

وليس هناك كتاب ولا كلام يحل عند المسلمين محل القرآن ويستأثر بتعظيمهم وتعد كلمته بينهم الفصل فى شؤون الدنيا والدين الا حديث الرسول (ص) ومع ذلك فهو يأتي فى المنزلة بعد القرآن .

ولعل هذا هو ما يغيظ مؤلف كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ومن يتكلم باسمهم ، فانهم يريدون ان تحل كتب ماركس ولينين عند المسلمين محل القرآن وهيهات هيهات !..

ولكن الغريب هو ان يتقول على المسلمين ، وهم بين ظهرانيه احياء يرزقون ، فما عسى يقول لو كان يتكلم على قوم بادوا ودخلوا فى ذمة التاريخ ؟

ان هذا سبيل من يتكلمون على الاسلام من خصومه واعدائه ، سواء كانوا مستشرقين او مبشرين او ملاحدة كهذا المؤلف ، الا الذين يحترمون انفسهم ويحترمون البحث العلمي ، وقليل ما هم !.

ويذكر بعد ذلك كدليل على زعمه ، ان القرآن يلزم المومنين به ، باعمال غريبة ضد انفسهم كالصيام والحج ، وحيث انه سيتعرض لاركان الاسلام بعد هذا بتفصيل ، فانا نؤخر الكلام على هذين الركنين وما قاله فيهما الى محله. فضلا عن ان هذا الاستطراد لا يدخل فى ماهية التعريف بالقرآن الكريم .

ثم يتطرق الكاتب الى الكلام على اسم القرآن، فيقول انه لا يوافق ما يتضمنه هذا الكتاب ، لان

معناه القراءة ، وكل كتاب ادبي غير ديني يمكن ان يطلق عليه نفس الاسم .

وليت شعري ما الذى يمنع ان يطلق هذا الاسم على كتاب ديني ما دام يصح ان يطلق على كل كتاب ادبي ؟ اليس معناه القراءة ، وهي اعم من ان تخص بكتاب ادبي او علمي او ديني ؟ الا ان يكون المؤلف اراد ان يلزم الناس بنظر الشيوعيين الذين يستبعدون كتب الدين عن التداول ويمنعون قراءتها فتكون القراءة حينئذ لا توافق مضامين كتب الدين ، اي لا تطلق عليها ، فتدخل الشيوعية حتى فى تحديد معاني الالفاظ لغويا ، وهو حرج كبير وتحجير على الافكار غريب !..

ويزيد فيقول : ان محمدا (ص) اراد الاقتداء بيهود وقته ، فاعطى لكتابه ، يعني القرآن ، الاسم الذى يطابق اسم كتاب اليهود وهو التوراة لانه يدل على نفس المعنى . وهذا القول يحمل فى طيه ردا على المؤلف ، لانه اذ صح ان يطلق اسم التوراة بمعنى القراءة على كتاب اليهود ، فلماذا لا يصح اطلاق اسم القرآن على كتاب المسلمين ؟..

ثم هو فى نفس الوقت يدل على اتحاد الدينين فى اصلهما ، وكون الكتابين من منبع واحد ، وهو الوحي الالهي ، قبل تحريف التوراة على ما هو معلوم عند عموم المسلمين .

ويذكر المؤلف ان القرآن يسمى ايضا بالفرقان ومعناه الفاصل بين الحق والباطل والخير والشر ، وهذا صحيح الا انه يتخبط بعد ذلك فى ذكر اسماء اخرى للقرآن ، ياخذها من اوصاف لكلام الله ، ويزعم ان مصاحف طبعت تحت تلك الاسماء فى بلدان مختلفة ، ومنها الزهرة الكاملة ، ودروس للعالم ، وتعليمات حكيمة ، ودواء القلوب .. وليست هذه باسماء للقرآن ، والمؤلف فى هذا المطلب يهرف بما لا يعرف ، ويعطي الدليل على جهله التام لما يتكلم فيه .

ويرجع هذا المؤلف فيقول : ومن المؤكد ان المهم ليس هو الاسم الذى يعطى للقرآن ، ولكن محتوياته. وقد جمع فى منتصف القرن السابع للميلاد، ويشتمل على 114 سورة . وهو مدفع الديانة الاسلامية التى ظهرت فى ذلك .

وهذا الكلام المطابق للواقع وردت فيه كلمة غريبة لا ندري ما قصد الكاتب بها ، ولكنها على كل حال تعطي معنى غير ما يقصده ، وهي قوله : « وهو مدفع الديانة الاسلامية » لانا نفهم منها ان انتشار الاسلام فى الماضي وفى الحاضر ، هو بالقرآن معجزته الخالدة ، التى تقوم مقام المدفع الذى يستعمله الطغاة ، فى نشر افكارهم ومذاهبهم ، وفرض حكمهم وسياستهم ، على الشعوب والامم ، فى حين ان القرآن الكريم بحقائقه الرائعة وتعاليمه السامية، يفتح الطريق امامه لعقيدة الاسلام وشريعته السمحة من غير سيف ولا مدفع » وهذا ما تشير اليه الآية الكريمة التى تقول خطابا للرسول (ص) : « وجاهدهم به (أي بالقرآن) جهادا كبيرا » .

ثم يقول : ان ماركس وانكل (وهما من اقطاب الشيوعية) لاحظا ان الاسلام تيار ديني مستقل ، له مفاهيمه الخاصة التى تاثرت بحياة البدو الرحل من العرب كما تاثرت بحياة العرب القاطنين بالمدن ، الذين اعطوه صفته الثابتة ، وان تدهور العلاقات التجارية بين الدول العربية فى القرن السادس والسابع هو الذي ارغمهم على الاتحاد ، يعني تحت راية القرآن .

اننا نسجل بكل ارتياح هذه الملاحظة التى اتى بها المؤلف للنيل من الاسلام ، وهي بعكس مراده تثبت عبقريته وعظمته كدين ونظام ومنهج للحياة صالح لمختلف الجماعات من بدو وحضر ، وانه الى ذلك دعوة اصيلة مستقلة بمفاهيمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وليس كما يزعم خصومه والمقللون من شانه ، الذين يقولون ان هو الا نسخة محرفة من اليهودية والنصرانية ، وان محمدا (ص) كان يتلقى بعض تعاليم التوراة والانجيل من يهود المدينة وبعض نصارى العرب ومنها الف كتابه الذي سماه بالقرآن . وقد مر بنا آنفا قول المؤلف ان النبي (ص) استمد اسم كتابه من معنى اسم كتاب اليهود. فنحن نرد عليه بهذه الفقرة التى بناها على ملاحظة قطبى الشيوعية المذكورين ولا نضربه الا باحجاره .

وتعليله لاتحاد العرب تحت راية القرآن حسب ملاحظة ماركس وانكل بالعامل الاقتصادي ، هو كما لا يخفى جنوح للنظرية المادية فى تفسير التاريخ . وعلى ما فى هذه النظرية من تهافت فاننا نرحب بأن يكون القرآن هو الذى جمع العرب على نظامه الاقتصادي الشامل والصالح لتوطيد علاقات دولهم بعضها مع بعض . وبذلك يعلم ان الاسلام ليس دينا

بمعنى اللاهوت فقط ولكنه نظام اقتصادي رائع ومنهج متكامل للحياة السعيدة الرخية .

ويتابع الكاتب تعريفه للقرآن فيقول انه كتب باللغة العربية كما هو معروف ، وان اسلوبه من قبيل النثر المقفى او المسجوع ، وهذا خطأ فالقرآن ليس مسجعا ولا مرسلا ، ولكنه مفصل تفصيلا على مثال فريد ، ولذلك تعجبت العرب من فصاحته ولم تستطع ان تجاريه لانه جاء على غير ما تعهده من اساليب الشعر والنثر .

ويقول ان عددا من المسلمين الناقصي التعليم لا يفهمونه ولكنهم يومنون به ايمانا اعمى ، وما عيب القرآن ان كان ناقص التعليم لا يفهمه ؟ وجميع الكتب كذلك لا يفهمها ناقصو التعليم ، ولاسيما ان كانت من الطراز العالي كما هو القرآن . ويناقض المؤلف نفسه حين يقول : ان المسلمين يومنون بالقرآن ايمانا اعمى وان كانوا لايفهمونه ، فمقتضى الايمان بالشيء انه مفهوم للمومن به ، والحق ان المسلمين مهما ضعف تعليمهم فانهم يفهمون كثيرا من آيات القرآن وتعاليمه واحكامه ، بدليل ان هذه الآيات تجري على السنتهم مجرى الامثال ، فليس ايمانهم به ايمانا اعمى كما يقول المؤلف ، وليس فى الاسلام ايمان اعمى لانه دين العقل والفطرة والعلم ، ولكن المؤلف يقيس على ما يعهده من مباديء الشيوعية وتعاليم الكنيسة التى تتطلب ايمانا اعمى، وهي التى تستعمل هذا التعبير واما فى الاسلام فلم يعهد استعمال هذا التعبير قط .

ويعود المؤلف للكلام على سور القرآن فيقول : ومع مرور الايام الغت احدى فرق الخوارج سورة يوسف قائلة انها لا تليق بكلام الله ، فصارت السورة 114 تحمل عدد 113 وزادت فرقة من الشيعة تسمى بعلي الهي سورة تعتقد انها نزلت فى علي .

ان هذا المؤلف يحاول بتنقيبه تحت الاحجار المنسية ان يثير الريب فى القرآن ، وما قيمة فرقة شاذة من الخوارج امام اجماع المسلمين سنيين وشيعيين على عدد سور القرآن المحصور فى 114 سورة من يوم ان سجل فى المصحف العثماني الى اليوم ؟ واين هو المصحف الذى ينشر فى العالم الاسلامي او يوجد مخطوطا من قديم لا يحتوي على هذا العدد من السور ؟ او لا توجد فيه سورة يوسف؟ او يحتوي على سورة علي حتى عند الشيعة ؟

وهل علم المؤلف قيمة سورة يوسف وما تتضمنه من تمجيد العفة وصيانة العرض والصبر على المكاره وعاقبة المومن المتقي العامل المخلص الملتزم بتعاليم الاله الداعي اليها ولو كان فى السجن كما هو حال يوسف ، من اثابته النصر والظهور والتمكين له فى الارض واعلاء قدره بين الناس ؟ انه لو قرأ هذه السورة قراءة تدبر واعتبار لما ردد قول فرقة من الخارجين على النظام العاملين لهدم الاسلام، ولكان حريا به ان يطويه على غرة ، كما طواه التاريخ ، ولم يشايع قائليه حتى اصحابهم من بقية فرق الخوارج.

ومن ينكر اليوم ما للقصص من التأثير على السلوك والاخلاق ، وقد صار فن القصة اعظم فنون القول انتشارا واكثرها استعمالا من الكتاب والفلاسفة والمفكرين ، اذ يعتبرونه اقرب الطرق لنقل الافكار وتوجيه المجتمع وتربية الشباب ؟ والقرآن قد سبق الى هذا اللون من الوان الكلام ، فان جهل منفعته طائفة شاذة من متعصبة الخوارج ، فكيف يحتج بهم مؤلف من أهل القرن العشرين ، والمفروض فيه ، وهو من رجال السلك الدبلوماسي ، ان يكون ملما بثقافة العصر وبفنون الادب الرائجة فيه ؟..

ويبرهن مرة اخرى على اقحامه نفسه فيما لا يحسنه ، وما ليس له به علم ، فيقول عطفا على ما تقدم : وعدد آي القرآن يختلف ايضا ، فالمكي 6.219 والمدني 6.000 والمنشور فى سوريا 6.229. وبمقتضى كلامه هذا لو جمعنا عدد المكي مع المدني لفاق 12.000 آية ، واذن فيكون المنشور فى سوريا هو نصف هذا العدد فقط ، وبذلك يذهب نصف القرآن .

والواقع ان عدد آي القرآن ما بين مكي ومدني هو ستة آلاف ونيف ، يختلف بعد بعض الآيات آية او آيتين فيصل هذا النيف الى مائتين وعشرين آية تزيد قليلا او تنقص قليلا ، فاين ما يزعمه هذا المؤلف من انه 12.000 آية وزيادة ، وان ما طبع فى سوريا هو نصفه فقط ، ليدخل فى وهم قارئه ان الخلاف في آي القرآن خلاف كبير يصل الى حد الضعف ؟.

ويبني على فهمه الخاطيء فى تعداد الآي قوله: « من هذا كله يتبين ان القرآن من تأليف رجال تصرفوا فيه وجمعوه على حسب اهوائهم ومصالح ساداتهم الاقطاعيين والتجار (وبيكرات) العصر »

وهكذا يستخلص من خطا فظيع حكما قطيعا .. فبعد ان كان خصوم الاسلام من كتاب الغرب والمبشرين المسيحيين ومن يسمون انفسهم بالمستشرقين يدعون ان القرآن من تاليف محمد (ص) يجيء مؤلف آخر زمن ، فيزعم ان القرآن من تاليف عدة رجال ، بناء على عدم فهمه لما ذكره العلماء فى عدد آي القرآن وخلطه بين الآيات المكية والمدنية ويقول ان ذلك ناتج من تصرف الذين جمعوه ونشروه بالزيادة والنقصان ارضاء لساداتهم وبيكواتهم .. فهكذا يكون البحث ، وهكذا يشيد دعاة الشيوعية وخصوم الاسلام صرح الالحاد المنهار !..

ويزيد هذا المؤلف العظيم قائلا فى وصف اسلوب القرآن ومحتواه : « انشاء القرآن غير منسجم ، وتناقضاته كثيرة ، وتصوراته مبهمة ، وهو يطنب كثيرا في مسالة الزكاة والجهاد ، وتوعد غير المومنين ، وفيه قسم طيب يختص بالثناء على الله والحديث عن رسوله محمد (ص) .. »

ان الحكم على انشاء القرآن قضية ليست مما يحكم فيه امثال المؤلف من الاجانب عن اللغة العربية، الذين لا يفهمون حتى مدلولات الفاظها وجملها ، ويقعون بسبب ذلك فى اغلاط شنيعة مثل التى وقعت له فى حديثه عن اسماء القرآن وتعداد آيه.. والبقية تأتي .

وحسب المؤلف، لو كان معه قليل من الانصاف، ان يقتنع بقول علماء العرب والمسلمين ان اسلوب القرآن معجز وانه الذروة والسنام فى البلاغة العربية، ويشايعهم على ذلك من لم يعمه التعصب من المستعربين الاجانب .

واما التناقضات والابهام فهي بالنسبة الى المؤلف ناشئة عن عدم الفهم الذى اشرنا اليه .. ومع ذلك فلو كان اشار الى احدها او مثل لها لكنا اجبناه ، والاحكام التى تلقى جزافا بلا دليل لاتستحق الالتفات .

بقي الكلام على ما قاله من اطناب القرآن فى مسالة الزكاة والجهاد وتوعد غير المومنين ، ونقول عليه : انه لذلك انزل وبه أوحي ، وهي دعوته التى انقذت الناس من الظلمات الى النور ، ومن عبادة الاوثان الى عبادة الواحد الاحد . وكما يطنب فيما ذكره كذلك يطنب فى مسالة الصلاة وبر الوالدين وصلة الارحام ومكارم الاخلاق والاحسان الى الخلق من انسان وحيوان والتفكر فى آيات الله وعجائب الكون ، والحض على العلم وتحكيم العقل فيما بيد الناس من مخلفات الجاهلية وآثار العهود البائدة وما الى ذلك ، مما يجب ان لا يخلو منه كتاب ديني فأحرى الكتاب صاحب الرقم الاول فى هذا الباب .. ولا ادري كيف افلتت من المؤلف ، وقد راينا سوء رايه فى القرآن من اول وهلة ، هذه الجملة التى امتدح فيها قسما من القرآن ، وهو الذي يحتوي على تمجيد الله عز وجل وذكر رسوله عليه السلام !..

وعلى عادة المؤلف فى الاستطراد يقول : « بعد القرآن ، القانون الاساسي للمسلمين ، ياتي الحديث ، وهو الاقوال والافعال المنسوبة الى النبي محمد (ص) واستنباطات ايمة المسلمين مثل الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي وغيرهم من مفسري القرآن وشراح الحديث الذين كونوا مذاهب مختلفة ، ولكنهم فى النهاية وضعوا شريعة الاسلام التى تعني قوانينه ودستوره العام الذى يحمي حقوق الطبقة المالكة » .

ان ما يقصده الكاتب من الكلام على الحديث الشريف استطرادا ، فى فصل ، انما عقده للكلام على القرآن ، هو هذه الجملة الاخيرة التى يتورك فيها على الشريعة الاسلامية ، لكونها تحمي حقوق الطبقة المالكة ، وهذا ذم وعيب وشتم لكل شريعة تتضمن حماية الملكية ، فى نظر الشيوعيين ، وفى نظري ليس اغبى من فرد او جماعة ترى رايا وتريد ان تفرضه على الناس كافة ، لمجرد انه رايها ، فان كانت الشيوعية تلغي الملكية الخاصة فلها ذلك ، ولكن ان تجعل رايها هو الصواب وان كل من خالفه على خطأ، فهو من التعصب والغلط والانانية التى لا دواء لها .

نعم ان الشريعة الاسلامية تحمي حقوق الطبقة المالكة ولكنها فى الوقت نفسه تحمي حقوق الطبقة غير المالكة من عمال وغيرهم . وقد راينا فى التاريخ الاول للاسلام كيف وقف الخليفة الاول بجنب الفقراء لما منع الاغنياء عنهم الزكاة ، والخليفة الثالث كيف وقف بجنب الاغنياء لما طمع الفقراء فى اكثر مما اوجب الله لهم فى مال الاغنياء . وكما يقول القرآن : (قد جعل الله لكل شيء قدرا) .

ويختم الكاتب هذا الفصل بعموميات يقول فيها: « ان الايمة والشيوخ لم يفتأوا طوال القرون السالفة يرسخون فى عقول العامة خرافات خيالية

حول خلق الله للدنيا وخلق الانسان ووضعية المراة المهينة ، والملائكة والشياطين الى آخره » .

وكلام مثل هذا ملقى على عواهنه ، تتقزز منه نفس الباحث الذي يعتمد المنطق والدليل فى كلامه ، فكيف يرد على اقوال سوقية وافكار عامية ، هي انسب بالاميين منها بالمثقفين . فهل اتتنا الشيوعية بحقائق عن خلق الدنيا وخلق الانسان ؟ وهل وضعية المراة فى اي مذهب او نظام تحرري ، دع عنك الشيوعية ، هي افضل من وضعيتها فى الاسلام ؟ ولا ادخل فى التفاصيل، لان صاحب كتاب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ، انما يلقي بالتهم والمطاعن وهو قار فى الشارع . وهل ان كانت حفنة من الملاحدة لا تعتقد بوجود الملائكة والشياطين ، يصبح ذلك دليلا وحجة على اتباع جميع الاديان ، وهم سكان المعمور كافة ، الذين يومنون بوجودهما ؟

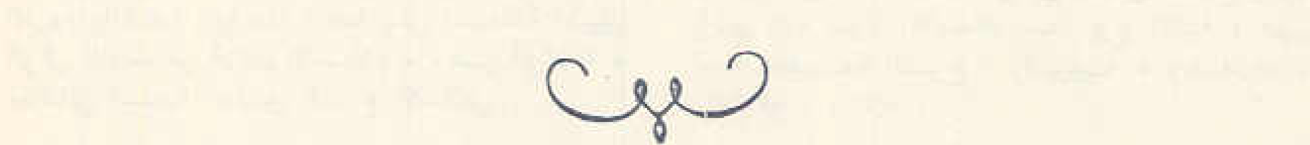
ان كلام هذا المؤلف وانتقاداته ومطاعنه تشبه فيما يخيل لي طبيعة النظام الذي يدافع عنه ، والذي يقوم على القوة والسلطان ، فهو يدلي من فوق بافكاره وآرائه ، ويعتقد ان على الناس ان يعتنقوها ويومنوا بها احبوا ام كرهوا .. فيا للسخافة !..

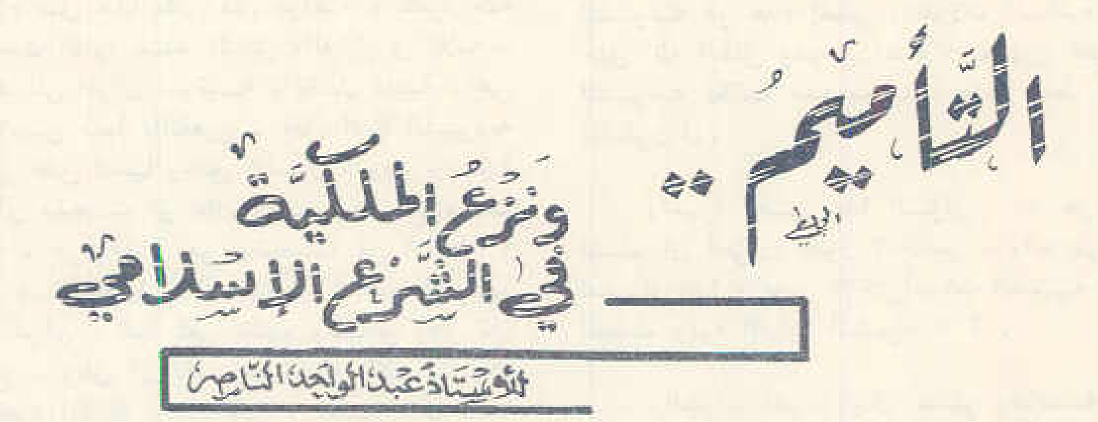
ثم يطلق احكاما اخرى اكثر عمومية من التي قبلها مثل قوله : « ان الانسان بحسب القرآن والشريعة الاسلامية يفقد ارادته وحرية الاختيار وان القرآن ضد التقدم والحرية ، ضد العلم والثقافة، ضد سعادة البشرية اي ضد الشيوعية » كأن مدلول الشيوعية هو هذه المعاني والمقولات السامية ، ومنذ خلق الله الخلق وهم فى الضلالة يعمهون حتى جاءت الشيوعية فكانت هذه معطياتها ولكن فقط لمن لها يعتنقون !..

واخيرا يلقي هذا السؤال : « هل يعتقد المسلم ان القرآن قانون لا يتغير ، وانه بقي صالحا لعصرنا هذا ، عصر الاختراعات العلمية وريادة الفضاء وقوة الارادة البشرية » ؟ .

والجواب نعم ، وكل مسلم وخاصة الذين جربوا الشيوعية ، يقولون نعم ، بدليل انهم نبذوها نبذ النواة ، وولوا وجههم لدينهم القويم ودستوره الخالد الذي هو القرآن ، وليس يقض مضجع الشيوعيين وغيرهم من اصحاب المذاهب والنظم سواء كانت يمينية او يسارية ، شيء مثل هذا المد الاسلامي الذي يرتفع يوما عن يوم فى جميع اقطار العالم الاسلامي بالمشرق والمغرب (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا) .

عبد الله كنون





حين تذهب الى ان التأميم غير معروف وغير مقبول في الاسلام ، فليس ذلك بدافع « تنويم التطلع المشروع الى تغيير الواقع الاستعماري ورواسبه » ، كما ذهب احد المحترفين للصحافة ، في جريدة مغربية تخصص صفحة اسبوعية للتعريف بقضايا الاسلام والمسلمين ؛ ولكن لايماننا بان الاسلام نظام كامل للحياة ، لا صلة له بالنظريات والمفاهيم الحديثة ، سواء كانت اشتراكية او راسمالية .

وعلى هذا الاساس وحده ندرس موقف الاسلام من التأميم ، وهو الاساس الذى افضى بنا الى القول بأن التأميم يتناقض مع التأميم حين يعني القضاء على ملكيات شخصية ، اكتسبها اصحابها بالطرق الحلال ، بقصد اقامة نمط جديد للملكية ، يزعم اصحابه انه حتمية تاريخية . فهذا النمط الجديد للملكية ليس الا بديلا جاهليا « للملكية الاسلامية » ، وسيطرة من السلطة الفعلية في الدولة على موارد الثروة وادارتها وتوزيعها ، مما يعني استحالة تطبيق الركن الثالث من اركان الاسلام ، وهو الزكاة ، وبالتالي استحالة تطبيق الشرع الاسلامي .

وسنلقي الآن بعض الاضواء على نزع الملكية في القانون الاسلامي والقوانين الوضعية ، فنبين بعض ما بينهما من فروق واختلافات ، يجهلها كثير من دعاة التأميم وانصاره في المنطقة الاسلامية ، لنقارن بعد ذلك بين الحالات التي يجيز فيها الشرع الاسلامي نزع الملكية ، وبين التأميم ونزع الملكية كما تنتظمهما القوانين الوضعية .

— * —

نزع الملكية بين القانون الاسلامي والقوانين الوضعية

بعض انصار التأميم ، لاسيما من لهم المام بالفقه الاسلامي او بالدراسات الاسلامية المعاصرة ، يذهبون الى تجويز التأميم على اساس اقرار الاسلام لمبدا نزع الملكية لمصلحة خصوصية او عمومية . والواقع ، ان التسليم بهذه النظرية ، ولو كان بغض النظر عن الاعتراضات الاساسية الاخرى التى تعرضنا لها من قبل ، لا يعتمد على اي اساس صحيح ، ولا يؤدي اليه سوى الاعتداد بمبدا نزع الملكية ، دون اعتبار لطبيعة النزع ، واسبابه ، وحدوده ، واهدافه ، وآثاره .

فأصحاب هذا الراي لا يتنبهون بالمرة الى ان الشرع الاسلامي والقوانين الوضعية ، وان كانت تتفق على اقرار مبدا نزع الملكية ، فانها مع ذلك

(1) في الاصطلاح القانوني الوضعي ، يميزون بين نزع الملكية للمنفعة العمومية ، وهو اجراء يمكن معارضته ، وبين التأميم وهو نزع للملكية لا يقبل المعارضة ، ينقل ملكية وسائل الانتاج من الافراد الى الجماعة .

تختلف فيما بينها اختلافا جذريا ، لا يمكن ان يقارن الا بمقدار الاختلاف القائم بين الاسلام والاشتراكية والراسمالية .

ومن الواضح، ان التغاضي عن هذا الاختلاف، بالاضافة الى انه يخدم الاشتراكية او الراسمالية وليس الاسلام ، جعل انصار هذا الراي يختلفون فيما بينهم حول قضية التعويض ، فذهب بعضهم الى وجوب التعويض العادل حتى لا تكون عملية التاميم او نزع الملكية عملية غصب ، وذهب آخرون الى عدم وجوب التعويض مبدئيا ، وهذا ما سنعود اليه في مقال مستقل ان شاء الله .

نزع الملكية في القوانين الوضعية

فالراسمالية المعاصرة تاخذ بشعار نزع الملكية للمصلحة العمومية ، الذى ينصب على العقارات وحدها ، وفى حالات محدودة جدا ، بعد ان كانت لقرون خلت لا ترى اية مشروعية فى نزع الملكية العقارية لاي فرد من الافراد ، لوجود مصلحة عمومية فى ذلك .

على ان نزع الملكية فى قوانين البلاد الراسمالية، وان كان يقترن بالمصلحة العامة ، فانه ليس له منها فى غالب الاحيان سوى الاسم . وهذه نقطة خلاف كبيرة بين هذه القوانين والقانون الاسلامي الذى يمتد فيه النزع الى المنقولات والعقارات معا ، ويقف بالنسبة لهما عند حدود لا تقف عندها تلك القوانين ، ومنها عدم النزع بقصد توفير اماكن الترفيه واللهو للمواطنين المحظوظين او للسائحين الاجانب .

أما الاشتراكية ، وهي من الناحية العملية تستوعب ما يسمى اليوم بالتجارب الشيوعية ، فتاخذ بنزع الملكية تأسيسا على اعتبارات اقتصادية وسياسية واجتماعية ، يمكن جمعها تحت شعار احداث المساواة الاقتصادية بين الناس بواسطة التاميم ، وهو نقل ملكية العقارات والمنقولات من القطاع الخاص الى القطاع العام .

واذا كان التاميم فى جوهره ، نزع للملكية ، لا يثير اي التباس على صعيد قوانين البلاد الاشتراكية ، ما دامت هذه القوانين تبرره باحداث مساواة اقتصادية بين افراد المجتمع ، فان ذلك يشكل بداية خلاف كبير بين هذه القوانين والقانون الاسلامي ، الذي يحمي تفاوت الناس فى الثروات والارزاق ويحقق العدل الاقتصادي بينهم بطريقة اخرى غير طريقة المساواة الجبرية .

على ان الاختلاف بين الراسمالية والاشتراكية، لا يمنع من القول بأن دولة رأسمالية كفرنسا قد اخذت بالاسلوبين معا ، وبان القانون الفرنسي تبعا لذلك ، وكذا الفقهاء الفرنسيون ، يميزون بين التاميم ونزع الملكية للمصلحة العمومية المنصب على العقارات وحدها . لكن هذا التمييز يكاد ينعدم بالنسبة لكثير من الكتاب المنتسبين للاسلام ، رغم ان بلادهم تاخذ بالاسلوبين معا على الطريقة الفرنسية.

وعلى غرار ذلك لا يميزون بين نزع الملكية والتاميم اللذين تنظمهما القوانين الوضعية ، ونزع الملكية فى الشرع الاسلامي ، رغم ان الاخذ بالاسلوب الراسمالي ، او بالاسلوب الاشتراكي ، او بهما معا ، يقتضي احداث تشريع يخالف التشريع الاسلامي من حيث المبدأ والوسائل والغايات .

نزع الملكية فى الشرع الاسلامي

فبالرجوع الى القرآن الكريم ، نجد الله عز وجل يحذر المؤمنين من ان ياكلوا اموالهم بينهم بالباطل ، ويأمرهم بالتزام مبدأ التراضي فى تجارتهم ومعاملاتهم ، وبعدم خرق نظام التفاوت الذى يقيمه الاسلام فى حياتهم .

كما ان الرسول عليه الصلاة والسلام ، ذكر المسلمين فى حجة الوداع بان المسلم أخ للمسلم ، وانه لا يحل لامرئ من أخيه الا ما اعطاه عن طيب نفس منه ، وبأن دماءهم واموالهم حرام عليهم ..

فهل ينطبق هذا التحريم على الدولة كانطباقه على اي فرد ؟.. الحقيقة ان التحريم ينطبق على الدولة مثلما ينطبق على الفرد . فاذا كان من المحرم على اي فرد ان ينزع جزءا من ثروة فرد آخر بحجة المساواة معه ، فانه من المحرم على الدولة ايضا ان تنزع من الافراد المالكين ثرواتهم وارزاقهم بحجة اقامة المساواة بين افراد المجتمع ، فالله فضل بعض الناس على بعض فى الرزق ، وجعل بعضهم لبعض سخريا ، وفرض عليهم جميعا التزام قواعد الشرع كافراد وكدولة .

ومن هنا يتضح ان نزع الملكية بقصد احداث المساواة الاقتصادية بين الناس بدعة ما انزل الله بها من سلطان ، وليس له اي سند في الاستثناءات التى اباحها الشرع لصالح الفرد كحق الشفعة او لصالح الجماعة كاجبار المحتكر على البيع .

وما يغفله الكثيرون ، هو ان هذه الاستثناءات تتقلص كلما كان الامتثال للشرع اكثر ، وتتكاثر كلما نقص الامتثال لاوامر الشرع ونواهيه . ولهذا السبب ، ورغم الانحراف الكبير في الحياة السياسية للمسلمين ، لا نجد في التاريخ الاسلامي امثلة لنزع الملكية غير هذه الاستثناءات .

وقد فسر الدكتور عبد الحميد متولي هذه الظاهرة بافتاء العلماء المسلمين في بعض العصور بعدم جواز نزع ملكية الارض خشية ان يعمد الحكام الى نزع ملكية الافراد باسم الصالح العام ، في حين انهم يخفون وراء ذلك بعض الاهواء والنزعات الاستبدادية ، كما حدث في عهد حكم الظاهر بيبرس (2) .

لكن هذا التفسير اساسه الخلط بين نزع الملكية الذى عارضه اولئك العلماء ، والمتعلق بأراضي الاوقاف وحدها ، وبين نزع الملكية كما تنتظمه القوانين والمفاهيم العصرية . والظاهر ان الدكتور متولي يشير الى العلماء الذين تزعمهم الامام النووي الذى عاصر حكم الظاهر بيبرس . وافتاء هؤلاء العلماء بعدم جواز نزع الاراضي من الناس ، يرتكز على اسس سليمة لا مجال لانكارها ، ولم يكن خشية استبداد الحكام او استغلالهم للمصلحة العمومية ، لان اكثرهم طغيانا لم يجرأ على نزع ملكية اي فرد دون مبرر شرعي او فتوى شرعية . ولولا كون تلك الاراضي اراضي أوقاف ، لما حاول أولئك الحكام رد تلك الاراضي الى وضعيتها الاصلية .

الخلط بين اسلوبي النزع

والواقع ان خلط الدكتور متولي بين اسلوب النزع الاسلامي واسلوب النزع كما تعرفه القوانين الوضعية ، يرجع الى توفره على ثقافة قانونية وضعية ، حاول ان يخترق بها حرمة الفقه الاسلامي المصونة .

فهو يرى انه كان من الاوفق ، بدلا من منع نزع الملكية خشية استبداد الحكام ، تنظيم مسألة نزع الملكية عن طريق تشريع يتضمن من الضمانات ما يحول دون اساءة استعمال السلطة او العبث او العسف من جانب الحكام ، وهذا ما تراعيه التشريعات الحديثة (3) .

ويتجلى من هذا ان الاستاذ متولي لا يرى اي فرق بين الملكية الاسلامية من جهة ، والملكية الراسمالية والملكية الاشتراكية اللتين تنتظمهما التشريعات الحديثة من جهة اخرى ، رغم انهما تختلف عنها من حيث مصدرها ، ومن حيث موضوعها ومن حيث غايتها ، ومن حيث شروط نزعها من اصحابها . كما غاب عنه ، انه تبعا لذلك ، لم يكن يحق لاولئك العلماء ، ولا لمن يأتي بعدهم ، ان ينظموا مسألة نزع الملكية بتشريع جديد على نسق التشريعات الحديثة .

اما اساءة استعمال السلطة ، والعبث ، والعسف من جانب الحكام ، التى ظن الدكتور متولي انه وجد فيها مبررا للاقتداء بالتشريعات الحديثة ، فليس لها من دواء يشفي سوى اخضاع هؤلاء الحكام لاوامر الشرع ونواهيه ، وهو ما توفق فيه اولئك العلماء ، واستطاعوا به ان يحققوا عدول اولئك الحكام عما كانوا يرمون اليه .

واذا كانت فتوى اولئك العلماء ترتكز على نصوص شرعية صريحة وقاطعة تمنع نزع الملكية من الافراد دون حق شرعي ، فان الامر يختلف بالنسبة لما افتى به بعض العلماء من قفل باب الاجتهاد ، فهذه الفتوى الاخيرة لا ترتكز على اي نص . ويبدو ان الدكتور متولي اغفل هذه الحقيقة ، حين ذهب الى ان فتوى بعض العلماء بمنع نزع الملكية تعيد الى الذاكرة ذكرى تلك الفتوى غير الموفقة التى افتى بها الفقهاء في اواخر القرن الرابع الهجري من قفل باب الاجتهاد كعلاج لما ساد من فوضى وفساد في ذلك الزمان . فهؤلاء الفقهاء ، في نظره ، عالجوا الداء بدواء اشد ضررا من الداء ، اذ ان اليد التى تمتد

(2) مبادىء نظام الحكم في الاسلام ص 772 .
(3) المرجع السابق ص 773

الى قفل باب الاجتهاد ، اي طريق التطور فى وجه اي شريعة من الشرائع انما تفتح امامها فى الوقت ذاته باب الاحتضار او بالاقل طريق الانهيار (4) .

فليس هناك اذن ما يبرر المماثلة بين فتوى تستند على نصوص شرعية تمنع نزع الملكية الا فى حالات محصورة ، وبين فتوى اخرى تقفل باب الاجتهاد دون ان تستند على اي نص يجيز اقفاله ، ومع ذلك فان السبب الذى دفع بفقهاء ذلك الزمان الى سد هذا الباب الذى اراد ان يدخله البعض بغير حق كما يريد ان يدخله البعض اليوم ، يتجلى فى انه تصدى للافتاء والاجتهاد من لم يصل الى مرتبة الفقهاء والمجتهدين .

وما من شك فى ان تلك الفتوى التى وجدت حجيتها فى قيام اجماع عليها ، قد جنبت المسلمين مزالق خطيرة الى ان يستطيعوا انجاب مجتهدين اكفاء يستطيعون مواصلة الطريق الذى وقف عنده الاجتهاد السليم .

وبالطبع ليست هناك فى الوقت الحاضر ، تجربة اسلامية بالمعنى الصحيح ، يمكن لبعض المسلمين ان يصلوا عبرها الى مرحلة الاجتهاد ، الذى اغلق بابه بحق فى وجه كل من سحقته الثقافات الجاهلية قديما وحديثا ، وصار يحتكم الى الطاغوت بدل الاحتكام لشريعة الله عز وجل .

ان فتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، كما يريد الدكتور متولي ، مشروط باجابة اسلامية حقيقية على هذه الاسئلة : لمن تخول صفة المجتهد ، هل لرجل الشرع الاسلامي ، الملتزم لقواعده ، الملم بكل جوانبه ، او المتخصص فى احداها ؟ ام لذلك الاقتصادي المتخصص الذى درس فى جامعات اوربا وامريكا وروسيا وسحقته ثقافاتها ؟ ام لرجل القانون الدستوري والانظمة السياسية الذى يرى فى التشريعات الحديثة القدوة الحسنة ، ولا يرى بأسا بالاشتراكية العربية ؟! .

ان جواب الدكتور متولي على هذه الاسئلة ، نجده واضحا فى قوله : « ان المساس بحق الملكية عن طريق تأميمها او نزعها انما يتصل فى المقام الاول باعتبارات اقتصادية ، وفى المقام الثاني باعتبارات سياسية واجتماعية ، ولذلك فمن الواجب الرجوع اولا الى آراء رجال الاقتصاد (5) .

فالقضية اذن اقتصادية بحتة ، وعلى النمط العصري ، ولا يحق بعد ذلك للامام النووي ولا لغيره من العلماء المسلمين ، ما دام المرجع الاول هم رجال الاقتصاد الذين تربوا فى احضان الجاهلية المعاصرة، ان يفتوا بعدم جواز نزع الملكية فى الشرع الاسلامي استنادا على الاعتبارات الشرعية وحدها . ويمكن تبعا لذلك ، ان يسن رجال القانون ، وفقا لرغبات الحكام ، واهواء السياسيين ، تشريعا لنزع الملكية ، وفقا لما تراعيه التشريعات الحديثة !!

— ＊ —

حالات نزع الملكية فى الشرع الاسلامي

لقد حاولنا ، لحد الآن ، تحليل فكرة نزع الملكية فى الشرع الاسلامي والقوانين الوضعية على ضوء المبادىء العامة ، وسنحاول مواصلة هذا التحليل من زاوية اخرى ، نتبين منها ان نزع الملكية فى ظل القانون الاسلامي ، انما يتم فى حالات استثنائية ، لا يصح جعلها قاعدة عامة ، بناء على الاعتبارات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى تأخذ بها بعض التجارب المعاصرة .

ولا نريد ان نكرر من جديد ما سبق ان بيناه عند عرضنا للخطوط العامة لنزع الملكية فى الشرع الاسلامي ، فمن المسلم به ان الرضى هو اساس جميع المعاملات فى المجتمع الاسلامي ، وانه استثناء يصح انتزاع الملكية من اصحابها ، بموجب نص شرعي ، او لضرورة خاصة او عامة .

هذه الحقائق لا يستطيع ان ينكرها من له المام بالشرع الاسلامي ، لكن البعض ، ممن استهوتهم النظريات والمفاهيم الحديثة ، ينطلقون من عدم توفر رضى اصحاب الملكية فى حالات نزع الملكية المباحة شرعا ، للقول بجواز انتزاع الملكية من المالكين بوصفهم طبقة مالكة .

(4) المرجع السابق ص 772

(5) المرجع السابق ص 771 .

شبهة انعدام الرضى

على ان الاحتجاج بعدم توفر عنصر الرضى فى تلك الاستثناءات ، وهو يعني اجازة التاميم دون قيد ولا شرط ، لا يثبت أمام التحليل ، رغم ما بذله الدكتور السباعي من جهد جهيد : « بقي ان يقال ان نصوص الشريعة قاضية باحترام الملكية الشخصية ، وأنه لا يجوز اخذ المال الا برضى من صاحبه ، والتاميم انتزاع للملكية بغير رضى صاحبها، وجوابنا على ذلك ان تلك النصوص ليست على اطلاقها باجماع الفقهاء ، فما فعله الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثم عمر والخلفاء من بعده من حمى بعض الاراضي هو انتزاع للحق من أصحابه بغير رضاهم ، وجواز أخذ الطعام عند الحاجة ممن ليس محتاجا اليه ، هو اخذ للمال من غير رضى صاحبه ، واجبار المحتكر على بيع ما احتكره وبيعه عليه اذا ابى، هو انتزاع للمال من غير رضى صاحبه ، وبيع القاضي مال المدين سداد لديون الفرماء — على راي جمهور الفقهاء — هو انتزاع للمال من غير رضى صاحبه ، واخذ الشريك ما باعه شريكه من عقار مشترك بينهما بحق الشفعة هو انتزاع للمال من غير رضى صاحبه، والاستملاك للمنفعة العامة كما تفعل البلديات اليوم وهو جائز فى الشريعة ، انتزاع للمال من غير رضى صاحبه ، وامثال هذا كثير فى الفقه الاسلامي » (6) .

والملاحظ ان الدكتور السباعي لم ينكر عدم جواز الملكية بدون رضى صاحبها ، اذ يقول بأن النصوص القاضية باحترام الملكية الشخصية « ليست على اطلاقها باجماع الفقهاء » . فالحمى ، واخذ الطعام عند الضرورة ، واجبار المحتكر على البيع ، وبيع القاضي لمال المدين سداد للديون، وحق الشفعة ، وحق الدولة فى النزع لضرورة عامة ، كلها استثناءات على تلك القاعدة الاساسية ، لا يتوفر فيها رضى صاحب الملكية ، لكن الدكتور السباعي رحمه الله، لم ينتبه الى انها رغم ذلك لا تبرر التاميم، وليس فيها ما يجيزه لسببين :

الاول : انها كلها تحفظ حقوق الاغيار بصفتهم الفردية ، وتهم ، من حيث النزع ، اشخاصا معينين، لم يراعوا قواعد الشرع ، او لا يمنحهم هذا الشرع حق الافضلية ، وليس المالكين كفئة مالكة . ودليلنا على ذلك ان تلك الاستثناءات لا تهضم حقوق المالك الاصلي ، ولا تقضي عليها لفائدة المجموع كما يقصد اليوم من التاميم .

والثاني : انه بالاضافة الى اعترافه بعدم جواز النزع الا فى حالات استثنائية ، يضيف الى كل ذلك ، اشتراطه للتعويض العادل ، وهذا ما ينفي عن « نزع الملكية » الذى يدعو له ، طابع التاميم بالمفهوم الاشتراكي ، ويجعله بيعا اجباريا . والبيع الاجباري، كماسنرى فيما بعد ، يخضع لقواعد اخرى ، لا يمكن اخضاع التاميم لها .

والى جانب ذلك كله ، فالدكتور السباعي يخلط بين نزع الملكية لصالح الفرد ، وبين نزعها لصالح الجماعة ، رغم ان نزع الملكية لصالح الفرد ، ليس الا حماية للتملك الخاص من أي عدوان عليه ، ورغم ان كل حماية من هذا النوع ، هي رفض صريح للتاميم !

نزع الملكية لصالح الفرد

فاخذ الطعام عنوة عند الضرورة ، وبيع القاضي لاموال المدين سدادا لديونه ، وحق الشفعة، وما يماثل ذلك ، كلها ، وان لم يتوفر فيها عنصر الرضى ، لا تصلح اساسا او سندا لتعميم مبدأ نزع الملكية ، او للتاميم .

— اخذ الطعام عنوة عند الضرورة

وينبغي التمييز باديء ذي بدء بين اخذ الطعام عنوة لفائدة شخص ، واخذه لفائدة جماعة . فعلى الصعيد الفردي ، ليس هناك خلاف بين العلماء المسلمين فى جواز أخذ الطعام عند الحاجة ممن ليس محتاجا اليه . لكن هذا وضع شاذ ، لانه يتعلق بفرد معين ، او بافراد معينين ، لحقهم الجوع دون ان يجدوا ما يدفعونه به . والمضطر فى هذه الحالة ، يجب ان يؤدي ثمن ما اخذه ، فان لم يكن عنده فهو مدين به . ومع ذلك ينبغي الا يغيب عن البال ، ان

(6) اشتراكية الاسلام للدكتور مصطفى السباعي ص 163 و 164 الطبعة الاولى ، والملاحظ ان الحمى ليس انتزاعا للملكية .

الاسلام يحتم على اتباعه اطعام الجائعين ، وانه من المستبعد جدا وجود من يمتنع عن اطعام الجائع فى مجتمع اسلامي ملتزم .

اما اذا تعلق الامر بمجاعة ، وهذا امر يهم الجماعة المسلمة ككل ، فان الاسلام يخول لولي الامر حق تكليف الاغنياء بالفقراء بحسب طاقاتهم . وهذا الحل يبين حقيقتين : الاولى ان الشرع الاسلامي لا يحدد الملكية ، والثانية ان علاج الازمة العارضة لا يكون فى الاسلام عن طريق نزع الملكية .

فالحاجة الى الطعام والفقر بصفة عامة ، وجدت فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفى عهد خلفائه الراشدين ، ومع ذلك لم يتم نزع ما لدى الاغنياء من ثروات وارزاق بحجة اطعام الفقراء ، او بحجة احداث المساواة الاقتصادية ، وانما اتخذت تدابير مؤقتة ليست بالنزع ولا بالتأميم . وليس هناك احسن وافضل من الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وما بعد الهدى الا الضلال !

ـ بيع القاضي لاموال المدين

ويبدو الوهن جليا فى الاحتجاج ببيع القاضي لاموال المدين سدادا لدونه ، على جواز نزع الملكية من صاحبها بغير رضاه . فمديونية المدين نتجت عن اخذ مال غيره ، وعليه شرعا ان يرجع هذا المال الى صاحبه ، فان لم يؤده ، جاز للدائن ان يلتجيء الى القضاء الاسلامي ليرغمه على الوفاء بدينه . وان كان فى هذه العملية وجه شبه مع نزع الملكية بواسطة القضاء ، فانها نزع لفائدة المالك الاصلي الذى اخذ منه ماله دون ان يرجع اليه ، وهذا هو وجه الخلاف .

ان نزع ملكية المدينين فى هذه الحالة ، يرجع لكونهم « مدينين » ، اما من تؤمم املاكهم ، فان النزع ينطبق عليهم لكونهم « مالكين » ... وتبعا لذلك فان الامر بالنزع فى البيع القضائي المذكور يصدر اوامره بالنزع لفائدة اشخاص معينين بصفتهم الفردية ، ولتوفرهم على صفة الدائنين ، ولامتناع المدينين على الوفاء بديونهم ، فتنتقل الاموال من المدينين الى الدائنين لتاخذ ثرواتهم حجمها الطبيعي .

لكن النزع عند التأميم ، يتم بموجب قانون لا يحتاج تنفيذه الى قضاء ، ويطبق على المالكين ، فينقص من ثرواتهم الى حد معين ، او يساويهم مع بقية افراد المجتمع .

ـ حق الشفعة

وكبيع القاضي لاموال المدين سدادا لديونه ، لا يصير حق الشفعة نزعا اجباريا للملكية الا اذا رفع الى القضاء ، فاذا مورس حبيا ، فليس فيه اي اجبار سوى الالزام الذى يستمده من الشرع . ولذلك لا يمكن ان يتخذ بدوره قرينة على جواز التأميم ، اعتمادا على انتفاء عنصر الرضى فيه ، لانه يمارس لفائدة مالك على الشياع ، اعطاه الشرع حق الافضلية .

وعلى هذا الاساس ، لا يمكن للدولة ان تستفيد من حق الشفعة الا كاي فرد عادي . فيحق لها ان تشفع حق شريكها البائع ، لكنه لا يجوز لها ان تجبره على البيع ، لتحل محله ، الا اذا وجدت مبررا شرعيا لذلك .

والامثلة التى ذكرناها لحد الان ، تؤكد صراحة وضمنا ، وجود التفاوت فى الثروة والرزق بين افراد المجتمع الاسلامي ، والا لما اعطى الشرع الاسلامي للشريك حق الشفعة اذا باع شريكه حقوقه ، ولما اعطى للدائنين حق استيفاء ديونهم بواسطة القضاء الاسلامي ، ولما اباح اخذ الطعام ممن ليس فى حاجة اليه .. فهذه الامثلة ، رغم فرعيتها ، تبين مجتمعة ومنفصلة ، تناقضها مع التأميم ، وتبين ان تدخل الدولة لاحداث المساواة لا يعني سوى استبدال النظام الذى يقيمه الشرع الاسلامي بنظام آخر .

نزع الملكية لصالح الجماعة

لكن شبهة التوافق بين نزع الملكية فى الشرع الاسلامي والتأميم ، لا تثور بحق ، الا حين يتعلق الامر بالاجبار على البيع لصالح الجماعة .. فهل يمكن القول بوجود توافق بين البيع الاجباري لفائدة الجماعة الذى يسمح به الشرع الاسلامي ، ونزع الملكية كما تعرفه القوانين الوضعية ؟..

ـ البيع الاجباري

الحقيقة ان اي بيع من الوجهة الاسلامية ، يجب ان يكون قائما على الرضى ، ولذا فالبيع

الاجباري ، رغم الترخيص به لفائدة الفرد كما فى حالة الشفعة ، او لفائدة الجماعة كما فى اجبار المحتكر على البيع ، هو استثناء ، لان البيع بصفة عامة يخضع لقواعد صارمة ، منها انعدام الاكراه بصوره المتعددة ، وانتفاء الاضطرار باشكاله المختلفة .

والملاحظ ان التعويض العادل ، يعد شرطا اساسيا لا غنى عنه ، والا فقدت العملية صفة البيع الاجباري . وعلى هذا الاساس ، يمكن القول بان نزع الملكية ، او التاميم ، الذى لا يكون مصحوبا بتعويض عادل ، او الذي يكون مصحوبا بتعويض رمزي او صوري ، هو من قبيل الغصب ، والغصب حرام . واكثر من ذلك فان نزع الملكية كما تعرفه القوانين الوضعية ، لاسيما المعروف منه باسم التاميم ، ليس له حدود سوى تلك التى تقررها السلطة العامة . ومعنى ذلك انه اذا اجيز على اساس انه بيع اجباري مسموح به شرعا ، ولو كان بمقابل تعويض عادل كما اشترط الدكتور السباعي، سيتسع نطاقه، وسيخرج بذلك عن النطاق الذى حدده له الشرع، وسيبتعد عن طبيعته الاستثنائية .

ومتى اصبح البيع الاجباري قاعدة عامة ، بدلا من كونه استثناء ، فانه سيصير ، اذا كان بمقابل تعويض عادل ، بيع اكراه ، وهو بيع باطل من الوجهة الشرعية ، ولو وجد القضاء الاسلامي لقضى ببطلانه .

ـ الاستملاك للمنفعة العامة

وقد يدفع البعض بأن المصلحة العامة تقتضي احيانا ، نزع ملكية العقارات من اصحابها ، لكن هذا لا يكفي فى حد ذاته لتعميم مبدا البيع الاجباري المسموح به شرعا ، لانه يفضي الى تجريده من صفته الاستثنائية . وليست هناك مصلحة عامة ، من الوجهة الاسلامية ، فى تغيير نظام التفاوت الاسلامي ، وفى ايقاف احكام الشرع الاسلامي عن السريان ، وانما هي توجد بالامتثال الكامل لقواعد الشرع ونواهيه .

فتوسعة الطريق التى ضاقت بالناس ، على حساب الاملاك الخاصة ، تجد مبررها الشرعي فى المصلحة العمومية . لكن النفع العام بالمعنى الاسلامي، لا يوجد حينما يقع توسيع الطريق لحساب من يملك قوة السلطان او سطوة المال ، او لمجرد التباهي والتفاخر ، فى وقت يوجد فيه من يحتاج الى قوت يومه ، ولا يجده .

وهذا يكفي للقول ، بأن ما تفعله البلديات اليوم ، ليس كله جائز ، ففي احيان كثيرة ، كما يقول الشيخ محمد الحامد فى تعقيباته على آراء الدكتور السباعي ، تنزع الملكيات لمحض التجميل والتنسيق او للترفيه بنحو انشاء الحدائق للنزهة ، وهذا بمجرده لا يبرر العدوان على ممتلكات الناس (7) .

وقد يبدو فى كلام الشيخ الحامد بعض الغرابة، بالنسبة لمن اعتادوا التسليم بكل ما تفعله بلديات اليوم ، لكنه على حق فيما يذهب اليه ، لان التجميل والتنسيق وحدائق النزهة ، لا يتمتع بها اولئك الذين يعملون ليل نهار ، والذين لا يجدون وقتا للراحة والاستمتاع ، ولكنها تكاد تقتصر على أصحاب الجاه والمال والسلطان . فهؤلاء وحدهم يستطيعون قيادة سياراتهم الفاخرة فى الطرق الجميلة المنسقة ، وهؤلاء وحدهم هم الذين يمكنهم التنزه فى الحدائق والاستمتاع بها .

ـ اجبار المحتكر على البيع

وكما هو الشان بالنسبة للعقارات ، فان البيع الاجباري الشرعي لفائدة الجماعة ، مقيد بدوره بقيود تحد من شموليته ، وتحول دون تعميمه ، ومنها :

اولا : ان توجد ضرورة عامة تستدعي الاجبار كحدوث مجاعة او ازمة اقتصادية ، فهذه من الضرورات التى تبيح المحظورات .

ثانيا : يعطى تعويض عادل لمن مارست عليه الدولة مثل هذا الاجبار .

ولعل اجبار المحتكر على البيع هو افضل مثال لاستثنائية البيع الاجباري للمنقولات . ولنتبين ذلك نطرح السؤال التالي : هل الاجبار هو الوسيلة الاسلامية الوحيدة لمجابهة الاحتكار ؟

---

(7) نظرات فى كتاب اشتراكية الاسلام على ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الائمة ، الطبعة الاولى ص 90 .

بكل تأكيد ، الاجبار ليس الوسيلة الوحيدة ، وهو آخر حل يرتضيه الاسلام فى مثل هذه الحالات، لانه يفرض على المسلمين عدم الاضرار بغيرهم ، ويحرم عليهم الاثراء باستغلال حاجة الناس واضطرارهم . فالاحتكار يكون منعدما اذا وقع التقيد باحكام الشرع ، وكلما وقع التحلل من هذه الاحكام ، كلما ترعرعت اوصافه ، وكثرت اعراضه. ومتى كانت المشاريع الاقتصادية غير خاضعة لهذه الاحكام ، فانه لا حاجة الى البحث عن اسلوب آخر ، بل يجب تطبيق تلك الاحكام .

فتطبيق الشرع الاسلامي يمنع وجود المحتكرين ، وان وجد من يحتكر ، فانه يحق للسلطة العامة فى الدولة الاسلامية اجباره على بيع ما احتكره . وليس فى هذا الاجبار ما يسوغ للدولة ، بحجة المساواة الاقتصادية ، او بغيرها ، الزام الناس على التخلي عن املاكهم ومشاريعهم .

وهكذا ننتهي الى ان نزع الملكية فى الشرع الاسلامي يختلف ، جملة وتفصيلا ، عن نزع الملكية كما تعرفه القوانين الوضعية ، اشتراكية ورأسمالية.

الرباط ــ عبد الواحد الناصر





مظاهر الدولة الاسلامية

قامت الدولة الاسلامية على اساس العدالة والاصلاح . فكان لها مظاهر :

ـ ان من لم يعرف الجاهلية لم يفهم اساليب الاصلاح فى الاسلام . ومن لم يعرف اسلوب الحكم فى الروم والفرس لم يعرف مظاهر الحكم الاسلامي العادل .

ـ **فى الجزيرة العربية :** تفكك ، وعصابات للسطو . وصعاليك للسلب والنهب . لا حكومة ولا قانون ـ والجزء الشمالي خاضع للروم . والجزء الشرقي والجنوبي خاضع للفرس . وفي الداخل فوضى : سادة وعبيد . واسترقاق المدين الذى عجز عن اداء الدين . والربا الفاحش . والخمر وعبادة الاصنام .

ـ **فى بلاد الفرس والروم :** تاليه الفرد . واستبداد الحاكم . والضرائب الباهظة . والناس طبقات لا يرتقي الادنى الى الاعلى . والجهل سائد . والشعب مسخر لرفاهية الحاكم . والحرب بين الفرس والروم . والخلافات المذهبية فى مستعمرات الروم ..

فجاء الاسلام وقضى على فكرة تاليه الفرد : لا تطروني .. لا تقوموا لي .. كما تقوم الاعاجم . والاساس فى الحكم هو القانون . والامر شورى . والرابطة هي العقيدة . والاسلام وطن . واحترام اهل الاديان الاخرى ما داموا مسالمين . وطلب العلم فريضة على كل مسلم . والحكومة تنشر الامن . وكل حق وراءه واجب . والزكاة من الاغنياء للفقراء والناس امام القانون سواء . لا فضل لعربي على عجمي . ولا لابيض على اسود الا بالتقوى . ان اكرمكم عند الله اتقاكم . نحن معاشر الانبياء لا نورث . ما تركناه صدقة .

الاذن بالقتال دفاعا
وتخلية للطريق لنشر الدعوة

ـ نشأت دولة الاسلام محاطة بأعداء يعملون للقضاء عليها . فكان لابد من المقاومة المادية . وشرع الله الجهاد . ونزلت آية الاذن بالقتال دفاعا : قبيل الهجرة ..

من سورة الحج « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ، ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوي عزيز ، الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الامور ».

ـ **الصلوات** جمع صلوتا : مكـان العبـادة عند بعض اليهود .

ـ كانت الدعـوة الى الله قبل القتـال فى كل المواقع . ولم يثبت ان الصحابة هاجموا احدا قبل دعوتهم الى الله ـ الا من من اعد عدتـه للغـدر فلهم ان يفاجئوهم .

ـ وبعد القتال ـ وقد مكن الله للمسلمـين فى الارض يقيمون شرع الله . لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا ـ نقلوا الناس بعدلهم الى الاسلام .

ـ لا يقف الحكام الظالمون امام تبليغ الدعـوة للشعوب المغلوبة الجاهلة .

ـ انها الرسالة التعليمية . ومن اسلم من الحكام بقي ملكه تحت يده .

الاعـداد للدولـة الاسلاميـــة فى مكـــة

ـ ان الذين يظنون ان تكوين الدولة الاسلامية ولدته ظروف طارئة فى المدينة بعد الهجرة مخطئون . فان فترة مكـة كانت للاعداد . وفى المدينة بـدا التطبيق :

1 ـ روى البخـاري ـ ج 4 ص 244 عـن خباب بن الارث قال : شكونا الى رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ـ وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة . وقد لقينا من المشركين شدة . فقلنا : الا تستنصر لنا ؟ الا تدعو لنا ؟ فقال :

قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحـفـر له فى الارض فيجعل فيها . ثم يؤتي بالمنشار فيوضع على راسـه فيجعل نصفين ـ ويمشط بامشاط الحديـد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه . والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه . ولكنكم تستعجلون .

2 ـ روى الامام احمد ، والنسائي والترمذي عن ابن عباس ان الرسول قال لرجال من قريش امام عمه : يا عم اني اريدهم على كلمة واحدة تديـن لهم بها العرب . وتؤدي لهم بها العجم الجزية . فقال ابو جهل : نعم وابيك وعشر كلمات . ما هي ؟ فقال الرسول : **لا اله الا الله** . فقاموا فزعين يقولون : اجعل الآلهة الها واحدا ؟ ان هذا لشيء عجاب = ج حياة الصحابة ص 62 .

3 ـ يقول سهيل بن عمرو يوم وفاة الرسول : يا اهل مكة لا تكونوا آخر من اسلم واول من ارتـد والله ليتمن الله هذا الامر . فقد رايت الرسول فى مقامي هذا يقول : قولوا معي : لا اله الا الله تدين لكم العرب . وتـؤدي لكم العجـم الجزيـة . والله لتنفقن كنوز كسرى وقيصر فى سبيل الله ـ من كتاب الخراج للدكتور ضياء الدين الريس ص 67 .

كان سهيل بن عمرو حين سمع هـذا مشركـا قبل ان يدخل الاسلام ـ وكان الرسول فى مكة قبل الهجرة . قال العباس بن عبد المطلب : خرجت مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى موسم الحج الى القبائل ـ فاتى قبيلة بكر بن وائل ـ من بنـي قيس بن ثعلبة . فقال لهم : كيف المنعة فيكم ؟ قالوا لا منعة . جاورنا فارس فنحن لا نمتنـع منـهم ولا نجير عليهم . فقال : فتجعلـون لله عليكـم ان هـو ابقاكم حتى تنزلوا منازلهم وتستعبدوا نساءهـم ان تسبحوا الله وتحمدوه وتكبروه ؟ قالوا ومن انت ؟ قال : انا رسول الله ـ ج 1 حياة الصحابة 137 ـ رواه ابو نعيم عن العباس .

5 ـ قال علي بن ابي طالب : لما امر الله نبيه ان يعرض نفسـه على قبائل العرب خرج وانا معه وابو بكر الى منى . فقابل بني شيبان . فقال المثنى بن حارثة : الجراب جواب هانيء بن قبيصة . انما نزلنا بين مائين : احدهما للعرب ، والآخر ارض فارس وانها لكسرى . واخذ كسرى علينا العهد ان لا نحدث حدثا ولا نؤوي محدثا .

ولعل هذا الامر الذى تدعونا اليه مما تكرهه الملوك ، فاما ما كان مما يلي بلاد العـرب فذنـب صاحبه مغفور وعذره مقبول ، واما ما كان مما يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول ، فان اردت ان ننصـرك مما يلـي العـرب فعلنا .

فقال الرسـول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما اسأتم الرد اذ افصحتم بالصدق ، انه لا يقوم بدين الله الا من حاطه من جميع جوانبه . ارايتـم ان لم تلبثوا الا يسيرا حتى يمنحكم الله بلادهم واموالهم ؟ اتسبحون الله وتقدسونه ؟ فقال النعمان بن شريك: اللهم وان ذلك لك يا اخا قريش ؟ فقال الرسول انما

انا مبشر ونذير . ثم تلا الآية علي : « انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » .

ثم نهض الرسول وابو بكر – ومدح اخلاق بني شيبان .

– ج 1 حياة الصحابة ص 140 – كتاب الدلائل لابي نعيم ص 96 .

البدء الفعلي للدولة الاسلامية في المدينة

1 – بدا تكوين الدولة الاسلامية ، من الوجهة العملية ، منذ هاجر الرسول الى يثرب سنة 622 م فكان دخول الاسلام المدينة اول فتح فى الاسلام ، اسلموا طوعا ، بالدعوة الى الله تعالى بالقرآن . وصارت المدينة المنواة للدولة الاسلامية العالمية .

2 – جلس الرسول يوما مع اصحابه – فى المدينة . فقال : بلال اول ثمار الحبشة . وصهيب اول ثمار الروم . وسلمان اول ثمار الفرس .

3 – روى الامام احمد برجال الصحيح والطبراني عن تميم الداري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليبلغن هذا الامر ما بلغ الليل والنهار . ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله هذا الدين : بعز عزيز او بذل ذليل . عزا يعز الله به الاسلام واهله . وذلا يذل الله به الكفر – ج 1 حياة الصحابة ص 80 .

4 – روى الطبراني ، وابو نعيم والحاكم عن ابي ثعلبة الخشني قال : قدم رسول الله من غزاة له فلما دخل على فاطمة راته فبكت . فقال لها ما يبكيك ؟ قالت : اراك يا رسول الله قد شحب لونك واخلولقت ثيابك . فقال : يا فاطمة لا تبك . فان الله بعث اباك بامر لا يبقى على ظهر الارض بيت مدر ولا وبر ولا شعر الا ادخله الله به عزا او ذلا ، حتى يبلغ حيث يبلغ الليل .

ج 1 حياة الصحابة ص 78 .

5 – روى البخاري عن ابي هريرة وجابر بن سمرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده . واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده . والذى نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله . – ج 4 البخاري ص 46 ح .

6 – روى البخاري عن عدي بن حاتم ان النبي – صلى الله عليه وسلم – قال له : ياعدي : هل رايت الحيرة ؟ قلت لم ارها وقد انبئت عنها . قال: ان طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف احدا الا الله – قلت فيما بيني وبين نفسي : فاين دعار طيء الذين سعروا البلاد ؟

يا عدي . ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى . قلت كسرى بن هرمز ؟

قال : كسرى بن هرمز – يا عدي : ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه ذهبا او فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد احدا يقبله منه .

قال عدي : فرايت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله .

وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز . ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي ابو القاسم – صلى الله عليه وسلم .

– وفى رواية الامام احمد قال : « فو الذى نفسي بيده ليتمن الله هذا الامر حتى تخرج الظعينة .. الخ . الظعينة المراة فى الهودج او المراة وحدها .

والحيرة : بلد قديم بالكوفة .

7 – روى مسلم وابو داود والترمذي عن ثوبان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله زوى لي الارض مشارقها ومغاربها . وان ملك امتي سيبلغ ما زوى لي منها . واعطيت الكنزين الاحمر والابيض (الذهب والفضة) .. الخ .

« مسلم ج 18 ص 13 – الترمذي ج 9 ص 21 – ابو داود ج 2 ص 413 .

8 – روى البخاري من حديث ابي سفيان ان هرقل قال : ولو اني اعلم اني اخلص اليه لاحببت لقاءه .

ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه . وليبلغن ملكه ما تحت قدمي .. الخ » ج 6 البخاري ص 43 .

9 ــ فى غزوة الخندق . اعترضتهم صخرة فى حفر الخندق . فضربها الرسول بالمعول فعادت رملا واضاء برق . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : يفتح الله كنوز الروم .

يفتح الله كنوز فارس . ياتي الله باهل اليمن انصارا واعوانا . يفتح الله الشام والمقرب ، رايت قصر المدائن الابيض .. فقال احد المنافقين : نحفر الخندق لنتوارى وراءه ويبشرنا بفتح الفرس والروم واليمن ؟ فنزلت الآية من سورة الاحزاب (واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) .

ــ من كتاب الخصائص الكبرى للسيوطي ج 1 ص 569 ــ رواه ابو نعيم . والبيهقي وابن سعد وابن جرير عن عبد الله بن عمرو ، وسلمان ، والبراء بن عازب ، وانس بن مالك .

10 ــ ارسل باذان ــ عامل اليمن ــ رجلين بكتاب كسرى فى المدينة يأمره بالذهاب معهما الى كسرى . فقال لهما النبي ــ صلى الله عليه وسلم : ان الله اخبرني ان كسرى قد قتل . فاخبرا باذان ان ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى وينتهي الى منتهى الحق والحافر وقولا له : انك ان اسلمت اعطيتك ما تحت يدك .. فاسلم باذان ومن معه من ابناء الفرس باليمن .

ــ ج 2 كتاب الخصائص الكبرى ــ ص 136 ــ رواه ابو نعيم وابن سعد عن طريق اسحاق عن الزهري عن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

11 ــ فى سورة الصف ، وسورة الفتح ، وسورة التوبة ، وهي كلها مدنية نجد الآيات : (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) .

12 ــ روى الترمذي والامام احمد عن انس بن مالك ان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير أم آخره ــ وقال الترمذي حديث حسن غريب من هذا الوجه . وروى عن عمار ، وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن عمر .

ــ ج 10 الترمذي ص 316 ــ والمعنى انه قد يجيء زمن يشيع فيه المنكر فلا يجد الناصح اعوانا على الخير . فيحاول اصلاح ما افسد الناس . وكأنه غريب بينهم . مع الاعتراف بفضل السابقين الاولين .

ــ الامام احمد ج 3 ص 130 ــ 143 ــ ج 4 ص 219 .

13 ــ لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق .. لا يضرهم من خذلهم حتى ياتي امر الله وهم كذلك ــ رواه مسلم ج 13 ص 65 عن ثوبان عن رسول الله (ص)

ــ ورواه مسلم عن جابر ج 13 ص 66 قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تزال طائفة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين ، الى يوم القيامة .

تنفيذ تكوين الدولة الاسلامية على مرحلتين

المرحلة الاولى :

1 ــ بناء المسجد ، وعمل الرسول فيه بنفسه : يحمل الحجارة ويردد النشيد مع العمال . والمسجد للصلاة . ومدرسة للتعليم . ومكان للتشاور . ومبيت لمن لم يجد مأوى . وتخفيف من حدة الطبقية : كادت تحدث مشكلة اثناء العمل بين عمار وعثمان ولكن الرسول انصف عمارا . ونهى عثمان بن عفان عن التعالي على عمار بن ياسر .

2 ــ آخى الرسول بين المهاجرين والانصار . وصالح الرسول بين الاوس والخزرج حتى لم يبق لليهود ثغرة يدخلون منها للفساد والاصطياد فى الماء العكر .

3 ــ كتبت صحيفة المعاهدة بين سكان المدينة ــ من المسلمين واليهود ــ معاهدة صداقة وحسن جوار وتعاون على الخير .. مع حرية العقيدة لغير المسلمين .

4 ــ لابد من اليقظة : فقامت سرية من المهاجرين بقيادة حمزة بن عبد المطلب ومعه ثلاثون رجلا يجوبون الصحراء ويتلمسون الاخبار . فالتقوا بابي جهل على شاطيء البحر الاحمر يقود قافلة . وكادت تحدث اشتباكات لولا تدخل رجل من جهينة حجز بين الطرفين . وقامت سرية من ثمانية رجال بقيادة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب . وامرهم

الرسول ان لا يشتبكوا في قتال . فقابلتهم قافلة بقيادة عكرمة بن ابي جهل .. وضربوا سعد ابن ابي وقاص بسهم . ولكنه لم يرد عليهم بمثله . وهرب ثلاثة من المشركين .. وانضموا للمسلمين .

5 — وقامت سرية بقيادة عبد الله بن جحش. الى جهة مكة . وكتب له الرسول رسالة وامره ان لا يفتحها الا بعد مسيرة يومين . فلما فتحها وجد فيها : سيروا الى نخلة — بالقرب من مكة وترصدوا قريشا ، ولا تستكره احدا ممن معك على السير . فمرت بهم قافلة لقريش تحمل تجارة فهاجموها وقتلوا من رجالها وغنموا التجارة وأسروا اثنين . كما أسرت القافلة رجلين من المسلمين . وكان ذلك اول يوم من رجب الشهر الحرام . فاشاع الناس وشنعوا على المسلمين الذين ينتهكون حرمة الاشهر الحرم .. وتألم الرسول لذلك ولم يقسم الغنيمة . فنزلت الآية من سورة البقرة (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله ، والفتنة اكبر من القتل) .

(الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين) .

اذا لا غضاضة فيما فعلت سرية عبد الله بن جحش ، ولنستعد لما سيأتي :

— ثم كانت غزوة بدر ، وغزوة احد ، وغزوة الخندق ، والحديبية : كل ذلك والكفار هم المعتدون. ثم كان فتح مكة لما نقضت قريش عهد الحديبية .

— وكان اجلاء بني قينقاع وبني النضير — اليهود — من المدينة . وعقاب بني قريظة على نقضهم للعهد وخيانتهم . ثم فتح خيبر . واسلمت بلاد البحرين وشرق الجزيرة ..

— ثم كانت غزوة مؤتة ، وتبوك شمال الجزيرة .. وارسال الكتب الى الملوك والولاة يدعوهم فيها الى الاسلام بالحسنى : بالحكمة والموعظة الحسنة .

المرحلة الثانية :

— هي دور التوسع خارج بلاد العرب . ولم تكن هذه السياسة من ابتكار ابي بكر . فان الرسول — صلى الله عليه وسلم — ارسل الكتب الى الملوك سنة 6 هـ — 628 م يدعوهم فيها الى الاسلام — وكانت غزوة مؤتة سنة 8 هـ . وغزوة تبوك سنة 9 هـ

واعداد جيش اسامة سنة 10 هـ — كل ذلك في شمال الجزيرة .

— وكان تشريع الجهاد قد اصبح عاما ضد المشركين وضد اهل الكتاب الى ان يعطوا الجزية (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) — من سورة التوبة : عن يد — يعني عن حمايتنا لهم . كما قاله الشافعي .

— ان الاسلام رسالة عالمية (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) . — من سورة الفرقان — فيجب نشر الرسالة العالمية .

— العرب الموالون للروم قتلوا الحارث بن عمير الازدي سفير الرسول الى هرقل .

— ان كسرى ارسل الى عامله على اليمن (باذن) يطلب اليه ان يأتيه بهذا الرجل الذي ظهر في الحجاز .. ويقول انه نبي .. لولا ان كسرى هذا قتله ابنه شيرويه .

— ان العرب الذين كانوا محكومين بالفرس في اليمن ، والبحرين ، وشمال الجزيرة قد اسلموا فارادوا ان يتحرروا من حكم الفرس .

— ففي سنة 12 هـ = 633 م ارسل ابو بكر الجيوش الى الفرس والروم وتم الفتح في عهد عمر من سنة 13 — الى سنة 23 هـ — من سنة 634 الى سنة 644 م .

كل المصلحين تعترضهم عقبات :

الانبياء والرسل يخططون فتعترضهم عقبات فيذللونها ويتخطونها او يقتحمونها بقوة وثبات . فتكون هذه العقبات امتحانا ينجح فيه المؤمنون ويخفق المنافقون. من سورة الحج : « وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبيء الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ،

وان الظالمين لفي شقاق بعيد ، وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فتخبت له قلوبهم ، وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم) .

ـ تمنى : حدث نفسه بالرغبة فيما يشتهي. او رجاء تحقيق ما يشتهي . والامنية الرغبة فى تحقيق ما يحبه الانسان . فالتمني تقدير شيء فى النفس وتصويره فيها فان كان عن روية وبناء على اصل واسباب فهو محمود . وان كان عن تخمين وظن بغير اسباب فهو مذموم . فالامنية هي الصورة الحاصلة فى النفس .

ـ ولكن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدر فى نفسه تخطيطا ينفذه فى المدينة وقد واتت الفرصة ، فاعترضته عقبات فتغلب عليها ، وظهرت نوايا المنافقين وقالوا :

لو كان نبيا حقا ما كانت هذه العوائق فى طريقه (اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ..) من سورة الانفال . ولكن اهل العلم والايمان خشعت قلوبهم ووثقوا بوعد الله . فهداهم الله الى الصراط المستقيم ، باستمرار .

ـ ومما يصور الاماني الكاذبة التى ليست لها اسباب ما جاء فى سورة البقرة عن عوام اليهود (ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني) ـ قال مجاهد : الا كذبا . فهم يقراون التوراة بدون فهم وبدون عمل بما يقراون .

عقبات وضعها اليهود فى المدينة وتغلب عليها الرسول

ـ كان النبي صلى الله عليه وسلم فى مكة وله عدو واحد هو : المشركون . اما فى المدينة فظهر له ثلاثة اعداء : المشركون ، واليهود ، والمنافقون ـ ثم الفرس والروم .

ـ اليهود فى يثرب ، نزحوا اليها منذ قرون. وزرعوا ، وانشاوا معاصر للخمور ومراعي للخنازير، وبيوتا للدعارة ، ومصارف للربا، واوكارا للدسائس.

ـ بنو قينقاع تجار الذهب فى حي الصاغة ، وتجار الاسلحة ، ويمولون قوافل التجارة بالربا .

ـ وبنو النضير ، وبنو قريظة امتلكوا الارض وزرعوا ، وتبادلوا التحالف مع كل من الاوس والخزرج ليدوم الشقاق بين العرب ، والربح لليهود فى الحروب .

فاول ما هاجر الرسول صالح بين الاوس والخزرج ، والف الله بين قلوبهم فاغتاظ اليهود وقالوا : ان كساد تجارتهم سببه الشؤم الذي جاء من مكة .

ـ اشاع اليهود ان المهاجرين عاطلون يعيشون على حساب غيرهم فجاءت الازمة . فحث الرسول المهاجرين على العمل فى الزراعة والتجارة . وجمع الرسول رصيدا من المال ينفق منه على الضعفاء . وكان الرسول يزور المهاجرين فى مزارعهم وليشجعهم .

ـ لجا اليهود الى اثارة الفزع . وفي جوف الليل سمع الرسول صراخا فى ضواحي المدينة ، فاسرع الى ناحية الصراخ على فرس عري والسيف فى يده . فعرف المكيدة وعاد سريعا يطمئن الصحابة ويقول لهم : ان تراعوا . لن تراعوا .

ـ اشاع اليهود انهم مهرة فى السحر : سيمنعون النساء من الحمل . سيسحرون الرسول . ولكن الرسول تحداهم وابطل هذه الاشاعة فاطفا الشرارة فى مكانها .

ولما ولدت اسماء بنت ابي بكر عبد الله بن الزبير اطمان الرسول لبطلان كيد اليهود .

ـ عرف اليهود ان قريشا تصفي خلافاتها مع القبائل المجاورة لتتفرغ لحرب المسلمين ففرح اليهود وجاهروا بما فى قلوبهم وقالوا سيقضون عليهم ونستريح منهم .

ـ وجد اليهود ان رجلا منهم يميل الى الرسول فدبروا مكيدة لبنت هذا الرجل .. واتهموها بالزنا وشهروا بها . وقالوا للرسول : ما حكم الله فى الزانية ؟

فاحالهما الرسول على التوراة فكذبوا عليه . ثم فضحهم واحد منهم . وكان قصدهم من وراء ذلك ان يحكم الرسول بالرجم فيشنعوا عليه بالقسوة وينفرون الناس منه . ويضحون بواحد منهم ويجعلونه كبش فداء او قنبلة ..

ـ لما علم الرسول بقافلة التجارة لقريش قادمة من الشام فخرج بالمسلمين يترصدون لها ـ ارسل اليهود الى ابي سفيان فى الطريق ليميل الى طريق آخر . وفعلا كان وترتب عليها غزوة بدر ـ وكان النصر للمسلمين .

ـ لما عاد الرسول من بدر منتصرا فاعترضه يهودي وقال له : ان قريشا لا علم لها بالحرب . ولو قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس . ولكن الرسول سكت عنه ..

ـ لعب اليهود بالسوق . وعملوا صفقات وهمية . واغلوا الاسعار . واحتكروا . فانشا الرسول سوقا جديدة : لا ربا ولا خداع ، ولا صفقات وهمية ، ولا احتكار بل حسن معاملة ، وتوفير السلع ، وقانون العرض والطلب ، حتى دخل كثير من التجار الغرباء فى الاسلام لحسن معاملة المسلمين . وليس ابرع من تاجر قرشي ..

ـ دخلت امراة مسلمة سوق الصاغة فى بني قينقاع . فدبر اليهود لها فضيحة ، فصرخت ، فانتصر لها مسلم ، فاشتبك الفريقان ، فحاصرهم الرسول خمسة عشر يوما . وشفع فيهم عبد الله بن ابي زعيم المنافقين .. فسمح لهم الرسول بالخروج من المدينة .. الى الشام .

ـ ذهب الرسول الى يهود بني النضير ـ حسب المعاهدة ـ يستعين بهم فى دية قتيلين قتلا خطا . فدبروا له مكيدة ليسقطوا عليه حجرا من السطح ، وهو جالس ، ولكن الله اعلمه بذلك ، فقام ولحق به الصحابة . ثم حاصرهم حتى خرجوا من المدينة الى خيبر ، والى الشام . وكان زعيمهم كعب بن الاشرف خرج الى مكة قبل ذلك ومعه اربعون رجلا يحرض قريشا على قتال الرسول . وتحالف مع قريش على اغتيال الرسول والغدر به . ولكن الله سلم . ورد كيدهم فى نحورهم فخرجوا من المدينة وتركوا ارضهم وديارهم .

ـ كانت غزوة الاحزاب سنة 5 هـ بتاليب من اليهود : يهود بني النضير : المطرودين من المدينة ـ ذهبوا الى قريش وغطفان ، وحرضوهم على قتال الرسول . وقالوا لهم سيكون معكم بنو قريظة المقيمين فى المدينة . فكانت غزوة الخندق . ولكن جاء النصر من الله وحارب الرسول بعدها بني قريظة وقضى عليهم قتلا . واورث الله المسلمين ارضهم وديارهم واموالهم .

ـ لا زال تكتل اليهود فى خيبر ـ فحاربهم الرسول بعد صلح الحديبية فى شهر المحرم سنة 7 هـ. واستولى المسلمون على خيبر ، وترك اليهود يزرعون الارض مقاسمة .

ـ صالح الرسول اهل فدك على ان له نصف ارضهم ، وهم يهود .

ـ وصالح الرسول اهل وادي القرى على ان يعاملهم معاملته لاهل خيبر ـ وهم يهود .

ـ ودفع اهل تيماء الجزية ـ وكل ذلك كان سنة 7 هـ .

عقبات وضعها المنافقون وتغلب الرسول عليها

قبيل الهجرة : اراد اهل يثرب ان يجعلوا عبد الله بن ابي ملكا عليهم ، وصنعوا له التاج ، ولكن هجرة الرسول الى المدينة صرفتهم عن ذلك ، فاسرها ابن ابي فى نفسه . وتزعم فريق المنافقين الذين استمعوا لدسائس اليهود .

ـ لما استقر المهاجرون فى المدينة ـ اصابتهم الحمى ـ لتغير الجو من الجنوب الى الشمال . فقال المنافقون : لو كان نبيا حقا ما مرض اصحابه وما مرضت ابنته ..

ـ والمنافقون اظهروا الاسلام لا عن عقيدة . ولكن خوفا من قوة المسلمين .

ـ بدا المنافقون يعيرون المهاجرين بانهم عالة على غيرهم ، وينقلون عن اليهود اخبارا بان هجرة الانبياء تكون الى الشام ، ويثيرون الذكريات القديمة فى الحروب بين الاوس والخزرج . ويستمعون للرسول ثم يحرفون الكلم عن مواضعه .

ـ ادخر الرسول جزءا من غنائم بدر لاعداد الجيش . فأثارها عبد الله بن ابي فتنة وقال : محمد يعطي صهره عثمان بن عفان من غنائم بدر وهو لم يحضرها .

محمد يتصرف فى اموال المسلمين زينة ورفاهية فى بيته . والفقراء جياع . ثم اشترى سريرا

وفراشا جديدا ، وتحايل على امراة من الانصار لتقدمهما هدية الى السيدة عائشة ، وخرج يشيع فى الناس : ان لم تصدقوني فاذهبوا الى بيت عائشة وانظروا . وكان الرسول لما دخل بيته فوجد الفراش امر برده الى اصحابه ـ فذهب عمر الى بيت الرسول فلم يجد ما يقال عنه . فبكى عمر ، فسأله الرسول ما يبكيك ؟ قال : يقولون ... وجئت فرايت انهم يكذبون . فامره الرسول بالصبر .

اجتياز حدود الجزيرة العربية فى حياة الرسول

ـ عرفت فى المرحلة الثانية لتكوين الدولة الاسلامية :

ـ ان الرسول ارسل الكتب الى الملوك فى سنة 6 هـ = 628 م ـ يدعوهم الى الاسلام .

ـ ثم كانت غزوة مؤتة سنة 8 هـ ـ ثم غزوة تبوك سنة 9 هـ .

ـ ثم اعداد جيش اسامة سنة 10 هـ .

ـ غزوة تبوك : بلغ الرسول ان هرقل ملك الروم يستعد مع نصارى الحرب لحرب المسلمين ، فخرج الرسول على راس جيش كبير لغزوة تبوك سنة 9 هـ .

ـ وفر الروم فلم يقابلوهم . وصالحه اهل الناحية على الجزية من نصارى ويهود .

ـ وكان ملك دومة الجندل : اكيدر الكندي ـ نصرانيا . فذهب اليه خالد بن الوليد . وحاربه واخذه اسيرا . ثم عفا عنه وصالحه على الجزية .

ـ وبعد موقعة تبوك : اسلم ملوك حمير باليمن ، وصالح الرسول اهل نجران النصارى على الجزية .

اذا غزوة مؤتة ، وغزوة تبوك ، وجيش اسامة: كانت فى الشمال ، خارج حدود الجزيرة العربية . وكان ذلك فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

الاسلام دين ودولة

ـ الدولة : جماعة من الناس يقيمون فى ارض معينة : لها شخصيتها المعنوية ونظامها الذى تخضع له واستقلالها السياسي وحاكم يدبر امرهم ويطيعونه

ـ والمسلمون فى المدينة كانوا شعبا يقيم فى رقعة معينة من الارض ، لهم شخصيتهم المعنوية التى يمثلها صاحب السلطان . ولهم نظام يخضعون له . ولهم استقلال سياسي يجعلهم قائمين بذاتهم لا تابعين لدولة اخرى .

ـ وفى النصوص الاسلامية بيان حقوق وواجبات رئيس الدولة . وحقوق وواجبات الرعية . وبيان التشريعات التى تنظم العلاقة بين الطرفين . فالاسلام دين ودولة معا .

وقيام الرئيس للدولة يحكمها ويدبر سياستها امر واجب فى الاسلام عقلا وعرفا وشرعا فالاسلام ليس دينا فحسب . بل هو دين ونظام سياسي . لقد اسس الرسول فى وقت واحد دينا ودولة . والمسلمون الاولون كانوا جماعة واحدة يعملون ما يستطيعون ليقوموا بشعائرهم فى حرية وامن ، وليتمكنوا من نشر الدين الذي آمنوا به ودخلوا فى جماعته . فلابد ان تكون لهم دولة حرة آمنة تشرف عليهم وتدبر امورهم الدينية والدنيوية .

ـ والامامة : هي رياسة عامة فى امور الدين والدنيا : اي فى حراسة الدين وتنفيذه وسياسة الدنيا .

ـ فان سياسة الدنيا بواسطة تعاليم الدين تضمن صلاح امور الناس . ان الاسلام لم يقتصر على العقيدة الدينية وحدها . ولا على النظام الاخلاقي المثالي وحده . بل جاء مع هذا بشريعة تنظم الانسان فى تصرفاته ومعاملاته : فى خاصة نفسه . وفى علاقته باسرته . وفى علاقته بالمجتمع الذى يعيش فيه . وفى علاقته بالامم الاخرى . ونظم كل هذه العلاقات ووضع الاصول والمبادىء العامة التى تقوم عليها . وبذلك يكون قد اتى بالتشريعات التى لا بد منها لقيام الامة والدولة على اسس معقولة ومقبولة ووافية بحاجات اي مجتمع فى كل زمان ومكان .

والاسلام رسالة عامة خالدة . اذن فالجماعة المسلمة فى حياة الرسول بالمدينة كانت دولة بمعناها القانوني الصحيح . وقد اجمع الصحابة على اختيار الخلفاء بعد الرسول .. الى الآن .

الرباط ـ احمد عبد الرحيم عبد البر



يا ايها الحادي وشوقك شوقنا
سر عن يمين الواديين معرجا

واسلك باعلى الرقمتين وخذ الى
دار النبوة والهداية منهجا

لا متعت عيني بلذة نومها
حتى ترى ذاك المحل الابهجا

يا سعد ، ان قرب المزار وجئتها
ثق للهموم هناك ان تتفرجا

لم يكن الليل قد جمع نجومه المنثورة من صفحة السماء حين دار محرك السيارة الغادية الى طيبة .. الى العاصمة الغراء .. الى قرية الانصار .. الى يثرب .. الى المدينة المنورة .

كان الوقت فجر اليوم الاخير من رمضان ، والمكان مدينة جدة .

وكان الشوق يهز جوانحنا الى دار كانت موئلا للرسول يوم هجرته .. وصدق رسول الله :

« لا تقوم الساعة حتى ينحاز الايمان الى المدينة كما ينحاز السيل الى الدمن »

وصدق رسول الله :

« ان الايمان ليارز (اي يرجع) الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » .

وصدق رسول الله :

«المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . لا يدعها احد رغبة عنها الا ابدل الله فيها من هو خير منه ، ولا يثبت على لأوائها وجهدها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيامة . ولا يريد احد اهل المدينة بسوء الا اذابه الله فى النار ذوب الرصاص ، او ذوب الملح فى الماء » .

— * —

وفى ركابنا كان طفلان صغيران .

ومن عجب ـ ولا عجب ـ انهما متشوفان تشوفنا الى بقعة طاهرة منورة .. حريصان حرصنا .. يسالان ويلحان : « متى ينقضي الطريق يا ابتاه؟ متى، يا اماه ؟ «فويحهما وهما غاديان الى دار الفتح والاسلام ، ورائحان !

وطوبى لنا والطريق ينطوي تحتنا .. ليتحقق أمل قديم ، وليزهر فى انفسنا رجاء مكنون .

ومهما طال الطريق واستطال ، فلابد من رحاب النبوة . لا بد من ضيافة الجد رسول رب العالمين .

وكم كن السرى ممتعا ، ونحن نيمم شطر دار القوم الذين آووا والذين نصروا .

وعبرت بنا في الطريق قرى ومواقع ، وجبال ووهاد لها مع التاريخ حكايا ، ولها مع العصور اقاصيص وعبر :

في البدء كانت « ذهبان » في طريقنا .. ثم كانت « تول » وكانت « القضيمة » ثم حللنا « برابغ » و « بالمستورة » .

ووافينا ، من بعد ، « بدرا » حيث كانت اول حرب شنها المسلمون على المشركين فكان النصر للمسلمين مؤزرا مبينا » :

طلعوا في سماء بدر نجوما
بينهم سيد الانام ذكاء

احرقت شهبهم عتاة قريش
ولهيب الحريق تلك الدماء

حمزة مع عبيدة وعلي
طحنوا الشرك والرحا الهيجاء

هزم الجمع مثلما اخبر الله
وفرت حياتهم والحياء

هي بدر والفتح شمس وباقي
الغزوات النجوم والاضواء

— * —

وتابعنا المسير فيممنا شطر « الحمراء » و « الصفراء » وعجنا على « المسيجيد » و « بئر الفريض » ، ولما تناهت بنا الطريق الى « بئر علي » كنا في مشارف المدينة المنورة النيرة .

وقال صاحبي : لقد انطمست من الليل آيته ، وتنفس الصباح ، واقبل النهار البصير . وحمدنا السرى ، وعند الصباح يحمد القوم السرى !

واذا ما اعلام سلع تراءت
لي ولاحت انوار تلك النواحي

وتبدى النخيل يجلى من القنـ
ـوان والطلع في حلى ووشاح

زال عني ليل النوى وجلا الصبح
لعيني فالق الاصباح

وبلغت المنى ، وفارقت اتراحي
وتمت بالمصطفى افراحي

ووكلت التعبير عن فرط اشـ
ـواقي ووجدي الى دموعي الفصاح

— * —

ولقد امتد الطريق الذى طالما سلكته نياق الحجيج وعيسهم ، حتى اذا زمزم لها الحادي بذكر خير الورى طربت وانتشت .

ولقد طال الطريق قبل ان تزف منارتان هيفاوان من منارات المسجد النبوي قرب المحل الابهج .

ها هي ذي المدينة المنورة اخيرا ، وها هي ذي تلاعها .

ها هي مدينة ابي القاسم ..

فصلى عليه الله ما هبت الصبا
وما صدحت قمرية فوق دوحة

ويا شوقنا يا سلع اليك . يا شوقنا الى ذلك المزار . يا شوقنا الى لقاء ابن عبد الله . الى لقاء ابن آمنة . يا شوقنا الى لقاء القائل : « انما انا ابن امراة تأكل القديد بمكة » .

وسلع جبل من جبال المدينة . وكذلك سليع. ومن جبالها ايضا جبل كان على رسول الله عزيزا ، وهو « احد » . وقد وردفي فضله ان النبي صلى الله عليه وسلم تحدث عنه فقال : « احد جبل يحبنا ونحبه » . وقال فيه ايضا : « ان احدا على باب من ابواب الجنة .. فاذا جئتموه فكلوا ، ولو من عضاهه » .

وارض المدينة سهل واسع تكتنفه حرتان ، شرقية وغربية .

وتضرب واحات النخيل ، والحقول الخضراء طوقا حول المدينة المقدسة .

ولقد احب محمد النخيل حبا جما :

ـ الم يقل : « اكرموا عمتكم النخلة » .

ـ الم تكن آخر وصاياه : « ضعوا على قبري جريدة خضراء » .

ـ الم يصدر امره للرجال المقاتلين : « لا تقطعوا شجرا ولا تحرقوا نخلا » .

وفى غربي المدينة واد جميل .. كان وما يزال آمنامطمئنا ، وكان فى فجر الدعوة الاسلامية آهلا عامرا . اسم هذا الوادي اسم طالما تغنى به الشعراء .. انه « وادي العقيق » اشهر الاودية الستة المحيطة بالمدينة . ورحم الله من ذكر العقيق فيمن ذكر فقال :

فهيهات هيهات العقيق ومن به
وهيهات خل بالعقيق نسامره

ويورد بعض المؤرخين ان العقيق اسم عام لكل مسيل ماء شقه السيل فانهره ووسعه . وسبب التسمية هو ان تربة ذلك الوادي رملية تغلب عليها الحمرة .

ويروى ان تبعا كان مر بالعقيق فقال : « هذا عقيق الارض » .

وها هي ذي المدينة اخيرا . المدينة التى كان قد اسمها قبل الاسلام ، فيما يقال : « يثرب » وهو واحد من العمالقة الذين سكنوها اول من سكن .

ها هي ذي اقدس بقعة اسلامية بعد مكة .

هاهي ذي الارض الطيبة من حيث خرجت طلائع الفتح ، تحارب الظلام ، وتصد الدياجير . فكان نور ، وكان ضياء ، وكان سطوع .

وليس فى المدينة اليوم من الآثار والمخلفات ما يروع الناظرين من دور وقصور .

وانما فيها اثر يتطاول الى الجلال ويتسامى الى الخلود : انه المسجد الشريف . مسجد الرسول الاعظم القائم فى موضع كان يسمى « المربد » وكان لسهل وسهيل وهما غلامان يتيمان من بني النجار .

كان رسول الله قد قدم المدينة الشريفة ـ دار هجرته ـ يوم الاثنين الثالث عشر من شهر ربيع الاول ، فنزل على بني عمرو بن عوف حيث اقام اثنتين وعشرين ليلة ، وقيل اقل من ذلك .. ثم توجه الى المدينة فنزل على بني النجار بدار ابي ايوب الانصاري حيث اقام سبعة اشهر حتى بنى مساكنه ومسجده فى الموضع المذكور .

ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم اشترى موضع المربد من الغلامين اليتيمين بعشرة من الدنانير ـ وقيل ، وهباه لرسول الله . ومن ثم شرع الرسول يبني مسجده بيديه الكريمتين وكان ينقل لبن البناء بثيابه ، يساعده فى ذلك المهاجرون والانصار .

وجعل الرسول على مسجده الشريف حائطا ولم يجعل له سقفا ولا اساطين . وقيل انه جعله مربعا طوله مائة ذراع . ولما اشتد الحر تكلم اصحابه فى سقفه ، فاقام له اساطين من جذوع النخل ، وجعل سقفه من الجريد . فلما امطرت السماء سال الماء فكلم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسول فى عمله بالطين ، فقال : كلا ، عريش كعريش موسى ، او ظلة كظلة موسى . قيل ، وما ظلة موسى ؟ قال رسول الله ، كان اذا قام اصاب السقف رأسه .

وجعل للمسجد ابوابا ثلاثة ، ثم سد الجنوبي منها عندماحولت القبلة . وبقي المسجد على ذلك حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومضت الايام . ودخل الناس فى دين الله افواجا .. وكان لابد من توسعة فى مسجد الرسول تتلوها توسعة وتوسعة . فلما كانت ايام عمر بن الخطاب زاد فيه .

ولما تولى عثمان بن عفان جدد بناء المسجد بالحصباء والحجارة ، وسقفه بالخشب وبيضه .

وفى العهد الاموي ، اقام الوليد بن عبد الملك مكان المسجد مسجدا ، وزين سقفه بالذهب .

وفى الحديث ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب الى جذع نخلة بالمسجد فلما صنع له المنبر (وقيل : من طرفاء الغابة) وتحول اليه ، حن الجذع حنين الناقة الى حوارها . ويروى ان رسول الله نزل اليه فالتزمه ، فسكن ، وقال : لو لم التزمه لحن الي الى يوم القيامة .

واستمرت التوسعات والاصلاح .. وقام سلاطين مصر وبني عثمان بعمارة المسجد النبوي . واستمرت عمارة المسجد فى عهد السلطان عبد الحميد اثنتي عشرة سنة ، وتمت فى سنة 1265 للهجرة .

وامتدت يد الاعمار فى العهد السعودي الى الحرم النبوي حيث اصبحت مساحته ضعف ماكانت عليه من قبل .

والسعيد بزيارة المسجد النبوي الشريف اليوم، يشاهد اثرا من ابدع معالم العمران فى العالم .

ودخلنا الحرم الآمن دخول الوجل الذى ملأ الوجد قلبه .

وكان يومنا ذاك ، وهو الاخير من رمضان ، يوما عظيما .

واخذتنا روعة اللقيا، فشدهت منا الخواطر والالباب ، وعشنا لحظات ننعم بنفحات من أريج النبوة الزكي .. قرب محمد :

لقد جئناك يا محمد مسلمين مسلمين ، فهل تقبلنا ؟ جئناك ظماء لعطف قلبك الكبير ، فهل تعطف علينا ؟ جئناك آملين فى شفاعتك الكبرى ، فهل تكون شفيعا لنا ؟ جئناك لنصلي عليك ، يا من كلمك الجماد ، ويا من نبع الماء من بين اصابعك . جئناك يا محمد، ضيوفا على مائدتك وكاننا على موعد معك معقود منذ اربعة عشر قرنا .

وكنت مبتهجا .. وكان الطفلان الصغيران — اللذان يركضان بارجلهم خلفي — مبتهجين .

واستعدت فى نفسي قول الرسول الكريم ، وانا على عتبة باب المسجد الشريف :

« ان لله فى ايام دهركم نفحات ، الا فتعرضوا لنفحاته » .

وشكرت الله الذى هيأ لي هذا ، واستغفرته ، وسألته ان يفتح لي ابواب رحمته .

واتيت الحجرة النبوية ، وبها مدفن الرسول وضجيعيه : ابي بكر ، ثاني اثنين اذ هما فى الغار ، وأبي حفص ، أبي الفقراء والمعوزين عمر بن الخطاب الذى قال فيه رسول الله : « لو كان نبي من بعدي لكان عمر » كما قال فيه ايضا : « ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر » .

وفى وسط الزحام وقفت :

السلام عليك ايها النبي ورحمة الله

الصلاة والسلام عليك يا نبي الله .

الصلاة والسلام عليك يا خير خلق الله .

السلام عليكم وعلى سائر الانبياء والمرسلين، وعلى اهل بيتك الطيبين الطاهرين .

السلام عليكم وعلى اصحابك اجمعين ، وعلى عباد الله الصالحين .

صلى الله وسلم عليك يا صاحب المقام المحمود والحوض المورود .

صلى الله وسلم عليك يا من وصفك الله تعالى فى القرآن الكريم : « وانك لعلى خلق عظيم » .

— * —

ورحت مع النجوى كل رواح .. ووددت لو فنيت فى نجواي . وغمرني شعور من الروحانية ضاعت فى ثناياه احساساتي ، وغابت فى خضمه هتافاتي .. وعراني عي عقل مني اللسان . ولست بمتمكن من تصوير موقفي ذاك ، وما اجد الى ذلك من سبيل .

وانقضى بانقضاء ذلك اليوم ، رمضان ، وبزغ هلال العيد .

كان النبي اذا ظهر الهلال نظره فى السماء احتفاء بظهوره وناجاه قائلا : « ربي وربك الله » .

واقبلنا الى المسجد صبيحة العيد فى دثارنا .. فقد كانت صبيحة تناوحت فيها الرياح الباردة وكانت جنبات الحرم تغص بمن فيها .

ووقف خطيب المسجد الحرام يلقي على الملأ على المنبر ، خطبة العيد ، على مقربة من الحجرة النبوية الشريفة .. وسمعت اول الخطبة ولم اسمع بقيتها : ذلك انني رحت فى سنة من التصورات استعيد الذاكرة صورا لم تكن قد وعتها فى عالم الواقع . صورا خلقها الخيال ولونها وافاض عليها من اشكاله وخطوطه . صورا انقضت جدتها فبقيت ، وطوت الايام والدهور صفحتها ، وما انطوت ، منذ اربعة عشر من القرون .. منذ كان مبعث هذا الراقد فى هذا المثوى ، رسولا لرب العالمين ، ليؤدي الرسالة التى ادى ، وليبلغ الامانة التى بلغ ، وليجاهر بحقيقة الدعوة .. فزهق الباطل ، وظفرت دولة الحق .

لا . لست احمل قلما يستطيع ان يتطاول الى وصف عظمة النبي ورسالته . واي قلم يجرؤ

على ان يزعم انه يستطيع التطاول الى حصر عظمة الرسول والرسالة فى عبارات جافة وجمل .

هنا ، تحت تلك القبة الخضراء حيث يطوف في كل يوم طائفون ، ويبتهل مبتهلون ، ويتوسل متوسلون . هنا ، يرقد امام المتقين الذى بصر الناس بان يتقوا الله حق تقاته ، وبان يختطوا نهجا لن يضلوا ان اتبعوه ابدا .

هنا ، يرقد رسول الله ، رسول الهدى الذى محا بسنا رسالته الشريفة ظلام الدياجير وكسر شوكة الاعاصير .. فهوت اصنام الجهالة امامه صنما فصنما .. وانهدت اعمدة الضلالة عمودا فعمودا .

او يسأل احد ، بعد ، عمن يكون هذا الراقد الذى يهوي الى اعتابه الزائرون من فجاج الارض ؟!

ـ انه محمد . نبت هذا الوادي غير ذي الزرع .

ـ انه محمد . حامل لواء الرسالة التى شغلت العالم وشدهته .. ولا تزال .

ـ انه محمد . ومن ، فى اديم البسيطة ، من لم ينته اليه اسم محمد ؟! .

ومن عجب ـ ولا عجب ـ ان تنصرم اربعة عشر قرنا يظهر فيها من يظهر من مفسرين وفقهاء ومجتهدين ومحدثين ورواة ومشرعين وعلماء ، يفسرون ويروون ويجتهدون ويحدثون فى امور الدنيا والدين دون ان يصلوا الى قرار هذا المعين الذي كشف محمد غطاءه لينهل منه الناهلون وليرتوي المرتوون ..

وما ارسلناك الا رحمة للعالمين .

اما الذين قاموا يضطهدون ويعذبون ويشككون ويسفهون ويحاربون ويقاتلون فقد طواهم الطاوي وبقي الدين لله .. وبقيت الرسالة السنية ، وبقي الحق .. وقامت بيوت الله فى جنبات الارض وارجائها يذكر فيها اسمه ، وترتفع فيها كلمته ، ويرتل فيها قرآنه الكريم .. وويل يومئذ للمكذبين .

— * —

وهنئنا بايام قليلة فى « طيبة » كرمها الله ، بجوار الرسول ، وكنا نتردد بين المسجد النبوي حيث الحمائم الآمنة تحط اسرابها لتلتقط الحب فى حصاة المسجد ، وتطير .. وبين الاسواق العامرة التى تفيض بالسلع والخيرات ، وبالمكتبات والوراقين .

هنيئا لكم يا زائرين ضريحه
امنتم به يوم المعاد من الرجس

وصلتم الى قبر الحبيب بطيبة
فطوبى لمن يضحى بطيبة او يمسي

— * —

وتحولنا الى بقيع الغرقد بشرق المدينة الشريفة ، وهو من المزارات الكثيرة التى يقصدها الزائرون .

والبقيع لغة ، هو الموضع الذى به اصول الشجر ، وفيه دفن بعض قرابة رسول الله وصحابته . ولا يزال بقيع الغرقد مقبرة المدينة الوحيدة منذ عصر الرسالة .

وفى البقيع ، وقفنا ذاهلين . وكيف لا يذهل المرء ، وهو فى حضرة عشرة آلاف صحابي . وهناك قلنا : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين . اللهم لا تحرمنا اجورهم ، ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم .

انها بقعة عامرة بأناس كانوا فى عهودهم رؤساء .. وكانوا فى ايامهم قادة وابطالا مناضلين مجلين منافحين عن بيضة الاسلام :

ها هنا جدث ذي النورين عثمان :

وها هنا قبر ابي سعيد الخدري صاحب رسول الله وراوي احاديثه .

وفى ذلك الركن السلالة الطاهرة النبوية الكريمة : قبر ابراهيم بن رسول الله وقبر اخته رقية بنت رسول الله .

وفى تلك الزاوية قبر عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب وسعد بن ابي وقاص ، وعبد الله بن ذي الجناحين جعفر بن ابي طالب وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الرحمن بن مسعود صاحب سر رسول الله وصاحب سواكه ونعليه وطهوره فى السفر .

وفى البقيع كذلك قبر امام دار الهجرة ابي عبد الله بن انس ، وقبر فاطمة بنت اسد بن هاشم ام علي بن ابي طالب ، وقبر العباس عم رسول الله .

وان سالت عن فاطمة الزهراء ، وعن زين العابدين علي بن الحسين ، وعن الحسن بن علي سيد شباب الجنة الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اللهم اني احبه فاحبه » .

ـ ان سالت عن هؤلاء فالبقيع ينبئك .

وانها ـ وايم الحق ـ اسماء فتحت للتاريخ فى دخولها رحاب الخلود والمجد ابوابا وعقدت مع النضال فى باحات العقيدة العهود والمواثيق ـ فنضر الله تلكم الاسماء التي لم تكن شهبا عارضة ، بل نجوما ثابتات متالقات .

— * —

وفى سفح « احد » الذى احب رسول الله ، واحبه رسول الله وقفنا ، فيا له من جبل مبارك ، قال له الرسول حين كاد يميد يوم قضى حمزة شهيدا : « اثبت احد فان عليك نبيا وشهيدين » . فثبت الجبل وما ماد بعد .

وكلما اشرقت الشمس وامتدت بشعاعها الى سفح احد كل صبح جديد ، على بعد فرسخ من المدينة ، حيث انوار النهار قبرا قائما هناك ، هو قبر ابي يعلى سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله .. وكلما اشرقت الشمس وامتدت بشعاعها الى سفح جبل احد حيث قبور من حول قبر حمزة من الشهداء الذين لاقوا ربهم يوم الواقعة المشهورة ، ومنهم عبد الله بن جحش ومصعب بن عمير .

هناك وقفنا ورددنا مع المرددين :

السلام عليكم يا شهداء احد . السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار .

ومضى حمزة شهيدا فجل
الخطب فينا واخرس الخطباء

عيني ابكي واسعديني فقد عيل
اصطباري وعز مني العزاء

قتلوه بقومهم يوم بدر
وبشسع من نعله هم بواء

— * —

وفى المدينة كانت مظاهر العيد شائعة ذائعة . الجو مشرق واضح القسمات . ومنارات المسجد الشريف ذاهبات فى السماء الزرقاء . والصبية يغدون ويروحون عبر الشوارع والدروب فى حبور وسرور .. يلبسون العباءات الصغيرة ويغطون رؤوسهم بالكوفيات الناصعة البياض . اما الفتيات الصغيرات فقد اسبغ عليهن العيد ثيابا تحاكي ثياب العرائس .. وفوق رؤوسهن خمر بيض .

ولله در الماعز المنتشرة فى طرقات المدينة مع صغارها . انه قلما يخلو بيت فى المدينة من ماعز تدر الحليب لاصحابها .

والباعة فى المدينة منصرفون الى امورهم يبيعون ولا يساومون .. فان راقت السلعة فى عينك اشتريت .. والا مضيت ، لشانك .

وامام باب الحرم النبوي باعة القمح يفترشون الارض منادين قائلين : « الحب ، الحب » وفى الناس من يعرج عليهم فيشتري منهم لينثر القمح فى حصاة المسجد طعاما لحمام الحمى ، انه الرزق الحلال لتلك الحمائم ، والله وحده الرزاق بغير حساب .

— * —

وطفنا بمساجد المدينة ، وادينا فى كل منها تحية المسجد ، والمدينة بلد المساجد المأثورة المشهورة نظرا لصلة بيوت الله تلك بالنبي صلى الله عليه وسلم .

فهذا مسجد قباء المذكور فى سورة التوبة ، وهو اول مسجد اسس على التقوى ، واول مسجد انشيء فى المدينة ، وفيه رحبة قيل ان بها مبرك ناقة الرسول الذى كان يأتيه كل يوم سبت . وهذا مسجد الجمعة ، وفيه صلى رسول الله اول جمعة بالناس ، يوم اقبل من قباء زمن الهجرة الى المدينة .

وفى الجنوب الغربي من الموقع المسمى ب « المناخة » فى المدينة المنورة يقوم مسجد الغمامة ،

وبقرب موقعه كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقيم صلاة العيدين .

وفى الناحية الغربية من جبل سلم (الذى يقع فى شمال المدينة) يقوم مسجد الفتح ، ويعرف باسم مسجد الاحزاب ، لانه بني فى الموضع الذى دعا النبي فيه على الاحزاب فى غزوة الخندق فاستجاب الله الدعاء وفتح على المسلمين .

وعلى احدى الهضاب ، فى الشمال الغربي من المدينة يقوم مسجد صغير ، هو مسجد القبلتين الذى صلى فيه النبي متجها الى بيت المقدس ، وفيه امر بالتحول شطر البيت العتيق .

— * —

ثم .. ازف الترحل .

ووقفنا عند رسول الله مسلمين :

اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بمسجد رسولك وحرمه .

اللهم يسر لنا للعودة الى الحرمين سبيلا سهلا .

اللهم ارزقنا العفو والعافية فى الدنيا والآخرة.

— * —

وفى طريق العودة ، كان البرق يبدو فى الآفاق ، فتمثلت قول القائل :

حي يا برق بالحجاز عريبا
من نداهم لكل دوح غذاء

حي يا برق بالمدينة حيا
لعلاهم قد دانت الاحياء

منهم الغاديات نالت حباها
واستمدت حياتها الاحياء

الرباط — احمد صالح الطيب

شبهات حاقدة حول الاسلام :

الدين الحق في الرد على كتاب بيان الحق

للاستاذ توفيق على وهبة

- 4 -

فى الجزء الاول من كتاب مقارنات الاديان الخاص بالديانات القديمة عند فضيلة استاذنا العلامة الشيخ محمد ابو زهرة مقارنة بين ما يعتقده الوثنيون الهنود فى كرشنة ابن الله وبوذا ابن الله وما يعتقده النصارى فى المسيح ابن الله فكاد الاعتقادان أن يتطابقا .

والمعروف ان الوثنية الهندية اقدم من الديانة المسيحية وبذلك يكون المسيحيون هم الذين اقتبسوا قول الهنود فى حكمائهم وتأليههم لهم ونشر الاساطير والخرافات عنهم ورفعهم عن مستوى البشر حتى قالوا انهم آلهة او ابناء الله قد حلت روحه سبحانه فى اجسادهم فكانوا آدميين مع البشر وآلهة فى حقيقة امرهم .

وما يقوله الهنود قاله النصارى فى المسيح عليه السلام مما دعا بعض الفلاسفة الى انكار وجود المسيح واعتباره شخصية اسطورية لم يكن لها اي وجود حقيقي على الاطلاق اللهم الا في رؤوس مفكري المسيحية الذين اختلقوا هذه الشخصية الغير حقيقية ..

وكما سبق انبينا مرارا لم يشهد بوجود المسيح وبصدق دعوته وطهارة امه غير القرآن الكريم مما يوجب على جميع المسيحيين احترامه وتقديسه ككتاب سماوي .

ولقد سمعت من استاذي الشيخ محمد ابو زهرة ــ اطال الله بقاءه ــ انه سمع من أستاذه الشيخ احمد ابراهيم رحمه الله انه لم يتناقش مع احد من المسيحيين حول المسيح او الديانة المسيحية الا طلب منه اثبات ديانته واقناعه بها دون الرجوع الى القرآن الكريم فلم يستطع احد اقناعه .

ويريد استاذنا ــ مد الله فى عمره ــ واستاذه ــ رحمه الله ــ اقناع المسيحيين بقيمة شهادة القرآن للمسيح عليه السلام حينما يعجزون عن اثبات دينهم دون الاستناد الى القرآن الكريم .

ونحن على آثار استاذنا ــ حفظه الله ــ واستاذه ــ عليه رحمة الله ــ ندعو الكاتب وامثاله الى اثبات دينهم دون الرجوع الى القرآن الكريم ، لان الكاتب اخذ يدلل على صدق المسيحية والمسيح بشهادة القرآن ، ثم بعد ان تم له ما اراد عاد ليهاجم القرآن ويفتري عليه .

فالكاتب مخير بين امرين :

اولا : اما ان يؤمن بالقرآن ويستشهد به فى كل ما يريد .

ثانيا : واما لا يؤمن به فلا يكون من حقه الاستشهاد به لانه فى قرارة نفسه لا يؤمن بصدقه فكيف به يستشهد بدليل لا يؤمن هو بصحته . واعتقد اعتقادا جازما انه لن يستطيع التدليل على صحة دعواه اذا لم يستند على ما جاء بالقرآن الكريم ..

ويبدو ان مؤلف كتاب بيان الحق قد اطلع على المقارنة التى عقدها فضيلة استاذنا الشيخ ابو زهرة

فى كتابه المشار اليه بين ما يقوله الهنود الوثنيون عن كريشنة وبوذا وبين ما يقوله المسيحيـــون عن المسيح عليه السلام . فعجز عن الرد عليه لادلتـــه القوية الدامغة ، واراد ان يرد الكيل فاخترع حكاية اقتباس القرآن الكريم الكثير من انجيل يوحنا وعمل جدولا بالآيات القرآنية التى ادعـى اقتباســها مــن الانجيل وقد فندناها فيما سبق وثبت كذب دعواه .

وسوف ننقل فيما يلي المقارنـة المشار اليهـا والتى نقلها فضيلة استاذنا من كتاب « العقائد الوثنية فى الديانة المسيحية» وتثبت هذه المقارنة بالدليـل القاطع تحريف المسيحيين لكتابهم المقدس وادعائهم زورا وبهتانا على المسيح عيسى ابن مريم انه ابن الله وهو بريء منهم ومما يدعون وسوف يرد على ادعائهم لرب العالمين فيقول « ما قلت لهم الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ، وانت على كل شيء شهيد » .

صدق الله العظيـم

اولا : مقارنة بين اقوال الهنود فى كريشنـةواقوال النصارى فى المسيح .

اقوال الهنود الوثنيين فى كرشنـة ابـــن اللـــه	اقوال النصـــارى المسيحييـــن فى يســوع المسيـــح ابـــن اللـــه
كرشنة : « هو المخلـص والفـادي والمعـزي والراعي الصـالح والوسيـط وابن الله الأقنوم الثاني من الثالوث المقـدس ، وهــو الأب والابــن وروح القدس » .	يسوع المسيح : « هو المخلص والفادي والمعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله والاقنوم الثاني من الثالـوث المقــدس ، وهـــو الأب والابــن وروح القدس » .
1) قد مجد الملائكة ديفاكي والدة كرشنة ابن الله، وقالوا يحق للكون ان يفاخر بابن هذه الطاهرة.	1) دخل الملاك على مريـم العـذراء والدة يسوع المسيح وقال لها سلام لك ايها المنعم عليها الرب معــك .
2) عرف الناس ولادة كرشنة من نجمه الذى ظهر فى السماء .	2) لما ولد يسوع المسيح ظهر نجمـه فى المشـــرق وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس محـــل ولادته .
3) لما ورد كرشنة سبحت الارض وانارها القمـر بنوره وترنمت الارواح وهامت ملائكة السماء فرحا وطربا ، ورتل السحاب بانغام مطربة .	3) لما ولد يسوع المسيح رتــل الملائكة فرحــا وسرورا وظهر من السحاب انغام مطربة .
4) كان كرشنة من سلالة ملوكانية ولكنه ولد فى غار بحال الذل والفقر .	4) كان يسوع المسيح من سلالة ملوكانية ويدعونه « ملك اليهود » ولكنه ولــد فى حالــة الـذل والفقر بغار .
5) لما ولد كرشنة اضيء الغار بنور عظيم وصـــار وجه امه ديفاكي يرسل اشعة نور ومجد .	5) لماولد يسوع المسيح اضيء الغار بنور عظيـم اعيا بلمعانه عيني القابلة وعيني خطيـب أمـه يوسف النجار .

1) كتاب تاريخ الهند المجلد الثاني ص 329 .

2) كتاب تاريخ الهند المجلـد الثانـي ص 317 ، 367 .

1) انجيل لوقا الاصحـاح الثـالث ص 28 ، 29 وانجيل مريم الاصحاح السابع .

2) انجيل متى الاصحاح الثاني العدد 3

اقوال الهنود الوثنيين فى كرشنة ابن الله

6) ومن بعد ما رضعته صارت تبكي وتندب سوء عاقبة رسالته فكلمها وعزاها .

7) وعرفت البقرة انكرشنة اله وسجدت له .

8) وآمن الناس بكرشنة واعترفوا بلاهوته وقدموا له هدايا من صدل وطيب .

9) وسمع نبي الهنود « نارد » بمولد الطفل الالهي كرشنة فذهب وزاره فى « توكول » وفحص النجوم فتبين له من فحصها انه مولود الهي يعبد .

10) لماولد كرشنة كان « ناندا » خطيب امه ديفاكي غائبا عن البيت حيث اتى الى المدينة كي يدفع ما عليه من الخراج للملك .

11) ولد كرشنة بحال الذل والفقر مع انه من عائلة ملوكانية .

12) وسمع ناندا خطيب امه ديفاكي والدة كرشنة نداء من السماء يقول له : قم وخذ الصبي وامه فهربهما الى كاكول واقطع نهر جمنه لان الملك طالب اهلاكه .

---

3) كتاب فشنو بورانا ص 502

4) كتاب دوان ص 297 .

5) دوان ص 297 .

6) تاريخ الهند المجلد الثاني ص 311

7) دوان ص 279 .

8) كتاب الديانات الشرقية ص 500 وكتاب الديانات القديمة المجلد الثاني ص 353 .

9) تاريخ الهند المجلد الثاني ص 317

10) كتاب فشنو بورانا الفصل الثاني من الكتاب الخامس .

11) التنقيبات الآسيوية المجلد الاول ص 259 وتاريخ الهند المجلد الثاني ص 310 .

12) كتاب فشنو بورانا الفصل الثالث .

اقوال النصارى المسيحيين فى يسوع المسيح ابن الله

6) وقال يسوع المسيح لامه وهو طفل : يا مريم أنا يسوع بن الله وجئت كما اخبرك جبرائيل الذى ارسله ابي اليك وقد اتيت لاخلص العالم .

7) وعرف الرعاة يسوع وسجدوا له .

8) وآمن الناس بيسوع وقالوا بلاهوته واعطوه هدايا من طيب ومر .

9) ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى ايام هيرودس الملك المجوس من المشرق قد جاؤوا الى اورشليم قائلين : اين هو المولود ملك اليهود .

10) ولما ولد يسوع كان خطيب امه غائبا عن البيت واتى كي يدفع ما عليه من الخراج للملك .

11) ولد يسوع المسيح بحالة الذل والفقر مع انه من سلالة ملوكانية .

12) وانذر يوسف النجار خطيب مريم والدة يسوع بحلم كي يأخذ الصبي وامه ويفر بهما الى مصر لان الملك طالب اهلاكه .

---

3) انجيل لوقا الاصحاح الثاني العدد 13

4) دوان ص 279 .

5) انجيل ولادة يسوع المسيح الاصحاح 12 والعدد 13 .

6) انجيل الطفولية الاصحاح الاول العدد الثاني والثالث .

7) انجيل لوقا الاصحاح الثاني من عدد 8 ــ 10

8) انجيل متى الاصحاح الثاني العدد 2

9) انجيل متى الاصحاح الثاني عدد 1 ، 2

10) انجيل لوقا الاصحاح الثاني من عدد 1 ــ 17.

11) انظر تعداد نسبة فى انجيل متى وانجيل لوقا .

12) انجيل متى الاصحاح الثاني عدد 13 .

اقوال الهنود الوثنيين فى كرشنة ابن الله

13) وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنة الطفل الالهي وطلب قتل الولد ، وكي يتوصل امنيته امر بقتل كافة الاولاد الذكور الذين ولدوا فى الليلة التى ولد فيها كرشنة .

14) واسم المدينة التى ولد فيها كرشنة « مطرا » وفيها عمل الآيات العجيبة ولم تزل محل التعظيم والاحترام عند الهنود العابدين للاوثان القائلين عن كرشنة انه ابن الله وانه الله الى يومنا هذا .

15) كانت ولادة القديس راما قبل ظهور كرشنة فى الناسوت بزمن قليل وقد سعى فانسا ملك البلاد فى اهلاك القديس راما واهلاك كرشنة ايضا .

16) وربي كرشنة بين الرعاة ولما جيء به الى مطرا كان فى احتياج عظيم الى التعليم فأتى له بمعلم خبير وفى وقت قليل فاق على استاذه فى العلوم واعياه فى المسائل العلمية السنسكريتية الدقيقة .

17) وفى احد الايام كان كرشنة سائرا مع قطيع من البقر فاختاروه ملكا عليهم وذهبت كل بقرة الى المكان الذى عينه لها هذا الملك .

---

13) دوان ص 280 .
14) تاريخ الهند المجلد الثاني ص 17 م والتنقيبات الاسيوية المجلد الاول ص 259 .
15) تاريخ الهند المجلد الثاني ص 316 .
16) دوان ص 280 وتاريخ الهند .
17) تاريخ الهند المجلد الثاني ص 312 .

اقوال النصارى المسيحيين فى يسوع المسيح ابن الله

13) وسمع حاكم البلاد بولادة الطفل يسوع الالهي وطلب قتله ، وكي يتوصل الى امنيته امر بقتل كافة الاولاد الذين ولدوا فى الليلة التى ولد فيها يسوع المسيح .

14) واسم المدينة التى هاجر اليها يسوع المسيح فى مصر لما ترك اليهودية المطرية ويقال انه عمل فيها آيات وقوات عديدة .

15) وكانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح بزمن قليل وقد سعى الملك هيرودس فى اهلاك الطفل يسوع المسيح وكان يوحنا مبشرا بولادة يسوع المسيح .

16) وارسل يسوع المسيح الى عند المعلم زاخوس كي يعلمه فكتب له احرف الف ، باء وقال ليسوع قل ـ الف ـ فقال الرب يسوع اخبرني اولا عن معنى حرف الالف ومن بعده اقول حرف الباء فتهدد المعلم يسوع بالضرب فقام يسوع وفسر معنى الالف والباء واخبره عن الحروف المستقيمة والحروف المنحنية والحروف المثناة والتى لها نقط وحركات والتى ليس لها نقط ولماذا وضعت فى هذا الترتيب اي بعض الحروف قبل غيرها وطفق يخبر عن اشياء لم يسمع بها المعلم من قبل ولم يقراها فى كتاب .

17) وفى شهر ازار جمع يسوع الاولاد ورتبهم كانه ملك عليهم واذا مر بهم احد كانوا يأخذونه غصبا ويأمرونه بالسجود للملك .

---

13) انجيل متى الاصحاح الثاني
14) المقدمة على انجيل الطفولية تاليف هيجين .
15) انجيل تاريخ ولادة يسوع المسيح الاصحاح السادس .
16) انجيل الطفولية الاصحاح العشرين عدد 1 الى 8 .
17) انجيل الطفولية الاصحاح 18 من عدد 1 ـ 3.

اقوال الهنود الوثنيين فى كرشنة ابن الله

18) وفى احد الايام لسعت الحية بعض اصحاب كرشنة الذين يلعب معهم فماتوا فاشفق عليهم لموتهم الباكر ونظر اليهم بعين الوهيته فقاموا سريعا من الموت وعادوا احياء .

19) وسرق بعض اصحاب كرشنة مع عجولهم واخفاهم السارقون فى غار فخلق كرشنة اصحابا وعجولا مثلهم فى الشكل والهيئة .

20) واول الآيات والعجائب التى عملها كرشنة شفاء الابرص .

21) واوتي كرشنة بامراة فقيرة مقعدة ومعها اناء فيه طيب وزيت وصندل وزعفران وغير ذلك من انواع الطيب فدهنت منه جبين كرشنة بعلامة مخصوصة وسكبت الباقي على راسه .

22) كرشنة صلب ومات على الصليب .

23) لما مات كرشنة حدثت مصائب وعلامات شر عظيم واحاط بالقمر هالة سوداء واظلمت الشمس فى وسط النهار وامطرت السماء نارا ورمادا وتأججت اشعة نار حامية وصار الشياطين يفسدون فى الارض وشاهد الناس الوفا من الارواح فى جو السماء — يتراوحون صباحا ومساء وكان ظهورها فى كل مكان .

24) وثقب جنب كرشنة بحربة .

25) وقال كرشنة للصياد الذى رماه بالنبلة وهو مصلوب اذهب ايها الصياد محفوفا برحمتي الى السماء مسكن الآلهة .

---

18) تاريخ الهند المجلد الثاني ص 343 .
19) تاريخ الهند المجلد الثاني ص 14
وكتاب خرافات الآريين المجلد الثاني ص 136
20) تاريخ الهند المجلد الثاني ص 319 .
21) تاريخ الهند المجلد الثاني .
23) كتاب ترقي التصورات الدينية المجلد الاول ص 17 .

اقوال النصارى المسيحيين فى يسوع المسيح ابن الله

18) وبينما كان يسوع يلعب لسعت الحية احد الصبيان الذين كان يلعب معهم فلمس يسوع ذلك الصبي بيده فعاد الى حال صحته .

19) واخفى الاولاد الذين كانوا يلعبون مع يسوع انفسهم فى فرن فبدلوا الى هيئة جداء فناداهم يسوع تعالوا الى هنا يا ايها الاولاد للعب فاعيدت تلك الجداء هيئتهم الاولى صبيانا .

20) واول الآيات والعجائب التى عملها يسوع المسيح هي شفاء الابرص .

21) وفيما كان يسوع فى بيت عنيا فى بيت سمعان الابرص تقدمت اليه امراة معها قارورة طيب كثيرة الثمن فسكبته على راسه وهو متكيء.

22) يسوع صلب ومات على الصليب .

23) لما مات يسوع حدثت مصائب جمة متنوعة وانشق حجاب الهيكل من فوق الى تحت ، واظلمت الشمس من الساعة السادسة الى الساعة التاسعة وفتحت القبور وقام كثيرون من القديسين وخرجوا من قبورهم .

24) وثقب جنب يسوع بحربة .

25) وقال يسوع لاحد اللصين اللذين صلبا معه الحق اقول لك انك اليوم تكون معي فى الفردوس .

---

18) انجيل الطفولية الاصحاح 18 .
19) انجيل الطفولية الاصحاح 18 .
20) انجيل متى الاصحاح الثامن العدد الثاني .
21) انجيل متى الاصحاح السادس والعشرين عدد 6 ، 7 .
23) انجيل متى الاصحاح الثاني والعشرين وانجيل لوقا ايضا .

اقوال الهنود الوثنيين فى كرشنة ابـــن اللـــه

26) ومات كرشنة ثم قام من بين الاموات .
27) ونزل كرشنة الى الجحيم .
28) وصعد كرشنة بجسده الى السماء وكثيرون شاهدوه صاعدا .
29) ولسوف ياتي كرشنة فى اليوم الاخير ويكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد اشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الارض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء .
30) وهو اي كرشنة يدين الاموات فى اليوم الاخير .
31) ويقولون عن كرشنة : الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الابدي .
32) كرشنة الالف والباء وهو الاول والوسط وآخر كل شيء .
33) لما كان كرشنة على الارض حارب الارواح الشريرة غير مبال بالاخطار التى كانت تكتنفه ونشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات كاحياء الميت وشفاء الابرص والاصم والاعمى واعادة المخلوع كما كان اولا ، ونصرة الضعيف على القوي ، والمظلوم على ظالمه وكانوا اذ ذاك يعبدونه ، ويزدحمون عليه ويعدونه الها .

24) دوان ص 283 .
25) فشنو برانا ص 282 .
26) دوان ص 282 .
27) دوان ص 282 .
28) دوان ص 282 .
29) دوان ص 282 .
30) دوان ص 283 .
31) دوان ص 282 .
32) دوان ص 282 .

اقوال النصارى المسيحيين فى يسوع المسيـــح ابـن اللـــه

26) ومات يسوع ثم قام من بين الاموات .
27) ونزل يسوع الى الجحيم .
28) وصعد يسوع الى السماء وكثيرون شاهدوه صاعدا .
29) ولسوف ياتي يسوع فى اليوم الاخير كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد اشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الارض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء .
30) ويدين يسوع الاموات فى اليوم الاخير .
31) ويقولون عن يسوع المسيح : انه الخالق لكل شيء مما كان فهو الصانع الابدي .
32) يسوع الالف والباء وهو الاول والوسط وآخر كل شيء .
33) لما كان يسوع على الارض كان يحارب الارواح الشريرة غير مبال بالاخطار التى كانت تكتنفه وكان ينشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات، كاحياء الميت وشفاء الابرص والاصم والاخرس والاعمى والمريض، وينصر الضعيف على القوي والمظلوم على ظالمه وكان الناس يزدحمون عليه ويعدونه الها .

24) دوان ص 282 .
25) انجيل لوقا الاصحاح الثالث والعشرين عدد 3 ، 4 .
26) انجيل متى الاصحاح 28 .
27) دوان ص 282 وكذلك كتاب الايمان المسيحي
28) انجيل متى الاصحاح الرابع والعشرين .
29) انجيل متى الاصحاح 24 .
30) انجيل متى الاصحاح 24 العدد 1 ، 3 ورسالة الرومانيين .
31) انجيل يوحنا الاصحاح الاول من عدد 1 ، 3 ورسالة كورنسوس الاولى افسس الاصحاح الثالث العدد 9 .
32) سفر الرؤية الاصحاح الاول العدد 8 .
33) انظر الانجيل والرسائل ترى كثيرا من هذا الذى ذكرناه .

اقوال الهنود الوثنيين فى كرشنة ابن الله

34) كان كرشنة يحب تلميذه ارجونا اكثر من بقية التلاميذ .

35) وفى حضور ارجونا بدلت هيئة كرشنة واضاء وجهه كالشمس ومجد العلى اجتمع فى اله الآلهة فاحنى ارجونا راسه تدللا ومهابة وتكتف تواضعا وقال باحترام : الآن رأيت حقيقتك كما انت واني ارجو رحمتك يا رب الارباب فعد واظهر فى ناسوتك ثانية انت المحيط بالملكوت .

36) وكان كرشنة خير الناس خلقا وخلقا وعلما باخلاص ونصح وهو الطاهر العفيف مثال الانسانية وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل ارجل البرهميين وهو الكاهن العظيم برهما وهو العزيز القادر ظهر لنا بالناسوت .

37) كرشنة هو برهما العظيم القدوس وظهوره بالناسوت سر من اسراره العجيبة الالهية .

38) كرشنة الاقنوم الثاني من الثالوث المقدس عند الهنود الوثنيين القائلين بالوهيته .

39) وامر كرشنة كل من يطلب الايمان باخلاص ان يترك املاكه وكافة ما يشتهيه ويحبه من مجد هذا العالم ويذهب الى مكان خال من الناس ويجعل تصوره فى الله فقط .

---

34) كتاب بها كافات كيتا .

35) كتاب مورس وليمس المدعو « بن الهنود » ص 215 .

36) المرجع السابق ص 144 .

37) فشنو بورانا ص 492 عندشرح حاشية عدد 3 .

38) كتاب مورس وليمس المدعو العقائد .

39) ديانة الهنود الوثنية ص 211 .

اقوال النصارى المسيحيين فى يسوع المسيح ابن الله

34) كان يسوع يحب تلميذه يوحنا اكثر من بقية التلاميذ .

35) وبعد ستة ايام اخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا اخاه وصعد بهم الى جبل عال منفردين وتغيرت هيئته قدامهم واضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالثلج وفيما هو يتكلم اذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائل هذا هو ابن الحبيب الذى سررت له اسمعوا ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدا .

36) كان يسوع خير الناس خلقا وعلما باخلاص هو الطاهر العفيف مكمل الانسانية ومثالها وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل ارجل التلاميذ وهو الكاهن العظيم القادر ظهر لنا بالناسوت .

37) يسوع هو يهوه العظيم القدوس وظهوره فى الناسوت سر من اسراره العظيمة الالهية .

38) يسوع الاقنوم الثاني من الثالوث المقدس عند النصارى .

39) وامر يسوع كل من يطلب الايمان باخلاص ان يفعل كما يأتي واما انت فمتى صليت فادخل الى مخدعك واغلق بابك وصل الى ابيك الذى فى الخفاء فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية .

---

34) انجيل يوحنا الاصحاح 13 العدد 23 .

35) انجيل متى الاصحاح 17 من عدد 1 الى 9

36) انجيل يوحنا الاصحاح 13 .

37) رسالة ثيمو ثاروس الاولى الاصحاح الثالث.

38) انظر كافة كتبهم الدينية وكذلك الاناجيل والرسائل .

39) انجيل متى الاصحاح 6 عدد 6 .

اقــوال الهنـود الوثنييـن فى بـوذا ابـن اللـه

40) وقال كرشنة لتلميذه الحبيب ارجونا انه مهما عملت ومهما اعطيت الفقير ومهما اكلت ومهما قربت من قربان مهما فعلت من الاعمال المقدسة فليكن جميعه باخلاص لي انا الحكيم والعليم ليس لـي ابتـداء وانا الحاكـم المسيطـر والحافظ .

41) قال كرشنة انا علة وجود الكائنـات فى كانت وفى تحل وعلى جميع ما فى الكـون يتكل وفى يتعلق كاللؤلؤ المنظوم فى خيط .

42) وقال كرشنة انا النور الكائن فى الشمس والقمر وانا النور الكائن فى اللهب ونا النـور كـل ما يضيء ونور الانوار ليس فى ظلمة .

43) قال كرشنة انا الحافظ للعالم وربه وملجؤه وطريقه .

44) وقال كرشنة : « انا صلاح الصالح وانا الابتداء والوسط والاخير والابدي وخالق كل شيء وانا فناؤه ومهلكه .

45) وقال كرشنة لتلميـذه الحبيـب لا تحزن يا ارجونا من كثرة ذنوبك انا اخلصك منها فقط. ثق بي وتتوكل علي واعبدني واسجد لي ولا تتصور احـدا سـوأي لانك هكذا تأتـي الى المسكن العظيـم الذى لا حاجـة فيه لضـوء الشمس والقمر اللذين نورهما مني .

---

40) مورس وليمس ديانة الهنود والوثنييـن ص 211 .

41) مورس وليمس ديانة الهنـود الوثنييـن ص 212 .

42) كتاب موريس وليمس ديانة الهنود ص 213 .

43) دوان صفحة 283 .

44) كتاب موريس وليمس ديانة الهنود الوثنيين ص 213 .

45) كتاب موريس وليمس ديانة الهنود الوثنييـن ص 213 .

اقــوال النصـارى المسيحييـن فى المسيـح ابـن اللـه

40) فاذا كنتم تاكلون او تشربون او تفعلون شيئا فافعلوا كل شيء لمجد الله .

41) من يسوع وفى يسـوع وليسـوع كل شيء « كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان »

42) ثم كلمهم يسوع قائلا اناهو نور العالـم من يتبعني فلا يمشي فى الظلمة .

43) قال له يسوع انا هو الطريق والحق والحياة ليس احد ياتي الاب الا بي .

44) وقال يسوع انا هو الاول والآخـر ولـي مفاتيح الهاوية والموت .

45) وقال يسوع للمفلوج ثق يا بني مغفـورة لـك خطاياك يا بني اعطني قلبك والمدينة لا تحتاج الى شمس ولا الى قمر ليضيئا فيها الحروف سراجها .

---

40) رسالة كورنتوس الاولى الاصحاح العاشـر من عدد 1 : 3 .

41) انجيل يوحنا الاصحاح الاول من عدد 31 .

42) انجيل يوحنا الاصحاح 8 العدد 12 .

43) انجيل يوحنا الاصحاح الرابع عشر عدد 6 .

44) رؤيا يوحنا الاصحاح الاول من عدد 17 ــ 18.

45) انجيل متى الاصحـاح 9 عـدد 2 وسفـر الامثال الاصحاح 23 عدد 26 وسفر الرؤيـا الاصحاح 12 عدد 23 .

ثانيا : مقارنة بين اقوال الهنود فى بوذا واقوال النصارى فـي المسيـح

	اقوال الهنود الوثنيين في بوذا ابن الله	اقوال النصارى المسيحيين فى المسيح ابن الله
1)	كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا	كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم .
2)	اما نزل بوذا من مقعد الارواح ودخل فى جسد العذراء مايا صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة .	لما نزل يسوع من مقعده السماوي ودخل فى جسد مريم العذراء صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة .
3)	وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر فى افق السماء ويدعونه « نجم بوذا » .	وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر فى المشرق وقال دوان : من الواجبات ان يدعى « نجم المسيح » .
4)	لما ولد بوذا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة اناشيد المجد للمولود المبارك قائلين : ولد اليوم بوذا على الارض كي يعطي الناس المسرات والسلام ويرسل النور الى المحلات المظلمة ويهب بصرا للعمى .	لما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء والارض ورتلوا الاناشيد حمدا الواحد المبارك قائلين المجد لله فى الاعالي وعلى الارض السلام وبالناس المسرة .
5)	وعرف الحكماء بوذا وادركوا اسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى حياه الناس ـ ودعوه الها .	وقد زار الحكماء يسوع وادركوا اسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى دعوه اله الآلهة .
6)	واهدوا بوذا وهو طفل هدايا من مجوهرات وغيرها من الاشياء الثمينة .	واهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب وطيب ومر .
7)	لما كان بوذا طفلا قال لامه مايا انه اعظم الناس جميعا .	لما كان يسوع طفلا قال لامه مريم : (انا ابن الله) .
8)	كان بوذا ولدا مخيفا وقد سعى الملك بميسارا وراء قتله لما اخبروه ان هذا الغلام سينزع الملك من يده ان بقي حيا .	كان يسوع ولدا مخيفا سعى الملك هيرودوس وراء قتله كيلا ينزع الملك من يده .
9)	لما ارسل بوذا الى المدرسة ادهش الاساتذة مع انه لم يدرس من قبل وفاق الجميع فى الكتابة والرياضيات والعلوم العقلية والهندسية والتنجيم والكهانة والعرافة .	لما ارسل يسوع الى المدرسة ادهش استاذه ذاخيوس وقال لابيه يوسف « لقد أتيتني بولد لاعلمه مع انه اعلم من كل معلم » .

5) دوان ص 290 .
6) دوان ص 290 .
7) كتاب هردى المدعو العقائد البوذية ص 145 ، 146 .
8) كتاب تاريخ البوذية تاليف نيل ص 103 و104
9) كتاب هردى « العقائد البوذية » وتاريخ الديانة البوذية لنيل .

5) انجيل متى الاصحاح الثاني من عدد 1 الى 11 .
6) انجيل متى من الاصحاح 2 عدد 11 .
7) انجيل الطفولية الاصحاح 1 عدد 3 .
8) انجيل متى الاصحاح الثاني العدد الاول .
9) انجيل الطفولية الاصحاح 20 وانجيل لوقا .

اقوال الهنود الوثنيين في بوذا ابن الله

10) لما صار عمر بوذا اثنتي عشرة سنة دخل الهياكل وصار يسأل اهل العلم مسائل عويصة ثم يوضحها لهم حتى فاق كافة مناظريه .

11) ودخل بوذا مرة اخرى احد الهياكل فقامت الاصنام من اماكنها وتمددت عند رجليه سجودا له .

12) ويصلون نسب كوتاما بوذا من ابيه : « صدودانا فى اناس كلهم من سلالة ملوكانية الى ماها سماطا وهو على زعمهم اول ملك صار فى الدنيا . والحوادث والانساب المذكورة فى كتاب « بيسوراز » البرهمي وتجد فى انسابه غير انه لا يمكن تحقيق الحوادث ونسبتها مع غيرها وسبب ذلك هو ان مؤرخي البوذية اخترعوا فيها اسماء تمكنهم من اعلاء نسب حكيمهم فوق اعتبارهم اياه الها .

13) لما عز بوذا على السياحة قصد التعبد والتنسك وظهر عليه « مارا » أي الشيطان ، كي يجربه .

14) وقال مارا « الشيطان » لبوذا لا تصرف حياتك فى الاعمال الدينية لانك بمدة سبعة ايام تصير ملك الدنيا .

15) فلم يعبأ بوذا بكلام الشيطان بل قال له اذهب عني .

16) ولما ترك مارا « أي الشيطان » تجربة بوذا امطرت السماء زهرا وطيبا ملأ الهواء طيب عرفه .

---

10) بنصن « الملاك المسيح » ص 37 .
11) بنصن « الملاك المسيح » ص 67 الى 69 .
12) دوان ص 291 .
13) دوان ص 292 .
14) دوان ص 292
15) دوان ص 292 .
16) دوان ص 292 .

اقوال النصارى المسيحيين فى المسيح ابن الله

10) لما صار عمر يسوع اثنتي عشرة سنة جاؤوا به الى اورشليم وصار يسأل الاحبار والعلماء مسائل مهمة ثم يوضحها لهم وادهش الجميع.

11) وكان يسوع مارا قرب حاملي الاعلام فأحنت الاعلام رؤوسها سجودا له .

12) ويعدون سلالة يسوع من ابيه يوسف فى اشخاص مختلفين وكلهم من سلالة ملوكانية الى آدم ابي البشر وكثير من الاسماء والحوادث المذكورة فى سلالته مذكورة فى التوراة كتاب اليهود .

13) لما شرع يسوع فى التبشير ظهر له الشيطان كي يجربه .

14) وقال « اي ابليس » له (اي يسوع) اعطيك هذه «اي الدنيا» جميعها ان خررت وسجدت لي .

15) فأجابه المسيح وقال اذهب يا شيطان .

16) ثم تركه ابليس واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه .

---

10) انجيل الطفولية عدد 21 عدد 21 .
11) انجيل نيكوديموس الاصحاح الاول عدد 20 .
13) انجيل متى الاصحاح 4 عدد 1 : 8
14) انجيل متى الاصحاح 4 من 10 — 11 .
15) انجيل لوقا الاصحاح 4 عدد 8 .
16) انجيل متى الاصحاح 4 عدد 2

اقوال الهنود الوثنيين في بوذا ابن الله

17) وصام بوذا وقتا طويلا .

18) وقد عمد بوذا المخلص حين عمادته بالماء وكان روح الله حاضرا وهو لم يكن الاله العظيم فقط بل وروح القدس الذى فيه صار تجسد كوناما لما حل على العذراء مايا .

19) ولما كان بوذا على الارض فى اواخر ايامه بدلت هيئته وهو اذ ذاك على جبل « بندافا » – اي الاصفر المبيض فى « سيلان » ونزل عليه بغتة نور احاط برأسه على شكل اكليل ويقولون ان جسده اضاء منه نور عظيم وصار كتمثال من ذهب براق مضيء كالشمس او كالقمر وحينئذ تحول الى ثلاثة اقسام مضيئة وحينما راى الحاضرون هذا التحول فى هيئته قالوا ما هذا بشرا ان هو الا اله عظيم .

20) وعمل بوذا عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكرى اعظم العجائب مما يمكن تصوره .

21) وفى صلاتهم لبوذا يتامل المؤمنون به دخول الفردوس .

22) لما مات بوذا ودفن انحلت الاكفان وفتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية « اي بقوة الهية »

23) وصعد بوذا الى السماء بجسده لما اكمل عمله على الارض .

24) ولسوف يأتي بوذا مرة ثانية الى الارض ويعيد السلام والبركة فيها .

25) وسيدين بوذا الاموات .

---

17) دوان ص 292 .
18) كتاب الملاك المسيح ص 45 تاليف بنصن .
19) كتاب الملاك ص 45
20) دوان ص 293 .
21) دوان ص 293 .
22) كتاب بنصن الملاك المسيح
23) دوان ص 293 .
24) دوان ص 293
25) دوان ص 293 .

اقوال النصارى المسيحيين فى المسيح ابن الله

17) وصام يسوع وقتا طويلا .

18) ويوحنا عمد يسوع بنهر الاردن وكانت روح الله حاضرة وهو لم يكن الاله العظيم فقط بل والروح القدس الذى فيه تم تجسده عندما حل بالعذراء مريم فهو الاب والابن وروح القدس .

19) لما كان يسوع على الارض بدات هيئته «وبعد ستة ايام اخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا اخاه وصعد بهم الى جبل عال منفردين وتغيرت هيئته قدامهم واضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور .

20) وعمل يسوع عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكرى اعظم العجائب مما يمكن تصوره .

21) وفى صلاتهم ليسوع يتامل المؤمنون بالوهيته دخول الفردس .

22) لما مات يسوع ودفن انحلت الاكفان وفتح القبر بقوة الهية .

23) وصعد يسوع بجسده الى السماء من بعد صلبه لما كمل عمله فى الارض .

24) ولسوف يأتي يسوع مرة ثانية الى الارض ويعيد السلام والبركة فيها .

25) وسيدين يسوع الاموات .

---

17) انجيل متى الاصحاح 4 عدد 2
18) انجيل متى الاصحاح 7 عدد 1 ، 2 .
20) انجيل متى الاصحاح 8 عدد 28 – 34 وغيره .
21) دوان ص 293 .
22) انجيل متى الاصحاح 28 وانجيل يوحنا الاصحاح 20 .
23) اعمال الرسل الاصحاح الاول عدد 1 – 12 .
24) اعمال الرسل الاصحاح الاول .
25) انجيل متى الاصحاح 6 عدد 22 .

اقوال الهنود الوثنيين في بوذا ابن الله

26) بوذا الالف والباء ليس له انتهاء وهو الكائن العظيم ، والواحد الازلي .

27) قال بوذا فلتكن الذنوب التى ارتكبت فى هذه الدنيا علي ، ليخلص العالم من الخطيئة .

28) قال بوذا : اخفوا الاعمال الحسنة التى تفعلونها ، واعترفوا بذنوبكم علانية .

29) ويصفون بوذا انه ذات من نور غير طبيعية والشرير مارا (ويدعونه ايضا الحية) ذات مظلة غير طبيعية .

30) وفى احد الايام التقى اناندا تلميذ بوذا وهو سائر فى البلاد بالمرأة (مناجي) وهي من سبط الكندلاس المرذولين قرب بئر ماء ، فطلب منها قليلا من الماء فاخبرته عن سبطها وانه لا يجوز له ان يقترب منه ، لانها من سبط محتقر فقال لها يا اختي اني لم اسالك عن سبطك وعن عائلتك ، انما سألتك شربة ماء فصارت من ذاك الحين تلميذة بوذية .

31) قال بوذا انه لم يأت لينقض الناموس كلا بل اتى ليكمله وقد سره عد نفسه حلقة فى سلسلة المعلمين الحكماء .

32) وبحسب تعليم بوذا يجب ان تكون كافة اعمالنا مع أهلنا وجيراننا بالمحبة والحسنى .

---

26) دوان ص 293 .

27) كتاب مولر المدعو تاريخ الاداب السنسكريتية ص 80 .

28) مولر كتابه المدعو العلوم الدينية ص 28 .

29) بنصن الملاك المسيح ص 39 ودوان ص 294.

30) كتاب مولر المدعو العلوم الدينية ص 104

31) كتاب بنصن الملاك المسيح ص 47 ، 48 .

اقوال النصارى المسيحيين فى المسيح ابن الله

26) يسوع الالف والباء ليس له انتهاء وهو الكائن العظيم ، والواحد الابدي .

27) يسوع هو مخلص العالم وكافة الذنوب التى ارتكبت فى العالم تقع عليه عن الذين اقترفوها ، ويخلص العالم .

28) قال يسوع اخفوا الاعمال الحسنة التى تفعلونها . واعترفوا بذنوبكم علانية .

29) ويصفون يسوع ذات من نور غير طبيعية شمس بر وعدوه الشيطان الحية القديمة .

30) وفى احد الايام قعد يسوع قرب بئر ماء بعد ما سار مسافة ، حتى كاد ينهكه التعب ، وبينما هو قرب البئر عند مدينة السامرة اتت امرأة سامرية لتملأ جرتها من البئر فقال لها يسوع اسقيني شربة ماء فقالت له المرأة السامرية انت يهودي وكيف تطلب مني شربة ماء فان اليهود لا يستحلون معاملة السامريين .

31) قال يسوع لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس او الانبياء ، ما جئت لانقض بل لاكمل .

32) وقال يسوع احبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، احسنوا الى مبغضيكم .

---

26) انجيل يوحنا الاصحاح 1 عدد 1

27) دوان ص 293 وكذلك التعليم المسيحي .

28) انجيل متى الاصحاح 6 عدد 1 ورسالة يعقوب .

29) انجيل يوحنا الاصحاح 4 العدد 1 وانجيل لوقا .

30) انجيل يوحنا الاصحاح 4 عدد 1 : 11 .

31) انجيل متى الاصحاح 5 عدد 17 .

32) انجيل متى الاصحاح 5 عدد 44.

اقوال الهنود الوثنيين في بوذا ابن الله

33) وفى اوائل ايام بوذا التى علم وبشر فيها ذهب الى مدينة بينارس وعلم فيها فتبعه كوندينا ثم تبعه اربعة رجال آخرين وصاروا جميعهم تلامذة له ، ومن ذلك الحين صار اينما علم وكرز يتبعه رجال ونساء كثيرون ويصيرون من اتباعه وتلاميذه .

34) وقال بوذا للذين صاروا تلامذة ليتركوا الدنيا وغناهم وينذروا عيشة الفقر والفاقة .

35) وجاء فى كتاب البوذية القانونية المقدسة ان الجموع طلبوا من بوذا علامة « أي آية » ليؤمنوا به .

36) لما اقترب انتهاء ايام بوذا على الارض وعلم الحوادث المقبلة التى ستقع قال لتلميذه : اناندا ما ياتي يا اناندا متى انا ذهبت لا تظن انه لم يعد لبوذا وجود كلا ، فالكلام الذى قلته والفرائض التى افترضتها تكون خلفا عني وهي لك كذاتي انا .

37) وجاء فى التعاليم البوذية ان انفاق الانسان لماله من اعظم الصعوبات ومن ينفق غناه هو اشبه بمن يهب روحه ، لان النفس تبخل بالمال وتتمسك به ، وبوذا قد وهب ونذر حياته شفقة وحنوا لخير الناس ، فلماذا نتمسك بغناء الدنيا الزهيد ولما تخلص بوذا من حب المشتهيات الدنيوية وملذاتها نال المعرفة الالهية وصار الراس فليعمل الرجل الحكيم الهاجر للذات الدنيا الخير مع كل احد حتى تقديم نفسه فداء عن الغير ، عندها يصل الى المعرفة الحقيقية .

---

34) هاردي فى كتابه المدعو الرهبانية فى الشرق ص 5 ، 62 .
35) كتاب علم الاديان ص 27 تاليف مولر .
36) كتاب الموناشيزم الشرقية ص 230 تاليف هاردي .
37) مولر فى كتاب علوم الدين ص 244 .

اقوال النصارى المسيحيين فى المسيح ابن الله

33) وفى اوائل ايام يسوع التى علم وبشر فيها ذهب الى مدينة كفر ناحوم وعلم فيها فتبعه من ذلك الحين اربعة رجال صيادين وصاروا تلاميذ له ومن هذا الحين صار اينما كرز يتبعه رجال ونساء كثيرون يؤمنون به .

34) وقال يسوع للذين ساروا تلامذة له ليتركوا غناهم وينذروا عيشة الفقر والفاقة .

35) وجاء فى كتب النصارى المقدسة ان الجموع طلبوا من يسوع آية كي يؤمنوا به .

36) لما اقترب انتهاء ايام يسوع على الارض اخبر عن الحوادث التى ستقع من بعده وقال لتلاميذه : اذهبوا وتلمذوا جميع الامم . وعلموهم ان يحفظوا هم جميع ما اوصيتكم به وها انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر .

37) واذا واحد تقدم وقال له ايها المعلم الصالح اي صلاح اعمل ليكون الحياة الابدية قال له يسوع : ان اردت ان تكون كاملا فاذهب وبع املاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعني لا تكنزوا لكم كنوزا على الارض حيث يفسد السوس والصدا وحيث ينقب السارقون ويسرقون بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدا وحيث لا ينقلب سارقون ولا يسرقون .

---

33) انجيل متى الاصحاح 4 عدد 13 ــ 25 .
34) انجيل متى الاصحاح 8 عدد 19 ، 20 والاصحاح 16 عدد 25 ــ 28 .
35) انجيل متى الاصحاح 12 عدد 12 .
36) انجيل متى الاصحاح 24 وانجيل مرقس الاصحاح 8 عدد 31 .
37) انجيل متى الاصحاح 6 عدد 19، 20 .

اقوال الهنود الوثنيين فى بوذا ابن الله

38) وكان قصد بوذا تشييد مملكة دينية اي مملكة سماوية .

39) وقال بوذا الآن احببت ادارة دولاب الشريعة العظيم ومن اجل هذا فاني ذاهب الى مدينة بينارس لاهب نورا للتائهين فى الظلام وافتح باب الحياة للانسانية .

40) وقال بوذا للتلميذ الحبيب اناندا ان كلامي لا ريب فيه فلا يزول قطعيا ولو وقعت السموت على الارض وابتلع العالم وجفت البحار واندك جبل سومر وصار قطعا .

41) قال بوذا لا يوجد شيء اعظم فعلا فى الانسان من الاشتهاء والهواء الشهواني ولحسن الحظ والسعادة لا يوجد سوى اشتهاء شهواني واحد ولو كان يوجد اشتهاء آخر لما كان على وجه الارض رجل يتبع الحق فاحترسوا من تحقيق بصركم فى النساء وان كنتم مجتمعين معهن فاجعلوا اجتماعكم كأنكم غير حاضرين معهن واذا كلمتموهن فاحترسوا على قلوبكم .

42) وقال بوذا الرجل العاقل الحكيم لا يتزوج قط ويرى الحياة الزوجية كأتون نار متاججة ومن لم يقدر على العيشة الرهبانية يجب عليه الابتعاد عن الزنى .

---

38) بيل تاريخ البوذية ص 10 .

39) بيل تاريخ البوذية ص 144 .

40) بيل تاريخ البوذية ص 11

41) كتاب تقدم الافكار الدينية المجلد الاول ص 228 .

42) ريس دالس فى كتابه المدعو البوذية ص 103.

اقوال النصارى المسيحيين فى المسيح ابن الله

38) ومن ذلك الزمان ابتدا يسوع يكرز ويقول توبوا لانه اقترب ملكوت السماوات .

39) من بعد تجربة الشيطان ليسوع ابتدا يسوع بتاسيس مملكة دينية ومن اجل هذا الفرض ذهب الى مدينة كفر ناحوم ومن ذلك الزمان ابتدا يسوع يكرز ويقول توبوا لانه قد اقترب ملكوت الله ، الشعب الجالس فى ظلمة ابصر نورا عظيما، والجالسون فى كورة الموت وظلاله اشرق عليهم نور .

40) الناموس اعطى لموسى اما النعمة والحق فبيسوع المسيح صار الحق اقول لكم السماء والارض تزول ولكن كلامي لا يزول .

41) قال يسوع : قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تزنوا واما انا فاقول لكم ان كل من ينظر الى امراة ليشتهيها فقد زنى بها قلبه .

42) فحسن للرجل ان لا يمس امراة ولكن ان لم يضبطوا انفسهم فليزوجوا لان التزويج اصلح من التحرق .

---

38) انجيل متى الاصحاح 4 عدد 7 .

39) انجيل متى الاصحاح 4 عدد 12 ، 17 .

40) انجيل يوحنا الاصحاح الاول عدد 17 وانجيل لوقا .

41) انجيل متى الاصحاح الخامس عدد 27 ، 28.

42) رسالة كورنثوس الاولى الاصحاح 7 عدد 1 — 9 .

اقـوال الهنـود الوثنييـن فى بـوذا ابـن اللـه

43) ومن جملة التعاليم البوذية قولهم اذا اصاب الانسان حزن وآلام وبؤس وقنوط فان ذلك يدل على انه ارتكب آثاما ، وهذه الآلام جزاء عليها واذا لم يكن ارتكب شيئا من الآثام فى هذا الدور الحاضر من حياته لا بد ان يكون قد ارتكبه فى احد الادوار السابقة من ظهوره « اي فى احد ادوار تقمصه » .

44) كان بوذا يعلم افكار الناس عندما يدير تصوراته نحوهم ويقدر على معرفة افكـار المخلوقـات كلها .

45) وجاء فى كتاب الصومايديفا حكاية منسوبـة لاحد القديسين البوذيين انه قلع عينه ورماها لانها شككته .

46) لما عزم بوذا على التنسك كان راكبـا جـوادا يدعى كنتاكو ففرشت الملائكة طريقه بالزهر.

43) ريس دانس فى كتابه المدعو البوذية ص 103.
44) هردي فى كتابه المدعو خرافات البوذيين ص 18 .
45) كتاب مولر المسمى العلوم الدينية ص 542 .
46) هردي فى كتابه المسمى خرافات البوذيين ص 13 .

اقـوال النصـارى المسيحييـن فى المسيـح ابـن اللـه

43) وفيما هو مجتاز راي انسانا اعمى منذ ولادته فساله تلاميذه قائلين :
يا معلم من اخطا هذا ام ابواه حتى ولد اعمى.

44) كان يسوع يعلـم افكـار الناس عنـدما يديـر تصوراته نحوهم وانه قادر على معرفة افكار المخلوقات كلها .

45) قال يسوع فان كانت عينك اليمين تعثـرك فاقلعها والقها عنك .

46) لما كان يسوع داخلا أورشليم راكبا على حمار فرشت له الجموع الطريق باغصان النخيل .

43) انجيل يوحنا الاصحاح التاسع عدد 1 ، 2 .
44) انجيل يوحنا الاصحاح الرابع كلامه مع المراة السامرية .
45) انجيل متى الاصحاح 5 عدد 29 .
46) انجيل متى الاصحاح 21 عدد 1 ، 9 .

كلمـــة ختاميـــة

اوصى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن معاملة المصريين حيث قال : ان فتح الله عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لكم منهم نسبا وذمة . ولقد عامل المسلمون اقباط مصر معاملة طيبة لم يشهد لها التاريخ مثيلا حتى الآن. فسمح لهم بالبقاء على دينهم ولم يكرهوهم على دخول الاسلام ، ولهم كافة الحريات فى مزاولة طقوسهم الدينية .

ولكن النصارى لم يقابلوا الاحسان بالاحسان بل انتهزوا حالة الحرب القائمة بين العرب واسرائيل وبدأوا يهاجمون الاسلام ويبشرون بالمسيحية بين المسلمين ويتزعم هذه الحركات بطريقهم الاكبر .

لم تكن نتصور ان بيننا ممن يشتعل قلبه حقدا على الاسلام من يستطيع ان يجهر بما يخفيه حتى كانت الظروف الحاضرة وما تمر به البلاد من حالة الحرب ، والدولة تبذل جهودها لتوحيد الجبهة الداخلية ، ظهر من يشق هذه الوحدة ويفرق كلمة المواطنين . حيث ظهر ما تكنه نفس عشرائنا من حقد على الاسلام ، واستبان المسلمين ما يدبر ضد دينهم وعقيدتهم .

ان من المقررات الفقهية أن الذمي الذي يعتدي على حق المسلم يكون قد نقض عهد الذمة ولا يرعى له عهد ولا ميثاق ، فما بالنا لو كان الاعتداء على الاسلام نفسه وعلى القرآن وعلى الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم !!!

ان من الواجب على سلطات الدولة انتتدخل لتمنع هذه التحركات المريبة وان تفهم هؤلاء انهم فى دولة دينها الرسمي الاسلام وعليهم ان يحترموا دين الدولة وعقيدة الغالبية العظمى من سكانها .

لقد تعرضنا فى ثنايا ردنا على مفتريات صاحب كتاب بيان الحق لبعض الامور المتعلقة بعقيدة عشرائنا المسيحيين . وعلم الله انني كنت مكرها على ذلك لان الكاتب جرنا الى تلك المناقشات جرا لم يكن هناك مفر منه لدحض ادعاءاته وبيان كذبها وبهتانها ..

وكنت ممن ينفذون كلام الله سبحانه وتعالى « لكم دينكم ولي دين » ، ولكن التحركات المريبة والدعاوي الفجة التى يروج لها الكتاب المسيحيون ، والتبشير العلني الذى يقومون به فى دولة مسلمة وبزعامة رئيس الطائفة المسيحية نفسه الذى ينفث سمومه على صفحات الجرائد والمجلات ولسان حاله يقول « لنا ديننا وليس لكم دين » .

ازاء ذلك كان لابد من مواجهة هذه التحركات المشبوهة ومقارعتها الحجة بالحجة حتى تقضي عليها وتسكت فحيحها باذن الله وتوفيقه .

وفى الختام أتوجه الى الكاتب واهل دينه ادعوهم بدعوة القرآن الكريم عسى الله ان يهدي قلوبهم للايمان فيكونوا من الفائزين فى دنياهم واخراهم « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » .

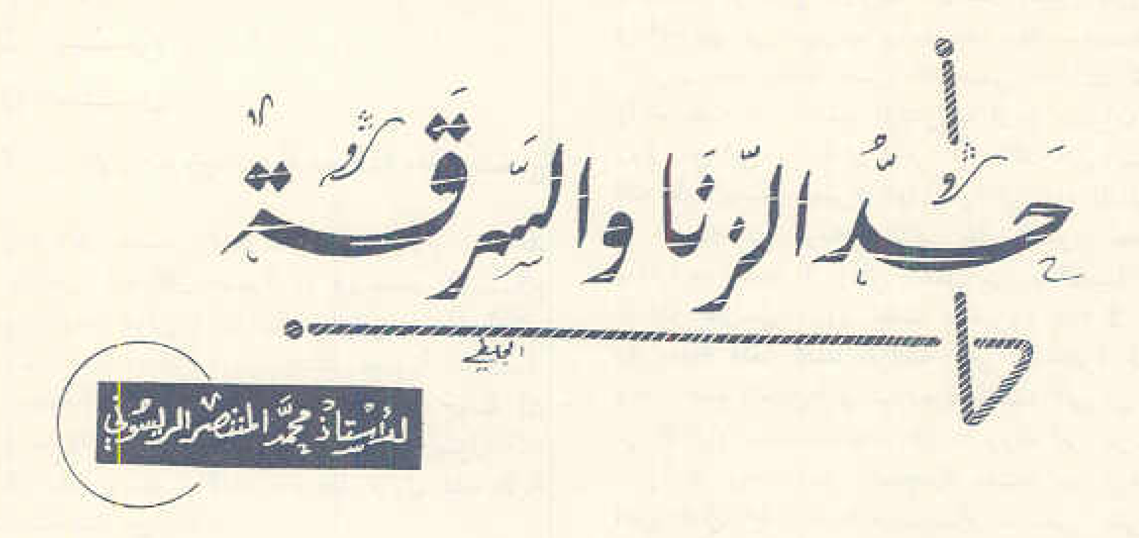
آل عمران 64

والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعه باحسان الى يوم الدين .

القاهرة ــ توفيق علي وهبة

المراجـــع

1 ــ القرآن الكريم
2 ــ تفسير القرطبي
3 ــ تفسير ابن كثير
4 ــ تفسير النسفي .
5 ــ تفسير الزمخشري
6 ــ المنتخب فى تفسير القرآن الكريم .
7 ــ تفسير القرآن الكريم للامام الشيخ محمود شلتوت .
8 ــ مختصر من تفسير الطبري .
9 ــ محاضرات فى النصرانية للامام الشيخ محمد ابو زهرة
10 ــ مقارنات الاديان ــ الجزء الاول ــ الديانات القديمة للعلامة الشيخ محمد ابو زهرة .
11 ــ الرسول والرسالة فى الرد على شبهات الضالين ودرء مفتريات الحاقدين ــ توفيق علي وهبه .



أصل الحد ما يحجز بين شيئين فيمنع اختلاطهما ، وحد الدار ما يميزها ، وحد الشيء وصفه المحيط به المميز له عن غيره ، وسمي البواب حدادا لانه يمنع الناس من الدخول (1) وفى الشرع عقوبة مقررة لاجل حق الله ، ويعني هذا التعريف انها مقررة لصالح النظام العام ، وذلك هو الهدف الرئيسي الذى يعمل لتحقيقه الاسلام .

وقد قسمت الشريعة العقوبات الى ثلاثة اقسام :

1 ـ الحدود وهي الزنا والسرقة والقذف والسكر والمحاربة والردة والبغي .

2 ـ القصاص وهو معاملة الجاني بمثل اعتدائه وهو لا يسمى حدا لانه حق لآدمي .

3 ـ التعزير وهو تاديب على ذنب لا حد له فيه ولا كفارة له .

ويهمنا نحن فى هذا الحديث القسم الاول ليس غير لان انتقادات المستشرقين تدور اكثر ما تدور عليها وخاصة حدي الزنا والسرقة، ولذلك سنجتزيء بالكلام عنهما كنموذجين لما يمكن ان يقال عن بقية الحدود .

1) الزنـا :

جريمة الزنا من اكبر الجرائم التى يرتكبها الانسان ضد المثل الاخلاقية التى يقوم عليها البنيان المجتمعي ، ذلك انها تسبب الخلل فى النظام البيتي وتعرض النشء للتشرد والانحراف وتتلف النسب وتشيع الفاحشة والعهر والفجور .

ولهذا جعل الاسلام حد الزنا اقسى حد ليناسب الآثار التى تترتب عن هذه الجريمة النكراء ، حتى يجتث العضو الفاسد الذى يحاول ان يبث سمومه فى بقية الاعضاء الاخرى .

وقد فرقت الشريعة الاسلامية بين المحصن وغير المحصن فى حد الزنا ، اذ جعلت عقوبة الاول الاعدام لكونه خان اقدس رابطة تجمع بين نفسين متحابين فاعتدى عليها كما يعتدي اي فرد على نفس ما ، وجعلت عقوبة الثاني مائة جلدة تخفيفا لانه لم يعرف بعد معنى الرابطة الزوجية .

(1) انظر هذا التعريف عند ابن حجر . فتح الباري ج 12 ص 45 كتاب الحدود ط 1 ـ 1325 هـ .

ويشترط فى الاحصان ما يلي :

1) الحريـــة

2) البلـــوغ .

3) العقـــل

4) ان يكون متزوجا بامراة محصنة بعقد صحيح

وقد انكر بعـض المعتزلـة والخـوارج (2) حد الرجم وزعموا انه كان معمولا به فى صدر الاسـلام ثم نسخ بقوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) (3) لذلك فعقوبة الجلـد عندهم يستحقها المحصن وغير المحصـن ، بيـد ان الاجماع منعقد على ان الرجم ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لانه رجم بعد نزول هذه الآية وكذلك صحابته من بعده .

وليس من شك فى ان السنة هي المصدر الثاني بعد كتاب الله فى الشريعة الاسلامية تقوم بمهمة بيان ما فيه من أحكام وتفسير مجمله ، ومن الاحاديث المشهورة فى حد الرجم قوله عليهالسلام (لا يحل دم امريء الا باحدى ثلاث : كفر بعد ايمان ، وزنـا بعد احصان ، وقتل نفس بنفس) وقوله عليه السلام: (لا يحل دم امريء مسلم الا باحدى ثلاث : النفس بالنفس والثيب الزانـي والتـارك لدينـه المفـارق للجماعة) ، وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجم ماعزا والغامدية ، لهذا كان الرجم سنة قولية وفعلية معا .

وتثبت جريمة الزنا بالاقرار او الشهادة باربعة شهود عدول ذكور قال تعالى (واللائي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعـة منكـم ، فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا) (4) .

وما دامت العقوبة ستؤدي بالنفس فليس من السهل فى شريعة الاسلام تطبيقها الا بعد تحريـات ودراسة موضوع الجريمة دراسة تنبني على امعـان فى التفكير في ظروفها وشهودها وملابساتهـا ، ففى الاقرار مثلا يجب علـى القاضـي خلافـا للمالكيـة والشافعية ان يسمع الاعتراف اربع مـرات ، وقد روي عن ابي بريدة ان ماعزا بن مالك اتى النبي صلى الله عليه وسلم معترفا اول مرة ثم اتاه الثانية فرده ثم ارسله الى قومه فسالهم هل تعلمون بعقله باسا فقالوا ما نعلمه الا وافي العقل من صالحينا فأتـــاه الثالثة فارسل اليهم ايضا فاخبروه بانه لا بأس به ولا بعقله فلما كانت الرابعة حفر له حفرة فرجمه ، وقد ذهب الحنفية والشافعية واحمد الى ان الرجوع عن الاقرار يسقط الحد (5) لما رواه ابو هريـرة ان ماعزا لما وجد مـس الحجارة يشتد مر برجل معه لحي جمل فضربه به وضربـه النـاس حتى مـات فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (هلا تركتموه) .

اما الشهادة فلا تتحقق الا بمعاينـة الفـرج فى الفرج اذ يكون الذكر فى الفرج كالميل فى المكحلـة والرشا فى البئر ، وان تكون بالتصريح لا بالكنايـة وان يقوم بها اربعة من الشهود وان كان الشهود اقل من اربعة ردت الشهادة وحد واحد القذف لان عمر ابن الخطاب حد الثلاثة الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة وهم ابو بكر ونافع وشبل بن معبد ورابعهم هو زياد قال (رايت استا تنبو ونفسـا تعلو ورجلاها على عاتقه كاذني حمار ولا ادري ما وراء ذلك) (6).

وقد رأف الاسلام بالحامل فى عقوبة الزنا فأمهلها الى ان تضع الجنين وينتهي الم النفاس ، وروي فى هذا ان امراة من غامد جاءت الى النبي عليه السلام معترفة بزناها فردها ثم جاءت ثانية مخبرة اياه بانها حامل فقال لها : اذهبي حتى تلدي ، وحينما وضعت

---

(2) انظر عبد الرحمن الجزيري . الفقه على المذاهب الاربعة ج 5 الخاص بالحـدود ص 69 ط 1 – وانظر ابن رشد بداية المجتهد ج 2 ص 434 ط 3 – 1379 وقد سمـي من قال بذلـك باهـل الاهواء، وابن حيان : البحر المحيط ج 6 ص 425 ط 1 – 1328 هـ .

(3) سورة النور الآية 2 .

(4) سورة النســاء الآيـة 15 .

(5) انظر ابن رشـد . بداية المجتهد ج 2 ص 439 ط 3 – 1379 هـ

(6) انظر باسهاب موضوع عدد الشهود عند الشهيد عبدالقادر عوده. التشريع الجنائي فى الاسلام ج 2 ص 418 وما بعدها ط 5 – 1388 .

اتته بالصبي ثم قالت له : ها انذا قد ولدته .. فقال لها : اذهبي فارضعيه حتى تفطميه ، فلما فطمته جاءت اليه وقالت : هذا ابني قد فطمته وقد اكل الطعام .. فدفع النبي عليه السلام بالصبي الى رجل من المسلمين ثم امر برجمها (7) .

هذه جريمة الزنا وتفاصيلها المتعددة وآراء المذاهب في جزئياتها يجدها القارىء في مظانها ، والمهم اننا لمسنا ان الاسلام يسير في كل احكامه وفق مقاييس دقيقة عادلة تكفل للمجتمع حياة فضلى متميزة ، من أجل ذلك صار في عرفه الزاني المحصن انسانا لا يستحق العيش ــ مع دقة في دراسة الحكم ــ بعد ان خان امانة الرابطة الزوجية واعتدى على امن الجماعة ، وكل من حاول ان يطعن في هذا الحكم فانه يبرهن على مدى استيلابه بحضارة الغرب التي اطلقت العنان لقوة الشهوات الحيوانية وجاز له ان يطعن كذلك فيما تصدر من احكام عمن يجهر بمخالفة انتماء سياسي او مذهب فكري تتبناه دولة ما .

ويتصور المنبهرون بهذه الحضارة ان امثال هذه الحدود يمكن ان تقع كل ثانية وكل دقيقة تماما كعقوبات الغرامة والسجن ، ويتصورون كذلك ان البلد الاسلامي الذي يهيمن عليه حكم الله سيكون ــ اذا عمل بهذه الحدود ــ عبارة عن ميدان للكوارث المهولة والمجازر المفزعة فالزاني يرجم والسارق يقطع وشارب الخمر يجلد وهكذا ، ولكن كل هذه التخيلات باطلة كما عرفنا فيما سبق وما سيأتي من حديث.

ويعتقد البعض ان الاسلام بهذا يكبت الطاقة الجنسية ولا يتركها تنطلق من مكمنها ، بيد ان هذا الاعتقاد يدلل على ان صاحبه يجهل امر هذا الدين في تصوره للحياة الجنسية ،، ذلك انه عالج الغريزة الجنسية معالجة دقيقة لا ينجم عنها كبت او عقدة ما ، من ذلك تعويده الفرد على ضبط شهواته وتهذيبها من غير ضغط عليها ، كما انه يتيح الفرصة للفرد في ان يحيا في مجتمع نظيف تسوده الاخلاق وتنعدم فيه كل اسباب الاثارة كالصور التلفزيونية الخليعة والروايات السنمائية المتميعة وهلم جرا .

وبجانب هذا يدعو الاسلام الى علاج آخر أهم هو الزواج المبكر حتى انه يفرض على بيت المال تقديم المساعدة لمن هو غير ميسور الحال . وقد تعصف الشهوة بانسان فيقع في جريمة الزنا رغم كل الاحتياطات التي يقوم بها منهج الاسلام ولكن الجريمة لا تثبت بسهولة كما رأينا سالفا، وسر هذا واضح هو سد الطريق على الناس من ان يتخذوها وسيلة الايقاع بالآخرين ترضية لاحقاد دفينة ولاسيما في العقوبة التي تزهق فيها الارواح .

والنتيجة ان عقوبة الزنا في المجتمع الاسلامي الذي يحكمه منهج الاسلام الحق نادرة الحدوث ، وان حدثت فبالاقرار او الشهادة وبذلك تقل كثيرا الفاحشة وتنزوي في ركن قصي .

2) حد السرقة :

وحد السرقة يرى فيه بعض المستشرقين عقوبة مزرية بقيمةالانسان ، وتشويها جسديا على حد تعبير كارل بروكلمان (8) ، اذ ليس من المعقول في نظرهم ان يعاقب الانسان هذا العقاب البدائي ، ولو فرضنا ــ حسب نظرتهم ــ اننا قطعنا يد من تضمهم السجون لامسى لدينا عدد كبير من المشوهين العاجزين عن مسايرة ركب الحياة كباقي اخوانهم .

ومن يحكم عقله في هذا فانه لا يرى في عقوبة السرقة اي تشويه او قسوة اذا فكر جيدا في الآثار التي تترتب عليها في نشر الرعب بين طبقات المجتمع وتنغيص صفو الحياة عليها ، ولو اقامت ــ ونتمنى ذلك ــ الدولة الاسلامية حد السرقة حسب ما نصت عليه الشريعة لكادت تنعدم الايدي التي تمتد للنهب والاختلاس ، ونحن نضحي بفرد او افراد معدودين في سبيل سلام الملايين التي تريد ان تحيا حياة الدعة والامن وتبني وطنها بنية صادقة وعزم اكيد ، وفي تاريخنا الاسلامي الطويل شواهد ــ لا نحتاج الى ذكرها ــ تدل على حكمة الاسلام في

(7) راجع القصة بتفصيل عند ابن القيم « زاد المعاد » بهامش الزرقاني ج 6 ص 295 ط 1327 هـ .

(8) انظر تاريخ الشعوب الاسلامية ص 82 ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، والمضحك ان هذا المستشرق تحدث عن العقوبة الاسلامية في اسطر كلها تشويه وخبط مما **يبرهن على حقد** دفين وجهل باسرار الشريعة .

معاقبة السارق وعلى رغبة هذا الدين فى منح الانسان حياة طيبة كريمة .

والسرقة اعتداء واي اعتداء على حرمة الانسان، واستباحة ماله الذى هو عنده بمنزلة النفس ، والقرب المتداعي فى تصوراته اذا كان قد هون من شان هذه الجريمة حتى مارس هو نفسه سرقة الامم الضعيفة واستعمارها بشتى وسائله المخزية ، فان الاسلام المتزن فى آرائه الرزين فى نظراته اعطى اهتماما لها لكونه يحترم الانسان ويقدس دمه وماله وعرضه يقول سيدنا محمد عليه السلام (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) .

وليس كل من اتهم بالسرقة يقام عليه الحد ــ كما يتوهم السذج ــ اذ لابد من اجتماع شروط نذكر منها ما يخص السارق والشيء المسروق .

1) ان يكون السارق بالغا عاقلا .

2) ان يكون السارق مختارا فى سرقته فلو اكره عليها فلا يعتبر سارقا .

3) ان لا يكون فى السرقة شبهة فالاب والام مثلا لا يقطعان بسبب سرقة مال ابنهما وكذلك الابن لا يقطع بسبب سرقة مال ابيه او امه .

4) ان يكون المسروق لا يقل عن ربع دينار وفى ذلك يقول الرسول عليه السلام (تقطع اليد فى ربع دينار فصاعدا) .

5) ان تحدث السرقة فيمال محروز والحرز هو ما قصد بما وضع فيه حفظه به ان استقل بحفظه او بحافظ غيره ان لم يستقل (9) ذلك ان المال الضائع والتمر الذي يكون فى شجر بصحراء من غير سياج وغير ذلك لا قطع فيه .

6) ان يكون مما يتمول به ويحل بيعه فلا حد فى سرقة الخنزير مثلا .

وعندما تجتمع الشروط كلها ويدرس القاضي القضية من جميع وجوهها بعد شهادة عدلين او الاقرار (10) حينذاك يقام الحد تنفيذا لقوله تعالى (السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم (11)، وان لم تتوفر شروط اقامة الحد وجب التعزير كما فعل رسول الله عليه السلام مع من سرق الثمار المعلقة وهلم جرا .

وصفوة القول ، ان منهج الاسلام حين قرر الحدود حد الزنا ، حد السرقة ، حد الحرابة ، حد الردة ، حد البغي ، حد شرب الخمر ، حد القذف هدف من وراء ذلك ضمانات كافية لاقرار الامن والسلام فى مجتمع يدين بالاسلام ويتعاون فيه الفرد مع الجماعة والجماعة مع الفرد وكل يخضع لتشريع واحد مستمد من الله لا من تصور فاسد ولا من مذهب وثني متداع صاغه عقل بشري متاثر بهوى خاص .

وبحكمة الاسلام فى احكامه الدقيقة المتمشية وتكوين الانسان العقلي والنفسي كان المجتمع الاسلامي لا يلجا الى تطبيق العقوبة الا فى القليل النادر ، لانه استطاع ان يربي النفس تربية طيبة على طريقة لم تعرفها تربية قبلها ولن تعرفها تربية بعدها ، وان يتشدد فى ايقاع هذه العقوبة بالزام الحاكم النظر فى الجريمة وظروفها وشبهاتها والتاكد من عدالة الشهود وكل ذلك يجعله يتحكم فى زمام نفسه حتى لا يقع فى جريمة عظمى تغضب لها الشريعة وتعاقب عليها اشد عقاب وتحيطها بكثير من الدقة فياستقصاء جوانبها حتى يكون الحكم عادلا .

ولا ننكر ان هناك بوادر طيبة فى وطننا الاسلامي تبشر بالخير اذ تدعو للرجوع الى الكتاب والسنة وتحكيم منهج الاسلام فى حياة المسلمين ، من ذلك ما اوصى به اخيرا الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي بالجزائر من (اقامة الحدود الشرعية مع ملاحظة ان الحدود تدرا بالشبهات فلا

---

(9) راجع هذا التعريف عند الابي والسنوسي فى شرحيهما على صحيح مسلم ج 4 ص 448 ــ ط 1 ــ 1328 هـ .

(10) يكفي الاقرار عند المالكية والشافعية والحنفية مرة واحدة وعند الحنابلة مرتين ولكل حجته .

(11) سورة المائدة الآية 38 .

يقام حد الا اذا اتفقت المذاهب الفقهية على اقامته) (12) .

وهكذا نصل الى النتيجة الاخيرة من هذا البحث هي ان سياسة الاسلام فى العقوبة تسمو بكثير وكثير على كل ما يقال من فلسفات عن الجريمة والعقاب فى العالم الغربي والشيوعي اذ ان منهج الاسلام فى كل تشريعاته لا يتطرف قيد انملة تطرف تلك الفلسفات، لان ميزته دائما انه إيجابي فى تطبيقاته العلمية متناغم مع قانون الحياة، منسجم مع مقومات الوجود، يضع الانسان فى اطاره الانساني المميز بجسده وروحه واستعداداته الفطرية القابلة للتشكل بارادة ضابطة تحكم سلوكه وتهيمن على تصرفاته قال تعالى : (ونفس وما سواها ، فالهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها ، وقد خاب من دساها) (13) .

فكل ما ردده المستشرقون عن الحدود وغير الحدود من قضايا الاسلام انما هو تربص حاقد ، وتزوير متعصب دى ببعض تلاميذهم المخلصين الى احياء طفناتهم من جديد غير مقدرين مسؤوليتهم العلمية وشرف الكلمة وقداسة القلم (14) فباعوا انفسهم بثمن زهيد لعصابة الحاقدين على مختلف عقائدهم ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

تطوان ـ محمد المنتصر الريسوني

---

(12) راجع ما كتبته الاستاذة حبيبة البورقادي تحت عنوان الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي ـ الحلقة الاولى ـ جريدة العلم ، السنة 27ـ العدد 8445 ـ 13 رجب عام 1393 ـ 13 غشت 1973 .

(13) سورة الشمس الآية 7 و 8 و 9 و 10 .

(14) من بين اولئك اليوم استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة عين شمس يسمى محمود اسماعيل عبد الرازق فى كتابه (الحركات السرية فى الاسلام)،وكله افتئات مخز على حقائق التاريخ الاسلامي ، وليس للمؤلف فيه غير النقل بدون ادنى تصرف عما كتبه المستشرق بتدلي جوزي ، راجع فى ما كتبه عن هذا الاستاذ الاكاديمي !! احمد موسى سالم تحت عنوان (رؤية جديدة للتاريخ بأعين الاعداء) مجلة الازهر ص 404 وما بعدها ج 5 السنة الخامسة والاربعون ـ رجب 1393 هـ .





للاستاذ محمد العربي الناصر

ان امير المؤمنين الحسن الثاني خير من قيضه الله لتحقيق البعث الاسلامي، وما تضمنه خطاب جلالته بمناسبة حلول السنة الهجرية الجديدة الا حلقة تضاف الى سابقاتها لتحقيق تلك العناية السامية .

لانريد فى هذا المطلع ان نعرف للقراء الكرام البعث الاسلامي ، او نشرح لهم المقصود من الكلمتين ، ولا نريد ان نضع ايدينا على حقائق اكتشفناها . ان كل ما فى الامر هو تجميع بعض الحقائق ، والاشارة اليها ، حقائق تهم القاريء ، وتبعث فيه ، حسب الامكان مع تواضعها الشديد ، همة تتبعها وتقفي آثارها .

وفى الحقيقة ان البحث فى البعث يذهب حماسه ، ويفتر همته ، فنحن بحاجة الى بعث حقيقي . اما الحديث عنه فلا مبرر له ، فالاشارة والانطلاقة التى اعلنها امير المؤمنين الحسن الثاني منذ سنتين ، تغني عن اي حديث ، وعن اي بحث .

ان البعث الاسلامي ضرورة ، وضرورة ملحة ، تفرضها وضعية العالم الاسلامي ، وتفرضها وضعية الحضارة الغربية .

هذه الضرورة ، فى رايي ليست هي اسباب البعث وان كانت هي بعض مظهرها الخارجي ، فى حين ان الاسباب هي الدوافع الداخلية للبعث نفسه.. انها ضرورة تحتمت بوضعية العالم الاسلامي، ذات الاهمية المحسوسة والملموسة . انها وضعية ذاتية اجتماعية ، حضارية ، تكمن فى ما أصاب العالم الاسلامي من تبعية وتأخر .. هذه التبعية وهذا التأخر اللذان يصبحان واقعا مرا ، بل وحتى شبهة ضد الاسلام نفسه عندما تقارن المجتمعات الاسلامية بالتقدم الحضاري الغربي . ومن المعلوم ان المستشرقين قد حملوا لواء استغلال هذه الوضعية، جاعلين من الاسلام عامل تأخر ، وعامل جمود ، معللين شبهتهم بتقدم الحضارة ، وعدم استطاعة الاسلام ومبادئه مجاراتها ، والتطور معها . فالاسلام فى نظرهم ، وكما يروجون ، كان صالحا لفترة معينة ولمكان معين ، وقد تجاوزت الحضارة تلك الفترة وذلك الزمان . هذه الشبهة نجدها عند الجاهلية الليبرالية كما نجدها عند الجاهلية الشيوعية ، مما يؤكد منطقهما العملي الموحد . وقد تعرض الكثير من المفكرين الاسلاميين لهذه الشبهة واوضحوا فسادها، وابانوا ضلالها . وقد ادت بهم الدراسات الى مشكلتين اساسيتين : هل يطبق الاسلام عمليا فى

المجتمع الاسلامي ؟! وهل هذا المجتمع الاسلامي ، اسلامي فعلا ؟!.. (1)

ان الشبهات التى يثيرها الغربيون لا تنقطع ما دامت المعركة محتدة . وما دام هؤلاء يجدون انفسهم مغزوين بالاسلام ومغلوبين به . والا لم كل هذه المعادات ؟! لم كل هذه الشبهات حول الاسلام ومن الغربيين انفسهم دون غيرهم ؟! انهم لا يكفون عن فتح ثغرات تبدو لهم ليجعلوا منها ممرات تخريب ، وتحطيم . فهم لا يتساءلون عن تطبيق الاسلام عمليا فى مجتمعاتنا المعاصرة ، بل يستغلون ضعف المسلمين وتخاذلهم ، ليتساءلوا عن التطبيق الاسلامي منذ بعثة الرسول . يفعلون ذلك، بغية الوصول الى اجوبة تجعل المسلم يقطع علاقته بكل ما يمت الى الاسلام والمجتمع الاسلامي بصلة .. فهم يتساءلون بكل وقاحة ، وهل طبق الاسلام حقا ؟! كيف نعلل الحروب الاسلامية ، والاختلافات الاسلامية ، وتعدد الدول الاسلامية وتناحرها ، ويصعدون حملتهم الى ان يتساءلوا عن نزول القرآن الكريم منجما ، وان الاسلام بذلك لم يأت به الرسول صلى الله عليه وسلم كاملا ؟! فهولم يكتمل الا بعد حجة الوداع ..

هكذا يضللون .. وحقيقة الامر فى هذا ، يرجع الى التصورات التى يحملها هؤلاء ، فهم يريدون للواقع ان يكون ابيض ، ناصعا ، ساكنا ، هامدا . ان يكون فى ذلك كما هي المباديء ، وهذا عمليا لا يقع ولا يحدث ، فالواقع المعاش لا بد وان تكون فيه المشاكل ، ولابد ان تكون فيه العراقل ، بل ولابد ان تكون فيه الانحرافات . ولكنها قليلة ، وقلما تحدث ، فان حدثت استغفر صاحبها وتاب ..

انهم على هذا الاساس الخاطيء ، يريدون من الاسلام ان يكون خاليا من الخلافات ، ومن المشاكل فى حياة المسلمين ، ان تكون حياتهم صافية ، سكونية ، حتى يقال : ان الاسلام طبق حقا .. اما الوجه الثاني من خطأ تصورهم ، فكامن فى تخيلهم وتصورهم لطريقة التطبيق الاسلامي .. فهم يتخيلونه كماهو الحال فى حياتهم الجاهلية ، فالبرلمان او مجلس النواب ، او المجلس التشريعي ، او مجلس الثورة ، وغيرها من الاسماء ، تقرر ، وتشرع ، وتقنن ، فتصبح شريعة نافذة المفعول ، ومن خالفها اعتبر خارج القانون وعوقب . فتعطى هذه القوانين حق الالوهية ، كما يعطى لواضعيها .. يتخيلون هذا فيطالبون باسلام كامل ، تام ، يعلن عليه ، ثم يطبق .. وهذا خطأ فادح . فالاسلام قبل ان يكون قوانين وتشريعات هو حياة، حياة يحياها المسلمون، والمسلمون وحدهم ، انه علاقات اجتماعية ، وسلوك اجتماعي ، ووجود القوانين جاهزة لا تفيد في شيء، ان لم يكن هناك اسلام لها ، وايمان بها . وحتى يستطيع ان يحيا حياة فعلية ، ويؤلف واقعا معاشا فعلا .. يبدأ بالخضوع التام لله ، ثم بالتحرك على اساس هذا الخضوع ضمن علاقات اجتماعية معاشة .. فهذا الاسلام طبق فعلا فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى حياة الصحابة والتابعين وما زال يطبق الى ان ابتليت الدول الاسلامية بالاستعمار (2) .

الاسلام طبق حقا لانه كان حياة تحيا . ولكن الاستعمار عندما دخل البلاد الاسلامية لم يدخلها بجيوشه فحسب ، بل دخلها بعلومه وثقافته وفنه ، دخلها بقيمه واخلاقه ومشاعره ، دخلها بسلوكه وقوانينه وتنظيماته . وترك الحياة الاسلامية تحتضر من تلقاء نفسها بعد ان قطع عنها كل مدد للحياة . واصبح شائعا على الافواه من اراد الاسلام فعليه بالكتب الصفراء . فى حين كان يقال من اراد الاسلام فعليه بدار الاسلام . فتلك فترة كان الاسلام يعيشها اما هذه فترة لا يعيشها فقد تسرب الى الناس والمجتمع تصورات غريبة عن الاسلام وعن الحياة الاسلامية . وقننت حياة الناس بقوانين غير قوانين الاسلام .. فان انت بحثت حقا عن الاسلام فى جميع

---

(1) كتاب الاستاذ محمد قطب : هل نحن مسلمون . يتناول هذه المشكلة بكل تفصيل وينتهي بضرورة البعث الاسلامي .

(2) يناقش الاستاذ سميح عاطف الزين فى كتيبه القيم « عوامل ضعف المسلمين » هذا فيقول : « هذا الكتاب يحتوي على الادلة والبراهين التي تؤكد ان الاسلام طبق طيلة ثلاثة عشر قرنا ونيف ويأتي بالقرائن والادلة التى تثبت ادانة المستعمر بانه هو وعملاؤه يشوهون الحقائق ويضعون العراقل امام عجلة الذين يسيرون لتطبيق الاحكام الاسلامية حفاظا على مصالحهم — و من ضياع نفوذهم وسيطرتهم » ص : 4.

مجالات الحياة ان تجده . ولن تجد الا بعض القوانين فى الاحوال الشخصية التى ما يزال الحكام يتهيبون من ابادتها واستبدالها . فالمجتمعات الاسلامية الآن تنطلق من منطلقات غير اسلامية ، وتتحكم فيها شرائع غير شرائع الاسلام ..

وهكذا اثبت المفكرون الاسلاميون ابتعاد المسلمين عن دينهم وعن اسلامهم .. واصبحت المجتمعات المسماة اسلامية مجتمعات جاهلية دون جدال الا من بعض الطيبين الذين يقولون : من قال « لا اله الا الله » فهو مسلم . وهذا امر لا جدال فيه . ولكن الوضعية هي وضعية المجتمع ككل وليست وضعية الفرد . وهؤلاء الطيبون ليقتنعوا جيدا فما عليهم الا ان يتجهوا الى ابناء هذه الامة نفسها الذين اعلنوا انسلاخهم عن الاسلام انسلاخا تاما . فهم يجمعون على ان الحياة اليوم ليست اسلامية ، وان مذاهبهم الجديدة قد اخذت بتلابيب هذه المجتمعات الاسلامية ، فمنهم من يدعي أن هذه المجتمعات قد دقت فى نعشها المسامير ، ومنهم من يشير الى البقية الباقية فيقول انها تستقي من المذاهب الغربية بشتى الوانها ما يبرر لها العيش والاستمرار .

ان الدلائل على جاهلية المجتمعات الاسلامية الآن كثيرة ، ومتعددة ، من الاسلاميين والجاهليين على السواء ، ادلة على جاهلية التصورات والمناهج، ادلة على جاهلية السلوك والقوانين ، ادلة على جاهلية النظم والتشريعات ...

بعد هذا الخط المظلم ، وهذا الضلال المبين . يبدأ السؤال من جديد ، لماذا البعث الاسلامي ؟! ولكن هذا التثبيط لا ينجح لان سؤالا آخر يطرح نفسه ، ماذا نستطيع ان نأخذ من الغرب والحضارة الغربية ؟! ماذا تستطيع هذه الحضارة الغربية ان تقدم لنا ؟! وهكذا تبدأ رحلة تقييم الحضارة الغربية، تقييم مدى تطورها وتقدمها ، ومدى فائدتها .

فان اخذنا الماركسية فى تشوفاتها الى المرحلة الاخيرة من المراحل التاريخية ، وجدنا انذارات فى الحقيقة عن افلاس النظام الرأسمالي ، وتنبيهات الى المهاوي التى قد يسقط فيها . ليس سقوط نظامه فحسب ، بل حتى تصوراته واحلامه . ونحن ان كنا لا نقر الماركسية فى المراحل المزعومة للتاريخ ، فان تشديدهم على نهاية الرأسمالية يعطينا دليلا على مسيرة الحضارة الغربية الى الهاوية .

فها هو هربرت ماركوز اليهودي ، الذى لم تعد الدول الشيوعية تعطيه معنى التغيير والثورة ، يرى فى طوائف المتشردين والهيبيين والمعدميين عوامل تغيير شامل ، وخميرة ثورة كاملة ، ليس على المجتمع وعليه فحسب ، بل حتى على المنهج العقلي والذوق الجمالي كذلك .. فهو يريد تثوير هذه الطوائف الهامشية ، هذه الطوائف المنبوذة وان كانت هي نفسها لاغية عن الامر لا تفكر الا بالحشيش والافيون والمخدرات عامة ، ولا تحس الا بالجنس والدعارة ..

فتخريف ماركوز وادعاؤه ليس كافيا ليجعل منه قانونا عاما لسير المجتمع والتاريخ ، وخطا حتميا لا محيد عنه . فتلك الطوائف وتصوراتهم وانماط حياتهم دليل على هروبها من الحضارة الغربية ان اعطينا لها مدلولها الواعي ، والا فهي علامات انحدار وتدهور فى الحضارة الغربية ذاتها .

هذا ليس معناه ان الحضارة الغربية قد انتهى امرها ، فالجانب الايجابي منها ما زال ماثلا يشد عضدها ، فهذا التقدم الاقتصادي وهذا التقدم العلمي ، وهذا التقدم التكنولوجي ، يدل على عناصر القوة فيها. ولكي تذوي هذه العناصر وتضمحل فلابد من وقت وزمن .. والاسلاميون يشعرون بهذا ، ويعتبرونه اشد الاعتبار ، ولذا نراهم يجيبون عن السؤال : ما هي نقطة الضعف في الحضارة الغربية اذن ؟! بأنها القيم ، انها العقيدة والدين (3) .

وفى المجتمعات الغربية نفسها تتعالى الاصوات صائحة بالعودة الى الدين .. هذه الوضعية الداخلية والخارجية بالنسبة للمجتمعات الاسلامية تجعل البعث الاسلامي ضرورة . اما الدوافع الحقيقية الذاتية التى يمكن ان ينطلق منها هذا البعث ، وهل ستخلق لتكون هناك ظروف مواتية للبعث ، أم هي أسباب ودوافع قائمة فعلا فى الوضعية التى تعيشها المجتمعات الاسلامية ، فتحتاج الى نظرة ابعد من فحص مرضنا وما يحتمه علينا . فالبعث الاسلامي فى أساسه ليس دخيلا على المجتمعات الاسلامية .

(3) خير من اكد هذا الاستاذ الشهيد : سيد قطب فى كتابه (معالم فى الطريق) .

ولن يتسرب الى اعماقنا من الخارج فيغير منا او بحركنا ، وهو بالتالي لن يكون وليد ظروف اجتماعية او ظروف وضعية معينة كاحتجاج على وضع معين، يزول فيه البعث بزوال ظروف وضعيته تلك ، فالوضعية هاته لن تجعل من البعث الا ضرورة . ان البعث ليس وليد هذا ولا ذاك . انه بعث نابع من اعماق الانسان ، ومن اعماق تاريخه . فالرسل قافلة واحدة ، وحركة واحدة ، وتاريخ واحد ، وهدف واحد ، وغاية واحدة ، فلا فرق بينهم ، فكل منهم واجه الواقع الانساني المنحرف بمنهج الله وشريعة الله وهديه . فاعاد الواقع المنحرف الى طريق الحق ، واظهره في حياة الناس الاجتماعية والتاريخية والحضارية عن وعي ومسؤولية . واصبح بتلك السنة الالهية التجديد والانبعاث كامن في الامة الاسلامية على مدى التاريخ ، ومدى الحياة البشرية واستمرارها . فكلما امتزج الانسان بهدي الله عاد التجديد ، وعاد الانبعاث نقيا ، ناصعا ، دافعا الى الامام . وهكذا استمرت حركية الاسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بعثا تلقائيا ، نابعا من دافع اسلامي . وبهذا انطلق البعث الاسلامي منذ القرن الثامن عشر في حركات اسلامية ، اعطتنا جميعها دليلا وافيا على ان الاسلام يحمل في ذاته قوة ديناميكية حركية تلقائية . وطلائع الانبعاث واضحة في المجتمعات الاسلامية مما يؤكد لنا ان هذا دافع وسبب مباشر يدفع بالاسلام الى الوجود من جديد في التاريخ الحديث .

الا ان النظر الى الواقع الفعلي للمجتمعات الاسلامية يجعلنا ننتبه الى سبب آخر ودافع آخر . له اهميته التى جعلت من البعث الاسلامي يزداد قوة ، ويزداد تماسكا ، ويزداد استعدادا وعدة . فما ان لاحت جحافل الاستعمار في الافق ، وبدا الغزو الاجنبي للمجتمعات الاسلامية ، حتى هبت تقاوم ، واخذت تواجه ، فنشطت همم المسلمين ، وقويت عزائمهم ، وانبعثت فيهم حركات مختلفة ومتعددة ، منها السياسية ، ومنها الثقافية، ومنها المجاهدة . ووقفت جميعها في وجه الاستعمار، فكانت مشاعل البعث ، وشرارة من شراراته ، ففيها انبعث الوعي الاسلامي اقوى مما كان عليه . واوعى بخطوات البعث واهدافه . ولا زال هذا العامل يعمل مفعوله فهاهي فلسطين المسلوبة تؤثر في الوعي الاسلامي ، وفي الوحدة الاسلامية بين الدول الاسلامية حتى كان مؤتمر القمة الاسلامي .

ونتيجة هذا التفاعل الواقعي التاريخي الاجتماعي تكون وعي عقائدي ، وتصور حركي ، وفهم دقيق للبعث الاسلامي المنشود ، الذى بدا يتغلغل في اعماق النفوس ليدفعها الى العمل ، والحركة ، والبعث ، وزاد من قوة هذا الدافع وهذا السبب انه شامل وكلي ، فقد انبثق في كل بلد بلد ، وفي كل قرية قرية ، وفي كل مدينة مدينة . فهذا السيل من المؤلفات والمحاضرات والدعوات التى تجعل الحركة الاسلامية تستيقظ من سباتها ، وتنظر الى الواقع نظرة واقعية مليئة بالآمال والاماني .

ولم يقف الفكر الاسلامي امام التعريف بالاسلام والدعوة اليه فحسب ، بل تعداه الى دراسة الواقع الاسلامي بكل ابعاده ، دراسة علمية تناولت جل الميادين ، فمنها من اختص بالجغرافية ومنها من اختص بالاقتصاد ، ومنها من اختص بالطاقات البشرية ومنها من اختص بالطاقات المادية ، ومنها من اختص بالخيرات المدفونة بالاراضي الاسلامية ، مما بعث الآمال في وحدة الامة الاسلامية من جديد ، ونشر العدل، فالوعي الذاتي بالطاقات الاسلامية جعل المسلمين يستوعبون الكثير من علوم الحضارة الغربية ، واساليب عملها . ويدخلون ميادين الوعي الحضاري بكل ابعاده .

فالبعث الاسلامي ليس خطة توضع للمستقبل، وانما هو حركة فعلية واقعية ، انه حياة اجتماعية ذاتية تلقائية تتحرك وتواجه وتنمو .. والبعث الاسلامي ينطلق من منطلقات ثابتة ، واقعية ، متينة، سليمة وقويمة الخطوات ، هذه المنطلقات ليست آراء تفرض ، ولا اماني معسولة ، او هوى وطموح ، او تضليل وخداع لغاية مؤقتة قريبة المنال . انها منطلقات بعث اسلامي واقعي تاريخي حضاري . فالاسلام ، والاسلام وحده ، هو الذى يقدم النظرة الشاملة للحياة ، ويقدم الشريعة المحكمة للمجتمع . فهو المحرك ، وهو الغاية المطلوبة في نفس الوقت . والاسلام غني عن كل تعريف أو تبيين فلقد اهتم جل الاسلاميين بتوضيح مراميه، وتبيين قواعده ومبادئه. فالبعث الاسلامي عندما اعتمد ، ويعتمد ، الاسلام كنظام للحياة ، وتصور عقائدي للكون ، فانه يرفض بذلك كل المنطلقات الاخرى ، مما يلوح منها في الافق من علمانية وديمقراطية وديكتاتورية ،

وراسمالية وشيوعية ، وجماعية ووجودية ، وقومية ووطنية ، وغيرها كثير .. كل هذه منطلقات مردودة اصلا ، مهجورة فعلا على صعيد البعث الاسلامي . فالاسلام مبدأ شامل ، ومنهج كامل ، لا يقوم عليه الا المجتمع الاسلامي نفسه . فلا يمكن ان يدخل في مسيرته اي منطلق آخر غير الاسلام ، ولا ان يهتم بغير الاسلام ، ولا ان يعمل الا من اجل الاسلام ، فالاسلام والاسلام وحده هو منطلق البعث الاسلامي .

— * —

بعد هذه الانطلاقة منذ قرنين من الزمن ، ما زال الاسلاميون الفيورون يتطرقون الى البعث الاسلامي بالتامل والتفكير ، فيقدمون ما يرونه لائقا من الخطوات المنهجية العملية لاحقاق البعث وكأنهم في ذلك سيبدأون لاول مرة . فقد ذهب المفكر الاسلامي وحيد الدين خان ، وليس هو الوحيد ، يعرض في برنامج جديد خطوات البعث المنتظر وقد قطع في ذلك كل الوشائج الماضية فقال : ومنذ قرن كامل وثمة ضجة تثار في ارجاء العالم الاسلامي حول احياء الاسلام ، لكن الصخب الشديد قد انتهى بنا الى حيث نحن الآن ملقون في غار الذل والعار ، ومما يزيد من عمق تعاستنا ان كل هذا الفشل لم يؤد الى خلق شعور لدى المسلمين ، واعادة الفكر فيما يجب عمله وفي الاسلوب الذي يجب اتباعه ، وكل الشعارات والنعرات التي ثبت فشلها النهائي بحكم شهادة التاريخ — لا زلنا نسمعها من حين لآخر في كلمةجديدة او ثوب جديد » (4) .

فالبعث الاسلامي بالشعارات السياسية والمفهوم السياسي قد فشل فشلا ذريعا ، وخاصة عندما يقارن بنهضة اليابان في ربع قرن . ويقترح انشاء المركز الاسلامي الدولي ، كخطوة لبعث اسلامي مقبل . وهكذا يتصور ان البعث لم يبدأ بعد ، وكأن الاسلام لم يتحرك قط . فقد اخطأ الكاتب الجليل في نقطه الثلاث ، اخطأ في حكمه بالفشل على البعث الاسلامي الذي بدأ منذ قرن في تقديره ، والامر الواقع لا يقول هذا ولايؤكده ، واخطأ في تقديره ، لنجاح اليابان في ربع قرن ، فلهاذا النجاح ما يبرره فهو تقدم في ميدان الصناعة والاقتصاد والتكنولوجيا ولكنه مفلس في ميدان القيم . وثانيا فان نجاح اليابان المدهش يعود الى انه انطلق من منطلق منسجم مع نفسه ، متلائم مع تطلعاته . في حين ان البعث الاسلامي كان يجاهد ولا يمشي . وهذا تباين في الطريق ، لو ركنا اليه قادنا الى الطريق المسدود ، وهذا ما حدث فعلا فالاقتراح بانشاء مركز اسلامي دولي يهتم بالدراسة والثقافة والتعليم عيبه الوحيد انه قلص البعث الاسلامي من جميع ميادين الحياة ، وجعلها محصورة ضيقة ، في مركز . حقيقة ان المركز قد يكون نموذجا اسلاميا ، ومركز اشعاع اسلامي ، ولكن العيب الذي سيظل لاصقا به انه سيبقى مركزا ، وسيبقى بذلك مفارقا للحياة . وهذا هو الخط المسدود الذي يبعدنا عنمسيرة الشعب الاسلامي منذ انطلاقته الاولى ، ويبعدنا عن الحياة ، والمجتمع والحضارة . فان كان الجانب السياسي للبعث الاسلامي يثير المصاعب ، ويثير الصراع فان البعث في الحقيقة لا يعانق الا الحياة في شمولها ، امره في ذلك امر الاسلام نفسه. فمجالاته هي مجالات الاسلام ، وميادينه هي ميادين الاسلام . البعث هو نقطة الاندماج التام بين الاسلام والحياة ، ولا يمكن ان يكون نقطة انفصام بين الاسلام والسياسة ، ولا بين الاسلام والاقتصاد ، ولا بين الاسلام والثقافة والفن ، ولا بين الاسلام والتعليم ... فهذه وغيرها مجالات الحياة ، والاسلام يمتزج بها ، يتفاعل معها ، يخلقها .. والبعث الاسلامي لن يكون شاملا وتاما الا اذا تخطى نقطة الانفصام هذه ، التي هي بلاء المجتمعات الاسلامية المعاصرة، ونقطة ضعفها، ومحك تناقضاتها .. فالمجتمعات الاسلامية التي تعلن اسلامها وتفتح للاسلام مجالا دون غيره ، فهي تقبر البعث ولا تحييه . فهي عندما تخصص وزارة للاهتمام بالشؤون الاسلامية ، فقد عزلت الاسلام عن الحياة العامة، وعندما تخصص ساعة معينة للتربية الاسلامية في البرامج التعليمية، تكون قد عزلت الاسلام عن الحياة العامة . وعندما تحدد التجمعات الاسلامية في الجمعيات الخيرية والثقافية تكونقدعزلت الاسلام عن الحياة العامة ، وعندما تخصص برنامجا اذاعيا او تلفزيونيا او صفحات في جريدة او مجلة للاسلام تكون قد عزلت الاسلام عن الحياة العامة .. وهكذا تكون قد طبقت الانفصام النكد ، وقطعت على البعث اسباب الحياة ، وقضت عليه في مهده ، وادخلته دائرة مغلقة ، في اذهان الناس

---

(4) نحو بعث اسلامي . وحيد الدين خان ، ص 21 .

وتصوراتهم ، فى اخلاقهم وسلوكهم ، فى عملهم ومعاملاتهم . فيرفع عنهم الاسلام والاهتمام به ، ويوهمون ان الاسلام فرض كفاية فى الحياة العامة . وهذا هو الخطر ، وهنا الضلال ..

ان اول خطوة من خطوات البعث الاسلامي هو القضاء على هذا الانفصام ، سواء على صعيد الجماعات الاسلامية اوعلى صعيد الدول الاسلامية. ولن يكون البعث الاسلامي اسلاميا الا اذا عدنا الى المنطلق الصحيح للبعث . وهو الاسلام ، والاسلام وحده .

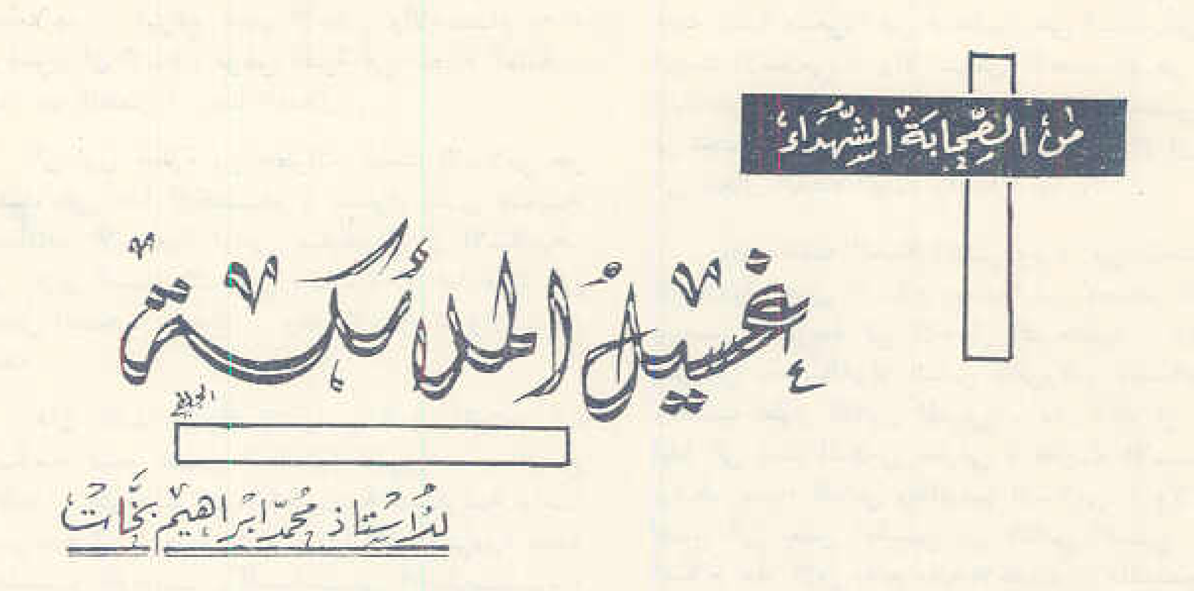
فان كانت الحياة السياسية فى المجتمعات الاسلامية تنحو منحى الحضارة الغربية ، وتتطبع بطابعها ، فتراها اما ديكتاتورية عسكرية واما ديمقراطية ليبرالية ، فالبعث الاسلامي ضرورة ملحة لينتشر الوعي السياسي الاسلامي ، وتتغير القيم السياسية ، وتتبدل المقاييس السياسية . ولن يحدث هذا الا بايجاد جو سياسي اسلامي على اساس مفهوم الشورى والبيعة والعدل فى الاسلام . بعث سياسي تنسجم فيه وتتلاحم طاقات الامة ، فلا معارضات على اساس ديمقراطي سقيم ، وتسلط على اساس ديكتاتوري مريض . فالحركة الاسلامية والبعث الاسلامي ان كانا يسعيان ليحكم الاسلام فليس معناه انهما يسعيان للحكم فى حد ذاته ، وليس المقصود ابدال شخص بشخص ، او تصور جاهلي بتصور جاهلي آخر ، ان المقصود هو تحكيم الاسلام . وقد قيض الله لهذه الامة امير المؤمنين الحسن الثاني لتحقيق البعث الاسلامي ، فما تضمنه خطاب السنة الهجرية الجديدة حلقة تضاف الى سابقاتها لتحقيق كلمة الفصل ، وتنفيذ كلمة الله فى كل مرافق الحياة . وبداية البعث البناء الذى سيؤدي بالامة الى نهضة تضاهي نهضات الامم الغربية ..

وان كانت الحياة الاقتصادية فى المجتمعات الاسلامية تتسم بالتبعية فى التنمية والنظام والعقيدة. فان البعث الاسلامي لا بد له ان ينطلق من الرفض اولا ، رفض الجاهلية ، شيوعية وراسمالية . وان توضع موضع التجربة منطلقات اسلامية ، وتطلعات اسلامية . وهذا لن يكون كاملا الا اذا قضي على المؤسسات الشيوعية فى محتواها ونظامها ، وقضي على المؤسسات الرأسمالية فى محتواها ونظامها. وانتقدت منطلقاتهم الفكرية والعقائدية ، ووضعت خطة تنمية متحررة من ضغطهما على اساس من هدي البعث الاسلامي . والا سيظل الانفصام هو نقطة التناقض ، وسيظل البعث فى مجال الدعوة التى لن تحدث نهضة مرجوة، ولا يستطيع آنذاك ان يتقدم الى مجال الحياة العامة والتقدم بها .

وان كانت الحياة التشريعية فى المجتمعات الاسلامية تجعل الاسلام مصدرا من مصادر القانون، وتحصر الشريعة فى الاحوال الشخصية ، وتتبنى القوانين حسب اهواء الناس وظروفهم ومصالحهم ، وحسب تطور القانون الغربي . فان ذلك لن يقود ابدا الى بعث اسلامي حقيقي ، فلابد للاسلام ان يرتبط بحياة الناس وبقانونهم الاسلامي . ولا بد أن أشير الى بعض الطيبين من الناس الذين يرون اصلاح هذا الامر بفتح باب الاجتهاد . فالمجتمع الذي يتسم بجاهلية الاجتهاد فى مشكلات حياته تلفيق بين الاسلام والجاهلية ، تجبير لجرح لن يدوم وقد يضر . فالذى امامنا ليس فتح باب الاجتهاد وانما فتح باب البعث الاسلامي بازالة الانفصام وخلق حياة اسلامية . وان لم يحدث هذا البعث ولم تخلق هذه الحياة الاسلامية فان كل اجتهاد اهدار للطاقة الاسلامية ، وتضليل وضلال عن الخط المستقيم .

وان كانت الحياة الثقافية والتعليمية والعلمية وحتى الفنية فى المجتمعات الاسلامية تحصر الاسلام فى جوانب من التخصص لم يعد يمس الحياة الاكترات جميل شيق . وقد يصبح مدارا للعملة الصعبة ، وتقطع الشرايين التى تمد الاسلام بالحياة وتربطه بها . فالبعث الاسلامي لن يكون هناك الا اذا فتحت ابواب الثقافة والتعليم والعلم والفن امامه ، فصاغها بعقيدته ، ونظمها بشريعته وابدعها بعبقريته فلابد للاسلام ان يطرقها ، ويمتزج بها، فهذا الالتحام وهذا الانسجام هو الخطوة الاولى فى البعث . وهذا ما عملت من اجله جل الجماعات والحركات الاسلامية وفرضته وتفرضه الوقائع الاجتماعية والسياسية حتى اصبحت معالم هذا البعث تظهر لامعة على الصعيد الدولي وما مجهودات البعث الاسلامي فى المغرب الا اتماما للحركة الاسلامية والانطلاقة الاسلامية والنهضة الاسلامية .

الرباط ـ محمد العربي الناصر



يحفل العصر النبوي بامثلة ايمانية عجيبة قد تدعو الى الاستغراب وتثير الدهشة ، ولكن هذه الدهشة تزول وهذا الاستغراب ينمحي بعدما يظهر للشخص المتعجب ان تلك الامثلة النادرة وليدة الايمان النافذ الى شغاف الافئدة وثمرة اليقين الذى يحقق المستحيل .

اي والله ان مفعول الايمان فى القلوب وأثره فى النفوس يصنعان المعجزات ويجعلان من الشخوص المؤمنة نماذج حية للاقتداء وامثلة فريدة للاهتداء ، فهم ناس لا ككل الناس ، جديرون بكل تقدير ، خليقون بكل اكبار لانهم من المصطفين الاخيار الذين كان شعارهم فى الحياة : الايمان الحق والعمل الصالح تنفيذا لقول رب العالمين الذى وضح طريق الفلاح فى العالمين الدنيوي والاخروي : (.. ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ..) . ـ العصر : 2 ، 3 .

وحسبهم تسجيل اولويتهم من الايمان بالديانة الحنيفية التى تحقق لهم الفوز برضوان الله الاكبر الذي امتازوا به فكان لهم شرف الذكر فى القرآن العظيم الذى يبشرهم بالنعيم المقيم فى دار الخلود التى فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر :

(والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ، ذلك الفوز العظيم) .

ولكن لم التعجب وتلك النماذج الفذة من المؤمنين من تلاميذ الدراسة المحمدية التى انتجت الصفوة من المسلمين والافذاذ من الرجال الذين كانوا من جدارة اساتذة البشرية والهداة لاقوم ديانة .

انهم بحق السادة العباقرة نتاج الاسلام الصحيح العاملون بسنة رسول الاسلام ، الطائعون له بصدق، المقتدون به باخلاص فى مبادرات عملية كلها تضحيات، اهلتهم لتادية واجبات الدعوة لدين الله بنجاح منقطع النظير ، لان تاسيهم الاصيل برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسر لهم كل عسير ، فثلوا عروش الاكاسرة والقياصرة ، ودحروا الجيوش الجرارة ، ونشروا الوية الديانة الاسلامية فى شتى بقاع المعمورة فى مدة نصف قرن بشهادات مؤرخي الغرب .

وقد حققوا الاعاجيب والانتصارات ليس بالسيوف وانما بالايمان العميق وبالاخلاق السامية المنبثقة عن القرآن وعن السنة ، فكان تفوقهم العجيب على انسان الجاهلية فى كل بقعة حلوا بها ، وكان فتحهم الفريد فى التاريخ الذى « لم يكن فتحا

للارض وكنوزها ، انما كان فتحا لقلوب ساكني الارض (1) » .

وما كان نجاح صحابة الرسول أساتذة الحياة وهداة العلم الا لكونهم من العاملين بديانة الاسلام فهم المنقذون لروحها ، المهتدون بنورها ، وهي التي صبغتهم وكونتهم وربتهم ، فكانت لهم صبغة الاسلام، وكان بهم التكوين الصحيح ، وكانت لهم التربية السليمة التي تجعل صاحبها يطيع الله ويهدي الناس . وكانوا رضوان الله عليهم يتميزون بالرحمة، هذا الخلق الكريم، فلقد جعلتهم هذه الاخلاق الربانية رحماء بين الناس ، ناس الايمان بهذا الدين لانهم عباد الله ، والاخوان في الله ، والاخوان في الايمان، وصيرتهم هذه الاخلاق الصالحة اشداء على الكفار لانهم عبيد الشيطان واخوان الشيطان المعارضون لدين الحق ، المناوئون لرسول الله ، المحاربون لعبودية الله ، فلله هم ! وما اعظمهم من ناس ! وما امثلهم من بشر ! وما اجمل تقدير الله لهم ! وما افضل تنويه القرآن بهم ! فلهم شهادته الخالدة ولهم اجر الله العظيم : (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ..)

(.. وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما) .

واني كمسلم يقدر حواريي الرسول الاعظم وانصار الدين القيم ويحترمهم عظيم الاحترام الهمني ربي — خدمة لديني واعترافا بفضل تلك الزمرة المؤمنة على الانسانية التي تربت في كنف البعثة النبوية وارتوت من مناهلها وورثت تعاليمها واهتدت بهديها — الى اختيار مثال مقتبس من خريجي مدرسة النبوة ، هذا النموذج الذي يصور لنا موقفا ايمانيا عجيبا لشاب وبمعيته شابة ، اختار كل منهما الايمان بهذا الدين بمحض اختيار لما تبين لهما انه الحق الصراح الذي يعلو ولا يعلى عليه ، ولا اعتقد الا فيه ، ولا حياة تصح الا به . زعيم من زعماء الكفر وعدو لدود للاسلام ، اما الشابة المؤمنة فهي بنت رئيس المنافقين — عبد الله بن ابي بن سلول — صاحب المواقف المشهورة في النفاق ضد رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فسبحان الله مبدل الاحوال ومقلب القلوب القادر على كل شيء الذي يحول من الكفران الى الايمان ومن الشرك الى التوحيد ومن المعصية الى الطاعة ومن الشر الى الخير ومن الرذيلة الى الفضيلة . لقد هدى الله الفتى والفتاة الى الدين الحق ، بينما بقي ابواهما على كفرهما ومحاربتها للدين الجديد الى ان ماتا ونالا جزاءهما المحتوم ولقيا مصيرهما الرهيب في جهنم :

(والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) .

وبتوفيق الله الذي جمع الشاب والشابة على صعيد دينه ، تشاء ارادته ان يجمع الزواج بينهما ، فيتزوج الفتى حنظلة بن زعيم الكفر بالفتاة جميلة بنت رئيس المنافقين .

وما كانت ليلة الزفاف التي تعد ليلة العمر لتشغل بال حنظلة لحظة من اللحظات او تحول دون تفكيره في العمل لهذا الدين او تمنعه من تلبية نداء الواجب لرفع لواء الاسلام واعلاء كلمة الله حتى ولو اتى به الى التضحية بعمره .

وما توقعه حنظلة يحدث ، فلقد سمع نداء الجهاد يدعو لنصرة الدين ، فيرغب عن عروسه ويعرض عن الملذات ، ولا يعبأ الحفلات التي اقيمت بمناسبة يوم زفافه ، ويبادر للخروج الى ساحة الشرف وهو جنب فتلبية نداء الواجب أنسته كل شيء الا الجهاد والاستشهاد في سبيل الله .

ويخوض حنظلة غمار الحرب من اجل ملة الاسلام وضد ملة الكفر مساهمة منه مع اخوانه المؤمنين تحت امرة الرسول القائد في غزوة احد ، فيقاتل بشجاعة نادرة الى ان استشهد ، وباستشهاده تحققت رغبته المرجوة في نيل هذا الشرف العظيم من اجل الدعوة الى دين الله وفي سبيل لا اله الا الله محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم .

وبعد انقضاء المعركة يذهب المسلمون القيام بمواراة جثث الشهداء في الاجداث ، ويحين دور جثة حنظلة ولكن يلاحظ بعض الصحابة على راسه ومحياه اثر البلل بالماء فيتعجبون من هذه الظاهرة

(1) عن كتاب (دراسات اسلامية) للشهيد سيد قطب ، صفحة : 46 .

الغريبة ويتوجهون توا الى رسول الله يخبرونه الخبر ويستفسرونه الامر ، فيجيبهم صلوات الله وسلامه عليه :

« اني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن ابي عامر بين السماء والارض بماء المزن فى صحاف الفضة»(2).

حدث وحيد عن شهيد فريد فى العهد النبوي من التاريخ الاسلامي لم يقع لغير حنظلة غسيل الملائكة الذى آثر لذة الواجب الباقية على لذة الشهوة الفانية .

انه حدث عجيب عن ايمان صحابي من صحابة رسول الله الشباب الذين بذلوا كل شيء وضحوا بكل نفيس من اجل الاسلام العظيم .

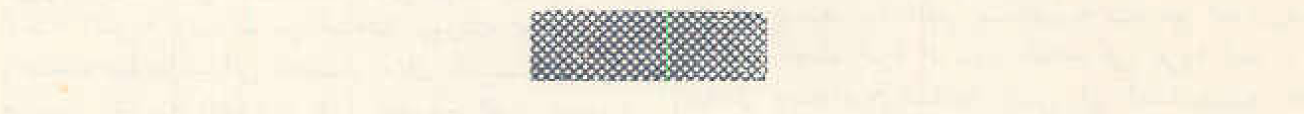
لقد كان صحابة الرسول الاعظم من خيرة الشباب الذين قدموا اروع الامثلة فى المواقف الايمانية التى بفضلها ركزوا دعائم الدين الجديد فانتشر فى بقاع العالم بنشر الهداية الاسلامية والسعادة الحقيقية .

لقد كانوا نواة اسلامية صالحة خالصة لاصلاح الانسانية ، انتجتهم مدرسة النبوة اول جامعة ناجحة فريدة فى التاريخ ، كونت المتازين من القادة ، وخرجت الناجحين من الرادة ، وانتجت الافذاذ من الرجال الموفقين فى الحياة المكونين للافذاذ من الاجيال شباب الاسلام الصالح عدة الامة الاسلامية واعمدة نهضتها المباركة وحضارتها الخالدة .

فهلا استفدنا من دروسهم فى التفاني من اجل المبدا الخالد وفى التمسك بالدين الحق ؟.

الرباط ـ محمد بن ابراهيم بخات

(2) نظر (شهداء الاسلام فى عصر النبوة) للدكتور علي سامي النشار ، صفحة : 73 ، 74 75 .





خطر لي ان اكتب فى هذا الموضوع ، لما رايت من الجمود المعيب فى فتاوي بعض الفقهاء ، يسأل العامة عن مستحبات ، او هيئة من هيئات الصلاة ، فيسمعون اجوبة مختلفة، ويقعون فى بلبلة واضطراب، فمن ذلك واجبات فى مذهب بينما هي فى مذهب آخر سنة ، ومن هذا القبيل في مفسدات الصوم ، وفى بعض اعمال الحج ، بل وفي الوضوء ، والامثلة على ذلك كثيرة ...

والمذاهب كلها ترجع الى اصل واحد ، هو ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقلـه اصحابه الانجاب ، الذين اخذ عنهم الائمة رضي الله عنهم اجمعين ، فالمذاهب كلها معتمدة ، اجمع السلف والخلف على العمل بها ، من غير تعصب ، ولا تفرقة، ولا تفضيل مذهب على مذهب ...

وقد ورد ــ ان الدين يسر ولا عسر ، وورد ــ سددوا وقاربوا ويسروا ولا تعسروا ..

فلا حرج على من راى سهولة فى مسالة من المسائل الشرعية ، على مذهب من المذاهب ــ ان يتبعه ، مادام صاحب المذهب من الائمة الذين اجمعت الامة على تقليدهم ، واتباع آرائهم ، لان رايه مبني عنده على اصل من كتاب او سنة ، وقام لديه الدليل نتيجة بحثه واجتهاده .. وقد نسب الشاطبي رحمه الله الى عمدة اهل التحقيق ــ محي الدين بن العربي الاندلسي الحاتمي انه قال : ان سنة الله تعالى جرت ــ انه اذا اعطى نبيا شيئا ، اعطى امته منه ، واشركهم فيه . وذكر الشاطبي من تلك المزايا ــ الوراثة العامة فى الاستخلاف على الاحكام المستنبطة.

وكان من الجائز ان يتعبد الله الامة بالوقوف عندما شرع من الاحكام بالنص من غير استنباط ، باعتبار ان عموم النصوص واطلاقها كاف فى معرفة التشريع .. لكنه سبحانه تفضل على هذه الامة بالخصوصية التى خص بها نبيه سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم .

فقد قال الله سبحانه « انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله » وقال تعالى فى هذه الامة « ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

وهاتان الآيتان من سورة النساء ، وبمقتضى هذه الآية الثانية ، كان للعلماء ان يستنبطوا الاحكام من معاني النصوص ، وطرق دلالتها المتعددة ، ورأيهم بعد ذلك صحيح ، تعمل به الامة . كما ثبت لرسولنا صلى الله عليه وسلم ان يحكم بين النـاس بالراي الصحيح الذي اقره الوحي .

وكانت الاحكام تحدث بحدوث السؤال عن النوازل ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ذروني ما تركتكم) اي لا تسألوا ..

روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا ايها

الناس ، قد فرض عليكم الحج فحجوا » فقال رجل أفي كل عام يا رسول الله ؟ فسكت الرسول حتى قالها ثلاثا . ثم قال :

ذروني ما تركتكم ، ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ، وانما اهلك من قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم ، اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، واذ نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » .

وقد قال الله تعالى « يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم » اي ان تظهر وتبين لكم تسؤكم ان امرتم بالعمل ، فان من سأل الحج ، لم يأمن ان يؤمر به في كل عام فلا يقدر عليه ، فيسوءه ذلك ، وكذلك الرجل الذي قال : من ابى يا رسول الله ؟ فقال له : حذيفة : لا يأمن ان يلحقه النبي صلى الله عليه وسلم بغير أبيه فيسوءه ذلك ايضا، ويفتضح بين الناس ، وتمام الآية « وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم » .

اي ان صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض أو نهي ، او غيره ، وليس في ظاهره شرح ما تحتاجون اليه ، ومست حاجتكم اليه ، فاذا سألتم عنه فحينئذ يبدى لكم » .

ومثال ذلك : ان الله تعالى لما بين عدة المطلقة والحامل والمتوفى عنها زوجها ولم يكن في هؤلاء عدة التي ليست ذات قرء ولا حامل ، فسألوا عنها فانزل الله تعالى جوابهم في قوله « واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن » ثم تقول الآية بعد ذلك « عفا الله عنها » يعني عن مسألتكم عن الاشياء التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتي كره لكم السؤال عنها ، فلم يؤاخذكم بها ، ولم يعاقبكم عليها .

عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم على الناس فحرم من أجل مسألته » . وعن سلمان رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء فقال : الحلال ما احل الله في كتابه ، والحرام ما حرم الله في كتابه ، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه فلا تتكلفوا » والمراد بالسكوت هنا في كلمة « سكت عنه » اي لم يحكم فيها بحل ولا حرمة فان السكوت مستحيل على الله تعالى .

وروى الدارقطني وغيره عن ابي ثعلبة الخشني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم اشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن اشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » ويؤخذ من هذا ان الاصل في الاشياء الحل والاباحة، وقوله « لا تبحثوا عنها » اي احكموا بالحل في المنافع، والحرمة في المضار ..

وكان غرض النبي صلى الله عليه وسلم ان يمتنع الناس عن السؤال ، ويجرون مع طبعهم ، حتى يكون الحق سبحانه و الذى يتولى من تنزيل الاحكام ما شاء ، فكانت الواجبات تقل ، والمحظورات تقل ، وتبقى الكثرة في المباحات التى لا يتعلق بها اجر ولا وزر ...

. فابت النفوس قبول ذلك ، وأن تقف عند الاحكام المنصوص عليها ، فأثبتت لها عللا ، وجعلتها مقصودة الشارع وطردتها ، والحقت المسكوت عنه في الحكم بالمنطوق به ، بعلة جامعة بينهما ، اقتضاها نظر الجاعل المجتهد ، ولو لم يفصل ذلك لبقى المسكوت عنه على اصله من الاباحة والعافية ، فكثرت الاحكام بالتعليل ، وطرد العلة ، والقياس ، والراي ، والاستحسان ، وما كان ربك نسيا ..

وقد جعل الله في ذلك رحمة بنا ، لولا ان الفقهاء حجرت هذه الرحمة على العامة ، بالزامهم اياها بمذهب شخص معين ، لم يعينه الله ولا رسوله، ولا دل عليه ظاهر كتاب ، ولا سنة ، صحيحة ، ولا ضعيفة ، ومنعوه ان يطلب رخصة في نازلته في مذهب عالم آخر اقتضاه اجتهاده ، وشددوا في ذلك ، وقالوا هذا يفضي الى التلاعب بالدين ، وتخيلوا ان ذلك دين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى تصدق عليكم فاقبلوا صدقته » فالرخص مما تصدق الله بها على عباده . وقد اجمعوا على تقرير حكم المجتهد ، على تقليد العامي له في ذلك الحكم ، لانه عنده عن دليل شرعي؛ سواء كان صاحب قياس او غير قائل به .

وهكذا راينا ان الفقهاء ربطوا العامي بمذهب خاص ، لا يعدل عنه الى غيره ، وبذلك حجروا عليه ما لم يحجر الشرع عليه ، ولا شك ان هذا من اعظم الطوام ، وأشق الكلف على عباد الله .

فالذي وسع الشرع بتقرير حكم المجتهدين من هذه الامة، ضيقه عوام الفقهاء . واما الائمة مثل ابي حنيفة ، ومالك ، وابن حنبل والشافعي فحاشاهم من هذا ـ مافعله واحد منهم قط ، ولا نقل عنهم انهم قالوا لاحد ـ اقتصر علينا ، ولا قال احدهم ـ قلدني فيما افتيتك به ، بل المنقول عنهم خلاف هذا ـ رضي الله عنهم أجمعين .

وهذه الخلافات الفقهية : ترجع الى تفاوت العقول والافهام ، واختلاف البيئات والمجتمعات .

ولقد حدث ذلك فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم عندما امر الناس الا يصلوا العصر الا فى بني قريظة ، وادركهم العصر فى الطريق ، فانقسموا فريقين ، فريق اخذ بالباطن فصلى ، وفريق اخذ بالظاهر فلم يصل ، ولما وصلوا اخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فاقرهم جميعا .

ولما اتسعت رقعة الاسلام فى عهد الخلفاء الراشدين ، وانتشر الدين ، فاختلطت العناصر ، ورأى الصحابة ان هناك امورا جدت لم يرد فيها نص فى الكتاب او السنة ، فقاسوها مجتهدين فى دقة واعية ، وفهم وبصيرة على ضوء الشريعة الغراء ، وكان كل منهم ينسب الراي لنفسه ، ويترك للناس حرية العمل به ، ولا يعتبر فاعله آثما .

فالخلاف فى الراي وجد ، وكاد لا يثير عصبية، ولا يدعو الى جاهلية ، ولكل رايه ما دام لا يمس العقيدة ، او اصول الدين ، او يتعارض مع الكتاب او السنة ، واستمر الفقهاء فى اجتهادهم الرزين المستقيم ، لا يعرفون الزيغ والهوى ، ولا ينزلون الى مستوى التناصر المذهبي البغيض .. فخلف من بعدهم خلف فى عصور الضعف ، فاثاروا فتنة المذاهب للائمة ، وتعصبوا لها تعصبا اعمى ، اوقف الافكار الهادفة البانية عن انطلاقها ، وحكم على كل راي يخالف المذهب السائر بالعدم ، علما بأن امام المذهب لم يامر بهذا ، ولم يدع اليه .

فهذا ابو حنيفة : يساله احد تلاميذه : يا ابا حنيفة : اهذا الذي تعني له ، هو الحق الذي لا شك فيه ، فيرد عليه ابو حنيفة قائلا : والله لا ادري، فقد يكون هو الباطل الذى لا شك فيه » .

وهذا الشافعي يقول : يا ابا اسحاق : لا تقلدني فى كل ما اقول ، وانظر فى ذلك لنفسك فانه دين .

وجاء فى الجزء الرابع من التمهيد لابن عبد البر :

قال ابن وهب : قال مالك : الحكم حكمان . حكم جاء به كتاب الله ، وحكم احكمته السنة ، ومجتهد رايه ، فلعله يوفق ، قال : ومتكلف فطعن عليه ، وبعبارة اخرى : قال لي مالك : الحكم الذي يحكم به الناس حكمان : ما فى كتاب الله ، او أحكمته السنة ، فذلك الحكم الواجب ، وذلك الصواب . والحكم الذى يجتهد فيه الحاكم برايه فلعله يوفق . وثالث متكلف . فما احراه الا يوفق .

قال ابن وهب : وقال لي مالك : الحكمة والعلم . وقال مرة والفقه نور يهدي به الله من يشاء من خلقه ، ويؤتيه من احب من عباده ، وليس بكثرة المسائل .

وكان كل وحد من الائمة يقول ناصحا متبعيه « رايي وفقهي غير ملتزم ولا يجب اتباعه » .

فاذا كان الائمة على هذا الخلق العالي ، والسماحة النادرة ، فما كان اجدر باتباع كل مذهب ان يكونوا على هذا الخلق ، وان يقلدوا ائمتهم فى الذوق والنبل والعمل ..

ان الاسلام لا يوجب على احد من اتباعه اتباع مذهب معين .

فلكل مسلم الحق فى ان يقلد اي مذهب من المذاهب ، وله ان ينتقل الى اي مذهب كان ، ولا حرج عليه فى ذلك ..

فينبغي للمسلمين ان يتخلصوا من العصبية بغير حق لمذهب معينة ، فما كان دين الله ، ولا كانت شريعته تابعة لمذهب ، او مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى .

والاحكام الشرعية نوعان : احدهما قطعي لا يسوغ فيه الخلاف مثل : وحدانية الله تعالى ، واركان الاسلام ، وغيرها من العقائد والاحكام التى تجعل من المسلمين امة واحدة ذات أهداف ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان .

والنوع الثاني : هو الاحكام التى جاءت بها الشريعة باسلوب قابل للنظر والفكر ، وهو الغالب من الاحكام الفقهية ـ وهذه مسائل مختلف عليها ، وهي الفروع .

وهذه الفروع قابلة دائما للنظر والتجديد ـ حيث جدت في العصور الاخيرة معاملات لم تكن ، وحالات اجتماعية لم توجد ، فيجب على اهل العلم الديني ان يدرسوا هذه الحالات الجديدة، وان يطبقوا عليها مبادىء الشريعة ، ويستخرجوا احكامها من الادلة .

ونعود فنقول : ان الائمة الذين نتعبد الله تعالى على مذاهبهم ـ لم يكن بينهم من التنافر او الخلاف ما هو بين أتباعهم اليوم .

لقد كان الامام مالك شيخا للشافعي ، تتلمذ عليه الشافعي ، ولم يصطدم به ، بل كان يجله ويحترمه ، وكان الشافعي شيخا لاحمد بن حنبل ، واتصل بالامام مالك وهو بالمدينة ـ ابو الحسن الشيباني من اصحاب ابي حنيفة فروى عنه كتاب الموطا ، وهكذا كانوا اخوة متضامنين ، لم ينقل عن واحد منهم انه تعصب لمذهبه ، بل كان من اهم ما يحرصون عليهم فهم القرآن الكريم ، والاستنباط منه ، والقرآن الكريم لم يذكر احكام الجزئيات الا قليلا منها ، وانما ذكر الاصول والقواعد العامة، وترك الجزئيات والفروع للاجتهاد . اذ هي عادة تختلف باختلاف العصور ، والاقوام ، والبيئات .

ولا ريب ان هذه الخلافات المذهبية قد تقادم عليها الزمن ، وتعتبر من رواسب الماضي ، ويجب ازالتها بنشر الوعي الاسلامي الصحيح ، والعمل على تركيز القاعدة المشهورة ـ ان الدين يسر لا عسر ـ وهذا التعريف يهدف الى جمع الكلمة ، وتوحيد الخط الفكري، والشريعة الاسلامية مرنة ، تتكيف بمقتضيات ظروف البيئات الاجتماعية .

وقد كفلت الشريعة الاسلامية تكيفها بالبيئات الاجتماعية المتباينة في مستوياتها ، لان احكامها صالحة للتطبيق العملي في مختلف المجتمعات ، على اساس انها صادرة من طبيعتها الانسانية ، وانها منظمة للبشرية .

وخلاصة القول في هذا الموضوع : ان الجامدين تقع عليهم تبعة هذه التفرقة البغيضة ، وبالتالي تقع عليهم تبعة تأخر المسلمين وجمود قرائحهم ، وتقييد الحركة الفكرية فيهم . ولقد قال الشيخ محمد عبده رحمة الله تعالى عليه في المرض الذى مات فيه :

وما كنت اخشى ان يقال محمد
قد اعتل او ناحت عليه المآتم

ولكن دينا قمت ابغي صلاحه
اخاف بان تقضي عليه العمائم

والشريعة الاسلامية تستهدف مصالح الافراد والجماعات ، ولابد لشريعة تتجه الى هذه الغاية الكبرى في عمر الدنيا الطويل ، وآفاقها الرحبة ، من ان يكون في نصوصها ومصادرها ما يتسع لحاجات الناس المتعددة والمتجددة ، واغراضهم الصحيحة في شتى بقاع الارض جيلا بعد جيل ، مهما تعددت الحضارات ، واختلفت البيئات .

ولابد ان تكون من المرونة والسعة والشمول ـ بحيث تتسع للحرية الفكرية الرشيدة ، والراي النزيه الامين .

ولهذا جاءت آيات القرآن الكريم ، وبيانها من السنة النبوية ـ بالاحكام مفصلة فيما لا يتغير بتغير الزمان والمكان ، كالمحرمات في الزواج ، وانصبة الوارثين . وجاءت بالاحكام مجملة في قواعد كلية بالنسبة لما يتغير ويتطور ، ويختلف باختلاف البيئات في جوانب الدنيا الواسعة ، وتتابع العصور في مدى الزمن الطويل ، تاركة تفصيلها واختيار ما يتلاءم من احكامها الجزئية ـ لاهل الذكر واولي الامر في كل زمان ومكان .

القنيطرة ـ عبد الفتاح امام



للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

– 4 –

18 – واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون • 14 •

هاته الآية تابعة للآيات التى خصت لاظهار مساويء المنافقين ولذكر مخازيهم المتعددة ، وسببها راجع الى موقفهم المخزي المتجلي فى خستهم وفى جبنهم وعدم قدرتهم على المواجهة والمقاومة ، وفى سعيهم المتواصل لشل حركة المسلمين وخلق الفتن بينهم سرا مع اظهار التملق والتودد علانية .

وقد سجل الزمخشري فى كتابه سببا من اسباب النزول فقال : « روي ان عبد الله ابن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم ، فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله ، فقال عبد الله انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم ، وشيخ الاسلام ، وثاني رسول الله فى الغار ، الباذل نفسه وماله لرسول الله ، ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي ، الفاروق القوي فى دين الله ، الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله ، وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ، ثم افترقوا ، فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا فنزلت .. »

والواقع ان هذا الموقف ليس بالغريب عن المنحرفين من بني البشر ولكنه لا يؤثر امام صدق الايمان ، وقوة العقيدة ، ونزاهة الضمير ، فقد اندحر هؤلاء المنافقون وعاش الاسلام رغم مواقفهم المزرية بالكرامة الانسانية .

والمتامل فى هذه الآية يجد جملتين شرطيتين مبدوءتين باذا ، اما الاولى ففعلها الاول لقوا من لقي لقاء وهو ثلاثي وقد قراه ابو حنيفة رباعيا فقال : واذا لاقوا الذين آمنوا الخ .. والمعنى لا يتغير بذلك لان اللقاء والملاقاة بمعنى واحد فكلاهما يدل على المقابلة والمصادفة والاستقبال عن قرب .

واما الجملة الثانية ففعل الشرط فيها جاء متعلقا بالى وهو قوله تعالى : واذا خلوا الى شياطينهم وهذا الوضع دفع المفسرين الى الاختلاف فى دلالة الفعل والى البحث عن الفرق بين خلا به وخلا اليه وهل يلزم من وجود الى فى الكلام تغيير معنى الفعل بمعنى مناسب كمضى وانصرف مثلا أم لا ؟

وقد اطنب الطبري فى التعليق على ذلك وافاد اما الزمخشري فقد وفق فى التحليل مع ايجاز وامتاع حين قال (1) : « خلوت بفلان واليه اذا

(1) تفسير الكشاف الجزء الاول صفحة 27 من من الطبعة الاولى .

انفردت معه ويجوز أن يكون من خـلا بمعنى مضـى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خـلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بما كما تقول أحمد اليك فلانا واذمه اليك . .

وهكذا نلاحظ ان الزمخشري لم يكن يكتفـي في تفسيره باظهار بعض القراءات ولكنه كان يضيـف الى ذلك التلوين في الشرح والتحليل سواء من حيث الوضع اللغوي او من حيث ربطه بالاستعمال المجازي على اختلاف أشكاله .

19 ـ الله يستهزيء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهـــــون • 15 •

القراءة المتواترة في هذه الآية تجعل الفعـل يمدهم مفتوح حرف المضارعة واختلف المفسرون في تفسيره فذهب بعضهم الى ان المراد منه يمهلهـم ويتركهم وذهب آخرون ومنهم الزمخشري الى ان المراد منه يزيدهم ويقويهم اخذا من مدده ومـددا لا من مد له يمد مدا اذا أمهله .

وعليه فان الفعل الثلاثي هنا يحمل نفس المعنى الذي يحمله بعد زيادة الهمزة قال الزمخشـري عند شرح هذه الآية (2) « ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثـره وكذلك مد الدواة وامدها زادها مايصلحها ومددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسمـاد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله الوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه » .

وبناء على هذا الازدواج في المعنى بين الثلاثـي المجرد وبين المزيد بالهمزة وردت القـراءة الاخـرى التي ترفع حرف المضارعة وهي لابن كثيـر ولابـن محيصـن (3) حسب مـا ذكـره الزمخشـري فـي تفسيـــره .

وان حرص الزمخشري على ربط هذا الفعل بالمد وعلى جعله مساويا للمزيد جعله مضطـرا الى البحث عن تأويل ينزه الله عن فعل القبيح ويتـلاءم مع ما يراه المعتزلة في ذلك ولهذا قال : « فان قلت كيف جاز ان يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعـل الشياطين الا ترى الى قوله تعالى: «واخوانهم يمدونهم في الغي » قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم بتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمـي ذلـك التزايد مددا واسند الى الله سبحانه وتعالى لانـه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما علـى منـع القسر والالجاء واما على ان يسند فعل الشياطين الى الله لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين غـواء عبـاده » .

وان هذه التأويلات ضرورية لربـط الفعـل بصورته البيانية ولاقرار المعنى الذى اختـاره دون غيره فهو لم يرتض شرح اولئك الذين قالوا بان المعنى هو الامهال والاملاء ورد قولهم بدليلين :

الدليل الاول نقلي يرتكز على وجود القراءة التي ترفع حرف المضارعة والتي لا يفهم منها الا الامـداد والتقوية .

الدليل الثاني لغوي يرتكز على ان المد بمعنـى الامهال يؤخذ من قولهم مدله لا من قولهم مده مددا وامده امدادا .

وهكذا نلاحظ قوة الاحتجاج عند الزمخشري عند ترجيحه لمعنى دون آخر سواء من حيث الاعتماد على الجانب النقلي او من حيث الاعتماد على الجانب العقلي ويزيد بعد ذكره لهذين الدليلين شيئا آخـر يتعلق بالجانب البلاغي المنسجـم مع طبيعـة اللغـة وسلامة الذوق فيقول : « فان قلت فما حملهم علـى تفسير المد في الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقـدام على ان يسنـدوا الى الله ما اسنـد الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفـظ وشهد لصحته والا لكان بمنزلة الاروي من النعـام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجـز ان يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغـة

(2) نفس المصدر صفحة 28 .

(3) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مقريء اهل مكة مع ابن كثير توفي سنة 123 هـ . ووردت كتابة اسمه في كتاب الكشاف باسقاط النون خطا .

على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد من اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن فى تفسيره فى ضلالتهم يتمادون وان هؤلاء من اهل الطبع » .

والمراد بذلك كون الحسن وأمثاله ينساقون مع المعنى الملائم دون تكلف او تصنع ولا يحيدون عن المعنى المناسب لاصول الاستعمال اللغوي المعهود لدى العرب فتفسيرهم حجة يؤيد ما سرنا عليه ويضاف الى ما قدمناه من قبل .

وبهذا المنطق فى الاحتجاج سار الزمخشري فى تأييد رايه لانه ربط فيه بين الاتجاه اللغوي والبلاغي وبين الاتجاه الاعتزالي فى نفي القبح عن فعل الله ولهذا راى ان كل من لم يفسر المدد بالمعنى الذى اختاره فقد اخطأ الصواب لانه يفقد القدرة على مواجهة ظواهر المعاني ومقابلتها بالتاويل السليم المنطبق مع قواعد النظم واصول البلاغة .

ولما انهى الحديث عن هذه النقطة انتقل الى تفسير الطغيان فقال عنه انه الغلو فى الكفر ومجاوزة الحد فى العتو وذكر انه ورد بضم الطاء وكسرها وهما لغتان واردتان فى اغلب المصادر الواردة على هذا الوزن فيقال لقيه لقيانا ولقيانا بضم فاء الكلمة وكسرها وكذلك غني غنيانا وغنيانا وحجره حجرانا وحجرانا وهلم جرا .

وقد اهتم علماء الاصوات بهذا الخلاف الناتج عن آثار حركة دون غيرها فى الاستعمال وبحثوا عن اسبابه حينما كانوا يدرسون اللهجات وارتباطها بالبيئة الطبيعية والحياة الاجتماعية .

ومن اهم المهتمين بذلك فى الادب العربي الدكتور ابراهيم انيس الذى ذكر ان البيئة البدوية التى تساعد على ضم الحروف التى تكون مكسورة عادة فى البيئات الحضرية وخص فصلا للخصائص التى تمتاز بها اللهجات البدوية واللهجات الحضرية استنتج فيها ما يأتي (4) :

1 — ان اللهجات البدوية تميل الى الصفات التالية :

اولا — الى الامالة

ثانيا — الى الضم (وهو المقصود بالذات فى هذ البحث) .

ثالثا — الى الاصوات الشديدة .

رابعا — الى الجهر بالاصوات .

خامسا — الى التأثر بالاصوات المجاورة .

سادسا — الى التفخيم .

سابعا — الى استعمال الاصوات المطبقة .

وقد مثل لكل نوع من الانواع ومما ذكره من الامثلة المتعلقة بالضم قراءة التميميين لقوله تعالى « ائذا متنا » بضم الميم وقد قراها الحجازيون بالكسر وكذلك قراءة التميميين ايضا قوله تعالى اتخذناهم سخريا بضم السين فى حين ان الحجازيين قرأوها بكسر السين .

ورغم هذه النتيجة التى توصل اليها الدكتور ابراهيم أنيس ورغم الاستدلالات التى ذكرها فاننا نلاحظ انها ليست ظاهرة واضحة فى جميع القراءات لان القراءات المتواترة لم تقتصر على لهجة الحجازيين فهي قد اخذت من اللهجات الاخرى ما انتشر بين الناس فى اللغة النموذجية التى اتفق عليها العرب لتكون لغة ادبهم ومجرى تعبيرهم المشترك . وهذا هو السر فى انتشار القراءة التى وردت بضم الطاء وقصر القراءة بالكسر على زيد بن علي رضي الله عنه وفق ما جاء فى الكشاف .

وعليه نفرق بين كون اللهجة بدوية غير حجازية وبين استعمال بعض ما ينسب اليها فى اللغة النموذجية التى اصطلح عليها العرب والتى جاء القرآن اقرارا لها فكان استمرارا لوجودها وعاملا من عوامل الاستمرار العام للفكر العربي المرتبط بهاته اللغة فى كيانه ووجوده . ولعل السر فى ذلك كون بعض الكلمات اصبحت متداولة معروفة لدى الحجازيين فاستعملوها مضافة الى ما كان لديهم أو غلب استعمالها على ما كان لديهم فمن النوع الاول مثل ما ذكره السيوطي فى كتابه المزهر (5) نقلا عن نوادر ابي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي ان اهل الحجاز يقولون : انا منك براء، واما سائر العرب فهم

(4) فى اللهجات العربية للدكتور ابراهيم انيس الطبعة الثالثة صفحة 90 فما بعد .
(5) المزهر للسيوطي الطبعة الثانية الجزء الثاني صفحة 276 .

يقولون انا منك بريء . واللغتـان معا فى القـرآن ومعنى ذلك ان لهجة غير الحجازيين خوطبـوا بهـا ففهموها وانها اصبحت مرتبطة باللغـة النموذجيـة فاستعملوها فهم لم يقتصـروا على ما كان لديهم . واما النوع الثاني فقد تقدم لنا التنبيه عليه حيـن شرح الفاتحة (6) فقد ذكرنا ان كلمة الصراط مؤنثة عند الحجازيين ولكنها فى القرآن جاءت مذكرة وفق الاستعمال التميمي ويمكننا ان نجعل ضم الطاء من طغيان قريبا من هذا النوع لان القراءة القرآنية فى اغلبها جاءت بالضم ولم ترد القراءة بالكسر الا مـن جهة زيد بن علي كما تقدم الاخبار بذلك .

20 ـ أولئك الذين اشتروا الضلالـة بالهـدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . 16 .

هذه من الآيات البليغة التى عبر بها القرآن عن الخسران المبين الذي لحق المنافقين وقد استعمل فيها مجازا مرتبطا بالوضع العربي حين ظهور الاسلام ذلك الوضع الذى يدل على ان التجارة كانت سوقا نافدة وكان الربح فيها غاية من الغايات ولكن هؤلاء المنافقين لم يهتدوا فى تجارتهم لانهم باعـوا الهـدى واشتروا الضلالة ، وأي اهتداءلمن تكون هذه حاله ! لانه اضاع الربح واضاع رأس المال الذى هو الفطرة البشرية التى فطر الانسان عليها .

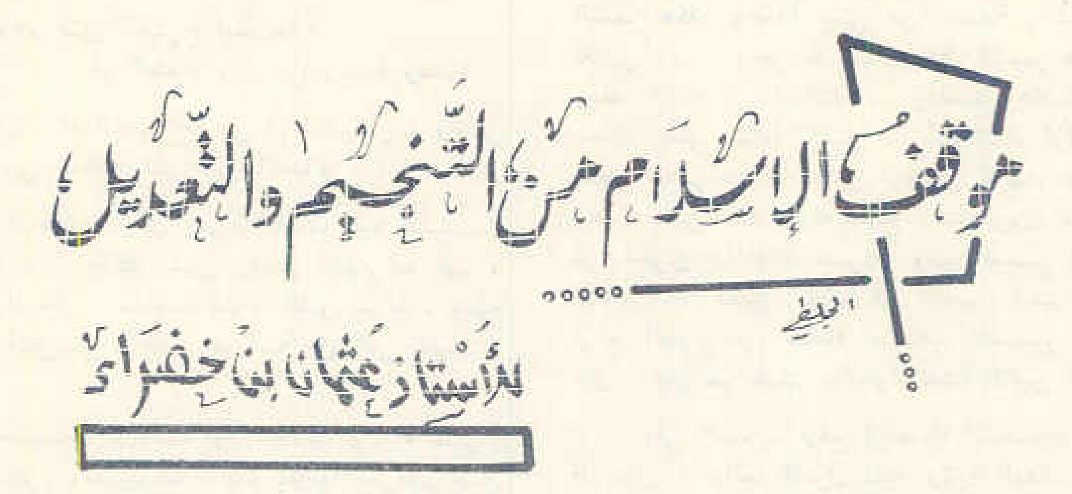
فهؤلاء لم يهتدوا ولم يحافظوا على فطرة الله وقد اشـار الزمخشري الى طرف من هذه الحقيقـة حين قال : « فان قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كانه فى ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خـلاف الفطـرة .

وقرا ابن ابي عبلة : فما ربحـت تجاراتهـم ، وكأنه يقصد بهاته القراءة الاشارة الى ان أعمالـهم ومواقفهم المتجددة شبيهة بالاعمال التجارية المتجددة وطبيعة التاجر انه قد يخسر فى بعض تجاراته ولكنه يربح فى بعضها اما هؤلاء فانهم يخسرون فى جميع معاملاتهم لانهم لم يهتدوا الى طريق الصواب فهـم يكذبون فى دعواهم الايمان وهم يسخرون من النبي واصحابه وهم يثيرون الفتنة سرا وكل هذه الامور يستحقون عليها العقاب وكل ظاهرة منها كانها ظاهرة مستقلـة عن الاخـرى فى مقابلتهـا بالهدى فهم قد خسروا وما ربحت تجاراتهم . وهذا التأويل وان لم يشر اليه الزمخشري عند الحديث عن هذه القراءة فهو صالـح لتعليلهـا ولتوضيـح جهتهـا ولابـراز شمولها الدال على خسرانهم فى جميع الصفقات .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

(6) انظر دعوة الحق السنة الخامسة عشرة ـ العددالسابع شهر يناير 1973 .





ان هناك ارتباطا وثيقا بين الدين وعلم النجوم، اذ عليه مدار معرفة الاوقات وتحديدها وضبطها ضبطا دقيقا بواسطة الحساب الفلكي .. وقد وردت احاديث فى هذا الامر ــ واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « نحن امة امية .. الى آخر الحديث » فليس معنى ذلك انقطاعنا عن هذا العلم .. اذ ان تفسير هذا الحديث ينبني على عدة اشياء .. وذلك ان لفظة « امية » بلفظ النسبة الى الام ، وذلك لبقائهم على الحالة التى ولدتهم عليها امهاتهم من عدم معرفة الكتابة وغيرها .. قال تعالى : « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا » ومنها وصفه صلى الله عليه وسلم بالامي ــ كما فى قوله سبحانه : « الذين يتبعون النبيء الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل » فهو منسوب الى الام الذى ولدته ــ قال تعالى : « وما كنت تتلو من كتاب ولا تخطه بيمينك » ــ وقيل الى امة العرب .. وقيل الى أم القرى ومن حولها ــ وقيل انما سمى صلى الله عليه وسلم بالامي لان ذرته أم الخليقة اذ هي اول ما خلق من الارض ومنها دحيت ، كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حسبما نقله الالوسي فى تفسير سورة الاعراف . والامية فى حقه صلى الله عليه وسلم معجزة البوصيري :

« كفاك بالعلم فى الامي معجزة
فى الجاهلية والتاديب فى اليتم »

قال فى شرح المواهب : وسماه بعضهم ايضا الامي بفتح الهمزة وقريء به .. قال ابن عطية : منسوب الى الام بمعنى القصد اي هذا النبي مقصود للناس وموضع أم يؤمونه بافعالهم وشرعهم .. فعلى هذا يكون اسما آخر .

وقال ابن جني : يحتمل انه بمعنى الامي غير تغيير النسب فيكون لغة اخرى لا اسما .

ومن لطفه سبحانه بالاميين ان بعث فيهم رسولا منهم ــ وفي حديث الترمذي : « بعثت الى امة امية » ــ هذا والعرب مع وصفهم بالامية كانت لهم فى جاهليتهم الزعامة والنكراء فى علم الانساب ، والشعر ، وتاليف الخطب والامثال والحكم ، والكهانة ، والعرافة ، والقيافة ، والعيافة ، وعلم الفراسة الذى ليس لغير العرب .. وكذا كانت لهم معرفة بعلم النجوم والانواء ، وبالطب المبني على التجارب لا على الطبيعة كما كان عند الاوائل .. وبقي كثير من تلك العلوم بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم .. بل ترقى البعض منها بلغة القرآن وتخلص البعض من الخرافات ، وتهذب البعض بفضل آداب الاسلام .

وذكر البلوي فى كتاب « الف باء » : أم كل شيء اصله . ومنه أم الانسان أي والدته .. وأم القرى مكة . كما يقال أم خراسان مرو . وأم الكتاب اصله .. وأم القرآن أوله وفاتحته .. وأم النجوم المجرة لانها مجتمع النجوم ــ قال الشاعر :

يركب يشجون الفلافي رؤوسه
اذا غورت أم النجوم الشوابك

وام الطعام المعدة ـ قال الاصمعي في كتابه خلق الانسان وأنشد :

ربيته وهو مثل الفرخ اعظمه
ام الطعام ترى في ريشه زغبا

ويقال : أم الدماغ وهي أم الراس ، وهي مجتمعة وهي الجلدة التي في الدماغ .

قال الاخفش : كل شيء افضت اليه اشياء فهو أم لها .. وبذلك سمي رئيس القوم اما لهم . وام مثوى الرجل : صاحبة منزله الذي ينزله . ومنه في القرآن العزيز : فامه هاوية اي التي تضمه وتؤويه .

اما حديث « لا نكتب ولا نحسب .. » المراد حساب النجوم وتسييرها . ولم يكونوا يعرفون من ذلك ايضا الا النزر اليسير . فتعلق الحكم بالصوم وغيره بالرؤية لرفع الحرج عنهم في معاناة حساب التسيير . واستمر الحكم في الصوم ولو حدث بعدهم من يعرف ذلك . بل ظاهر السياق يشعر بنفي تعليق الحكم بالحساب اصلا ، ويوضحه قوله عليه السلام « فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين ، ولم يقل فسلوا اهل الحساب .. والحكمة فيه كون العدد عند الاغماء يستوي فيه المكلفون ، فيرتفع الخلاف والنزاع عنهم .. وقد ذهب قوم الى الرجوع الى اهل التسيير في ذلك وهم الروافض ، ونقل عن بعض الفقهاء موافقتهم ـ قال الباجي : واجماع السلف الصالح حجة عليهم ـ وقال ابن بزيزة : وهو مذهب باطل ـ فقد نهت الشريعة عن الخوض في علم النجوم لانها حدس وتخمين ليس فيها قطع ولا ظن غالب مع انه لو ارتبط الامر بها لضاق اذ لا يعرفها الا القليل وأما ما يراد من النهي عن النظر في علم النجوم ليس على اطلاقه بل هو في علم الاحكام النجومية وهو العلم الذي تعرف به الكائنات قبل كونها تحت فلك القمر من معرفة قوى الكواكب وتاثيرها في المولدات العنصرية مفردة او مجتمعة.. لا في علم المواقيت والهيئة والحساب بدليل قوله جلت عظمته : « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر » . وقوله : « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » وبذلك نعلم ان التعليل الثاني عنده اصوب .. وهو الذي اقتصر عليه العزيزي في شرح الجامع ونصه : اي لا نعرف حساب النجوم وتسييرها بل علمنا معتبر برؤية الهلال، فانا نراه مرة لتسع وعشرين ومرة لثلاثين وفي الاناطة بذلك رفع للحرج وتمامه ـ كما في البخاري: الشهر هكذا وهكذا يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين .. ـ واخرجه مسلم بلفظ الشهر هكذا وهكذا وعقد الابهام في الثالثة .. والشهر هكذا وهكذا وهكذا يعني تماما ثلاثين .. اي اشار اولا باصابع يديه العشر جميعا مرتين وقبض الابهام في الثالثة وهذا المعبر عنه بقوله تسع وعشرون .. واشار مرة اخرى بها ثلاث مرات وهو المعبر عنه بقوله ثلاثون .. فعلق الحكم في الصوم وغيره بالرؤية لرفع الحرج في معاناة حساب التسيير .. ولهذا قال : فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين .

ففي الحديث رفع لمراعاة النجوم بقوانين التعديل ، وانما المعول عليه رؤية الهلال وقد نهينا عن التكلف ، ولا شك ان في مراعاة ما غمض حتى لا يدرك الا بالظنون غاية التكلف .

وقال القرطبي اي لم نكلف في تعرف مواقيت صومنا ولا عبادتنا ما يحتاج فيه الى معرفة حساب ولا كتابة ، وانما ربطت عبادتنا بأعلام واضحة وامور ظاهرة يستوي في معرفتها الحساب وغيرهم .

وفي كتاب (الف باء) للعلامة البلوي ما نصه : « انما اراد بهذا والله اعلم ان هذه الآية انما تعبدت برؤية الهلال عند الصوم وعند الافطار ، لا بالحساب الذي يقوله الحساب والمنجمون من ان الهلال لم يظهر اذا كان في حجاب الشمس او في السرار مما لم تتعبد به .

واحالنا عليه الصلاة والسلام على الرؤية التي يستوي فيها الناس . فقال : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاقدروا عليه » .

ثم ان مرمى هذا الحديث والغاية منه تقرير أصل عظيم من أصول هذه الملة الحنيفية السمحة وهو أن مبنى امرها على اليسارة والسهولة والتقريب .

والحساب الاكثر فائدة في الحياة المادية والمعنوية هو الذي يهتدي به الناس لمعرفة الاوقات والمناطق والجهات وطرق الاسفار في البر والبحر والجو ، ويطلعون على مكنونات الكون وما اودع فيه من لطائف الحكم ودقائق الاسرار وبديع الصنع والاحكام . والبحث في هذه المواضيع يقتضي معرفة الاوقات وتحديدها وضبطها ضبطا دقيقا

بواسطة الحساب الفلكي ومعرفة الكواكب ومنازلها. وسير الشمس والقمر وما يتبعهما .. والمناطق واماكنها والحركات الكونية وما ينشا عنها .. اذ معرفة هذه الاحوال بالضبط والتدقيق ضروري لكل آدمي على ظهر البسيطة لارتباطها بالمعاملات والعبادات .

ومن ذلك ان علم الميقات مثلا اهتم به الناس فى القديم والحديث والفوا فيه الكتب العديدة بجميع لغات العالم ، وشيدوا له المعاهد والمراصد .. وجاءت الكتب السماوية منوهة بفضله وحاثة على معرفته لكونه فى جملة آيات الكون البينات الدالة على وحدانية الله جل شانه ، وما أودع فى هذا الكون من بديع الصنع ومحكم الوضع « صنع الله الذى اتقن كل شيء » .

ومن تامل آيات القرآن الكريم التى جاء فيها ذكر السنين والحساب والشهور والاعوام والشمس والقمر والليل والنهار .. والتكوير والحساب والامطار والرياح وما فى معنى هذا .. يجدها قد اشتملت على بيان علم الميقات بكل دقة وبسط ، بحيث ان الباحث فى سير الافلاك واجرام الكون اذا اراد المقابلة بين ما تضمنته آيات الذكر الحكيم فى هذا الموضوع .. وبين ما انتهت اليه ابحاث كبار علماء العصر فى وقتنا الحاضر ، مع ما هم عليه من رسوخ القدم فى العرفان وسعة النظر وذكاء القريحة والاستعانة بالآلات العصرية الكاشفة التى يمكن بها رؤية الاجرام الفلكية الواقعة فوق السبع الطباق ، يجد القرآن العظيم قد سبقهم الى ابعد مما بلغه علمهم ، بعد بيانه لما اهتدوا اليوم لمعرفته وظنوه اكتشافا حديثا .. فان معاني القرآن تنبيء ببقاء أسرار كونية اخرى ما زالت فى علم الغيب وطي الخفاء عنا ، قد تنكشف لنا عندما نهتدي لرؤيتها وادراكها يوما ما .. مثل ما وقع لاكتشاف الذرة .. والصعود للقمر .

ومن الواجب ان نورد هنا بعض آيات القرآن العظيم الواردة فى بيان الميقات والحساب والنجوم :
« يسالونك عن الاهلة ، قل هي مواقيت للناس والحج » .

« تبارك الذي جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا »

« هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » .

« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ، والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » .

« يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر ، كل يجري لاجل مسمى » .

« ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش ، يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره » .

« ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض ، منها اربعة حرم » .

« وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » .

« الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ، يقلب الله الليل والنهار ، ان فى ذلك لعبرة لاولي الابصار » .

« الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا » .

وغيرها من الآيات الكونية مما هو مجال فسيح لابحاث المفسرين وعلماء الاسلام فى القديم والحديث.

فلنتامل جيدا فى مثل هذه الآيات : فآية الحج مثلا لها صلة بعلم الميقات وما يحتاج الناس لمعرفة وقته من المواسم واوقات العمل وآجال المعاملات .. ثم آية اخرى لها صلة بالاعمال اليومية والاسبوعية والشهرية والسنوية من عبادات وغيرها .. فان اوقاتها تعرف بالحساب المبني على سير الشمس والقمر بالمنازل والبروج وتعاقب الليل والنهار .

فقوله تعالى : « يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا » كقوله : « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » و « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » و « آية لهم الليل نسلخ منه النهار » كلها بمعنى واحد: فغشيان الليل النهار وغشيان النهار الليل معناه دخول كل واحد منهما على الآخر مباشرة .. وهو ايضا معنى التكوير والايلاج والانسلاخ معناه الانفصال اي انفصال النهار عن الليل المظلم حين انبلاج الصبح – ويطلبه حثيثا معناه ان كلا من الليل والنهار يطلب الآخر طلبا سريعا ويقتفي اثره – ووصف لسرعة سير القمر فى المنازل والبروج اذ القمر اسرع سيرا من الشمس، فهو يقطع 28 منزلة من منازل سيره فى ظرف ثمانية وعشرين يوما اي يجتاز كل يوم منزلة .. ثم يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما ، او يستتر ليلة واحدة ان كان الشهر تسعة وعشرين يوما .. ثم يبدو فى اول الشهر بالافق رقيقا مقوسا مصفرا كالعرجون القديم .. وبسير القمر يعرف انقضاء الشهور العربية القمرية المعتبرة فى مثل الصيام والحج .

اما الشمس فهي تدور فى محورها حول نفسها دورانا سريعا ولها حركة انتقالية اخرى بطيئة تقطع بهامنازل القمر المذكورة فى ظرف عام ، وهو معنى قوله تعالى : « لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر » لانه اسرع سيرا منها ، « ولا الليل سابق النهار » لان كل واحد منهما يأتي فى وقته تبعا لسير الشمس والقمر دون ان يختلط بالآخر او يحول بينهما حائل .. وكل من الشمس والقمر والنجوم « فى فلك يسبحون » اي يجرون « ذلك تقدير العزيز العليم » .

والنجوم عوالم كثيرة لا يعلم عددها الا الله جل شانه .. ولسنا نستطيع رؤيتها جميعا بابصارنا لبعدها عنا فى السماوات العلى او لظهورها فى مناطق اخرى بعيدة عنا ، ولا يعلم الناس عنها سوى ما اهتدوا لمعرفته وتمكنوا من رؤيته اما بالابصار مباشرة او بواسطة الآلات الحديثة واشهر الكواكب عند القدماء هي المعبر عنها بالدراري او السيارات السبع وهي : زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر .. واكتشف المتاخرون نجما ثامنا فوق زحل اطلقوا عليه اسم نبتون .. كما اعتبروا ارضنا التى نعيش فوقها كوكبا تاسعا ..

والبروج التى تسير فيها هي المنازل التى تقطعها اثناء السير .

وسميت هده المنازل بروجا تشبيها لها بالبروج المشيدة المعهودة لنا لظهورها للعيان ، فهي حقيقة عرفية .

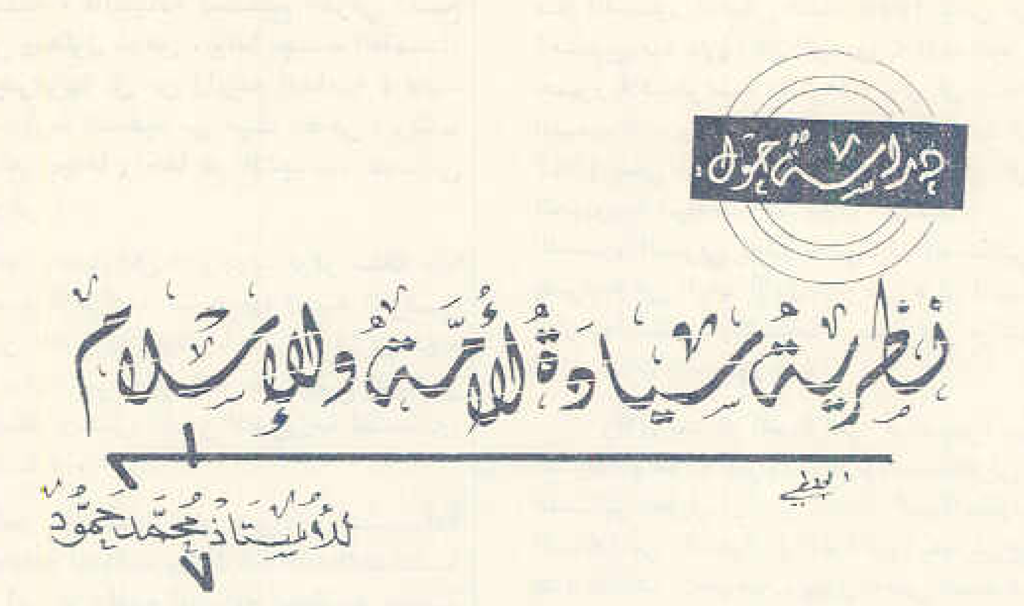
والبروج وان لم تكن فى سماء واحدة فهي ترى بالابصار .. وما كان منها بعيدا جدا عن ارضنا، فرؤيته ممكنة ايضا بواسطة الآلات العصرية الكشافة اذا كانت مناطقها مسامتة لنا فى المدى الذى يبلغه النظر بآلة المجهر المكبرة ، فان السماء شفافة لا تحجب ما فوقها ! .

واعتبر الاقدمون زحلا فى السماء السابعة .. والمشتري فى السادسة .. والمريخ فى الخامسة .. والشمس في الرابعة .. والزهرة فى الثالثة .. وعطارد فى الثانية .. والقمر فى الاولى التي هي سماء دنيانا هذه .. وهذا قبل ان يكتشف المتاخرون نبتون ويهتدوا لمعرفة ارضنا كوكبا تاسعا .. وما زال علماء الفيزياء والفلك والذرة يوالون الاستطلاع والاستكشاف بمختلف الوسائل حتى تمكنوا من مخاطبة القمر والوصول اليه والاتصال بعوالم اخرى .

والبروج التى تجتازها الشمس والقمر اثناء سيرهما هي : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت . وقد كان الاقدمون والكهنة يذهبون الى ان هذه الكواكب ارباب عظيمة تعمل عملها فى حياة الانسان .. فكل امرىء يولد فى الدنيا فى طالع كوكب من الكواكب فيتاتى التنبؤ بسعده اذا علم الكوكب الذى ولد فى طالعه . ومن هنا نشا علم التنجيم والفال .

ولكن الاسلام اطلعنا على مكنونات الكون وما أودع الله تعالى فيه من لطائف الحكم العجيبة ودقائق الاسرار وبديع الصنع والاحكام : « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » اذ معرفة هذه الاحوال ضرورية لكل انسان لارتباطها بالعبادات والمعاملات ومعرفة الاوقات والجهات والمناطق .

الرباط – عثمان بن خضراء



تباعا للدراسة التي نشرتها مجلة (دعوة الحق) الغراء بتاريخ اكتوبر 1972 حول الحريات العامة والاسلام اضيف اليها هذه الدراسة الموجزة حول نظرية أو مبدأ سيادة الامة والاسلام اسهاما في البحث السياسي المقارن والتعريف برؤيا الفقهاء الدستوريين المحدثين ورؤيا الاسلام للمبادىء الدستورية التي نعثر عليها في كثير من الدساتير الحديثة . واذا كانت رؤيا الفقهاء الدستوريين المحدثين ينبثق معظمها من القوانين الوضعية فان رؤيا الاسلام تستمد مصدرها الاسنى من الوحي الالهي الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن بيان الرسول عليه السلام لهذا الوحي وهو ما يعبر عنه فقهاء الاسلام بالسنة النبوية. واذا كانت الامم الغربية لم تعرف مبدأ سيادة الامة الا في القرون الاخيرة بعد ان ذاقت الامرين من الاضطهاد والاستبداد سواء على الصعيد السياسي او على الصعيد الاجتماعي فاننا نجد الاسلام يقر هذا المبدأ الهام منذ عدة قرون ويجعل لامة الاسلام الشأن الاول والتمتع بكامل السيادة . واستدعي القاريء الكريم لامعان نظره واعمال فكره حتى يتأمل معي في مبدأ سيادة الامة كما تصوره الفقهاء الدستوريون وكما تصورته الشريعة الغراء مرتلة اياه ترتيلا استمراء بالنشيد السماوي الخالد وهو يغمر اجواء المعمور ويعطر قلوبا تسمع فتعي وتخشى فتتقي . واود ان اقسم هذه الدراسة الى قسمين اخصص اولهما لدراسة تطور مبدأ سيادة الامة في الفقه الدستوري الحديث واخصص ثانيهما لمفهوم المبدا في الاسلام واذن فستكون الدراسة محاولة للمقارنة بين المبدا كما تراه التشريعات الحديثة وكما تؤسسه الايديولوجية الاسلامية .

اولا : تطور مبدا سيادة الامة في الفقه الحديث :

تاتي اهمية مبدأ سيادة الامة من كونه أصبح من الحقوق السياسية التي ناضلت الجماعة الانسانية من اجلها نضالا مريرا حتى اصبح مثلها الاعلى فنالته بعد عناء وعراك طويلين ولذا اصبح تقرير هذا المبدا والاعتراف به عنوان تقدم في الميدان السياسي .

ولا ريب ان اغلبية الدساتير الحديثة وعلى راسها الدستور المغربي تقر هذا المبدا وتوفر له الضمانات اللازمة لدوامه واستمراره.

وقد كان المفهوم الكلاسيكي لمبدأ السيادة هو ان سلطات الدولة لها كامل الصلاحيات وجميع الاختصاصات لتسن من القوانين ما يحلو لها باسم الجماعات التي تخضع لنفوذها . وبعد مرحلة تاريخية طويلة تطور مفهوم السيادة هذا واخذت الشعوب تسهم في تسيير شؤونها بنفسها وتاخذ مثل السلطات سابقا زمام المبادرة في الحياة السياسية واصبح لها من الوزن مثل ما كان للدولة بمفهومها العتيق .

واذا كان مفهوم السيادة في اللغة يسير الفهم قريب الادراك حيث نفهم منه سيطرة المتصف به

وسيادته وتسلطه ، فالسيادة كمصطلح حقوقي اصبح لها معنى خاص ومدلول مدقق . ولذا نجد الفقهاء الدستوريين يعرفونها كل من زاويته الخاصة ، فاتت تعاريفهم لها متفاوتة التحديد من حيث الظاهر ، ولكنها تتجه فى الواقع اتجاها واحدا هو الاتجاه بمعنى السيادة الحقوقي .

فقد عرفها زهدى يكن « بوجوب توفر سلطة عليا يخضع لها جميع الافراد » كما عرفها الفقيه الفرنسي لافوبير : « من الضرورة المطلقة ان توجد فى كل دولة سلطة متفوقة وقوة آمرة مفروضة على جميع العناصر فى المجتمع تملك وسائل القسر الضرورية لضمان تنفيذ أوامرها » .

ونستخلص من هذين التعريفين ان السيادة تتصف بها الجماعة الحاكمة وان ارادة هذه الجماعة نافذة فى كل امورها ولهذه الجماعة سلطة سن القوانين وتنفيذها ولو بالقوة . وقد اجمع الفقهاء الدستوريون على ان الهيئة الحاكمة فى شعب من الشعوب تمتلك نوعين من السيادة ، سيادة داخلية وتتمثل فى سن القوانين واصدار الاوامر لجميع أفراد الامة وسيادة خارجية وتتضمن حق امتلاك الهيئة الحاكمة تمثيل الامة والتصرف باسمها مع بقية الدول الاخرى .

وللسيادة عند هؤلاء الفقهاء خصائص لازمة لها هي الاطلاق والعموم والدوام وعدم القابلية للانقسام ومن لوازم العمل بمبدأ سيادة الامة ان تصبح الحياة السياسية متبلورة فى العمل بالنظام الديمقراطي حتى صار بعض الفقهاء يجعلون من مصطلح سيادة الامة ومصطلح الديمقراطية مترادفين لمدلول واحد ، وهكذا يكون الاخذ بمبدأ سيادة الامة مؤديا الى العمل بحكم الاغلبية باسم المجموع ولمصلحته حتى يتحقق بذلك الصالح العام . وقد خطت نظرية سيادة الامة خطوات الى الامام خلال القرن الثامن عشر على يد مفكرين كبار سخروا لها ماحبتهم الطبيعة به من حس سياسي نادر ويراع ساحر مبين . ونذكر من هؤلاء الاعلام جان جاك روسو حينما دعا لفكرة سيادة الشعب فى كتابه العقد الاجتماعي حتى اصبح مبدأ السيادة هذا قاعدة قانونية بعد ان كانت مجرد نظرية فلسفية واصبح رجال القانون ينظرون لمبدأ السيادة ايضا كمبدأ علمي قانوني رغم ما وجهه بعضهم اليه من انتقادات .

وهكذا نجد عددا كثيرا من الدساتير الحديثة تحث على مبدأ سيادة الامة وضرورة الاخذ به ، فنجد مثلا الدستور الالماني لسنة 1949 ينص فى المادة العشرين منه على « ان الجمهورية الاتحادية الالمانية جمهورية ديمقراطية اشتراكية وان كل سلطة مصدرها الشعب » . ونجد الدستور البلغاري الصادر لسنة 1947 ينص فى المادة الثانية منه : « أن كل سلطة فى الجمهورية البلغارية مصدرها الشعب » . كما نجد الدستور المغربي يحذو حذو هذه الدساتير وينص بصراحة فى الباب الاول منه على « ان السيادة للامة تمارسها مباشرة بالاستفتاء وبصفة غير مباشرة بواسطة المؤسسات الدستورية » .

والآن بعد ان القينا نظرة موجزة عن مفهوم السيادة وتطوره عبر التاريخ وصداه فى مختلف الدساتير نحاول ان نبين بايجاز كيفية ممارسة مبدأ السيادة من الناحية الواقعية ، وكيف يترجم العمل هذه القاعدة الحقوقية ويبلورها على الصعيد السياسي الملموس .

لقد عرفت الدول الديمقراطية ثلاثة انواع من اشكال ممارسة سيادة الامة ، أولها هو ما يسمى **بالديمقراطية المباشرة** وتقتضي اشراك الامة فى اصدار القوانين وتنفيذها تحت رقابتها . وهذا الاسلوب فى الحكم نادر فى عصرنا نظرا لصعوبة الاخذ به حيث أصبحت الدول الحديثة متسعة الرقعة وفيرة السكان ونظرا كذلك للاعمال المنوطة بالدول الحديثة حيث غدت اكثر تعقيدا من الماضي وصارت تتطلب خبرة فنية متعمقة ومستوى معينا من المعرفة والمؤهلات ما لا يمكن توفره لمجموع المواطنين الذين عليهم ابداء رايهم فى كل شاذة وفاذة من الشؤون العامة .

والشكل الثاني لممارسة السيادة **يتمثل فى نظام التمثيل** أو النيابة وفى اطار هذا النظام تختار الامة نوابا عنها لتولي الحكم مدة معينة باسمها ونيابة عنها ويقتصر عمل الامة او الشعب هنا على انتخاب من ينوب عنه وتكون ارادة النواب تعبيرا عن ارادة الناخبين . ويرتكز هذا الشكل على ركائز ثلاث : اولا برلمان منتخب بواسطة الامة ، وثانيا يكون النائب ممثلا للامة باسرها ، وثالثا استقلال البرلمان عن هيئة الناخبين ورابعا انتخاب البرلمان لمدة معينة .

أما الشكل الثالث فهو ما يدعى بالديمقراطية نصف المباشرة وهو مزيج من الشكلين السالفي الذكر . وقد اخذت به كثير من الدول لما له من محاسن عديدة . وقوامه وجود برلمان منتخب مع الرجوع الى الامة صاحبة السيادة للفصل فى الامور العامة ويتمثل ذلك

في استشارة الامة بواسطة الاستفتاء وفي اعطائها حق الاعتراض على بعض القوانين او مشروع قانون .

هذه هي الاشكال الثلاثة التي يمكن بواسطتها ممارسة مبدا سيادة الامة تلك السيادة التي اصبحت متداولة على السنة الفقهاء الدستوريين والصحافة السياسية المتخصصة . وكما وجد المبدا مناصرين تشبعوا له وميدانا فسيحا في التطبيق ، كما شاهدنا ذلك في النصوص الدستورية التي تعرضنا لها فقد وجد كذلك ناقدين من الفقهاء وبالاخص منهم : اسمان ودوجي وبارتلمي .

وصفوة القول انه رغم ما وجه لمبدا سياده الامة من انتقادات لاذعة واعتراضات شديدة اللهجة والتي من بينها انه يؤدي الى استبداد السلطة التشريعية فقد ابان هذا المبدا عن جدوه وفائدته للمَلى وآية ذلك انه يرن صداه في اغلبية الدساتير المعاصرة لنا .

ثانيا : مبدا سيادة الامة الايديولوجية الاسلامية :

اذا كان مبدا سيادة الامة في التشريعات الحديثة يتمثل في ما أومأنا اليه في القسم الاول من هذه الدراسة فيفهم من استقراء التاريخ السياسي الاسلامي ان الامة الاسلامية مصدر السيادة وان الخليفة ينوب عنها في ممارسة هذه السيادة بحكم الله وشريعته ويدير شؤونها بأمانة وعدل تامين ، ويعتبر نفسه فردا من افراد الامة الا انه اثقلهم حملا نظرا للامانة المنوطة به والواجب الملقى على عاتقه ، وليس للحاكم المسلم ان يستبد بالامر دون امته ، فالله يخاطب نبيه الكريم بقوله : « فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر » والنبي عليه السلام يقول لرجل اخذته الرهبة منه حتى تعثر لسان هذا الاخير : « لا تخف فلست ملكا ولا جبارا » ويخاطب عمر الفاروق جماعة من المسلمين وقد شعروا بشيء من غلظته وشدته في الحق « والله ما انا بملك فأستعبدكم بملك او جبرية ، وما أنا الا احدكم منزلتي منكم كمنزلة والي اليتيم منه ومن ماله »

فهذا السنة النبوية وبلورتها في ملوك الخلفاء الراشدين تبين بوضوح ان الاسلام اقر مبدا سيادة الامة وان الخليفة المسلم وكيل عن امته في ادارة شؤون الدين والدنيا وفقا لشريعة الله ورسوله، وهكذا فهو يستمد سلطاته منها وملتزم باعتبار صالحها . وقد اخذ جمهور الفقهاء والعلماء من المسلمين بتأييد مبدا سيادة الامة واعتبارها مصدر السلطان والحكم مستدلين علاوة على عمل النبي واقتداء الخلفاء الراشدين به بادلة صريحة في القرآن والسنة .

ا ـ فالقرآن في كثير من الاحيان يتوجه بالخطاب في الامور العامة للجماعة الاسلامية باعتبارها صاحبة الحق في تنفيذ الاوامر والرقابة على القائمين بها ، ومن هذه الآيات : « يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا » والآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود » والآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بماتعملون» وهناك آيات اخرى كثيرة تخاطب المومنين وتامرهم بأداء الامانات الى اهلها والحكم بالعدل والوفاء بالعهد والتواصي بالحق والصبر في اعلاء شانه ورفع رايته والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الخ . ففي هذه الآيات التي تخاطب الامة الاسلامية جمعاء برهان ساطع على ان الامة هي التي تتحمل مسؤولية اقامة الدين وشرائعه ورعاية المصالح العامة فتكون هي مصدر السيادة العليا ويكون لها اختيار الرئيس الاعلى للدولة .

ب ـ كما استدل علماء المسلمين على سلطة الامة واعتبارها مصدر السيادة بعدة احاديث ومنها حديث « لا تجتمع امتي على ضلالة » او كما في رواية اخرى « سالت ربي الا تجتمع امتي على ضلالة واعطانيها »، ومعنى ذلك انه متى اجتمعت الامة الاسلامية على راي كان هذا الراي هو الحق وصار العمل به واجبا لانه صدر عمن له حق السيادة .

وقد ساير راي العلماء المسلمين القدامى في ذلك بعض الفقهاء الدستوريين المسلمين في العصر الحديث ومن بينهم الدكتور عثمان خليل .

وبخلاف ما يحتويه مفهوم الامة في العصر الحديث حين نتحدث عن مبدا سيادة الامة في الدساتير الحديثة ، فالامة الواردة في حديث لا تجتمع امتي على ضلالة ، تتمثل في اولي الامر الذين تجب طاعتهم بأمر القرآن او في اهل الحل والعقد كما يعبر عنهم الفقهاء ، فما هي حقيقة هذه الطائفة ومميزاتها الرئيسية ؟ ، في الواقع ان الفقهاء لم يحللوا هذا الموضوع بما ينبغي تحليله من تدقيق فقد اقتصروا على انه يجب ان تتوفر في اهل الحل والعقد بعض الصفات ، وهذه الصفات كما ذكر الماوردي في الاحكام

السلطانية هي العدالة والعلم والرأي والحكمة كما بين الشيخ الامام محمد عبده في تاويل المراد باولي الامر الواجبة طاعتهم في سورة النساء ((يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم . .)) ونقل عنه تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا انه فكر في هذه المسألة وقتا طويلا وانتهى به الفكر الى ان المراد باولي الامر جماعة « أهل الحل والعقد » من المسلمين وهم الامراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع اليهم الناس في في الحاجات والمصالح العامة اذا اتفقوا على امر او حكم وجب ان يطاعوا فيه بشرط ان يكونوا مسلمين والا يخالفوا أمر الله ولا سنة رسوله عليه السلام ، وان يكون اتفاقهم على ما فيه خدمة الصالح العام .

وعلى ذلك يستنتج دارسو النظام السياسي الاسلامي على ان اهل الحل والعقد في الجماعة الاسلامية هم اصحاب الراي والعلم وموضع الثقة من طبقات الامة وانه لا يوجد فرق كبير بينهم وبين اعضاء البرلمان في الدساتير الحديثة ، كما استنتجوا ان الاسلام لم يحدد نظاما خاصا في هذه الناحية بل ترك للامة الاسلامية تكييف المبدا والظروف المستجدة العارضة من جراء التطور الذى يكتنف مسيرة المسلمين .

ومن الواضح ان الايديولوجية الاسلامية في الحكم السياسي سارت على هذا المنوال حيث اقرت مباديء عليا كالشورى وسيادة القانون واختيار الحاكم المسلم عن طريق مبايعته والعدل والمساواة بين افراد الجماعة الاسلامية وتركت للمسلمين اختيار احسن المناهج والاساليب لتطبيقها حسب ما تقتضيه حاجيات عصرهم وحسبما يحقق للامة الاسلامية صالحها ونهضتها في كافة الميادين وطبقا لما تمليه تعاليم الشريعة الغراء والاسلام السمح .

هذه المامة سريعة عن دراسة مبدا سيادة الامة والاسلام ، ارجو ان اكون قد وفقت في اجلاء بعض غموضها ورسم قليل من معالمها بعد مقارنة المبدا في القانون الوضعي وقانون الوحي المنزل والاسترشاد بكثير من النصوص المتباعدة في الزمن والمتقاربة في الموضوع وما توفيقي الا بالله .

محمد حمود





الشيخ محمد المكي الكتاني

للأستاذ عبد الهادي بوطالب

بدعوة من رابطة علماء المغرب أقيم بمسرح محمد الخامس مساء يوم الجمعة 22 محرم 1394 حفل تأبيني بمناسبة الذكرى الاربعينية لفضيلة الشيخ محمد الكتاني رئيس رابطة علماء سورية وأستاذ المسجد الاموي بدمشق ، ومفتي السادة المالكية بالجمهورية السورية الشقيقة رحمه الله الذي التحق بربه في شهر ذي القعدة 1393 ،

وقد القيت في حفل التأبين عدة كلمات وقصائد كلها اشادة بمواقف الفقيد الاسلامية ، وفضائله ومناقبه .. وشارك في هذا الحفل فضيلة الاستاذ العالم الشريف سيدي عبد الهادي بوطالب بكلمة قيمة احببنا ادراجها في هذا العدد شاكرين للاستاذ بوطالب عنايته ووفاءه واخلاصه لاصدقائه من رجال العلم والمعرفة ..

أيها السادة :

لست ادري ما الذي جعلني اندفع وبدون ادنى تردد لتلبية الدعوة الكريمة التى وجهتها الي اللجنة الموقرة لتأبين فقيدنا العظيم فضيلة المرحوم الشيخ المكي الكتاني .

اذ لا أذكر اني ساهمت فى تأبين ، رغم ما تزخر به حياتي السياسية والفكرية من نشاط اكثر من ثلاثين سنة ، اذا استثنيت مشاركتي بقصيدة شعرية فى تأبين المرحوم عبد الرحمن ابن القرشي مع زمرة من زملائي الطلبة . وقد كان ذلك التأبين فى حقيقته مظاهرة سياسية او اسلوبا من اساليب عملتنا السياسي ، اردنا به تحدي السلطات المتحكمة آنذاك لفرض وجودنا كمناضلين ، ولابراز معالم شخصية بلادنا التى كان لمستعمر يعمل لمحوها واذابتها فى ذاتيته ، ولاظهار مدى تعلقنا نحن الشباب الصاعد بقيمنا الروحية متمثلة فى امثال المرحوم ابن القرشي بوصفه منكرا للوجود الاستعماري ومناضلا لتقويضه.

ولعل مما جعلني اعرض على المشاركة فى مهرجانات التأبين النزعة التى تسود عادة جو تلك التجمعات ، حيث ينطلق الخطباء فى مدح الفقيد واطرائه مدحا واطراء تطبعهما المبالغة ، مما اصبحت معه احاديث التأبين ــ الا القليل ــ احاديث مناسبات، وأدبه نوعا من الادب الذى لا يسمو الى ذروة التميز بالموضوعية والاصالة ، بل ان اصحابه لا يتجاوزون ما توخاه النبي عليه السلام من حديثه :

« اذكروا محاسن موتاكم » (1) و « من اثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة » الحديث (2) .

واليوم اجدني على العكس من نظرتي هذه : سعيدا كل السعادة بتلبية الدعوة الكريمة للاسهام فى تابين فقيد عزيز علي ، جمعتني واياه روابط ، ظلت ـ على بعد المسافة بين المشرق والمغرب ـ روابط وثيقة العرى .

ويخيل الي ان لذلك سببين : اولهما سبب املك له تفسيرا ولا يسعفني فيه تحليل ، مرده الى ما حبا الله الفقيد ـ فى جملة ما حباه ـ من محبوبية وقبول ، وما وهبه من جاذبية روحية تشهد اليه منذ النظرة الاولى مخاطبه وجليسه ، وتعود كلما تجدد الاتصال ، بل ولعلها تقترن بذكر اسمه كلما ذكر .

ولعله ـ وهو فى العالم العلوي ـ ما يزال يحظى بهذه العطية الربانية او هو ينعم بها اكثر ، ولعلها هي التى تشدني اليه فى هذه المناسبة ، وتجعلني اسعد بهذه اللحظة التى نعيش فيها ذكراه والتي تتيح لي الفرصة لابراز بعض جوانبه التى ربما انفرد بمعالجتها . وسبب ثان وهو شعوري بأن للفقيد الكريم دينا علي لا يخلصني من اداء بعضه الا مساهمة متواضعة فى ذكراه .

لقد كنت اسمع الكثير الطيب عن فقيدنا قبل ان تعرف عليه ، كان اتصالي الوثيق باسرته وخاصة رفيقي فى الدراسة بجامعة القرويين الاستاذ الاخ ادريس الكتاني يتيح لنا الحديث عن ذلك العالم الذي آثر الهجرة الى سوريا فرارا من الاستعمار ، والذي اصبح فى وطنه الثاني هذا قطبا من اقطابه ، وعلما مرموقا من شعبه .

بيد اني لم اتعرف على الفقيد مباشرة الا فى زيارتي الاولى لدمشق سنة 1950 . وكانت زيارة عابرة وحلقة فى سلسلة زيارتي للقاهرة وبيروت وعمان ، كنت خلالها اتقصى العوامل التى افضت الى نكبة فلسطين العزيزة ، وهي نكبة طبعت برد فعلها العنيف شباب العرب فى ارجاء الوطن العربي كله فى المشرق والمغرب على السواء .

وعندما حللت بدمشق وجدتني ـ وانا اتحدث الى الشيخ المكي الكتاني فى اول لقاء عن نكبة فلسطين التى كانت تشغلني ـ لا امام شخصية تنتسب الى جيل طوحت به السنون ، يقال عنه عادة انه جيل فاته الركب ، ولكن امام شخصية وطنية تعيش واقعها ، واعية وعي الشباب لعنف نكبة وضراوتها، مدركة لابعادها وانعكاساتها مما لا نزال نعيش مضاعفاته حتى الآن .

وقد سهل ـ اثابه الله ـ اتصالاتي بقادة سوريا وسوريا دائما قلب العرب النابض والوجه المشرق للنضال العربي وزودني بكتاب للملك عبد الله الذى استقبلني بقصر الرغدان بعمان محتفيا ومرحبا ، كما دلني على شخصيات مرموقة لها معرفة او صلة بتطور فلسطين فى ذلك الحين . مما جعلني اعود من رحلتي لدمشق وعمان باستنتاجات عن القضية ضمنتها سلسلة مقالات تحت عنوان : « هذا الشرق » .

واذا كانت رحلتي الاولى هذه للمشرق قد فتحت عيني على جوانب خفية فى عالم المشرق العربي ، فان زيارتي لدمشق قد مكنتني اكثر من استكناه تلك الجوانب . حيث كان الشيخ المكي رحمه الله من وراء كثير من الاتصالات التى ساعدتني فى تحرياتي عن الشرق عامة وقضية فلسطين خاصة .

ولقد شعرت خلال اتصالي به اني اصبحت منجذبا الى شخصه ، وان عاطفة التقدير المتبادل ترسخ هذا الانجذاب .

ومن جهتي فان زيارتي التى اتحدث عنها لدمشق كانت فى خضم فترة حاسمة من كفاح وطننا ، اذ فى بداية الخمسينات اخذت تلوح ملامح الثورة العارمة التى فجرها الملك والشعب فى 20 غشت 1953 .

ولقد تركت ورائي فى المغرب مؤامرة تدبر لاقبار ثورتنا الفتية فى مهدها يستقطب فيها الاستعمار ثلة من الخونة ، مما اقام بين الوطنيين واعوانه اولئك حاجزا سميكا هو الجدار الحصين الذى يفصل دائما بين الخيانة والاخلاص ، وبين ممن يبيعون ذمتهم لله

---

(1) رواه ابو داوود والترمذي والحاكم والبيهقي فى السنن .
(2) رواه البخاري ومسلم واحمد والنسائي عن انس رضي الله عنه .

مهما كلف الثمن ، والذين يبيعون انفسهم رخيصة للشيطان بأدنى ثمن .

أما في دمشق ، فقد وجدت امامي عالما سلفيا يلقن اتباعه حقائق الاسلام الناصعة ، ويحرضهم على التمسك بالحق لا يخافون فيه لومة لائم ولا يخشون جزاء ، ويقوم برسالة اصلاح في غير شعوذة ولا تدجيل ، ويتطلع — في حنين وشوق — الى العودة الى وطنه الاول ، يوم يتحقق النصر للمكافحين على قوات الاحتلال .

ان لطريقة كانت في مفهومه هي طريقة الكتاب والسنة التي لا يزيغ عنها الا هالك والزاوية كانت في عقيدته وسلوكه زاوية رباط للعلم والدين والكفاح ، ومعسكرا لتدريب روادها من افواج المؤمنين على الاعتصام بحبل الله المتين ، وهكذا كان بيته ملتقى لمريديه ولجميع عناصر الشعب السوري من علماء وطلبة وساسة .

ثم عدت الى دمشق سفيرا سنة 1962 فتوثقت به صلتي ، وخلال السبعة اشهر التي قضيتها على راس سفارة المغرب ، كنا لا نفترق الا على موعد ، وكنت اجد فيه العون الصادق لي في التعريف بالمغرب والاشادة بشأنه في كل ناد ومجمع .

ومرة اخرى وجدت ان ارتساماتي عنه منذ الزيارة الاولى لم تخطيء فهو في بيته المضياف محفوفا بتلامذته وانصاره عالم مرشد متواضع لا يبطل عمله بالمن والدعوى ، منفتح على العصر الا عندما تتجافى مقتضيات العصر مع الخلق الاسلامي .

وهو مرشد داعية ، ولكن لا يقصر رسالته على بث اصول الدين وقواعد العلم ، لا ينغلق على نفسه انغلاق الحلزون تخوفا من عواقب المسؤولية كما فعل آخرون في فترات الامتحان العصيب من كفاح شعوبهم ، وانما يلج في جراة باب السياسة على مصراعيه مؤديا بذلك دوره في حظيرة المجتمع السياسي الذي جعل منه القرآن امة متميزة حين قال : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

وهو اذ يدخل السياسة من بابها الواسع غير متهيب لا ينتظر من وراء ذلك طمعا ماديا او شأنا دنيويا وانما يقوم برسالة هي من صميم عمله كرجل له وزنه في مجتمعه فالسياسة عنده ليست الانتهازية ولا تزلفا وانما هي اداة لخدمة فكرة واداء رسالة .

والذين تتبعوا مراحل الاحداث في سوريا قبيل استقلالها وبعده الى الفترة الاخيرة من عمر الراحل الكريم لابد و انهم وجدوا بصماته في الاحداث التي طبعت ذلك القطر العربي الشقيق وميزته بالاضطرابات والانقلابات .

فحركة العلماء التي كان رائدها ظلت عنصرا ساسيا في تكييف الاحداث السياسية ، وكان لها تأثير قوي على الاختيارات السياسية الكبرى لسوريا، ولا اذكر منها على سبيل المثال الا فرضها — بعد كفاح مرير ومعركة سياسية صاخبة — للاسلام كدين للدولة في صلب الدستور وانتصارها على معارضيها الذين تستروا وراء وضعية الاقلية التي لا تدين الاسلام في محاولة — لقصتها الجريئة — لفرض لائكية الدولة .

ولقد ظلت حركة العلماء في سورية تقوم بمهمتها هذه في معترك الاحداث السياسية المتعاقبة ، وتحملت في سبيل صدعها برسالتها بعض المضايقات التي نال منها الراحل الكريم بنصيبه في جلد وصبر ولكنها ظلت باستمرار على تعاقب الانظمة واختلاف مشارب الحكومات قطب الرحى في تركيز المشروعية كلما خفض حكم وانتصب آخر .

وظل فقيدنا يزاول نشاطه الحافل هذا في ميدان الارشاد والسياسة طيلة مقامه بذلك القطر العربي الشقيق . دون ان يبتعد عن مغربيته ، فهو مغربي في زيه التقليدي مغربي في عاداته في بيته ومع اصدقائه ، سني اشعري العقيدة ، مالكي المذهب كالمغاربة رغم ما تتميز به سوريا من فسيفساءات عقائدية ومذهبيه .

ومن هنا كان نشاطه في سوريا لصالحها وصالح جميع القضايا العربية الكبرى ولاسيما لقضية الام قضية فلسطين لم يحل بينه وبين اهتماماته بقضايا المغرب العربي الكبير ووطنه المغرب بصفة اخص ، وهكذا بادر للاتصال بالمجاهد عبد الكريم الخطابي واخويه اول ما حلوا بالقاهرة ، وكانت صلاته لا تنقطع مع احفدة المجاهد عبد القادر الجزائري المقيمين بدمشق ، وكان بيته ملتقى للمهاجرين من ابناء تونس الشقيقة ، وطلاب المغرب العربي على اختلاف انتماءاتهم السياسية ، وكان يراسل قادة الحركة

الوطنية المغربية امثال الاستاذين علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني .

ولابد ان اذكر ان صلته بالمغرب قد اصبحت اوثق منذ ان دعاه جلالة الملك الحسن الثاني لزيارة المغرب زيارة رسمية حملتها له وانا سفير بدمشق ، تلك الزيارة التي تحققت بها امنية كانت من اعز امانيه ، والتي كان خلالها موضع الاكرام والحفاوة من لدن جلالته ، كعادة جلالته مع رجال العلم والاصلاح في العالم العربي والاسلامي .

وعندما ودعت دمشق في نهاية سفارتي اليها كنت مقتنعا بأن للمغرب في سوريا في شخص الراحل العظيم ما يعين سفراءنا على اداء مهمتهم اذا عرفوا كيف ينسجمون معه في دائرة السلوك الاخلاقي الذي كان يعتبره المقياس لكل تقدير يضفيه على من يتعاملون معه .

وفي رمضان من عام 1392 ، شاء حظي ان التقي به في الذكرى بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة ، فشملني بافضاله وزودني امام القبر الطاهر بدعائه كعادته . واشتبكت يدانا على العهد الى لقاء الله يغمرنا جلال الموقف وهيبة المشاعر القدسية التي يعيشها من يرتادون باخلاص وصدق نية تلك البقاع الزكية الطاهرة .

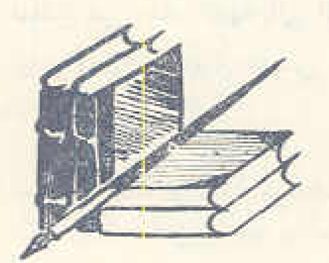
ولم نكن لندري ونحن في ذلك المشهد الرائع اننا في آخر لقاء ، وان يدينا تشتبكان في وداع اخير ، وان القدر قد احتسب لي ان يكون وداعا في ذلك المقام .

فاثبه اللهم عن صالحات اعماله في جنات الخلد ، ووفقنا لنفي له بالعهد ، وادخلنا في زمرة الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ، وانا لله وانا اليه راجعون .

الرباط ـ عبد الهادي بوطالب

ابحاث ودراسات







اذا ترك السائر مرجة دمشق الواقعة فى وسط المدينة وصعد الى شارع النصر المتجه من الغرب لى الشرق فاخذ الجهة اليسرى وسار لقي طريقا يقوم عليها سقف مقوس كالقنطرة الكبيرة من المعدن الرقيق واصطفت على يمينها وشمالها المخازن والدكاكين ، وهي سوق الحميدية الشهيرة والمكان الذي يؤمه القصاد ويسعى اليه الرواد ، فاذ سار فى هذه السوق بلغ لى نهايتها ولاح له عن قرب الباب الغربي للجامع الاموي الكبير ووقف على منحدر هو (سوق المسكية) التى تاخذ بالمرء الى الجامع فاذا ترك المنحدر واخذ طريقه الى اليسار قليلا دخل فى طريق تسمى طريق (باب البريد) . هذه الطريق اختلف القدماء والمحدثون فى اصل تسميتها وظن بعضهم ان ذلك يرجع الى ان الماء كان يوزع على مدينة دمشق من هذه الطريق ، والبريد يعني الترتيب فى احد معانيه وربما كانت هذه التسمية راجعة الى ان البرد كانت تنطلق من هذه الجهة الى المدن الاخرى تحمل الرسائل والامانات ، ولن ننسى بهذه المناسبة البيت المشهور :

ما بين جابيها وباب بريدها
قمر يغيب والف شمس تطلع

والجابي هنا هو (باب الجابية) احد ابواب دمشق المعروفة .

فاذا سار السائر فى طريق باب البريد وقف بعد قليل بين بوابتين كبيرتين تلفتان النظر بارتفاعهما وهندستهما كتب على احداهما ، وهي الواقعة الى يمين الناظر (المدرسة الظاهرية) وكتب على اليسرى (المدرسة العادلية) اما المدرسة الظاهرية فسميت بهذا الاسم نسبة الى الملك الظاهر بيبرس ، واما المدرسة العادلية فاخذت اسمها من الملك العادل اخي السلطان صلاح الدين الايوبي قائد الجيش العربي فى الحروب الصليبية .

وفى الظاهرية تقوم الآن (دار الكتب الوطنية) كما يوجد فى المدرسة العادلية المجمع العلمي العربي الذى نحن بصدد الحديث عنه فى هذا المقال .

وكلمة (المجمع) ترجمة لكلمة (اكاديميا) اليونانية وهذه الكلمة ذاتها نظر فى وضعها الى ما صنعه البطل الاثيني (اكاديموس) وهو الذى فكر فى تأسيس حديقة كان الفلاسفة يجتمعون فيها ومن بينهم سقراط وافلاطون وغيرهما - فيتذاكرون الامور ويناقشون الموضوعات ، ومنذئذ سمي كل مجتمع يجري فيه حديث متبادل او نقاش مشترك (اكاديمية) على ان هذه المجامع اختلفت تسمياتها حسب الظروف والازمنة وكانت المدارس هي التى تدعى بالمجامع ، على ان هذه المدارس لم تكن كما هي فى عهدنا الحاضر ، وربما جرى التدريس فى المساجد فجلست كل جماعة الى استاذ يدرس افرادها وهو متكيء الى سارية من ساريات المسجد ثم تطورت فكرة المدارس فاصبحت

دورا يقيمها اولياء الامور فتسمى باسمائهم او تنسب الى قادتهم كما سميت المدرسة العادلية والمدرسة الظاهرية .

ولقد دعي مجمعنا السوري بـ (المجمع العلمي العربي) لان العرب كانت تطلق كلمة (العلوم) على البحوث اللغوية الادبية ولم يقصد العرب بهذه الكلمة الى العلوم الطبيعية فحسب من كيمياء وفيزياء ورياضيات وذلك ؛ وسمي هذا المجمع بـ (العربي) لانه اسس في فجر النهضة العربية وعند تكوين الحكومة الفيصلية في دمشق .

نشأ المجمع العلمي العربي في دمشق ــ كما هو اسمه ــ نتيجة لبعض التطور فقد احدثت في سوريا عقيب تشكيل الدولة العربية في دمشق عام 1918 شعبة للترجمة والتاليف مهمتها النظر في المصطلحات التركية الرسمية التي كانت تسود دوائر الدولة في سوريا وترجمتها الى مصطلحات عربية ، واستعين لاجل تحقيق هذه الفكرة ، بعدد من الاساتذة والادباء والشعراء ورجال السياسة المثقفين ومن اشهرهم ــ امين سويد وانيس سلوم وعز الدين علم الدين وعيسى اسكندر المعلوف والشيخ سعيد الكرمي وسليم الجندي وخليل مردم بك وغيرهم ؛ كما كلفت الحكومة هؤلاء العلماء الاعلام تدريس الموظفين اللغة العربية واحياء تراثها وصدر امر حاكم سوريا العسكري العام بتاسيس هذا المجمع وبوثيقة تاريخها 8 ــ 6 ــ 1919 ورقمها 5698 / 42347 واصبح هذا المجمع مستقلا وعهد برئاسته الى الاستاذ محمد كرد علي وكان اعضاؤه هم الذين اشتركوا بلجنة الترجمة وبديوان المعارف اللذين اشرنا اليهما آنفا .

ولقد استقر المجمع العلمي في المدرسة العادلية الكبرى ــ كما كانت توصف ــ واول من فكر ببناء هذا الصرح هو نور الدين زنكي عام 568 للهجرة ولكنه توفي قبل ان يتمها وجاء بعده الملك العادل اخو صلاح الدين الايوبي فازال البناء الاول الذى بداه نور الدين وشاد بناء جديدا واسعا جعلمنه مدرسة كبرى دعيت باسمه ولكنها لم تكتمل بنيانا الا في عهد ابنه الملك المعظم الذى اضاف الى بنائها قبة فخمة جعلها مدفنا لابيه ونقل رفاته من القلعة الى هذه القبة عام 619 هـ وفي هذه السنة تم بناء المدرسة وما زال قبر الملك العادل موجودا في هذه القبة التى اصبحت منذ تاسيس المجمع مكتبة خاصة باعضائه ، ومن الخير ان نذكر لك عددا من كبار رجال التاريخ العربي والاسلامي ممن درسوا في هذه المدرسة او درسوا فيها مثل ابن خلكان والجلال القزويني وابن مالك النحوي ، فهي تحمل في طياتها ذكريات عريقة وامجادا سحيقة وربما وقف الزائر المتفرج مكان وقوف ابن خلدون يوم زار هذه المدرسة في رحلته المعروفة ، بل ربما جلس القادم الجديد مجلس ابن خلكان وهو يكتب تاريخه ويدون آراءه وافكاره .

اما مهمة المجمع العلمي في هذه الايام فيحسن توضيحها لان هناك اناسا يخطئون تحديد هذه المهمة وربما رجوا من المجمع امورا وموضوعات لا تدخل في اختصاصه ؛ فمن اعظم اعمال المجمع احياء التراث العربي القديم في العلم والادب والتاريخ كما يقوم احيانا بطبع الكتب الحديثة مما له فائدة لغوية او ادبية وخاصة المعاجم التى يحتاج اليها قراء العربية في كل الاقطار ، وليس من اختصاص مجمع دمشق وضع المصطلحات او الالفاظ الجديدة وقد ترك هذا الامر الى مجمع اللغة العربية في القاهرة ولجنة الاصول المنبثقة عنه (1) ، ولكن مجمع دمشق لا يمتنع عن بحث الكلمات والمصطلحات التى يضعها مجمع القاهرة فيناقشها ويدلي برايه فيها ويرسل بالمقترحات الى القاهرة لدرسها في جلساته ولجانه كما حدث في الاقتراح الذى قدمه بشان جواز تانيث وتذكير صيغة (فعول) ومن اجل كتابة الاعلام الاجنبية بحروف عربية مناسبة لها في اللفظ وقد اعترض مجمع دمشق على مجمع القاهرة لانه اعتبر الحرف (ج) في المعربات مقابلا لحرف g اللاتيني ورأى ان هذا الاعتبار غير صحيح لان معظم البلاد العربية ينطق الحرف (ج) العربي مخففا وان مصر وحدها هي التى تنطقه بطريقتها الخاصة كحرف الكاف التركي (گ) .

ولا يستنكف المجمع بدمشق ايضا عن الاجابة على كل سؤال لغوي يرد اليه بما يمكن ؛ وقد بلغ عدد الكتب التى احياها المجمع وطبعها بنفقته منذ تاسيسه مائة وعشرة كتب وهي كما يرى القارىء ثروة ضخمة كانت منسية او مهملة .

---

(1) وهذا لا يمنع من القول بأن رئيس المجمع السابق الامير مصطفى الشهابي كان من اكبر العلماء المختصين في وضع معاجم اللغة والمصطلحات في هذا العصر .

ومن اعمال المجمع التي تذكر بالاعتزاز مجلته التي تصدر منذ اربعين سنة كل ثلاثة اشهر وتضم المقالات العلمية الرائعة لاكبر الكتاب من عرب ومستشرقين .

وينبثق عن المجمع دار الكتب المعروفة بالظاهرية نسبة الى المدرسة الظاهرية ، وللظاهر مدرستان : البرانية وهي تقع على نهر بانياس ، وهذه التي تسمى بالجوانية تمييزا لها عن تلك ، وهذه تقع قبالة المدرسة العادلية ويفصل بينهما طريق (باب البريد) وقد بناها الملك الظاهر بيبرس البندقداري عام 620 — 676 وجعل منها مدرسة ودار حديث ومدفنا له كما دفن فيها ابنه الملك السعيد وقبراهما كائنان في القبة التي تحتوي اليوم على المخطوطات التي جمعتها دار الكتب .

ولقب (الظاهر) غلب على كثير من الاشخاص البارزين في تاريخنا ومن اهمهم صاحب مدرستنا هذه (الظاهرية) واسمه المفضل بيبرس العلائي البندقداري الصالحي ركن الدين الملك الظاهر ، وقد ولد في ارض القبجاق ثم اسر وبيع ببلدة سيواس في الاناضول التركي ثم نقل الى حلب ومنها الى القاهرة فاشتراه الامير علاء الدين ايدكين البندقدار وانتهت به الحال الى ان صار (اتابك) اي قائد العسكر بمصر في ايام الملك المظفر قطز ، ثم تآمر مع القواد الاخرين فقتلوا الملك وتولى بيبرس السلطنة بمصر والشام سنة 658 ثم توفي بدمشق .

هذا الملك المقدام دخل في التاريخ العربي كمحارب ضد الغزوات الصليبية بل ان منهم من يضعه الى جانب صلاح الدين الايوبي من حيث الايقاع بالغزاة والقضاء عليهم بشدة وبأس عرف بهما الظاهر حتى دعي (ابا الفتوحات) ودخل في القصص الشعبي كشخص اسطوري عزيت اليه الفضائل ونسبت اليه البطولات وقراء هذا القصص يذكرون (سيرة الملك الظاهر) واصحابه المشهورين من مثل معروف بن جمر وابراهيم بن حسن وسعد ابن دبل وشيحا جمال الدين . وقد رأى جماعة من الطائفة الاسماعيلية ان هؤلاء الاشخاص وعلى راسهم الملك الظاهر من الاسماعيليين الابطال الذين دعوا بالفداوية نسبة للفداء وتنويها بشجاعتهم وما زالت الطبقات غير المثقفة تتناقل هذه السيرة وتقراها ولكن التاريخ يفصل فصلا تاما بين الظاهر والاسماعيليين ويقرر ان الظاهر حارب الاسماعيليين وفتك بهم وكاد يقضي عليهم ، وهذا التناقض لا ينقص كثيرا من قيمة القصة من الناحية الفنية فان فيها خيالا حلوا وتصويرا بديعا لكثير من المعارك المصطنعة والمواقف المختلقة كما ان فيها لونا من الخرافة الحلوة والاسطورة السائغة التي تشبه الاساطير التي عرفناها في آداب الامم الاخرى وخاصة ادب اليونان ، وارى من الخير ان يصار الى كتابة هذه القصة من جديد وبلغة صحيحة حتى يتيسر لكل اديب ان يطلع على صورة الجيل الذي كتبت فيه .

ويرجع تأسيس دار الكتب الظاهرية الى عام 1295 رومي وقد كان ذلك بأمر من الوالي التركي حمدي باشا والكتب التي تحتويها هذه المكتبة جمعت من المكتبات القديمة التي عرفت في دمشق كمكتبة العظم ومدرسة الخياطين والمرادية والسميساطية والباغوشية وغيرها واضيف الى الكتب المجموعة كتب حديثة عن طريق الشراء وما زالت دار الكتب تبتاع الكتب في سبيل جعل المكتبة عامة ضخمة وقد بلغ عدد هذه الكتب حتى الآن قرابة مائة الف كتاب مطبوع واحدى عشرة الف مخطوطة ، اما مكتبة المجمع الخاصة باعضائه فتحتوي على سبعة آلاف كتاب تقريبا يضاف اليها عدد من الكتب المصورة المنقولة عن مخطوطات هامة موجودة في المكتبات العالمية .

ولابد في نهاية البحث من بيان اهمية المكتبة الظاهرية وشهرة المجمع العلمي العربي بدمشق واحترام العلماء له من شرقيين وغربيين ذلك ان في هذه المكتبة مخطوطات نادرة جدا فهي بذلك مرجع كبير من مراجع البحث ، واما المجمع فهو في رئيسه واعضائه الاساتذة يعتبر مصدرا من مصادر العلم وموئلا للعلماء في الشرق والغرب . بقي ان نهمس همسة ناعمة في اذن الشباب المثقف وان نعاتب هؤلاء عتابا لينا يسيرا على اهمال الكثرة الكاثرة منهم دار الكتب الظاهرية والانصراف عنها انصرافا يكاد يكون تاما ولو سالت احد هؤلاء عن مكان دار الكتب لاجابك متلجلجا محتارا على حين ان العلماء والمستشرقين والسياح يفدون اليها من اقصى الارض ، واني لاذكر يوما من ايام الشتاء القارس منذ ثلاثة اعوام وقد اطللت من غرفتي على صحن دار المجمع فرايت شيخا هما يكاد لا يستطيع المشي وعرفت للوهلة الاولى انه غريب اجنبي فانحدرت اليه مسرعا واخذت بيده الى غرفتي وكان يرتجف من الشيخوخة والبردوكم دهشت

حين اخذ يحدثني بالعربية الفصيحة ويسالني عن بعض المقالات التي وردت في مجلة المجمع سؤال الرجل المطلع المتتبع واعلمني انه استاذ سابق للادب العربي في جامعة (اوبسالا) من بلاد النرويج ، اما سبب مجيئه فهو انه دعي الى الهند لتمثيل النرويج في الذكرى المائوية لميلاد شاعر الهند الكبير طاغور وقد اضطرت طائرته للبقاء ليلة واحدة في بيروت فاغتنم الفرصة ليأتي الى دمشق فيزور المجمع العلمي ومكتبته الظاهرية .

هذا مثل من اولئك العلماء الاعلام قدمته للقاريء ليطلع على اهمية دار الكتب والمجمع العلمي ولقد سمعت احد المستشرقين الكبار يقول امامي بالحرف الواحد : لقد زرت سفارة دولتي فور وصولي الى دمشق وها انذ ازور المجمع بعدها مباشرة ، فهاذان المكانان اولى باحترامي من كل مكان آخر في المدينة الخالدة .

وقد تأسف لان من دواعي تقاعس القراء وطلبة العلم عن زيارة هذه الدار العظيمة وجودها في هذا الحي الذي يكتنفه الباعة وتحدق به العربات الخطرة والطنابر والدراجات المؤذية ، ولعل في هذه الكلمة تذكرة لمن بيدهم تنفيذ المخطط الهندسي الموضوع لتنظيم هذه المنطقة الاثرية الهامة التي تغص بالزوار والسياح والعلماء الاعلام عسى ان يزول من حولها ما يمنع الافادة منها (1) .

دمشق ـ احمد الجندي

---

(1) رجعنا في هذا البحث الى المراجع الآتية :

1 ـ الاعلام للزركلي

ب ـ مجلة المجمع .

ج ـ تاريخ المجمع لاحمد الفتير .

د ـ مقال عن المجمع للامير جعفر السني نشر في العدد السادس من مجلة «المعرفة» .



نقدنا العربي القديم قائم على دراسة النصوص الادبية ، والحكم عليها من حيث الجودة وعدمها ، والتمييز بين الاساليب المختلفة ، ووضعها في درجاتها من الحسن والقبح .. وهو نقد تفسيري في اغلب الامر اكثر منه نقدا موضوعيا .

ويخضع للمنهج التأثري فحسب ، فذوق الناقد هو وحده الحكم في مختلف القضايا الادبية .

وقد رجع النقاد العرب القدماء من طبقة الاصلاء الى هذا الذوق في الحكم على النصوص وعلى الادباء ، فمرجع كل شيء الى ذوق الناقد الخبير البصير باساليب الكلام ، وفي ذلك يقول ابن سلام الجمحي (31 ، هـ) في كتابه طبقات الشعراء : « للشعر صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم ، كسائر اصناف العلم والصناعات » (1) .. ويقول ايضا : « .. قال قائل لخلف الاحمر — 181 هـ — اذا سمعت انا بالشعر واستحسنته ، فما أبالي ما قلت انت واصحابك ، فقال له خلف : اذا اخذت انت درهما واستحسنته ، فقال لك الصراف : انه رديء ، هل ينفعك استحسانك له ؟ »

واعتد بهذا الذوق كل النقاد العرب : كالآمدي (371 هـ) ، والقاضي الجرجاني (392 هـ) ، وابن رشيق (460 هـ) ، وابي هلال العسكري (395 هـ) ، وعبد القاهر الجرجاني (471 هـ) ، وابن الاثير (637 هـ) ، وسواهم ..

فالآمدي في كتابه « الموازنة » يقرر ان مرجع الامر في الادب الى الذوق ، وهذا الذوق يتكون بالدربة ، ودائم التجربة وطول الملابسة . وبهذا يفضل اهل الحذاقة بكل علم وثقافة من سواهم ، ممن نقصت قريحته وقلت دربته ، ويحكي عن اسحاق الموصلي (240 هـ) ان المعتصم الخليفة العباسي (218 —227 هـ) قال له : اخبرني عن معرفة النغم وبينها لي ، فقال اسحاق له : ان من الاشياء اشياء تحيط بها المعرفة ، ولا تؤديها الصفة (2) . ويذكر الآمدي (3) ان الناقد لا يستطيع أن يأتيك في النقد بعلة قاطعة ، ولا حجة باهرة .

والتأثرية هي مذهب جماعات النقاد المعاصرين في فرنسا ، وهو مذهب ليمتر الذي كان يقول : اننا نحكم بالجودة على ما نحب ، أي اننا نرى حسنا ما نحب ، وكذلك « لانسون » الذي يقرر اننا نكون اكثر تمشيا مع الروح العلمي باقرارنا بوجود التأثرية في دراستنا ، وانها هي المنهج الوحيد ، الذي يمكننا

---

(1) 5 — طبقات الشعراء — ابن سلام — المطبعة المحمودية — القاهرة
(2) المرجع السابق .
(3) 176 الموازنة للآمدي — طبع صبيح — القاهرة

من الاحساس بقوة النص وجماله (4) . وكان كذلك سانت بيف يقول : « ليس هناك قواعد تخلق الكاتب الكلاسيكي » ، ويقول كذلك : النقد لا يمكن ان يصبح علما موضوعيا ، وسيبقى فنا رفيعا فى يدي من يستخدمه (5) . ولا ننسى مدرسة الرومانسيين فى اوربا فقد كانت تتجه هذا الاتجاه التأثري فى النقد ، ثائرة على القواعد الكلاسيكية ، ولو وازنا بين آرائها النقدية ومذهب ناقد عربي قديم مثل عبد القاهر الجرجاني (400 ـ 471 هـ) لرأيناها تجنح فى كل ما تذهب اليه نحو نقد عبد القاهرة فى شيء من التفصيل .

فن دراسة النصوص الادبية وتمييز الجيد من الرديء منها هو منهج نقدنا العربي القديم ، ممثلا فى اروع اصوله ، وفى اجل مصادره التراثية ، من مثل : الموازنة ، والوساطة ، والصناعتين ، والعمدة واسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (466 هـ) والمثل السائر لابن الاثير ، وغيرها .

وفى العصر الحاضر ، وبعد اتصال ادبنا العربي الحديث بالآداب الغربية وبمذاهب النقد المعاصر فى الغرب ، حصل تطور كبير فى نقدنا العربي الحديث ..

فخضع نقدنا لما يخضع له النقد الغربي الحديث من مذاهب وتفسيرات علمية موضوعية مختلفة للنقد ، فهناك التفسير النفسي للنقد والادب ، والتفسير الجمالي ، والفلسفة المثالية ، والفلسفة الواقعية ، وغيرها من المذاهب الفلسفية التى وجهت النقد الغربي وجهة جديدة ، وصار النقد تابعا لها ، وصارت هي الرائدة الموجهة لخطواته ، وتبعه فى ذلك نقدنا العربي الحديث ، فسار فى نفس الطريق ، وخطا نفس الخطوات :

أ ـ **فالتطور** مذهب فلسفي عند داروين ، طبقه سبنسر على الاخلاق والاجتماع وعلم النفس ، واخذ بروستيير يطبقه على الادب ، فكتب عن تطور النقد وتطور الشعر الغنائي وتطور المسرح الفرنسي ، ورأى ان الوعظ الديني فى القرن السابع عشر فى اوربا قد تحول الى شعر غنائي رقيق هو الشعر الرومانتيكي فى القرن التاسع عشر .

ب ـ ومدرسة التحليل النفسي عند فرويد (6)، والتى تطورت الى علم النفس التجريبي عند بكترف الروسي (1927) تجد صداها فى النقد قويا ومؤثرا وعميقا ، حتى غدت الفرويدية من اقوى العوامل فى التوجيه الفكري والادبي اليوم فى اوربا ، وشارل موررون فى فرنسا اليوم هو خير ممثل لها ، فهو اكبر ممثل للنقد القائم على التحليل النفسي الفرويدي ، وقد كتب عن راسين ، ومالارميه ، وبيدا جاستون باشلارد من تحليل الاسس بدلا من تحليل النص الادبي ، وكتاب ريتشاردر « مباديء النقد الادبي » يسير في هذا المجال ...

ودخل المذهب الفرويدي فى التحليل النفسي من نقدنا العربي الحديث ، فكتب عز الدين اسماعيل كتابه التفسير النفسي للادب ، وكتب « خلف الله كتابه من الوجهة النفسية فى دراسة الادب » ، وعلى ضوء المذهب النفسي فى النقد كتب محمد كامل حسين دراسته عن المتنبي وكتب العقاد دراساته عن ابي نواس وابن الرومي ودراساته للعبقريات الاسلامية ، وقد انكر طه حسين على العقاد اخضاعه ابي نواس للتحليل النفسي » ثم كتب النويهي دراستيه عن بشار وابن الرومي ، كما كتب حليم متري (1970 دراسته النقدية عن ناجي (25 من مارس 1953) وشعره وقد نشرها فى مجلة البعثة الكويتية الشهرية التى كانت تصدر فى القاهرة ، وذلك فى احد اعدادها عام 1954 .

على ان المذهب السيريالي الذى يعد ريمبو من خير اعلامه قد تأثر بسيكولوجية فرويد كما تأثر بفلسفة هيجل ، وهذا المذهب الادبي يرى ان الادب حديث من اللا شعور ، فهو دقات اللا وعي والتأثيرات الماضية ، واملاء للفكر دون رقابة العقل ، بعيدا عن كل اهتمام فني او خلقي ، والسيريالية تنفر من موضوعات الفكر الجارية ، وتحتقر الاساليب السائدة

---

(4) 131 فى الميزان الجديد ـ محمد مندور .
(5) 3 : 6 ، قصة الادب المعاصر ـ خفاجي
(6) ظهر علم النفس منذ انشا وليم فونت الالماني عام 1879 مختبرا لعلم النفس فى جامعة لايبزج.
(7) جريدة الجمهورية عدد 5 ـ 3 ـ 1954 .

فى اشكالها وصورها ومجازاتها وكلماتها ، وتسخر من العقل ومنطقه ، وجل الهاماتها الاحلام والرؤى ، وقد نفى العقاد ان تكون السيريالية فنا (8) ، ويمثلها فى شعرنا المعاصر محمود حسن اسماعيل ، وقد خطت الدادية فى اتجاه الوعي الباطني والفن السيريالي ، حتى قال سوبو : « ضع الالفاظ فى قبعة ثم اخرج منها ما يعن لك ، فبهذا يصنع الشعر الدادي » يقصد انه يخرج بعيدا عن رقابة العقل ، وكان بودلير الشاعر الفرنسي (1867) يقول : « ان الاشياء تفكر من خلالي كما افكر من خلالها » .

ج ـ **ثم جاءت الفلسفة الجمالية** فدخلت الى النقد من اوسع ابوابه ، وصلة فلسفة الجمال او علم الجمال بالفن والادب بمثابة صلة المنطق بالنظريات العلمية .. والتداخل بين فلسفة الجمال وفلسفة الفن واضح ، ومن ثم امتدت الفلسفة الجمالية الى الفنون الادبية ، فلم تعد القيمة الفنية فى الشعر او القصة تقاس بمقياس خارجي ، او بمدى تحقيق غاية اخلاقية او هدف يخرج عن نطاق الفن ، بل صار الحكم على الاثر الادبي فى النقد الحديث منصبا على العمل الادبي من ذاته ، من حيث اكتماله الفني ، وملاءمة التعبير للوسائل المستخدمة فيه ، حتى ليقول احد نقاد شكسبير : « ان المقياس الوحيد الذى يمكن ان يسأل عنه الفنان هو ان يعبر العمل الفني عن ذاته ، اي ان يكون متسقا من داخله ، وقيمة شعر شكسبير انما ترجع الى حسن نظامه الباطني وليس الى مطابقته لحوادث تاريخية معينة .. »

ولا ريب ان علم الجمال من أهم فروع الفلسفة الحديثة ، بل هو من صميمها ، واهم مباحثه هو الفن . وكان فلاسفة الجمال منذ افلاطون يدورون حول الفن الذى هو ـ كما يقولون ـ روح الانسان ، بل سلاحه ، حتى قال افلاطون فى اسطورة بروميثيوس : « عندما شرعت آلهة اليونان القديمة فى توزيع الهبات على المخلوقات ، زودت جنس الحيوان بأسلحة تحميه من الطبيعة ، اما الانسان فقد بقي اعزل من السلاح ، حتى رق له قلب الاله بروميثيوس صديق البشر ، فأقدم من أجله على مغامرة جريئة ، اذ سرق من الآلهة قبسا من النار ، واهداه الى الانسان ، فعلمه الفنون » .

ومعنى ذلك ان النار كانت مقدمة لتطور الانسان البدائي فى سلم الحضارة ، وانها ساعدته على ايجاد الفراغ الذى استخدمه من اجل ابتكار الفنون وتطويرها والسير بها فى مدارج التطور الحضاري .

وقد اصبح كذلك فلاسفة الجمال موجهين لحركات النقد والمذاهب الادبية فى اوربا ، وصار علم الجمال الادبي من اهم فروع الفلسفة الجمالية ، وبحوثه تدور حول تأثير العمل الادبي من جانب ، وحول كيفية توليد العمل الادبي فى نفس الكاتب من جانب آخر ، وهذا لجانب من الدراسة الجمالية المتصلة بعلم النفس من بعيد ، قد غذت الادب بنظريتين : نظرية الصياغة ، ونظرية النغم .

اما نظرية الصياغة فيعنى بها ان الاديب يسعى لخلق الصيغ الجميلة استجابة لحاسة فطرية فى نفسه ، هي حاسة الجمال . وينادي بذلك البرناسيون او مدرسة الصياغة ، وهي مدرسة نقدية ذات اهمية كبيرة منذ ادخل شتراوس الافكار الفلسفية وعلوم الاجتماع فى بحوث النقد الادبي ، وقد قدمت هذه الحركة النقدية اعمالا قليلة ، ولكنها ذات اثر فعال ، كما انها تبين تأثير الاسلوب اللغوي الذى قام به شتراوس وزميله جاكسون ، وصار من الممكن قيام مجموعة متنوعة من النقد الادبي على اساس المقولة البلاغية التى ارساها جاكسون ، وهي الاستعارة والمجاز ، وقد تفرع من مدرسة الصياغة او البرناسية نظرية الفن للفن التى نادى بها فيكتور كوزون فى السوربون عام 1818 م . ونجد صداها واضحا عند تيوفيل جوتييه 1872 ، ثم اخيرا نجد « لانسون » يسيطر بنظرياته فى الصورة والصياغة على النقد الاكاديمي ، وقد ترجم محمد مندور كتابه « منهج البحث فى الادب » .

ومذهب الفن للفن ينادي بأن الشعر خلق لقيمة جمالية تنجت من اللغة ، وقصيدة « الفن » لجوتييه تعتبر خير مصور لهذا المذهب ، ومنها نعرف ان جوتييه لا يفرق بين الفن والنحت ، فهو يطالب الشاعر بان ينحت من اللغة ابياته ، وكما يختار النحات من الرخام اصلبه ، وما يزال يصارعه حتى

---

(8) يوميات العقاد فى جريدة الاخبار احد اعداد عام 1962 .

يلين بين يديه ، ويخضع للصورة التى يريد ان ينحتها فيه ، وكان يقول للشاعر : « انحت وابرد وشكل حتى يستقر حلمك الطافي على الصخرة الصلبة » . ومن ثم نادى فيكتور كوزون بأن التعبير هو القانون الاولي فى الفن ، وصار بذلك رائد النظرية التى تدين بها مدرسة الفن للفن الفرنسية.

ومن دعاة الفلسفة الجمالية فى اوربا : «كانت» الالماني (1804) ؛ ديدرو (1884) ؛ ومن اهم النقاد الجماليين كروتشييه الايطالي (1952) .. وهذه الفلسفة تهدم القواعد الكلاسيكية فى النقد ، وتقيم مكانها قواعد جديدة .

ونظرية النغم يقول بها دعاة الرمزية ، واساسها ان نغمات الكلام رموز لانواع المشاعر ، وللمذهب الرمزي ـ الذى كان من اهم شعرائه فى فرنسا : بول فاليري ومالرميه (1898) ؛ وبول فرلين (1844 ـ 1896) وسواهم ـ تفسيرات كثيرة للعمل الادبي ، وقد نقد شكري الرمزية نقدا لاذعا فى مجلة المقتطف عام 1938 .

د ـ **وظهرت الفلسفة الواقعية** بجناحيها المادي والوجودي ، واخضعت النقد لنظرياتها الطويلة ، التى ليس من ضرورات هذا البحث الخوض فيها . ويمثل مقدمة الواقعيين : سان سيمون (1852) ؛ واوجست كونت (1857)؛ وجون ستيوارت ميل (1893) وهو صاحب نظرية الفلسفة الوضعية ؛ واميل زولا صاحب نظرية المذهب الطبيعي ؛ ويمثل الجناح الوجودي سارتر ونظريته فى الالتزام معروفة ؛ والواقعيون عامة ينادون بان الفن للحياة ، وينكرون نظرية الفن للفن ، انكارا شديدا .

هـ ـ وتعددت المذاهب والفلسفات في الغرب تعددا كثيرا ، وكل مذهب منها يقيم له فلسفة نقدية خاصة به .

ومن حيث نادت مدام ستاي بأن الادب تعبير عن المجتمع ، وسانت بيف بانه تعبير عن الشخصية، وكوزون بنظرية التعبير او الصياغة او الفن للفن ، والعاطفيون بأن الادب تعبير عن مشاعر الاديب ، وذهب كروتشيه فى النقد الى الجانب الجمالي ، وجمع ريتشاردز فى نظريته النقدية بين النقد والخلق الفني ، وذهب لسينج الالماني وكروتشيه الايطالي الى العبقرية ، وجاءت الطليعة فربطت بين التقدم الفكري والانساني : وظهر دعاة مذهب اللا معقول الى حدود اللا معقول ، ونادى اندريه شينيه بالكلاسيكية الجديدة ، التى لخصها في بيت له يقول فيه : فلنصغ افكارا جديدة فى ثوب كلاسيكي جديد » (9)

كل هذا الخلط الغريب المضطرب من المذاهب والنظريات ادت الى بلبلة نقدنا العربي المعاصر ، والى بعده عن تراثنا النقدي الرفيع .

ـ 3 ـ

وقد حاولت هذه النظريات الجديدة فى النقد، التى اقحمت على نقدنا العربي المعاصر اقحاما شديدا ان تتنكر لمنهجنا القديم العربي الاصيل فى النقد من جانب، وان تعمل على ابعاد النقد عن الذاتية وعن منهجه التأثري الاصيل الى جعله موضوعيا يقوم على قواعد ثابتة من العلم والموضوعية من جانب آخر . واذا كانت بعض هذه النظريات قد هدمت القواعد الكلاسيكية فى النقد وهي النظريات الموروثة عن ارسطو والنقد الاغريقي القديم ، فانها احلت محل هذه القواعد التى نادت بابطالها قواعد جديدة وفقما تذهب اليه من فلسفات وآراء خاصة بها .

وموضوعية النقد وجدناها قديما عند ارسطو، وكانت لنظرياتها السيادة فى العصر الكلاسيكي ، ثم جاءت الرومانسية وما تلاها من نظريات نقدية فحاولت الخروج على القواعد الكلاسيكية فى النقد ، وهدمت آراء ارسطو هدما شديدا .

ثم وجدنا موضوعية النقد عند دعاة التطور ، مثل برونتيير ، وقد لاقى مذهبه النقدي فى التطور نقدا لاذعا .

(9) راجع : مباديء النقد الادبي لريتشاردز ، ترجمة مصطفى بدوي ، وكتاب النقد الادبي ومدارسه لادموند وولسون ، ترجمة احسان عباس ، وكتاب دفاع عن الادب ترجمة مندور ، وكتاب منهج البحث فى الادب للانسون ترجمة مندور، وكتاب الشعر والتأمل لهاملتون ، والاسس الجمالية من النقد لعز الدين اسماعيل والنقد الجمالي واثره فى النقد العربي لغريبه روز ، وما هو الادب لسارتر ترجمة محمد غنيمي هلال .

ووجدناها عند مذهب : التفسير النفسي ، والتفسير الجمالي للادب ، ودعاة المثالية والواقعية وغيرهما .

وينادي فريق من نقادنا بالتايد الكامل لهذه المذاهب ووجوب صبغ نقدنا العربي المعاصر بصبغتها ، ومنهم : محمد غنيمي هلال صاحب كتاب المدخل الى النقد الادبي (10) ومحمد خلف الله (11).

وينادي فريق آخر من ادبائنا بالرفض الكامل لهذه المذاهب ، ومنهم العقاد ، ومندور ووديع فلسطين ، وطه حسين ، وذهبت الى ذلك ايضا في كتابي : دراسات في النقد الادبي ، والنقد العربي الحديث ومذاهبه .

وفريق آخر يقفون في الموقف الوسط ، ومنهم : السحرتي صاحب كتاب « شعرنا المعاصر على ضوء النقد الحديث » ، وكتاب « النقد الادبي من خلال تجاربي » ، وكذلك النويهي (12) .

وقد نادى ادباؤنا المعاصرون بنظريات غامضة ومبهمة او خاطئة ، واغلب الظن انهم كانوا يذهبون في ذلك مذهب النقاد الغربيين مع عجز واضح عن ادراك غاية التجديد ، واتباع كامل وتقليد لخطى نقاد فرنسا وانجلترا .

فدعا توفيق الحكيم الى التعادلية ، ودعا كذلك الى مذهب الفن للفن ، ودعا احمد امين الى مذهب الفن للحياة ، وسلامة موسى الى ان الادب للشعب ، ومحمد حسنين هيكل وامين الخولي الى الادب القومي .

وينكر مندور موضوعية النقد انكارا شديدا ، وقال ان حركات موضوعية النقد في القديم والحديث قد فشلت فشلا ذريعا ، ومنها حركة « قدامة بن جعفر » في نقدنا العربي القديم ، وهو صاحب كتاب « نقد الشعر » المشهور ، وتوفي عام 337 هـ .

على ان المذاهب الغربية في النقد اغلبها مذاهب فكرية عامة ، ونظرياتها عامة لا خاصة وقد حكمت التجارب بفشل تلك المحاولات لجعل النقد علما موضوعيا ، وللاستفادة من العلوم الانسانية ونظرياتها في اصول النقد ، ويقول مندور : ان الاولى قصر النقاد جهدهم على دراسة النصوص الادبية ، والاعتماد في ذلك على الذوق الادبي الذى هو ليس شيئا عاما مبهما ، بل هو ملكة اساسها الطبع والدربة والمران ، ويقول القاضي الجرجاني (392 هـ) ان الذوق هو مرد الحكم في الادب وانه يكتسب بصحة الطبع وادمان الرياضة (13) ، وكذلك ذهب ابن طباطبا في « عيار الشعر » (14) ، والمرزوقي في شرحه على الحماسة (15)

وليس هناك اية جدوى من محاولة ادخال الفلسفة ونظرياتها العامة على الادب .

وقد حاول « تين » ان يخضع الادب لقوانين يفسره بها من الزمان والمكان والجنس ، وفشلت نظريته فشلا تاما .

وليس هناك معنى لهذه النظريات الا الانصراف عن الادب وتذوقه الى نظريات مبهمة لا تمت اليه بصلة ، مما يبعدنا عن الموضوع الادبي والاصالة النقدية ابعادا شديدا ، وقد اشاع فرويد ومدرسته نظريات كثيرة خاطئة ، والخطر في ان يستحيل النقد تحليلا نفسيا ، وان يختنق الادب والنقد في هذا الجو فمن الواضح ان العمل الجيد والعمل الرديء سواء ، من ناحية الدلالة النفسية كلاهما يصلح شاهدا ، فاذا استحال النقد الادبي الى دراسات تحليلية نفسية لم تتبين قيمة الجودة الفنية الكاملة ، ومع ذلك فان فرويد يبين في بعض دراساته اننا لا نستطيع الاطلاع على طبيعة الانتاج الفني من خلال التحليل النفسي .

وكذلك الامر في فلسفة الجمال وعلومه فان نظرياته عامة الى اقصى حد يصل اليه العموم ،

---

(10) راجع مقالة له في مجلة الثقافة المصرية حول ذلك الموضوع عدد 18 – 11 – 1963 .
(11) راجع مقالة له في ذلك في مجلة الثقافة المصرية – اكتوبر 1963 .
(12) مجلة الثقافة المصرية – اكتوبر 1963 ، وعدد21 – 12 – 1973 ايضا .
(13) 310 الوساطة بين المتنبي وخصومه – طبع صبيح
(14) ص 14 .
(15) 1 : 15 شرح ديوان الحماسة للمرزوقي .

وهو بهذا ينافي طبيعة الفن ، والدارس الجمالي يبتعد تماما عن الموضوع الادبي الذي يبحث فيه ، فيغرق في لجج من التفكير والآراء الفلسفية والخلقية والنفسية تجعله في منأى عن الادب والذوق الادبي بل تنتزع منه الحاسة الجمالية نفسها ، ويرى ريتشاردز في كتابه « مبادىء النقد الادبي » ترجمة مصطفى بدوي ان علم الجمال قد جنى على النقد حين اشاع بعض الاصطلاحات الزائفة ، من مثل : الانفعال الجمالي والحالة الجمالية ، مع ان هذه المصطلحات لا تخرج عن كونها اوهاما . وفي كتاب « الشعر والتامل » تاليف هاملتون وترجمة محمد مصطفى بدوي نقد شديد لنظريات الناقد ريتشاردز في كتابه « مبادىء النقد الادبي » .

وقد فطن الجاحظ (255 هـ) والبحتري (284 هـ) والصاحب بن عباد الى ان النقد شيء مستقل عن كل علم آخر ، وان قوامه الذوق (16) ، وان اقدر الناس عليه هم الشعراء والكتاب (17) .

وخلاصة ذلك كله هي وجوب تنحية الادب ونقده عن العلم (18) .

— 4 —

وقد تعددت المذاهب الادبية في اوربا تعددا كبيرا من كلاسيكية ورومانتيكية ، وسيريالية ، وبرناسية ، ورمزية ، وواقعية ، ووجودية ، وسواها .. حتى لقد كتب الناقد الفرنسي اميل دي شانيل (1904) في المقارنة بين الكلاسيكية والرومانتيكية كتابه الضخم « رومانتيكية الكلاسيكيين » كما كتب النقاد بعده عن « كلاسيكية الرومانتيكيين » .

وهذه المذاهب كلها حاول المثقفون بالثقافة الادبية الغربية تطبيقها على ادبنا العربي الحديث ، بل حتى على ادبنا العربي القديم ، فكتبوا مثلا عن « رومانتيكية الاعشى » ، وما كان الاعشى بالشاعر الرومانتيكي باية حال من الاحوال .

والتطبيق الحرفي لهذه المذاهب الغربية على ادبنا العربي غير مسلم ، كما يرى ذلك وديع فلسطين في كتابه « قضايا الفكر في الادب المعاصر » .

ويرفض العقاد هذه المذاهب جملة وتفصيلا ، وكذلك الزيات وطه حسين .

ويرى « احمد زكي ابو شادي (1955 م) تعاون هذه المذاهب في خدمة الذوق الادبي، والثقافة الادبية والنقدية ، وكذلك يذهب الناقد مصطفى السحرتي ايضا .

واذا كان الغربيون فسروا الادب تفسيرات مختلفة ، فذهب فرويد الى أن الحافز الجنسي هو المحرك للانتاج الادبي ولكل انتاج آخر ، وذهب ادلر الى ان توكيد الذات والنزوع الى التفوق هو الحافز الاكبر للانسان على القيام بعمل من الاعمال ، وذهب يونج الى ان خيال الجماعة الانسانية هو اكبر الصور والحوافز في اي اثر ادبي ، وذهب ستيكل (1902) ، الى مذهب اللا شعور الجماعي. فماذا يمكن ان يفيد منه ادبنا المعاصر ، ونقدنا الحديث من شيء ؟

— 5 —

واغلب شعرائنا ونقادنا وادبائنا وكتابنا على اية حال قد تاثروا بمذاهب الغرب تاثرا كبيرا ، ظهر اثره في هذه البلبلة الادبية والنقدية التي نعيشها اليوم ، والتى جعلت ادبنا المعاصر صورا مشوهة لا صلة لها بتراثنا وثقافتنا وادبنا ومجتمعنا ونفوسنا بحال من الاحوال .

وكان العقاد والمازني يرجعان في النقد الى هازليت وماكولي وارتولد وشاستري ، فاغلب آراء العقاد مأخوذة من هازليت ومحاضراته في الشعراء الانجليز ، ويشبهه العقاد في عنفه النقدي ، ورجع العقاد في مذهبه النقدي النفسي الى ريتشاردز صاحب كتاب « مبادىء النقد الادبي » الذى كتبه ريتشاردز عام 1924 ، ويذهب فيه الى تقرير الصلة

---

(16) راجع : في الميزان الجديد لمندور ص 137

(17) 4 و 5 من رسالة الكشف عن مساوىء شعرالمتنبي للصاحب بن‌عباد الوزير (المتوفى عام 385 هـ)

(18) ص 137 في الميزان الجديد لمندور .

بين مسائل النقد الادبي وعلم النفس ، فالنقد يثير في نظره جميع الموضوعات السيكولوجية ، ووظيفة الناقد هي التمييز بين مختلف التجارب وتقويمها عن طريق الادراك الواضح لطبيعة التجربة (19) .

— 6 —

وفي ختام هذا البحث اؤكد ما يلي :

اولا : ابتعاد نقدنا المعاصر عن طبيعة النقد العربي القديم من جهة ، وعن التأثرية في النقد الى الموضوعية من جهة ثانية

ثانيا : بلبلتنا النقدية المعاصرة ، فنحن صدى كامل للغرب في هذا المجال ، وليس عندنا مذهب نقدي عربي معاصر حتى الآن .

ثالثا : من الافضل ان ننادي بما نادى به لانسون ومندور وقبلهما نقادنا العرب القدماء الاصلاء من تأثرية النقد من ناحية ، ومن الانتقال بالنقد الى جانبه الذاتي الاصيل وهو فن دراسة الاساليب والتمييز بينها والحكم عليها من ناحية اخرى .

رابعا : جميع المذاهب النقدية في الغرب لا تصلح اساسا — كلها او بعضها او مذهب منها — لمذهب نقدي عربي جديد .

خامسا : وجوب الاستفادة من مختلف الآراء والمذاهب النقدية في ادبنا العربي القديم ، من مثل آراء علماء الاعجاز ، وعلماء البلاغة ، وعلماء النقد ، وعلماء الموازنات الادبية .

سادسا : التأكيد على الصياغة والاهتمام بها في كل تطبيق نقدي ، لان الصياغة هي الاساس الاهم لكل عمل ادبي .

سابعا : يجب التأكيد على ضرورة الاستقلال الكامل في اعمالنا النقدية عن كل مذاهب النقاد الغربيين من جهة ، وعلى محاولة الاهتداء من جهة اخرى الى مذهب نقدي متكامل يصلح اساسا لبلورة ثقافتنا النقدية في اصول سليمة واضحة .

د. محمد عبد المنعم خفاجي

---

(19) راجع كتاب نشأة النقد الادبي الحديث لعز الدين الامين .

فيها ، ويكتب فى التنفير منه قصصا ضمنها بعض عبراته ..

نعم قلت فى نفسي هذا ، فحق علي قول الله « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه »

الم أكن منذ سنة واحدة خلت ، قد قلت ما قلت ، عفا الله عني وعن الرافعي ، منطقي بما قلت، وها انذا قد التحقت بكلية الآداب، كلية طه حسين ، فى الجوهر والباقي فى العرض ، اذ كانت الكلية آنذاك ، تعني طه حسين فى معناها المقصود ، فكان كل القاصدين اليها من العالم العربي والاسلامي ، يقصدون الى طه حسين بالذات ، ولا ينظرون الى غيره ، ولا يهمهم من هذا شيء وهو غير طه ..

وهكذا وجدنا كلية الآداب ، شعلة من نار ونور، شعلة متقدة من الحماس ، الذى يصل الى مستوى الغرور ، والغرور فضيلة فى كثير من الاحيان ، وشعلة من تفكير نير ، يضع نصب مستقبله وحاضره ، تمثال الدكتور طه ، فى سموه وثورته ، على كل بال وكل جامد وكل هزيل ، فكان الدكتور طه ملء الاسماع وملء الابصار وملء البصائر ، وكان كل يتقمصه ، وينتظر اليوم الذى يحل ، بآماله المريرة وآلامه اللذيذة ..

اجل ، ان من الآمال ، ما يتحقق بمرارته وغصصه ، وان من الآلام ما يصيب صاحبه بلذائذ يطرب لها الحرمان وترقص لها الخيبة ، ومن هذه ينبعث الشكر والحمد لله ، الذى لا يحمد على مكروه سواه ، حمدا صادقا صادرا عن الجوارح من الاعماق .

لم يلبث الدكتور طويلا فى عمادته ، آنذاك ، فترك هذه العمادة ، وانتقل الى وزارة المعارف العمومية ، حيث تقلد اول منصب الشيء بها ، وهو مراقبة الثقافة ، ومع هذا لم ينقطع عن الكلية تماما، بل ظل يتابع محاضراته بها ، ونشاطه فى التاليف ، فالف وهو يتقلد هذا المنصب السامي ، كتابا سماه « مستقبل الثقافة فى مصر » فكان لهذا الكتاب ضجة فى الاوساط العربية ، وتجرد للرد عليه المرحوم صديقنا السيد قطب ، بكتاب الفه فى الموضوع ، فما كان من الدكتور ، وقد اعجب بهذا الرد ، الا ان دعا السيد قطب ليتولى كتابته فى هذا المنصب ، فقبل السيد قطب وقام بعمله كاتبا عاما بمراقبة الثقافة ، فى الوزارة المذكورة خير قيام .

وهذه من مزايا فقيدنا ، رحمه الله ، فانه لم يسخطه احد ، ممن اسخطهم او أظهروا سخطهم على انتاجه. وقد علمت وانا بمصر ، بعد وفاة الرافعي ، رحمه الله ، ان اول برقية للتعزية فيه ، كانت واردة من طه حسين ، الذى كان الرافعي يحمل لواء الحرب عليه وكانت حربا لا هوادة فيها .

واخبرني صديقي ، الدكتور محمود مكي ، انه لما يئس من ايفاده الى الخارج ، وقد انهى دراسته بالكلية ناجحا بتفوق ، وكتب رسالة حادة ، شديدة اللهجة ، الى وزير المعارف الدكتور طه حسين ، فما كان من الوزير الا ان استدعاه شخصيا ، ووجه اليه اسئلة يقرره فيها ويستفسره عن حقيقة ما اتهم به اولياء الامور ، ولم تمض بضعة ايام حتى كان محمود مكي يوجه فى اول بعثة مصرية الى مدريد ، حيث اعد دراسته التى خولته ، بحق وحقيق ، درجة الدكتوراه ، بعد ما كان يائسا مستيئسا ، من عدل الوزارة ورجالها ، فنالهم بالتهم الصريحة القادحة.

وهكذا لم يكن للدكتور خصم يخاصمه او عدو يعاديه هو ، وان كان الخصوم كثيرين والاعداء عديدين .. واذكر انصديقه الحميم استاذنا احمد امين ، رحمه الله ، كان وهو عميد لكلية الآداب ، بعد خلف الفقيد ، استاذنا محمد شفيق غربال، الذى نقل الى استشارة الوزارة المذكورة ، رحمه الله ، كان احمد امين ، قد اصطدم فى اواخر عمادته ، بهذه الوزارة ، التى صارت تتدخل بقوة فى الجامعة، حيث كانت ظروف الحرب العالمية ، تستلزم هذا التدخل ، فساء ذلك رجال الجامعة ، وكان على رأس المستائين احمد امين ، الذى لما لم يجد الى جانبه العميد الاسبق ، طه حسين ، صار ينعي عليه موقفه، الذي يخالف ما كان ينادي به ، وهو عميد للكلية : اذا كان ينادي بأن الجامعة فوق الوزارة ، ولا سلطان لهذه عليها البتة مع انه لا غرابة فى هذا اذ الواحد بالشخص له جهتان ، والشيء مع غيره غيره وحده ، وكذلك الشخص ..

فالغريب انه غاب عن استاذنا احمد امين ، ان الانسان مهما كان قويا فى عزمه ، صادقا فى اهدافه، له حيثيات وظروف تفرض عليه لهجة معينة او خاصة وموقفا مترجحا اومعتدلا . انه له يفهم هذا ، وصار يعني انتقاده لموقف صديقه الحميم ، ولا يتورع عن الافصاح بذلك ، حتى عن الطلبة الذين كنا منهم ، فزرناه فى حتته برأس البر ، انا وحسن

صعب اللبناني (الدكتور بعد) فوجدناه يبدي استياءه هذا من صديقه الحميم ..

اما الدكتور ، وكان آنذاك مستشارا لوزارة المعارف ، فانه ما سمع احد منه نيلا من صديقه ، وهو متصلب فى موقفه ، بل كان دائما يبدي حبه العظيم له ، وينافح عنه حتى الطلبة ، الذين كانوا ، كعادتهم فى كل زمان ومكان ، يجابهون عمداءهم ، ويتظاهرون احيانا ضدهم ، وكان الدكتور طه نفسه ، قد ناله من هؤلاء الطلبة ، اواخر عهده بالعمادة ، ما ينال الصابرين على الاذى ، فيدعون لمؤذيهم ، بما دعا به عليه السلام « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون » .

اعود الى نفسي ، مع الدكتور طه ، فقد سعدت بالتلمذة عليه ، طيلة سنتين ، كما قلت ، كانت حصيلتهما من الادب الجاهلي والادب الاموي ، اهم ما حصل لي فى دراستي ، بكلية الآداب ، وقد كلفني فى اولى السنتين ، ببحثين حول امريء القيس وطرفة بن العبد صححتهما عليه ، معيدته سهير القلماوي (الدكتورة فيما بعد) ثم امتحنني، فيهما ، هو واستاذنا معا ، الدكتور احمد ضيف ، رحمه الله ، عند الامتحان الشفوي ، فى نهاية السنة الدراسية . اما فى ثانية السنتين ، فقد كلفني ، ببحثين على ان القيهما ، على زملائي كدرس بمحضره، وكان احدهما حول « ابي دهبل الجمحي وشعره » وكان الثاني حول « الوصف فى شعر ذي الرمة » وما زلت محتفظا بهذين البحثين معتزا بهما عازما على جعلهما تأليفين فى موضوعهما .

وفى هذه السنة ، كان معيده ، نجيب البهبيتي) الدكتور بعد) فكلفه استاذنا بالقاء درس ، حاسبه فيه حسابا عسيرا ، فلم ينقلب الى اهله مسرورا ..

ظل الدكتور طه فى تأدية رسالته الادبية والادارية ، بعيدا عن التيارات السياسية الجارفة ، التى لم يكد احد ينجو منها ، آنذاك والحرب العالمية مستعرة ، وقد تورط ، فيمن تورطوا ، المرحوم عباس العقاد ، فكتب كتابه « هيتلر فى الميزان » ولا شك انه وان كان منبعثا عن رايه فيه ، الا ان الثمرة نالته ، بصدور هذا الكتاب ، وفى تلك الظروف بالذات ، فجعلت الناس يفهمون ، ما فهمت من كونه كان مأجورا فى عمله هذا ، الذي مات بموت الحرب العالمية .

ومع ذلكم فان الدكتور طه ، قد دعي الى القاء محاضرة حول الانجليز وطبيعتهم ، او هو الذى اختار هذا العنوان ، لما طلب منه ان يقول شيئا ، مما كان غيره يقوله وهو كثير .. فالقى محاضرته فى مبنى الجمعية الجغرافية ، ورايت الجنود الانجليز ، يعدون لها معداتها الاذعية ، من تسدية حبالها ، وتوجيه جهاز التلقي نحو المنصة التى اقتعدها الدكتور .

واستطاع بلباقة ان يقول ما يريد، وان لا يسخط القوم بما يريد ، فكانت المحاضرة طريفة معبرة عن اخلاق الانجليز المتناقضة فى ذاتها وان بدت للناس ، انها ثابتة فى طبيعتها ، فالانجليزي له داخل وخارج، متناقضان تمام التناقض ، فهو فى مظهره الخارجي محافظ متزمت ، ولكنه فى داخله ، وحينما يخلو الى نفسه ، متمرد متحلل متخلص من تلك التقاليد التى ظهر بها .

وهكذا تخلص الدكتور من تيارات مكتسحة لغيره ، وظل الى حين قائما فى محرابه معتكفا على رسالته لا تهزه الزعازع السياسية . غير ان هذا الموقف لم يستمر معه ، بل ان الوزارة اسندت رئاستها الى الزعيم المرحوم مصطفى النحاس . وزعيم الوفد ، كان او كان حزبه فى سياسته ، يطغي كل الطغيان ، على كل شيء ، فكان زعيمه او كان عليه ، ان ينسى انه رئيس دولة ، لا بد ان يراعي مختلف النزعات ويحترم ، الى حد ، مختلف الاتجاهات ، ولكنه كان ، كما تفرضه سياسة الحزب ، ينسى انه رئيس دولة ، فيسخر للحزب كل ما فى الوجود ، ويعبيء له كل الطاقات ، ويحاول ان يستغل له كل الشخصيات .

وانطلاقا من هذا ، وجدنا الدكتور طه يستدرج شيئا فشيئا ، فيكشف عنه القناع ، واذ هو وفدي متطرف ، بعد ان كان معتدلا او متقنما فى وفديته ، فصار الدكتور فى ركاب رئيس الوزارة ، الزعيم الوفدي ، فعلمنا لاول مرة انه كان وفديا ، وانه لم يزد على ان رفع العقيرة ، فصار يخطب فى المحافل والمواقف، التى كانت للزعيم مصطفى النحاس .

وما زلت اذكر انه خطب مرة ، فى حفل حضره الزعيم بمدينة الاسكندرية ، فقال : « ان الزعيم مصطفى النحاس ، امير المومنين ، وان الملك فاروق، امير الشباب » وعقب عليه الزعيم النحاس ، بأن

« الدكتور طه ، اديب .. لا حرج عليه فيما يقول .. او نحو هذا ..

لقد كانت هذه الوزارة محنة لحزب الوفد ، الذى فارقه سكرتيره القدير ، مكرم عبيد ، وانشق الحزب على نفسه ، والف مكرم حزب الكتلة ، الذى انضم اليه عديد من الوفديين وخصوصا الاقباط . وهوى الزعيم مصطفى النحاس فى هوة سحيقة ، وقد انساق الى قرينته من عائلة الوكيل الشهير بالعصبية والفنى ، فكان من هذه الاسرة وزراء ، كفؤاد سراج الدين ، وكان من الاقرباء عمداء ، كالدكتور استاذنا المرحوم حسن ابراهيم حسن ، بل ان الامر انتهى الى هذا الحد ، ان صاحبة العصمة ، ذهبت وزوجها لزعيم الى المندوب السامي ، او السفير الانجليزي لتلتقط لهم جميعا صورة فتوغرافية ، والسفير يتوسطهما ؛ وصاحبة العصمة تتابطه مائلة راسها اليه والسفير متأفف من هذه المودة .. وهما منشرحان مبتهجان لهذه الفرصة التى نالاها وسجلتها لهما عدسة « الكامرا » ..

واصبح الناس يهمسون ، وينتقدون الرئيس وباقي الوزراء ، وخصوصا وزير الداخلية ، فؤاد سراج الدين ، ووزير المالية امين عثمان كما صار رجال الكلية يتذمرون من عميدها ، وينتقدونه اشد الانتقاد ؛ لانه استقبل وزير الداخلية ، الذى اتى الى الكلية متطوعا بالقاء محاضرة فيها ، فاستقبله العميد عند مدخل الكلية ، وحمل عنه معطفه ، فعد هذا اعظم اهانة تصاب بها كلية الاداب .

وما اقيلت الوزارة ، حتى كان مجلس الكلية ينعقد ، وتحضره نيابة الحكومة ، ويوخذ فيه العميد على هذه الاهانة ، فيبعد عن العمادة ، وينتخب بدله ، استاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام ، رحمه الله .

وخفت من آنذاكم صوت الوفد الجهوي ، واستخذى زعيمه ، مع اتباعه ، بعد اقالته من الوزارة ، التى تقلد رئاستها احمد ماهر ، رحمه الله، وكانت النذر تنذر باحداث كبار ستواجهها مصر ، وكانت سلسلة من العواصف والزوابع ، سبقها اغتيال او مصرع احمد حسنين باشا ، رئيس التشريفات بالقصور الملكية ، فى حادث سيارة ، كان يسوقها بعض جنود الانجليز ، وكان الغموض يحيط بهذا الحادث الذى اتهم فيه الانجليز ، كما اتهم غيرهم به، او بالتواطؤ فيه ..

ثم اغتال بعض الوطنين المتحمسين ، وزير المالية سابقا ، امين عثمان لتطرفه فى الميل الى الانجليز ، اصهاره ، ولقولته المأثورة « الانجليز تزوجوا مصر زواجا كاثوليكيا لا طلاق فيه » .

ثم اغتيل احمد ماهر ، من بعض المحامين ، لاعلانه الحرب على « المحور » ، اواخر الحرب العالمية ، وكان الوزير الرئيس يرى كسبا لمصر فى هذا الاعلان ، الذى كانت تركيا ايضا ستعلنه ولكن المحامي راى فيه خروجا عن المبدا الوطني المحايد .

ثم اغتيل محمود النقراشي ، وهو رئيس للوزارة ، اغتاله بعض الاخوان المسلمين ، واحد الطلبة بالطب البيطري ، بسبب تضييقه على الاخوان، الذين استمر نشاطهم المسلح ، بعد وقف القتال بفلسطين .

ثم اغتيل الزعيم المصلح ، المرشد للاخوان ، حسن البنا ، اغتيل فى وزارة ابراهيم عبد الهادي ، وكان ذلك بايعاز منه ، ولا شك فتقذى بهذا الرجل ، قبل ان يتعشى اصحابه بجثته .

اما الاحزاب ، عامة ، فقد قبعت فى عقر دارها، او فتر نشاطها، وانهمكت الوزارات المختلفة الرئاسة، فى المفاوضات مع الانجليز الذين فتكوا ، فى عهد اسماعيل صدقي ، بعشرات المتظاهرين ، فقتلوا برصاصهم ما يزيد على مائة صريع ، وهدد اسماعيل بنسف تكنتهم ..

واشتد الخناق على الاخوان المسلمين ، فشتت شملهم وصودرت اموالهم ، وبددت شركاتهم التجارية ، التى كانت تزود حركتهم ..

وصارت الاحداث تطوي الزعماء شيئا فشيئا ، وهم فى سكرات الاحتضار الطبيعي ؛ فلم يكن لهم عند الانقلاب خطر يحسب حسابه فدفنوا دفنا ادبيا، الى الابد، ونسيهم الناس ، ولفظتهم ذاكرتهم ، فى العهد الجمهوري .

ولكن زعماء الادب بقوا على حالهم ، واصداؤهم تدوى فى كل مكان ، بينما لم نعد نسمع لاولئك الزعماء السياسيين ركزا .. فعاد الدكتور طه، الى احضان الجامعة ، التى اسندت اليها رئاستها بالاسكندرية ، وهي جامعة فاروق الاول سابقا ، بل وصل الدكتور طه الى ما لم يصل اليه ، مثله ، فى حقب التاريخ العالمي على الاطلاق ، فكان طه حسين

الاعمى وزير يطلع على التاريخ ، وذلكم فى العهد الملكي . .

لقد ذكر ناصر خسرو الفارسي ، فى رحلته « سفر نامه » ان ابا العلاء المعري ، كان له سلطان على مدينته ، معرة النعمان ، فاستغرب الناس هذا ، ولم يذكره غير هذا المصدر الفارسي . ولكن الامر بالنسبة لطه ، تعدى السلطة الاختيارية ، على مدينة المعرة ، الى سلطة عظيمة رسمية ، فى تقلد وزارة لدولة كانت وما زالت أرقى دول الاسلام ، فى العصر الحاضر : وزارة عويصة التسيير ، معقدة الادارة ، الا وهي وزارة التعليم او وزارة المعارف العمومية ، التى هي فى الواقع قلب الوزارات ، بل قلب الامة النابض ، الذى لولاه لما كان العشرون مليونا آنذاك تدار دواليبهم بالمعرفة والقدرة والفنية ، التى تدار بها دواليب الامم المتحضرة الراقية .

كان طه حسين ، معجزة العصر ، يتقلد هذه الوزارة ، بحنكة ماهرة وخبرة بالغة وعقل واع ورأي متبصر حصيف ، ولما تبدلت الامور لم تتبدل بطه ولم تتغير به الاوضاع ، بل استمر يتقلب فى المناصب السامية ، مثل رئاسة اللجنة الثقافية بالجامعة العربية ، التى منحت جنسية الامة العربية عامة ، ومثل العضوية او الرئاسة فى مجامع ثقافية كالمجمع اللغوي والمجمع العلمي المصري ، ومجامع اخرى فى الشرق والغرب .

انه طه حسين ، مفخرة العقل المعاصر العربي، واستاذ الادب له بلا منازع ، وواضع منهاج البحث الحق فيه ، ومشرع الابواب التى كانت موصدة من ذي قبل ، او لم يكن لها وجود بالمرة ، وموسع الآفاق التى ما كانت تحيط بها الانظار ، او تطمح اليها .

فرحم الله فقيدنا رحمة واسعة ، لقد ترك فى الدنيا دويا ، دونه الدوي الذى قال فيه المتنبي :

وتركك فى الدنيا دويا كانما
تناول سمع المرء انمله العشر

تطوان ـ محمد بن تاويت





1 ـ ربما قيل عن الثورة الكبرى ضد الانجليز فى منتصف القرن الماضي انها كانت ثورة الجنود المرتزقة فحسب ، والحقيقة انها كانت ثورة شعبية عامة ، فقد كان قلب كل مواطن يغلي كالمرجل بالاحقاد التي أثارها المستعمر الغاشم بسياسته فى مختلف ميادين الحياة ، ولذلك لم تبق اية طبقة من طبقات العوام والخواص الا واشتركت فى الثورة وتضافرت مع الجنود وتجمعت حول راية الملك المغولي الجالس على عرش دهلي هاتفة بالتخلص من ربقة الاستعمار واستعادة الحرية والكرامة القومية ، حقا كان للجنود فضل المبادرة الى الثورة والنصيب الاوفر منها فانهم كانوا أشد تعرضا لغطرسة الانجليز واكثر اطلاعا على نوايا المستعمر ضدهم ـ لقد كانت الجندية مهنة متوارثة بالنسبة لكثير من الشبان المنخرطين فى خدمة الجيش الانجليزي ، وكانت للجندية تقاليد ثابتة الفها الناس ايام الحكم المغولي ، منها ان الجنود المرتزقة لا يرجى منها ان تتخلى تماما عن معتقداتها الخاصة وعوائدها الدينية والاجتماعية ، فالمسلمون تو ما دخلوا الهند استخدموا الهندوس فى جنودهم ، وقد ذكر فى هذا الصدد ان جيش محمود الغزنوي كان يشمل فرقة مكونة من الاهالي الهندوس ، ولم يكن ذلك بدعا فان القواد المسلمين امثال قتيبة بن مسلم وموسى بن نصير اتخذوا تلك الخطة بالذات فى ما وراء النهر وشمال افريقيا ـ على كل حال استخدم المسلمون اهالي البلاد فى جيشهم الا انهم لم ينسوا ابدا ان اهالي البلاد ليسوا مرتزقة تماما ولذلك لم يلجأوا الى القسر ولم يزجوا بأهالي البلاد فى الحرب الا اذا وثقوا من ولائهم للقواد والملوك المسلمين عن رضى وطواعية ـ اما الانجليز فهم لم يقدروا ان المرتزقة لم يبالوا بالاشتراك فى القتال ضد الامراء المحليين ما دام الملك المغولي محتفظا بمكانته السامية كرمز لاستقلال البلاد وحريتها ولكنهم سوف يندفعون فى الثورة اذا اتضح لهم ان الانجليز لا يقنعون الا باغتصاب الحرية والاستيلاء على العرش ، ومن الملاحظ ان جماهير المسلمين والهندوس ، حتى رجال الحكم والادارة ظلوا فى غفلة وسبات لا يعبأون بأمر الانجليز الى ان بلغ السيل الزبى واتسع الخرق على الراقع ـ على كل حال لما افتضحت نوايا الانجليز ولم يبق شك فى ان القتال مع الانجليز انما يعني القتال ضد الوطن وضد المصالح الدينية ، اذذاك نشأت فى نفوس المرتزقة عقدة سببت لهم الما روحيا واوغرت صدورهم ، كما ان الامراء والعوام ايضا تنبهوا الى خطر الانجليز ولو بعد فوات الاوان فانقلبت اهواؤهم واتحدت نياتهم مع نيات الجنود ـ هذا وقد مضى الانجليز فى غلوائهم فاساءوا معاملة الجنود وحرموهم من الترقية الى المناصب العالية فى الجيش ، وربما احالوا على المعاش كل من أثبت كفاءته لنيل رتبة عالية، كما انهم ساروا على خطة التمييز بين العنصرين الابيض والاسود فى الاجور والمرتبات ، فان الانجليزي كان يتقاضى اضعاف اجر الهندي لخدمة معينة بالذات وكثيرا ما كان الانجليزي ينادي ملازمه الهندي ب : « الرجل الاسود » متعمدا اذلاله واهانته ، واخيرا

اصدر الانجليز أمرا باجبار المرتزقة الهندوس على تأدية الخدمة العسكرية خارج الهند وعبر البحار ، وقد كان محظورا فى شريعتهم

فالفرض ان الجنود كانوا اكثر تعرضا للذل والهوان واشد تألما من الاجراءات التعسفية على يد الانجليز ، ثم انهم كانوا اقدر على وسائل الثورة من الاسلحة وما اليها ، ولذلك كان من الطبيعي ان يكون لهم فضل المبادرة اليها حتى تنهض عامة الشعب معهم الا انه لا يستطيع احد ان يغفل الدور الذي لعبه الشعب فيها .

2 ــ لقد تضافرت عوامل عدة ــ وطنية واقتصادية ودينية ــ لاشعال نار الثورة التي كان الغرض منها لا يقتصر على ما يمس مصالح الجنود فقط ، بل يتعداها الى التخلص من ربقة الاستعمار واسترداد الحرية والكرامة القومية .

حقا لقد كان الغاء امارة « أود » وضمها الى المقاطعات التي يحكمها الانجليز حكما مباشرا صدمة عنيفة بالنسبة الى جميع المواطنين من المسلمين والهندوس فانهم تنبهوا اذذاك الى حقيقة واضحة للعيان ، وهي ان الانجليز لا يقنعون الا بالاستعمار والاستبداد بالحكم ، الا ان القضاء على امارة لكنو « أود » أضر بمصالح الجنود وأثر فى نفسياتهم بوجه خاص ، فان الاطاحة بعرش لكنو أستلزمت تسريح الجنود التابعة لها ، وكانوا عددا ضخما يرتبطون بالولاء الخاص للعرش الذي أصبح بمثابة رمز للاستقلال والحكم الذاتي برعاية المسلمين فى البلاد ، فلما خلع الانجليز آخر ملوك « أود » ــ وكان اسمه واجد علي شاه ــ عن العرش اصبحت الجيوش التابعة له تعاني الم البطالة وضيق العيش بالاضافة الى الصدمة النفسية ، ثم ان هؤلاء العاطلين المشردين أصبحوا كلا وعيالا على اقربائهم الذين كانوا منخرطين فى خدمة الجيش الانجليزي فى بنغالة والمقاطعات الاخرى ، ومن المعلوم ان صلة الرحم فى ذلك الزمان لم تكن فضيلة نادرة بل كانت فرضا وامرا عاديا فى نظام الاسرة المتماسكة القائم على المواساة فى السراء والضراء .

هكذا اصبح الجنود المنخرطون فى خدمة الجيش الانجليزي يشاركون اقرباءهم من جنود واجد علي شاه آلامهم بعد فصلهم عن الخدمة وسد ابواب الرزق عليهم .

3 ــ ومن المصادفات ان الانجليز زودوا جنودهم بعلب الرصاص المطلية بالشحم وكان عليهم ان يقطعوا اطراف العلب بأسنانهم قبل تركيبها داخل البندقية ، وبما ان علب الرصاص كانت تصنع محليا فقد شاع الخبر وانتشر بين الجنود ان الشحم شحم البقر والخنزير ، ومن المعلوم ان الهندوس يقدسون البقر كما ان المسلمين يعتبرون الخنزير رجسا فلا شيء اكثر تجريحا لمشاعر الهندوس والمسلمين من مزاولة شحم البقر والخنزير ولا سيما تقريبه من افواههم .

فالفرض ان هذا الخبر احدث رجة عنيفة بين الجنود الذين اعتبروا هذا العمل مثالا آخر لتهاون الانجليز بمعتقداتهم وعوائدهم الدينية ، بل تعمدا منهم لافساد دينهم واجبارهم على الخروج من معتقداتهم ، فاختمرت فكرة الثورة عند الجنود دفاعا عن دينهم ووطنهم ، ولم يبال الانجليز فى غطرستهم برد فعل الجنود لهذا الخبر فى اول الامر ، ثم رأوا من المصلحة ان يطلعوا عليهم ببيان ان ما يقال عن الشحم غير صحيح وان الشحم ليس شحم البقر ولا شحم الخنزير ، والواقع ان هذا البيان كان مبنيا على الكذب وكذلك اعتبره الجنود كذبا فتصلبوا فى موقفهم ، ثم انهم رأوا ان عدد الجنود الانجليز لا يعدو ستة واربعين الفا بينما عدد الهنود فى الجيش الانجليزي يربو على اثنين وثلاثين ومائتي ألف ، والجنود الانجليز مفرقون فى انحاء البلاد المختلفة ، فتشجع الهنود على الثورة ، ومما يذكر في هذا الصدد ايضا ان الهنود نظروا الى المخترعات الحديثة كسكة الحديد والتلغراف والتلفون لا كوسائل لتحسين المواصلات بل كوسائل لتضييق الخناق عليهم ، والحق ان هذا التأثر لا ينطوي على الجهل او سوء الفهم او التعصب ضد المخترعات الحديثة ، بل هو تعبير صادق عن الاغراض التي استخدم الانجليز هذه المخترعات لها فى المرتبة الاولى .

فهذه هي العوامل الدينية والوطنية والنفسية والاقتصادية التي حملت الجنود وعامة الشعب معهم على الثورة .

4 ــ قامت الثورة فى شهر مايو سنة الف وثمانمائة وسبع وخمسين الميلادية ، الا ان بوادر الثورة بدأت تظهر شيئا فشيئا منذ مطلع تلك السنة ، فقد حدث فى معسكرات عدة فى بنغالة والمقاطعة الشمالية ان رفضت الجنود مزاولة الخراطيش المطلية بالشحم وتمردوا

على قوادهم الانجليز واعلنوا بصراحة وصرامة عزمهم على الدفاع عن دينهم ووطنهم متخذين من امر الخراطيش المطلية بالشحم رمزا وآية ملموسة لكيد الانجليز ضد معتقداتهم ومقدساتهم .

حدثت حوادث عديدة من هذا النوع في معسكرات مختلفة الا انها كانت فردية غير جماعية ولا منظمة قبل شهر مايو وعالجها الانجليز بمحاولة الافهام والاقناع من جانب ، وبالتنكيل والتعذيب من جانب آخر ، فانهم أولا طلعوا ببيان ان الاشاعات عن شحم البقر والخنزير مختلقة لا أساس لها ، وثانيا أكدوا للهنود المتشككين ان لا حاجة الى قطع اطراف الخراطيش بالاسنان حتى ولو كان الشحم شحم البقر والخنزير ، وفي الوقت نفسه لجأوا الى افظع وسائل التعذيب والتنكيل بالمتمردين ظنا منهم ان القتل والارهاب سيقضي على الفتنة قبل استفحالها .

ولكن كانت النتيجة بالعكس تماما ، فلم يقنع احد بأن الشحم ليس شحم البقر والخنزير ، ولا سيما اذا كانت لخراطيش تصنع محليا في الهند ولم يكن امرها ليخفى على احد ، ثم ان احدا من الهنود لم يكن مستعدا لتعاطي تلك الخراطيش المشكوك في نظافتها حتى ولو لم يضطر الى تقريبها من الفم والاسنان .

واخيرا احدثت وقائع القتل وتعذيب المتمردين رد فعل عنيف بين الجنود الساخطين والهبت روح الحماس فيهم على خلاف المأمول .

ومن أشهر تلك الوقائع المثيرة وقعة (منجل باندي) الجندي البطل الذي ثار في وجه قائده الانجليزي في احدى المعسكرات ببنغالة فصلب بدون ادنى تقدير للبواعث الدينية والوطنية التي حملته على المخاطرة بحياته ، ثم ان الانجليز ذهبوا الى ابعد من ذلك حتى انتقموا من الفرقة بأسرها لعمل فرد واحد ، فكانوا يسرحون ويفصلون عن الخدمة جميع الجنود المنتمين الى الفرقة التي يظهر فيها متمرد واحد ، وانما كانوا بذلك يزيدون في عدد العاطلين الحانقين على الاستعمار الاجنبي ، واستمر الحال هكذا الى الى شهر ابريل ، وفي اواخر ذلك الشهر تقدمت فرقة كاملة مكونة من تسعة وثمانين جنديا ما عدا اربعة منهم فرفضت تنفيذ الاوامر الخاصة باستعمال الخراطيش المشكوك فيها ، فلم يكن من قواد معسكر (ميرت) على بعد ستة وثلاثين ميلا من دهلي الا ان جردوا المتمردين من الثياب وكبلوهم وزجوا بهم في غياهب السجن ، وقد فات على الانجليز ان هذه الظاهرة كانت باكورة حركة جماعية ضدهم بعدما انتقلت من طور الاعمال الفردية ، فكانت النتيجة ان انطلقت الطلقات الاولى في ثورة عامة من قبل الجنود المرابطين بمعسكر (ميرت) في اليوم العاشر من شهر مايو سنة 1857 . وكانت مفاجأة بالنسبة الى القواد الانجليز الذين سرعان ما غلبوا على امرهم فأسروا وقتلوا ، وتمكن الثوار من التخريب والتدمير في معسكر (ميرت) وهاجموا ابواب السجون فكسروها وافرجوا عن زملائهم المعتقلين فيها بعد ان حطموا اغلالهم ، ولكن هذه البادرة انما كانت بمثابة حركة تلقائية في نطاق محلي فقط ، واصبح لزاما على القائمين بها ، اذا ارادوا ان يتجنبوا عواقبها الوخيمة ، ان يبرزوا اهدافها القومية وينظموها على نطاق شامل حول شخصية محترمة لدى جميع المواطنين على اختلاف مللهم وطبقاتهم ، فمن الجدير بالذكر والاشادة به ان الثوار اندفعوا من (ميرت) رأسا الى دهلي ، كأنهم استرشدوا عاطفتهم ووجدانهم بدون ان يحتاجوا الى التأمل او التفكير في الموضوع الخطير ، فلما وصل الثوار الى دلهي طوقوا القلعة الحمراء وطلبوا من الملك المغولي بهادرشاه البالغ من العمر ثمانين سنة ان يتقلد أعباء الزعامة لثورة عامة ضد الانجليز - تلك الزعامة التي لم يكن يصلح لها الا هو .

5 - تنبه الثوار بعد استيلائهم على معسكر (ميرت) الى ان الثورة انما انطلقت بصورة تلقائية عفوية ولم يسبقها التنظيم وتنسيق الجهود وتدبير الوسائل اللازمة لتحقيق الهدف القومي والوطني ، فاتجهوا قبل كل شيء الى خلق زعامة شعبية وقيادة عليا بيد شخصية محترمة حق لها أن تتكلم باسم جميع المواطنين وتطالب المستعمر بالجلاء عن ارض الوطن ، ولم يفكروا قط في اختيار شخصية اخرى غير الملك المغولي الجالس على عرش دهلي حتى انحدروا رأسا الى العاصمة التي كانت منذ قرون متوالية رمزا لوحدة البلاد واستقلالها وضمان حقوق اهلها ، فلما وصلوا الى دهلي طوقوا القلعة الحمراء بجموعهم وطلبوا من الملك المغولي ان يتقلد زعامة الحركة القومية وقيادة الثورة المسلحة ضد الانجليز ، وكان الملك المغولي ، بهادرشاه ، ضعيفا هرما بلغ من العمر ثمانين سنة وسئم تكاليف الحياة وعانى من الانجليز ما عاناه من غصب الحقوق الملكية في الحكم والادارة والجباية وحرمان اولاده واعقابه من الالقاب الملكية ، ولا غرو انه كان ايقن بزوال سلطته ويئس من النجاح في مقاومة الانجليز بعد ان وطدوا دعائم حكمهم بقوة السلاح والقهر والارهاب والمكر والدسيسة والخداع ، فلم

يكن له هم ولا شغل غير التلهي بقرض الشعر وبث احزانه ولوعاته فى أبيات مثيرة للدموع حقا ، فتلكأ الملك المغولي ، بهادر شاه ، فى الامر بينما حاول الحكام والقواد العسكريون من الانجليز فى دهلي وما حواليها باقصى ما فى وسعهم ان يقمعوا الثوار ويمنعوهم من الوصول الى القلعة الحمراء والاتصال بالملك ويقضوا على ما اسموه « غدرا » من الجنود والمرتزقة بالتعذيب والتنكيل قبل اتساع نطاق الفتنة واستفحال أمرها ، الا ان الانجليز فشلوا فى محاولتهم تلك فشلا ذريعا، فسرعان ما غلبهم الثوار على امرهم وانهالوا عليهم بالضرب والقتل حتى لاذوا بالفرار بعد ان اشعلوا النار فى مخازن الاسلحة والمواد المتفجرة ، فلما انسحب الانجليز من منطقة دهلي وما حواليها واستولى الثوار عليها بدون منازع، لم يكن للملك المغولي بد من الخضوع رادتهم ، فاعلن الحرب السافرة ضد الانجليز بصفته الوارث الشرعي لعرش دهلي والسيد المسود من قبل اهالي البلاد ، واتخذ خطوات دستورية وحكومية بحيث تلائم الاحوال الجديدة وتؤدي الى تحقيق الغرض المنشود ، فالف حكومة من المدنيين والعسكريين واتفق معهم على دستور للاعمال الادارية والحربية ، فهكذا تبلورت اهداف الثورة واتسع نطاقها واصبحت لها قيادة محترمة ، فكان لهذه الاحداث رد فعل سريع فى جميع طبقات المواطنين الهنود ، ولا سيما فى المقاطعات الشمالية ، فلم يلبث الامراء ان أعلنوا تأييدهم للثورة كانهم كانوا منتظرين الفرصة المواتية لها ، كذلك تشجعت الجنود المرتزقة من الهنود فى معسكرات شتى فانضموا الى جماعة الثوار وآذنوا بخروجهم عن طاعة الانجليز وعملوا فى معسكراتهم مثل ما عمله اخوانهم فى معسكرات (ميرت) من أعمال العصيان والتخريب وقتل الانجليز وأسرهم ، وبعد ذلك انتقلت العدوى الى جمهور الشعب فبدا الناس يتطوعون للجهاد بروح الحماس الديني وكونوا فرقا اسموها « فرق الغزاة » لتؤازر القوات النظامية .

هكذا اصبحت الثورة ثورة شعبية شاملة مع كون اهدافها واضحة مفهومة لدى الجميع ، ولا يخفى ان الثورة كانت اشبه شيء بحرب نظامية يقودها ملك شرعي يتمتع بثقة الشعب ضد مستعمر لا حق له فى حرمان الاهالي من الحرية والكرامة والتعمد لاذلالهم.

نعم ! تضامن الملك المغولي ، بهادر شاه ، وكثير من فرق الجنود المتمردة مع أمراء عدة مقاطعات ولا سيما فى المنطقة الشمالية ، وفرق المتطوعين الغزاة من جمهور الشعب، الا ان بعض امراء «السيخ» وفرق « كوركا » المنتمين الى الامارات الواقعة بسفح جبال همالايا ما زالوا متمسكين بولائهم للانجليز .

6 — على كل حال لم يسع الثوار بعدما اطلقوا الرصاصة الاولى ان يتراجعوا عن خطة الحرب والنضال الى آخر الشوط بدون ان يتمهلوا للاقناع وكسب التاييد وبدون ان يحسبوا حسابا دقيقا للنتائج والعواقب ، فمضوا قدما فى تعبئة قواتهم وتدبير امورهم . وفى هذا الصدد تقدم الثوار الى الملك المغولي بطلب ان يسند لواء الحرب الى الامراء من اولاده ، وربما ظنوا ان وجود اولاد الملك على راس الفرق المقاتلة فى غمار الحرب سيكون سببا لالهاب روح الحماس فى الجنود وعامة الشعب على السواء ، فاحجم الملك عن الاجابة لطلبهم لانه كان يعرف تماما ان اولاده لم يكن لهم عهد بالقتال وتدبير الحرب ، الا انه رضخ لهم اخيرا فعهد الى اولاده بقيادة الجيوش بينما جمع الانجليز فلهم خارج دهلي واستعدوا للاستيلاء على العاصمة مرة اخرى .

7 — طبعا راى الملك المغولي فى الثورة نوعا من الارتجال والمجازفة فتلكأ فى الامر لكنه لم يجد بدا من أن يلعب دوره الخطير بجد وثبات ، فكتب الى الامصار يدعو الناس الى المطالبة بحقهم فى الاستقلال والحرية والكرامة، مما احدث رجة عنيفة وادى الى اعمال الثورة والتدمير فى معسكرات وامصار شتى ، وفى هذه الاثناء هاجم الثوار مراكز الانجليز فى دهلي وما حواليها واضطروهم الى الفرار .

نعم ! تم الاستيلاء على العاصمة بسرعة وسهولة الا ان الانجليز تمكنوا من جمع قواتهم وحشد انصارهم خارج العاصمة ، فكانت النتيجة ان تحصن الثوار داخل اسوار المدينة بينما حاصرها الانجليز من الخارج واتخذوا التدابير العاجلة لجلب قواتهم المبعثرة فى البلاد ، اما الملك المغولي فقد صادف مشكلتين عظيمتين فى بداية الحرب وهما مشكلة المحافظة على الامن والنظام وتأمين طرق المواصلات بوضع حد لاعمال النهب والسلب التي بدا الغوغاء ودهماء الناس يرتكبونها فى اعقاب الثورة ، وثانيا مشكلة تدبير الاموال اللازمة لمواصلة الحرب وتوسيع نطاقها لان الانجليز كانوا قد اغتصبوا واستأثروا بموارد الدولة منذ أمد بعيد ولم تكن خزائن الملك الخاصة تفي بحاجات الحرب ، وكان معظم الثوار يشاغبون ولا يصبرون كلما تأخرت المرتبات والمصاريف المطلوبة ، على كل حال بذل الملك اقصى جهده وضحى بجميع

امواله ومدخراته فى سبيل الحــرب حتـــى بـــدات المناوشات بين الفريقين ورجحت كفة الثوار فى كثير من المعارك ، فاستمر الحصار لمدة اربعة اشهر ، عانى الثوار خلالها ، لا هجمات الانجليز المتزايدة فحسب ، بل الخيانة من قبل بعض الطوائف الاهلية مثل السيخ و « كوركا » ايضا .

واخيرا فى العشرين من سبتمبر تمكن الانجليز من التغلب على الثوار فى معركة دامية حاسمة حتى دخلوا المدينة وعاثوا فيها كما عاث التتار فى بغداد يوم سقــوطهـــا .

سارع القواد الانجليز توما دخلوا العاصمة الى القبض على الملك وأولاده ، وكان الملك بهادرشاه لما احس بالهزيمة اختفى بمبنى ضريح همايون بضاحية دهلي ، وهناك في مخبئه الح عليه احد قواده الاوفياء اسمه بخت خان ان يهرب معه الى بعض مناطق (أود) حيث كان الناس مستعديـــن ليؤازروه وينصـــروه ويهيئوا له الاحوال الملائمة لمواصلة الجهاد ضد العدو الذي لا يرجى منه هوادة ولا رحمة ، ولكن احد أقربائه اسمه الميرزا الهى بخش كان قد تآمر سرا مع الانجليز فأشار على بهادر شاه ان يكف عن المقاومة ويسلـــم نفسه للانجليز ، وما زال يفتل فى الذروة والغـــارب حتى رفض بهادر شاه قبول النصح من بخت خان ووقع فريسة للدس من قبل الهى بخش .

واخيرا وصل القواد الانجليز الى ضريح همايون فألقوا القبض على بهادرشاه وراحوا به مكبلا مهانـــا ليعذبوه وينكلوا به بعد ان طاردوا أبناءه الذين تولوا قيادة الثورة فأبادوهم رميا بالرصاص، ولما اطمأنوا الى انه لم يبق هناك وارث شرعي يطالب بعرش المغـــول اصدروا أمرهم فى شأن بهادرشاه بنفيه الى رنجـــون عاصمة بورما .

هكذا انتهت دولة اباطره المغول الذين دخلـــوا الهند لا ليستعمروها بل ليستوطنوها قرونا عديـــدة متوالية ونشروا فيها لواء العدل وسعـــوا لتنميـــة اقتصادها بالصناعات الفائقة والتجارة العالمية كمـــا انهم اقاموا للعلوم والآداب سوقا نافقة ، فـــلا غرو أن اصبح آخرهم ، أعني بهادرشاه ، رمزا للحرية والكرامة القومية وقائدا للثورة ضد الاستعمار الاجنبي ، وهو فى ثقافته وادبه وشعره انما يذكرنـــا بالمعتمـــد بن عبـــاد الذي لاقى مصيره فى اغمات كما قضى بهادرشاه آخر ايامه فى رنجون .

8 ــ انتهت الثورة فى مهدها وفى مقر قيادتهـــا ولكن نهاية الثورة كانت بداية النكبة بالنسبة الى عامة الشعب ، فان الانجليز لجاوا بعد دخولهم العاصمـــة مباشرة الى اعمال الفتك والنهب والسلب والتشريد عمدا على نطاق واسع ، مما اضطر السكان الى الجلاء عن المدينة والاقامة فى العراء معرضين للجوع والبرد بينما اوغل المفسدون فى هدم البيوت والتنقيب عن الثروة المخلفة فيها ، ومن الثابت انهم لم يتركوا بيتا فى حي الاشراف بين المسجد الجامع والقلعة الحمراء الا خربوه ، ثم انهم لم يتورعوا من انتهـــاك حرمـــة المساجد ، فعمدوا الى تحويل المسجد الجامـــع الى رباط الجنود كما انهم انتزعوا عدة مساجد اخرى مـــن ايدي المسلمين ولم يردوها اليهم الا بعد برهة مـــن الزمن ، ومما يحز فى القلب ايضا ان القصر الملكـــي كان يحتوي على مكتبة فاخرة بنفائس الكتب اعتنـــى بجمعها كل من الملوك الذين تعاقبوا على عرش دهلـــي من ايام بابر وهمايون ، وربما استفاد العلماء الكبـــار امثال الشاه عبد العزيز من تلك المكتبة الملكية ، فلما نهب الانجليز وعملاؤهم القصر الملكي اتوا على المكتبة فاضاعوها وفرقوا نوادرها حتى دخل كثير منهـــا فى مكتبات انجلترا الخاصة والعامة وبعضها فى مكتبات باريس وبرلين .

وادهى وانكد من ذلـــك ان العلمـــاء والادبـــاء والشعراء اصبحوا بلا مأوى ولم يجدوا من يقدرهـــم ويرعاهم فضاقت عليهم سبل العيش فى دهلي حتـــى هاجروا الى الامارات المجـــاورة مثل (رامفـــور) والبعيدة النائية مثل حيدر آباد فى الدكن أي جنـــوب الهنـــد .

واخيرا رجع الاهالي الى مدينة دهلي فى مطلع السنة التالية اي سنة 58 بعد ان اقاموا خارجها فى العراء عدة اشهر ، سمح بالرجوع اولا للهنـــدوس وتبعهم المسلمون بعد بضعة أشهر ليستأنفوا الحياة من جديد فى ظروف قاسية للغاية .

الدكتور محمد يوسف
(جامعة كراتشي ــ الباكستان)

مساهمات إسلامية في الثقافة الإنسانية



للأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله

— 2 —

ألمعنا في مقال سابق الى المساهمة الاسلامية في الثقافة الانسانية ، وعرضنا في هذا الجزء الى طبيعة الوجود العربي في التراث الانساني ، مبرزين الدور الطلائعي الذى اضطلع به العرب خلال العصر الوسيط في نقل وتنمية والحفاظ على الثقافة اللاتينية الاغريقية وكذا الدور المحمود الذى لعبوه في نقل هذه المعطيات الثقافية الانسانية بعد تنقيحها وتمحيصها والاضافة اليها بما بلغته العبقرية الاسلامية في تلك العصور . ولقد كان للمغرب حظ موفور في هذه الحركة المباركة بالنظر الى انه لم يتأثر كثيرا بالحروب الصليبية التى دارت معاركها في الشرق وبالغزو البربري التتري الذى ضج منه المشرق العربي وكان مرحلة حاسمة في تاريخ الثقافة الاسلامية ، هذا الى انه وقف في وجه الغزو التركي بفضل موقعه الجغرافي وبسالة ابنائه والذين لم يتوانوا لحظة عن الذود عن حياضه وضمان حريته والحفاظ على اصالة حضارته وتراثه .

بيد أن الشرق العربي لم يستفق من سباته العميق الذى كان يغط فيه اثناء عهود الانحطاط حتى بدا وثبته الشهيرة التى عرفت بالنهضة العربية والتى هو مدين بها لنفر من الرواد من اصحاب الرأي السديد والنظر الثابت والغيرة على الفكر الاسلامي ولمعت في سماء الثقافة الاسلامية اسماء عديدة كان لها الفضل الاكبر في احلال الفكر الاسلامي مكانة ما فتئت ترقى في آفاق الفكر الغربي الحديث .

واذا كان الصليبيون قد استفادوا من احتكاكهم بالمسلمين اثناء الحروب والمواقع التى شهدها الشرق العربي ، فان الانتفاضة الاسلامية الحديثة قد يسرت للغرب فرص استكناه وتعمق المعطيات الروحية والحضارية التى تزخر بها الثقافة الانسانية . وازدهرت حركة الاستشراق وتكاثر عدد المستشرقين من مغرضين ومحققين ، وهذه دلالة لا يرقى اليها الشك على ان العالم الاسلامي ينطوي على قيم روحية واخلاقية وفكرية تستوجب البحث والتحصيل وتسد فراغا هائلا في حياة الفرد الغربي ، فلقد تبين ان الايديولوجيات الحديثة رغم توافرها وتباين اتجاهاتها لم تسد حاجة الافراد ولا وفت على الغاية . ولعل العقيدة الاسلامية التى تستمد اصالتها من القرآن الكريم والسنة النبوية كانت أبعث على الصمود في وجه الزحف الايديولوجي الخارجي .

ولقد ضربت النهضة الاسلامية موعدا مع بداية القرن التاسع عشر ، فتبارت الاقلام في وصف وتحليل الابعاد التى اتسمت بها النكسة العربية فانبرى امير البيان لدراسة الاسباب التى دعت الى تأخير المسلمين وتقدم غيرهم ، وتمرد الكواكبي على بعض الاعراف والتقاليد التى وقفت في وجه النهضة الاسلامية وصرخ بأنها ان كانت صيحة في واد فانها ستذهب يوما بالاوتاد ، واسهم جمال الدين الافغاني ومحمد عبده في هذه الحركة المباركة بما سنعود اليه بشيء من التفصيل .

والظاهرة البارزة في مرحلية النهضة الاسلامية أنها كانت تنزع دوما الى بعث التراث الاسلامي والرجوع الى منابعه ، فانبثقت عنها الحركة السلفية التي لقيت ترحابا في شمال افريقيا على الخصوص .

كما قبس الفكر الغربي عن الشريعة الاسلامية كثيرا من النصوص الهامة كان لها ابلغ الاثر على الهياكل القانونية . فانمحت بذلك الفوارق الاجتماعية وعاش الغني والفقير في وئام تام . والفضل في هذا راجع الى الدستور القرآني الذي نشر الوية الوفاق والسلام بين مختلف الطبقات الاجتماعية . وهذا التعايش المجمود ثمرة من ثمار الايمان المشترك بقداسة الرسالة المحمدية .

والواقع انه اذا كانت الاعصر الذهبية في تاريخ الاسلام تستهدف توسيع رقعة الدولة الاسلامية والقضاء على آثار التعصب والجهالة والتعطيل ، فان الامم الاسلامية اليوم ، بتضامنها وتلاحمها وتناسيها لبعض الاحقاد والضغائن الموقوتة ، تسعى جاهدة للتحصن وراء العقيدة والفكر الاسلاميين لحماية المكاسب الروحية والفكرية التي يقبل عليها الغرب دراسة وتحليلا وتحصيلا . فالاخوة الاسلامية غدت مضرب الامثال ، خاصة بعد ان كابدت من ويلات الاحتلال الشيء الكثير .

كان الشيخ محمد عبده من السباقين الى ابراز محاسن الاسلام ، اذ كتب ردا على فرح انطون في موضوع اتهام المسلمين باضطهاد اهل العلم قائلا : « انه لم يقع أي اضطهاد في تاريخ الاسلام الطويل باسم الدين ولا باسم الفكر او بالاحرى بدافعهما ، وان ما وقع من تقاتل بين الطوائف المسلمة لم يكن مصدره الا البواعث السياسية والتنافس على الحكم» وقارن بين موقف المسلمين من الحضارة والعلم وموقف المسيحية منها ، وفصل ما قامت به محاكم التفتيش في الاندلس مع المسلمين واليهود ، وما قامت به الكنيسة مع خصومها في روما الشرقية وفي بلدان الاصلاح الديني عند قيام البروتيستانية ، ثم بين ضيق الفكر عند المصلحين انفسهم ومقاومتهم لكل المبتكرات العلمية (من كتابه الاسلام والنصرانية) . كما أن الدكتور ابن عثمان قد صرح في كتابه عن الشيخ بأن له مجهودات فيما وراء الطبيعة تضاهي ما قام به سبينوزا وانه سبق للتمهيد (للفكر الحر) Libre pensée وقد قارنه بباسكال تارة وديكارت وكارليل تارة اخرى . ويقول الشيخ في رسالة التوحيد : « صاح القرآن بالعقل صيحة ازعجته من سباته ، وهبت به من نومة طال عليه الغيب فيها كلما نفذ اليه شعاع الحق خلصت اليه هيمنة من سدنة هياكل الوهم . هذا الى انه اطلق سلطان العقل من كل ما قيده ، وخلصه من كل تقييد كان استعبده ، ورده الى مملكته يقضي « فيها بحكمه وحكمته » . وجدير بالذكر مقالته ايضا في رسالة الاسلام والنصرانية : « ... وأما ما وصفت بعد ذلك من الجمود ، فهو مما لا يصح ان ينسب الى الاسلام ، وقد رايت صورة الاسلام في صفائها ونصوع بياضها ليس ما يصح ان يكون اصلا يرجع اليه شيء مما ذكرت ولا مما تنبأ بسوء عاقبته « رينان » وغيره ، وانما هي علة عرضت على المسلمين عندما دخلت في قلوبهم عقائد اخرى ساكنت عقيدة الاسلام في افئدتهم ، وكان السبب في تمكنها من انفسهم واطفائها لنور الاسلام من عقولهم هو السياسة كذلك (1) .

والواقع ان الدعوة التي حمل الشيخ لواءها تتلخص في تحرير الفكر من قيد التقليد وبصرف النظر عن الاصلاحات الجوهرية التي نادى بها في كتاباته الدينية بشتى الصحف والمجلات كالاهرام والوقائع والعروة الوثقى والمنار ، فقد تصدى لاصلاح اساليب اللغة العربية في التحرير سواء المخاطبات الرسمية او المراسلات بين الناس ، وتميزت مقالاته في العروة الوثقى (1884) بالجراة والايمان والدعوة الى مقاومة المستعمر والنفوذ الاجنبي وكان هو المحرر لكل ما نشر في اعدادها الستة عشرة التي هزت بريطانيا فحرمت دخولها الى مصر والهند . وفي « المنار » (1889) دعا الى تحرير العقيدة والعلم وكشف عن اصالة الاسلام وقدرته على مواجهة التطور والالتقاء بالحضارة .

ومن مآثره انه اتخذ من مقدمة ابن خلدون نقطة البدء في وقت كانت هذه الدراسات مجهولة مدفونة تحت تراب التقليد . ومنها استطاع ان يتحدث عن نهوض الامم وسقوطها واصول الحضارة والعمران البشري والاجتماع الانساني .

(1) دعوة الحق ـ العدد التاسع ـ السنة الاولى ـ الشيخ محمد عبده للاستاذ علال الفاسي .

ولم يزده اتصاله بالفكر الغربي الا ايمانا بأمته وبفكرها ، فقد كان قوي الحجة في رد الكيد ، يبدو ذلك في رده على جبرائيل هانوتو حيث يقول : ان الحضارة التي وصل اليها الاوربيون لم تصل اليهم الا مع المهاجرين الاولين الذين رحلوا اليها من البلاد الشرقية الآرية ، وان اليونان الذين سماهم مسيو هانوتو معلمي اوربا اقتبسوا مدنيتهم من مخالطة الامم السامية ، وبينما كانت اوربا لا تعرف مدنية غير التساقك في الدماء واشهار الحرب ، جاء الاسلام اليها حاملا معه علوم اهل فارس والمصريين والرومان واليونان بعد ان نظف جميع ذلك ونقاه من الادران .

تلك صورة خاطفة عن عبقرية الشيخ محمد عبده ، احد ائمة السلفية التي انتشرت في كل مكان من العالم الاسلامي وكان للمغرب دوره الفعال في قيادة حركتها . (2)

واغلب الظن أن الامام محمد عبده مدين بقسط لا ينكر من ثقافته ومواقفه الشهيرة الى فيلسوف الجامعة الاسلامية السيد جمال الدين الافغاني الذي كرع من فيض مدرسته الفريدة وان لم يتقيد بها او يسايرها الى النهاية .

ولد السيد جمال الدين الافغاني في قرية (سعد اباد) سنة 1254 هـ — 1839 م . ويتصل نسبه بالامام الترمذي المحدث المشهور رحمه الله ، ويرتقي الى سيدنا الحسين بن الامام علي كرم الله وجهه ؛ فهو من عائلة عريقة في المجد والشرف ، وبسبب ذلك كان رحمه الله يدعى بالسيد ، وكان فخورا بنسبته لآل البيت رضي الله عنهم . وهو على تمسكه بالسنة الصحيحة وسلوكه مسلك الصوفية حاول ان يعقد اواصر الفة ووحدة بين اهل السنة والشيعة قائمة على اساس المودة والتسامح . وقد اختار طيلة حياته ان يعيش حرا وان يسلك سبيل المصلحين . وقد اتفق اصدقاؤه واعداؤه على تلقيبه بالباعث الاول للروح العصرية في الاسلام . ويقول المستشرق جولد زيهير بأن جمال الدين بقلمه ولسانه كان اصدق ممثل لفكرة الجامعة الاسلامية . وقد اثر عن السيد انه قال : « ان العرب قبل انزال القرآن عليهم كانوا في حالة همجية لا توصف ، فلم يمض قرن ونصف قرن حتى ملكوا عالم زمانهم ، وفاقوا امم الارض سياسة وعلما وفلسفة وصناعة وتجارة ، وكل هذا لعمري لم ينتج الا عن هدي القرآن وارشاد القرآن . فالقرآن وحده الذي كان كافيا اليوم لاجتذاب الامم القديمة وهدايتها جدير ان يكون كافيا اليوم ايضا في اجتذاب الامم الحديثة وهدايتها .

ومن آرائه النيرة انه كان يقول : ان الاسلام دين علم عالمي ؛ قادر تمام القدرة على ملاءمة الظروف ، وكان يرى ان الاوروبيين مستعدون لقبول الاسلام اذا احسنت الدعوة اليه ، وان الامريكيين اقرب من الاوربيين الى قبول الاسلام .

وكانت وفاة السيد في الاستانة سنة 1315 هـ — 1897 م واحيطت موته بغموض كبير وجهلت اسباب هذه الوفاة . على ان احد تلاميذه الشيخ عبد الرشيد ابراهيم التتاري قد دخل عليه وهو في مرضه الذي مات منه ، فاشار اليه أن اقترب . قال الشيخ : فدنوت منه وكان لا يستطيع الكلام ، فاخذ ورقة وقلما وكتب فيها : « تشهد يا الله أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته : امتي ، أمتي . وأنا اقول : ملتي ، ملتي » . قال الشيخ : وبعد ساعتين من ذلك توفاه الله (3) .

ومن سعة صدره وقوة عارضته انه كان يؤمن بتضافر العقليات الشرقية سواء كانت مسلمة او مسيحية او يهودية للتحرر من الاستعمار الاوربي وطغيان المستبدين على اختلاف اسمائهم ، وقد تشرب حب الشرق حتى انه كان يقول : الشرق .. الشرق .. لقد خصصت جهاز دماغي لتشخيص ذاته وتحرى دوائه ، فوجدت اقتل ادوائه داء انقسام اهله وتشتت آرائهم واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف ، فعملت على توحيد كلمتهم وتنبيههم للخطر المحدق بهم .

وعندما سئل عن سماح الاسلام باعتناق المذاهب الاجتماعية المدنية كالاشتراكية مثلا ، اجاب: ان الاشتراكية كانت في الاسلام ملتحمة مع الدين ، ملتصقة به ، وباعثها حب الخير . أما الاشتراكية في الغرب فقد بعث عليها جور الحكام . وفي مجال

---

(2) دعوة الحق — يوليوز 1964 — في ذكرى الامام محمد عبده للاستاذ انور الجندي .

(3) دعوة الحق — عدد ممتاز — ماي 1970 — السيد جمال الدين الافغاني للاستاذ محمد العربي الشاوش .

المساواة بين الرجل والمرأة قال : المرأة في تكوينها العقلي تساوي الرجل ، والتفاوت بينهما انما جاء من اطلاق سراح الرجل وتقييد المرأة بالبيت . ولكل وظيفته وليس ثمة ما يمنع من ان تعمل المرأة خارج البيت اذا اضطرتها الظروف الى ذلك . ولا مانع من السفور اذا لم يتخذ مطية للفجور .

وكان من اثر الهزة العنيفة التي احدثها جمال الدين الافغاني في مصر ترددت اصداؤها خارج مصر ، انه حرر العقول من الجهل والاوهام ووجهها الى التفكير والتأمل وفتح فيها نوافذ تطل على الحضارة الانسانية والثقافة العالمية واقنع الشعب المصري بضرورة التعرف على مصدر قوة اوربا الطامعة في الشرق والعمل على تقوية الصف لمواجهة القوة بالقوة . ولم يقف عند هذا ، بل اثر في اسلوب الكتابة فكان ينادي بأننا لسنا في حاجة الى الكلمات اللغوية ولكننا في حاجة الى الكلمة التي « تنقر حبة القلب » !

وقد اقام جمال الدين منفيا في لندن عام 1883 ورامت السلطات البريطانية ان تكسب صداقته فعرضت عليه عرش السودان .. وقد سخر من هذا العرض وقال : ان عرش السودان للسودان ، فليس لكم ان تعطوه لاحد .

وفي باريس ، اتصل بتلميذه وصديقه الشيخ محمد عبده حيث اتفقا على اصدار جريدة العروة الوثقى . والحق ان هذه الاخيرة كانت سوط عذاب يلهب ظهور الدول الاستعمارية ورعشة تمشت في أذهان الشعوب الشرقية فهبت لتدافع عن كرامتها وحريتها ودينها. وكانت مقالاتها تحمل افكار الافغاني وأسلوب محمد عبده .

وكما اسلفنا فان الافغاني مات بالاستانة ، مات شخصا ، ليحيا افكارا ومشاعر وثورات .. ليعيش في كل عقل ، وكل قلب ، وكل زمن . (4)

ومن الاسماء التي لمعت في افق النهضة الاسلامية المباركة اسم الشيخ عبد الرحمن الكواكبي، صاحب كتابي « أم القرى » و « طبائع الاستبداد » وقد يأخذ القارىء كل العجب حين يعلم ان حيازة احدهما على عهد السلطان عبد الحميد سلطان الترك تكلف صاحبه غرامة 500 ليرة من ذهب وحكم بالسجن المؤبد ! والشيخ من الزمرة التي عايشت جمال الدين الافغاني ومحمد عبده .

وحياة الكواكبي جزء لا يتجزأ من مبادئه ، فهو قد تخرج من مدرسة الحياة . وعندما نادى بالاصلاح كان قد عاش في الفساد وعاركه ، عاركه باليد واللسان والمال . وقد ادرك هو واخوه مسعود رحمهما الله ان الحياة في تطور وان بناء المستقبل يعتمد على علوم اخرى غير علوم الشريعة واللغة ، فقاما يوجهان اولادهما الى دراسة الطب والكيمياء والهندسة ، ولقنا اولادهما هذه الفكرة فانتقلت الروح العلمية اليهم ، حتى كان بين حفيدات عبد الرحمن الكواكبي اول مهندسة في حلب ، وبين حفيدات مسعود صيدلية كيميائية . لذلك نرى ان الكواكبي لم تكن دعوته في كتابيه الى تعلم العلوم العصرية الا صدى لما حققه بنفسه .

درس احوال المسلمين في انحاء العالم ، ودرس احوال العرب وقضايا مجتمعه : الفلاحين والعمال والاقطاعيين وتوزيع الثروة والاستبداد والظلم والثورة الفكرية والثورة السياسية ، وكتب عن ذلك كله مذكرات كثيرة ، جمع بعضها في حلب في كتاب اسماه (أم القرى) ثم اصدره في مصر .

واخذ بعضها معه الى مصر عند هجرته اليها ونشرها باسم « طبائع الاستبداد » ونظم بعض مذكراته خلال رحلته الطويلة في افريقيا وآسيا حتى الصين وجمعها في كتابين هما (صحائف قريش) و (العظمة لله) . وقد فقدا ، وهما مخطوطان ، ضاعا فيما ضاع من اوراقه ومذكراته عند وفاته . توفي الكواكبي في ريعان شبابه بسبب فنجان قهوة مسموم شربه في مقهى يلدز وعجل رجال السلطة بدفنه حالا بأمر من الخديوي عباس وعلى نفقته . وكان ذلك في 14 حزيران 1902 (5) .

وقد زار الشاعر حافظ ابراهيم قبره فقال فيه :

هنا رجل الدنيا ، هنا مهبط التقى
هنا خير مظلوم ، هنا خير كاتب

(4) « الهلال » ـ يناير 1962 ـ جمال الدين الافغاني ثائر مهنته العلم للاستاذ كمال الشناوي .
(5) « العربي » نونبر 1960 ـ جدي عبد الرحمن الكواكبي بقلم حفيده الدكتور عبد الرحمن الكواكبي

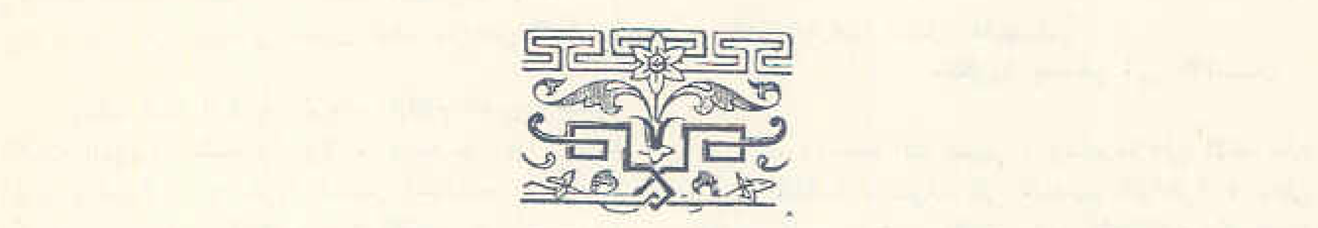
قفوا واقراوا « أم الكتاب » وسلموا
عليه ، فهذا القبر قبر الكواكبي

والفقيد قد خص كتاب « أم القرى » بفصل شائق عن تعليم المراة حيث قال : ان لانحلال اخلاقنا سببا مهما آخر يتعلق بالنساء ، وهو تركهن جاهلات على خلاف ما كان عليه اسلافنا حيث كان يوجد فى نسائنا كأم المومنين عائشة رضي الله عنها التي اخذنا عنها نصف علوم ديننا ، وكمئات من الصحابيات والتابعيات راويات الحديث والمتفقهات، فضلا عن الوف من العالمات والشاعرات اللاتي فى وجودهن فى العهد الاول بدون انكار، حجة دامغة ترغم انف غيرة الذين يزعمون ان جهل النساء احفظ لعفتهن ، فضلا عن انه لا يقوم لهم برهان على ما يتوهمون ، حتى يصح الحكم بأن العلم يدعو للفجور وان الجهل يدعو للعفة ، نعم ، ربما كانت العالمة اقدر على الفجور من الجاهلة ، ولكن الجاهلة اجسر عليه من العالمة ..

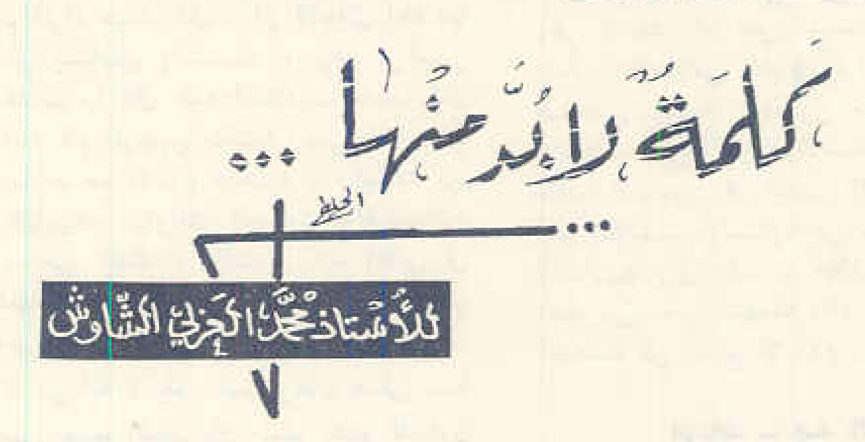
وبعد ، فهذه ملاحظات وارتسامات أملتها علينا سنة البعث الاسلامي التى نادى بها سيد البلاد ، وهي لا تعدو ان تكون شمعة متواضعة على درب التاريخ الاسلامي الطويل ، اردنا لها ان تنير السبيل للباحثين وعامة المثقفين حتى يلموا بالمساهمة الاسلامية فى الثقافة الانسانية واوان الصراع الذي خاضه المسلمون فى ماضي الاعصر وحاضرها لتحقيق اهم المكاسب الانسانية فى مختلف ميادين العرفان والقاريء يرى جليا من خلال هذه السطور ان معركة العلم فى عصر النهضة تكاد تبز نظيرتها فى العصور الذهبية من تاريخ الاسلام .

الرباط ـ عبد الرحمن بنعبد الله

(6) L'Islam Moderne par J.C. Eisler



في تأبين الدكتور طه حسين



تمهيـــــد :

حياة العظماء دائمة ما دامت السماوات والارض، والموت بعث جديد لهم، وامتداد روحي لحياتهم .

فقد مات الانبياء والرسل عليهم السلام ، اصحاب الشرائع والرسالات ، وبقيت اسماؤهم خالدة بخلود شرائعهم وانتشار رسالاتهم عليهم الصلاة والسلام .

ومات العلماء وذوو النباهة والصيت الذائع من رجالات الادب والفكر ، وبقيت اسماؤهم لامعة بما تركوه من آثار جليلة في حقول العلم ورياض الآداب.

وماتت ائمة البلاغة وارباب الاقلام الذين وضعوا للكتابة العربية انظمة واصولا ، ودبجوا في الادب ابوابا وفصولا ، وابتكروا للتعبير اساليب سارت على نهجها جمهرة الادباء ونخبة الكتاب في المشرق والمغرب قرونا واجيالا ، الى ان بزغت شمس النهضة الادبية الحديثة ، وظهرت اقلام جديدة مجددة ، اعادت للادب العربي مجده ، وحررت الكتابة من قيود التقليد ، فانطلقت منسجمة مع التيارات الفكرية والادبية المعاصرة . وفرضت لغة الضاد وجودها بين اللغات الانسانية الحية ، كلغة قادرة على مسايرة موكب الحضارة الانسانية في كل زمان ومكان .

موعظـــة :

مات اولئك جميعا ، وصدق الله العظيم اذ قال في سورة الانبياء : « كل نفس ذائقة الموت ، ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، والينا ترجعون » . وقال جل شانه في سورة الرحمن : « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » .

مات اولئك الافذاذ ، وبقيت اسماؤهم لامعة خالدة بما تركوه من آثار جليلة اصيلة ، وبما اسدوه الى اللغة العربية من خدمات مجيدة مفيدة .

تلك آثارهم تدل عليهم
فانظروا بعدهم الى الآثار

ماتوا رحمة الله عليهم ، وغادروا الى الابد هذه الحياة الفانية مأسوفا على ثقافتهم الزاخرة ، وعلى اقلامهم السيالة التي ملأت صدور المجلدات والصحف، فاستنارت بها الافكار ، وانجلت بانوارها الابصار ، وكانت وستبقى مرجعا للدارسين والباحثين ، والمجددين والحافظين ، جزاهم الله عن العلم وعن لغة القرآن بما هم اهله . وصدق الله العظيم اذ قال في سورة غافر على لسان رجل مؤمن يعظ قومه : « يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع ، وان الآخرة هي دار القرار ، من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو

مومن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ».

فقيد القلم والفكر :

وكان في طليعة الرعيل الاول من المجددين البارزين الدكتور طه حسين فقيد القلم العربي المتحرر ، وفقيد الفكر الجديد المتفتح ، الذى ودعه القلم والفكر ماسوفا على ادبه الغزير ، وعلى فكره النابض الرافض لكل القيود والحدود !

مدرسة طه حسين :

كان الدكتور طه حسين مفكرا لامعا ، وكاتبا بارعا ، استطاع ان يحدث انقلابا فكريا خطيرا في مفهوم الادب وتاريخه ، واستطاع ان يكون مدرسة فكرية وتعبيرية جديدة في تاريخ الادب العربي .

ونحن وان كنا لا نتفق معه في بعض الافكار الجامحة والآراء المتمردة على ما نعتبره مقدسا ومنزها من الناحية الدينية ، فنحن لا ننكر زعامته الفكرية ، ولا نجحد فضله على اللغة العربية ، ككاتب وناقد وصاحب اسلوب جديد يمتاز بالسهولة والعذوبة والوضوح والادراك العميق ، والتصوير الفني الدقيق .

الايام :

وتجد خصائص هذا الاسلوب واضحة في كتاب الايام ، تجد فيه صورا في غاية الدقة والابداع لمجتمع طه حسين في فترة تاريخية هامة ، باسلوب ممتع فصيح متحرر ، يثير الاعجاب ويغري بالقراءة ، ويعطي للبلاغة العربية مفهوما جديدا ومنطوقا جديدا في العصر الحديث .

خلاصة حياته :

ولد الدكتور طه حسين سنة 1889 ونشا في اسرة قروية متدينة محافظة ، وفقد حاسة بصره في طفولته المبكرة ، وتلقى دروسه الاولى في كتاب قريته بصعيد مصر ، ثم هاجر الى القاهرة والتحق بجامعة الازهر الشريف ، وكان ميالا الى دروس الادب ومجالسه ، واشتهر بين زملائه بافكاره الجريئة التى كانت تقابل بالسخرية تارة وبالاستنكار تارة اخرى من عامة الازهريين ، ويروى ان علماء الازهر امتنعوا من اجازته بسبب آرائه التى كانت تعتبر تهديما للاصالة الاسلامية والعربية . ثم التحق صاحبنا بالجامعة المصرية غداة تأسيسها ، فوجد فيها بغيته من دروس الادب والنقد والفلسفة ، فتابع فيها دراسته الى ان قدم لها رسالة في ذكرى ابي العلاء نال بها لقب الدكتوراه سنة 1914 .

ثم ارتحل الفقيد الى فرنسا وانتسب الى جامعة السوربون حيث واصل دراسته بها الى ان قدم لها رسالة عن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية نال بها درجة الدكتوراه بتفوق . وهكذا جمع الدكتور طه حسين الى ثقافته العربية الاصيلة ثقافة غربية عصرية رفيعة .

ثم عاد صاحبنا الى مصر ، فتقلب في عدة وظائف سامية ، ابتداء من كرسي الاستاذية بكلية الآداب بالجامعة المصرية .

في الادب الجاهلي :

ولكنه ابعد عن كرسي الاستاذية بسبب مجاهرته بالآراء المنشورة في كتابه المسمى « في الشعر الجاهلي » وتعرض لنقد لاذع وحملة صاخبة الشيء الذى دفعه الى اعادة النظر في الكتاب المذكور ، فنقحه وحذف منه وزاد فيه ، واصدره باسم جديد هو « في الادب الجاهلي » وهو لا يختلف فكرا وروحا عن سابقه . ونحن لا نتفق مع الكاتب الراحل في بعض آرائه المنشورة بكتابيه المذكورين ، وله رايه ولنا راينا ، الا ان هذا لا يمنعنا من ابداء تقديرنا لتلك الابحاث والاستنتاجات الجريئة والفريدة من نوعها في تاريخ الادب العربي . والمثقف الحق ينبغي ان يتسع صدره لسماع جميع الآراء ، للانتفاع بها ، او للاحتياط منها ، او للاطلاع عليها على الاقل .

هذا وقد ساعدت الظروف صاحبنا على العودة الى كرسيه بالجامعة ، ثم الى عمادتها وقد تالق نجمه وذاع صيته .

منهج ديكارت :

ويقول الكاتب الراحل بانه اصطنع منهج ديكارت في البحث العلمي للتوصل الى النتائج المنشورة

بكتابه « فى الادب الجاهلي » ومنهج الفيلسوف الفرنسي الشهير يقوم على الشك ، فهو يشك فى كل شيء ، ولا يسلم شيئا الا اذا علم بالعلم انه حق . وقد عرفنافي تاريخ الادب العربي والفكر الاسلامي بعض الادباء والمفكرين استحوذ عليهم الشك او اصطنعوه قبل ديكارت بخمسة قرون او تزيد ، كأبي العلاء المعري الذى خلف فكره وآراءه ووجدانه فى اللزوميات وفى رسالة الغفران وغيرهما من انتاجه الغزير ، وكأبي حامد الغزالي الذى ترك علمه وقلقه وآرائه فى عدة مؤلفات اشهرها « احياء علوم الدين » فاستحق بذلك لقب حجة الاسلام .

فمنهج ديكارت ليس جديدا فى تاريخ الفكر الانساني . ولكن الجديد هو التستر وراءه لاعلان آراء متطرفة دخيلة لوضع الادب العربي والفكر الاسلامي فى قفص الاتهام .

ولعل الدكتور طه حسين لم يأت بجديد فى بعض الآراء التى انتحلها واثبتها فى كتابيه المذكورين، وتعرض بسببها للنقد والتجريح ، فقد كانت تلك الآراء شائعة بين المبشرين والمستشرقين الطاعنين فى الاسلام، ولعل الميزة التى امتاز بها الكاتب الراحل هي قدرته على الاقتباس وحذاقته فى التصرف فيه ، ثم جرأته فى عرض انطباعاته ، وصموده فى الدفاع عنها .

حديث الاربعاء :

وكما اتهم صاحبنا غفر الله له بالالحاد والتضليل بسبب كتابه « فى الادب الجاهلي » فقد اتهم ايضا فى كتابه « حديث الاربعاء » بالدعوة الى الانحراف والزندقة ، وهي تهمة التصقت كذلك بكثير من الادباء والمجددين ، ولكن الكاتب الراحل يقول فى مقدمة حديث الاربعاء ما يلي :

« حياة القدماء ملك للتاريخ ، ودرس هذه الحياة نافع للمؤرخ والاديب بل واجب عليهما ... وما كان لي ولن يكون لاحد من الباحثين الذين يقدرون العلم وكرامته ان نغير التاريخ ... واعتقد ان العلم خير من الجهل ، وان الصواب خير من الخطأ ، وان الشجاعة فى التاريخ خير من الجبن فيه ، ونحن نعلم حق العلم ان ليس على عقول الناس ولا اخلاقهم خطر من مثل هذه المباحث الادبية ، فالناس لم ينتظروا لهو ابي نواس واصحابه ليعرفوا اللهو ، والناس لم ينتظروا هذه الفصول وامثالها ليعرفوا العبث . ونحن لم نكتب هذه الفصول وامثالها لنحبب الى الناس ونرغبهم فيه ..؟؟ .
هذانموذج من اسلوب الدكتور طه حسين فى الدفاع عن نفسه وآرائه . ولسنا بصدد التعليق عليه .

تحفظ :

ولا يفوتنا بهذه المناسبة ان نذكر ان البرنامج الجديد للتعليم الثانوي المغربي قد قرر دراسة الكتابين الخطيرين « فى الادب الجاهلي » و « حديث الاربعاء » فى الدراسات الادبية (دراسة المؤلفات) واننا لنتحفظ من ذلك لاسباب تربوية وجيهة . فعقلية الطلاب فى هذا الطور سواء من الناحية البيداغوجية او الفزيولوجية او السيكولوجية قد تسيء هضم تلكالمعلومات . ويمكن تعويضهما بكتابي « الايام » و « اديب » مثلا .

وللدكتور طه حسين مؤلفات عديد وجليلة الفائدة ، وقد اكتفينا بالاشارة الى ما كان منها مصدر شهرته فى ربيع حياته ، وقد مال فى خريف حياته الى الاعتدال واضفاء الروح الاسلامية على انتاجه الغزير .

القضية الفلسطينية :

ولكننا لم نقرأ للكاتب الراحل شيئا عن القضية الفلسطينية ولا عن العدوان الاسرائيلي ، ولم نسمع عنه انه حدد موقفه من هذه القضية كمفكر له وزنه فى ميزان الفكر الانساني عامة والعربي خاصة . ولا يسعنا الا ان نؤاخذه على ذلك السكوت العجيب ، كما آخذ مؤرخو الفلسفة الاسلامية الامام الغزالي على موقفه السلبي من الحروب الصليبية التى كانت فى عهده .

اعجاب وتقدير :

ومن هذا ، فنحن لا نخفي اعجابنا بالدكتور طه حسين كمفكر خطير واستاذ كبير ، وكاتب بارع ، ومحاضر لامع ، وصاحب مدرسة فكرية وادبية مرموقة ، وركن بارز من اركان النهضة الثقافية الحديثة ، شارك مشاركة فعالة فى اوجه النشاط

الادبي والاجتماعي والسياسي فاحتل مكان الصدارة في عصره وبين انداده ، ونال عن جدارة واستحقاق لقب عميد الادب العربي .

هذه كلمة رايت من الواجب ان اكتبها تقديرا للفقيد الكبير الدكتور طه حسين ، بعد ان عشت معه سنة كاملة في دراسة بعض كتبه وابحاثه ، وقرات له وعنه ما دفعني — بالرغم من نقده ومؤاخذته — الى اكبار تلك الشخصية الموهوبة الملهمة التى خاضت معارك ادبية عنيفة ، فلم تنهزم ابدا ، ولم تستسلم ابدا ، ولم تياس ابدا ، وهي صفات كافية لتمجيد صاحبها واكباره .

غفر الله له !.. وعزاء للادب العربي فى عميده ، وللقلم العربي فى فقيده ، وانا لله وانا اليه راجعون ! .

تطوان — محمد العربي الشاوش

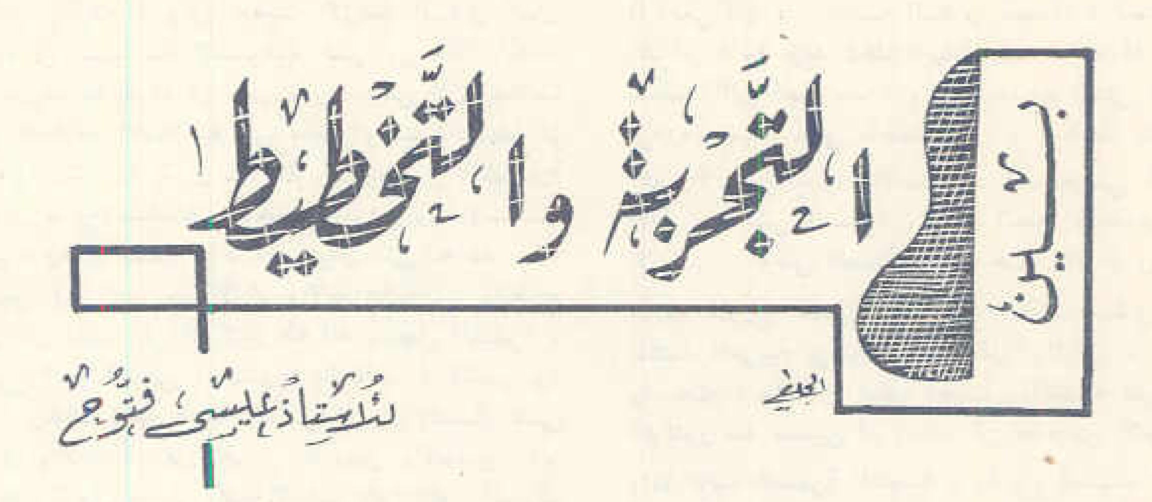


في الاسبوع الاخير من شهر اكتوبر للعام الماضي استأثرت رحمة الله سبحانه وتعالى بالدكتور طه حسين عميد الادب العربي بجمهورية مصر بعد عمر طويل تجاوز اربعة وثمانين عاما قضاها في صراع مع الحياة والناس لم يكف فيها الدهر عن عنته وايلامه . فقد ابتدأ حياته — وهو كفيف البصر — يشعر بالجفوة ممن حوله من اهله وذوي قرباه ، ويحس ببعد المسافة بينهم وبينه، في المآكل والمشرب، والنوم واليقظة ، واللهو واللعب ، والاختلاط بالرفاق والزملاء، والحظوظ والارزاق ، وكان كتاب «الايام» الذي سجل فيه حركته وسكونه ، واقباله وادباره ، وسخطه ورضاه ، وحبه وبغضه ، ووحشته وانقباضه، وخياله وتصوره ، رسما دقيقا لشعور انسان كان في حرب ضروس لا تكف عنه الا بمقدار ما تتهيأ لاستئناف القتال مرة اخرى واخرى وهكذا دواليك من غير مهادنة ولا غفوة .. وقد كان من حظه ان التحق بالازهر ذلك المعهد الذي كان الوجهة التي ينتهي اليها تفكير عامة المصريين اذا ارادوا ان يرسلوا بأبنائهم الى المدرسة التي ترفع عنهم غشاوة الجهل ، وتصلهم بمعرفة الحلال والحرام ، في امور دينهم الذي يحرصون عليه ، ويعينهم الى حد بعيد ان يحصلوا منه على رصيد من الفقه يستطيعون ان ينقلوه في القرى الى من قعدت بهم الظروف عن طلبه، وحالت بينهم وبين الحصول عليه ، والدراسة في الازهر حينئذ على الرغم من انها كانت غير مقسمة الى مراحل — كما هي الآن — ابتدائية وثانوية وعالية ، لم تكن خالية من العمق ، مجردة عن الاستقصاء، فان الذين عاصروها ، وتحدثوا عنها ، وأرخوا لها ، يصفون اهلها بالاستاذية ، وينعتونهم بالاحاطة والتحصيل ، والجمع والتقصي ، والادراك والوعي ، وربما كان فيهم من يدخل المسجد الى حلقات الدرس فلا يخرج الى اهله او بلده الا بعد مضي زمن يتراوح بين خمسة عشر او عشرين عاما ينتهي منها بالحصول على الشهادة ، ولجنة الامتحان كانت تقطع الشهور الطويلة فلا ينجح ممن جلسوا بين يديها الا عدد لا يتجاوز اصابع اليد الواحدة ... وفي هذا المضمار الصاخب ، والميدان الذي تسوده الهيبة والخوف ، دخل الامتحان الدكتور طه ، لكنه كبابه جواده ، الا انه كان قد قطع شوطا من الدراسة في الجامعة الاهلية التي تحولت بعد ذلك الى الجامعة المصرية — القاهرة الآن — وبعد ان انتهى منها ذهب الى فرنسا وعاد منها بشهادة الدكتوراه في الادب التي افسحت له الطريق ليكون استاذا ثم عميدا لكلية الآداب وفيها القى على الطلاب محاضرات « في الشعر الجاهلي » صرح فيها بأفكار كانت صدى لافكار المستشرقين الذين كان همهم ان يعملوا مع الاستعمار — جنبا الى جنب — للكيد للاسلام والطعن عليه ، ليساعدوا بذلك على تمكين الدخلاء ، وبلبلة افكار المستوطنين ، وانتهت تلك المحاضرات او ذلك الكتاب بضجة عارمة طالبت بمحاكمة المؤلف ، وهي الخطوة الاولى نحو الشهرة — او الثانية على الاصح — وقد كان قبل ذلك بمسافة من الزمن يجعل اسمه في ذيل مقالات نشرها له استاذه لطفي السيد — لكاتب آخر — في نقد كتاب النظرات للمنفلوطي .

والذى يتابع الدكتور طه حسين — حتى فى الشعر الاسلامي — يجد ان طابع الشك والانكار الحقائق يلازمه ، وفى حديث الاربعاء الذى كان ينشره فى السياسة الاسبوعية كثير من ذلك كله ، ومن طريف ما يقوله ان مجون ابي نواس كان انعكاسا لروح الخلافة الاسلامية فى ذلك الوقت ، ولهذا لم يكن الرشيد كما يقول عنه المؤرخون من الطهارة والوقار ، والاستقامة والتدين ، وفى رد الاستاذ الكبير « رفيق العظم » عليه ما يدل على انه قد خانه التوفيق فى كثير من الآراء والاتجاهات .. والطابع الذى كان يغلب على الدكتور طه انه يتعجل الشهرة ، ويسرع اليها الخطى ، متذرعا بالخلاف لا اكثر ولا اقل ، ولذلك زلت قدمه كثيرا ، ولم يصل فى التقدير والاحترام فى نفوس المتأدبين والمثقفين اكثر من زملاء كانوا معه فى كلية الآداب كانوا يأتون البيوت من ابوابها امثال احمد امين وامين الخولي وعبد الوهاب عزام الذين تركوا بعدهم دويا من الاجلال والاكبار ، وربما كان من أسباب ولعه — او ولوعه — بالشهرة ، وعمله لها ، تنقله فى الاحزاب السياسية، واحدا فى اثر آخر ، وهو الامر الذى عرف عنه ، ولازم حياته الطويلة ، ونحن نترك ذلك كله للتاريخ ، ونود ان ننبه مع هذا وهذا الى ان التاريخ انما يحاسب عليه صاحبه اذا كان من رجال الحكم والسلطان ، اما حين يكون محسوبا على العلم والادب فاننا نزنه من هذه الزاوية، ونحاسبه بهذا الاعتبار ، فهل كان الرجل فى ميدان الادب شيئا نادرا ، اذكر ان أحمد حسن الزيات بعد موت مصطفى صادق الرافعي نشر فى مقاله — الافتتاحي — فى مجلة الرسالة رأيه فى ادب طه حسين ، فقال انه ادب يأخذ من كل شيء بطرف ، وربما كان هذا يحقق رأي الرافعي لان فى كتابه الذى سماه « تحت راية القرآن » ما يؤيد ذلك تأييدا صحيحا ، اذ انه كان سطحيا الى أبعد حد ، وكان يبتديء المعنى فلا يزال يردده ويعيده حتى يأخذك الملل ، ويحيط بك السأم اللهم الا حين يلتزم بالاسلوب القصصي كما فى الايام وهامش السيرة والوعد الحق والمعذبون فى الارض .. وعلى الجملة فليس هو بالرجل الذى يضعه المؤرخ للادب فى مرتبة العقاد الذى اثرى المكتبة العربية برصيد من العقل والراي ، والتفكير والبحث ، ما كان يمكن لجيل باكمله على غرار الدكتور طه حسين ان يخلفه لمن بعده من الاجيال ..

واذا كانت الشهرة المقتضبة ، وذيوع الصيت المنتهب، اشبه بفقاعات الماء التى لا تلبث — بعد قليل — أن تختفي ، فان الميزان الصحيح لرجال الفكر والراي ، والبلاغة والادب ، انما هو خلودهم على الزمن ، وبقاؤهم مع تطاول الايام ، من خلال الدراسات التى يثيرها الباحثون فى قاعات الدراسة ، او بطون المؤلفات ، ولهذا فاننا نترك ذلك كله لمن يجيء بعدنا ونرجو ان يكون لهم من وعي الحقائق، وعدالة الحكم، وانصاف التاريخ ، ما يساعدهم على احقاق الحق ، وابطال الباطل ، ورحم الله عبدا قال فغنم ، وسكت فسلم ، وتلك الايام نداولها بين الناس ، ولنا مع ذلك عود آخر ان شاء الله .

د. ابراهيم علي ابو الخشب



ما اكثر العظات والعبر التى تقدمها لنا الحياة ، وتحفل بها كتب الادب والتاريخ ، ولكن ليس ثمة من يفتح صدره لتقبل النصيحة ، التى يعتبرها مجرد وعظ وارشاد، وحجته ماقاله عباس محمود العقاد: « دعوا الشباب ينعم بحريته ، دعوه يخطيء فيعرف اسباب خطئه ، اما النصح والارشاد فهو كثير فى الكتب المقدسة » .

نحن نؤمن بأن لا شيء يعلم مثل التجربة ، وخاصة اذا كانت التجربة من النوع البالغ العميق الذى يترك اثرا فى النفس اي اثر ، الا ان كثيرا من الناس تمر بهم التجربة تلو التجربة ، ومع ذلك يظلون مغذين فى اخطائهم ، ممعنين فى سقطاتهم ، لانهم لم يؤتوا حظا من الذكاء والحنكة وحسن التدبير ، والا لارتدعوا وتراجعوا .

ان الذكي ليس فى حاجة لان يخوض غمار التجربة من اولها الى آخرها لكي يرتدع ويتعظ ، بل يكفيه ان يخطو فى مضمارها بضع خطوات ليحرز النتيجة ، ويقدر العاقبة المنتظرة ، اذا ما استمر فيها الى نهاية الشوط .

تجارب الانسانية كثيرة ، تملأ بطون الكتب ، وتبدو فى تصرفات الناس واعمالهم التى نراها تتمثل امامنا على مسرح الحياة كل يوم ، ولكننا نغمض اعيننا ، ونقفل اسماعنا وتجاه كل تجربة من هذا النوع وهكذا تتكرر الاخطاء فى الحياة ، وتتعدد سقطات الانسانية جيلا بعد جيل ، حتى اننا كثيرا ما نقع فى نفس الاخطاء التى وقعنا بها او وقع بها غيرنا قديما او حديثا .. يقول الشاعر اسماعيل صبري :

عبر كلها الحياة ولكن
اين من يفتح الكتاب ويقرا

ومهما يكن من امر فالتجربة تنضج الذهن ، وتصقل النفس ، وتنظفها مما علق بها من ادران .. وتكسب مزيدا من الحنكة ، وكثيرا من الخبرة الواسعة ... والبصيرة النافذة فى بواطن الامور .. وتهب قسطا وافرا من الحذر والتريث ، فلا يطيش، ولا يتهور ، ولا يتسرع بعد ان عرف ان اخطاءه كان مصدرها الطيش وعدم الروية والعشوائية .

لو فتشنا عن اسباب الاخطاء فى الماضي والحاضر ، لوجدنا ان معظمها كان نتيجة دوافع خفية خارقة فى اللا شعور ، ونتيجة دوافع مكبوتة، ورغبات دفينة ، وغرائز لم يقدر لها ان تسفر عن وجهها .. فبقيت قابعة راسية فى كهوف الذات ، تتبلور من حين لآخر بشكل تصرفات غير مرضية.

لو استجاب الانسان لاكثر رغباته ، وروى معظم اهوائه ، لاختصر خمسين بالمائة من اخطائه ، وظل الباقي على عاتق الادراك والتفكير الواعي ودقة التخطيط فى الحياة ، والتصميم على الامور قبل الخوض فيها والولوج الى معتركها .

ان سوء التخطيط، او اهماله فى حياتنا هو سبب الانتكاسات المتكررة التى نقع فيها .. فليس

فينا من يضع رأسه بين يديه ويسترسل فى التأمل والنظر الى ابعاد المشكلة اللا مرئية ، ويصرف فيها الساعات الى ان يخرج بنتيجة مرضية تعصمه من الخطأ ، وتقيه شر الزلل ، بل يهجم على الامور هجوما تلقائيا ، دون ان يعرف موضع المفتاح منها ، فيقلبها على شتى وجوهها ، ويحاول الولوج الى كنهها ، وهي تمعن فى الاستعصاء ، وتسرف فى الاستغلاق ، حتى يمل المحاولة ، نتيجة كثرة الاخطاء التى وقع فيها ، فسرى اليأس والقنوط الى اعصابه، وكفر بالاستمرار ، وآثر الراحة والابتعاد الى الابد .

اننا كشباب نعيش فى القرن العشرين ، هذا القرن الذى يغرقنا بمشكلاته الى الاذنين ، ويضع فى دروبنا الكثير من العراقيل والاشواك ، احوج ما نكون لمعالجة قضايانا الاجتماعية والنفسية بايدينا ، دون اللجوء الى الاطباء النفسيين ، او سؤال المجلات التي كثيرا ما تزيد هذه المشكلات تعقيدا ولفلفة بما تقدم من تفسيرات خاطئة ، وحلول مغلوطة ، وتوجيهات شوهاء ، لان المشرفين على هذه الابواب تنقصهم الخبرة ، ويعوزهم الاختصاص ، وانا واثق انهم اجهل الناس بحل قضاياهم وتيسير امورهم ، فكيف تراهم يستطيعون مساعدة الآخرين .

الحياة بسيطة اذا شئناها كذلك ، ومعقدة ، صارمة ، قاسية ، مرة ، اذا شئناها على هذه الصورة .. افلا ترانا نصطنع الانشغال احيانا ، ونتظاهر بزي رجال الاعمال ، نوزع الاهتمامات ونبلبل الامور ، ونهيل فى دروبنا الوف العقبات ، فى حين انه بامكاننا اخلاء هذه الدروب من كل ما ينغص علينا هناء الحياة ، ويفسد علينا صفاء نعيمها؟

دمشق — عيسى فتوح



أضواء وآراء :

على التقدم العربي بين الماضي والمستقبل ...

للأستاذ مؤمن عبد اللطيف الحديثي

من المسلمات البديهية ان الانسان لا يستطيع تقييم وضعه ومعرفة مركزه في هذا العالم ما لم يربط ماضيه بحاضره بغية التطلع الى مستقبل زخر بالمطامح والآمال ، وما لم ينظر بعين الاعتبار المتفحص لوضعيته وسط عالم مضطرب مائج بالتيارات والمذاهب والعقائد المتعددة المتباينة ، لان الانسان — اي انسان — لا يحيا منعزلا عن الجماعة البشرية فهو مضطر — شاء ام ابى — ان يشترك مع هذه الجماعة وان يتأثر بها وان يؤثر فيها خصوصا وان اكتشافات العصر الحديث قضت على فكرة الانعزالية وطرحت بالضرورة فكرة الانضوائية اي انضواء الفرد تحت المجتمع بمختلف مظاهره واشكاله ، ولم يعد من المجدي في شيء اعتناق فكرة الانطواء والتعامي والتغاضي عن المظاهر الحضارية المعايشة للانسان والا عد معتنق هذه الفكرة خارجا عن المجتمع العالمي متأخرا عن عصره جديرا به ان يرجع الى ماضيه ليحياه من جديد وما هو بمستطيع ذلك . ولكن هذا الانسان لا يمكنه ان يستوي واقفا بدون الاتكاء والاعتماد على ماضيه باعتباره منطلقا الى الحاضر فالمستقبل ، لان الحاضر وليد الماضي الغابر والمستقبل المأمول ، ولا يمكننا ان نقطع صلة الانسان بماضيه والا غالطنا انفسنا وغالطنا ابسط قواعد المنطق السليم ، ولم نسمع عن امة من الامم المتقدمة الحاضرة اضطلاعها بهذا الدور الحضاري الجديد من دون الاعتماد على تراث الاجداد ، اقصد التراث الانساني الخالد الذي اثبت على مدى العصور انه جدير بهذا الخلود . ان طرح مثل هذه الافكار ضروري ونحن بصدد مناقشة دور الحضارة العربية الغابرة التي تهفو نفس كل عربي مخلص الى تجديدها وحمل مشعلها من جديد . لقد قضى الانسان القديم حقبة طويلة من الزمن حيوانا هائما قبل ان يعرف معنى الاستقرار والطمأنينة ، وحين اطمأن به المكان اخذ يتلمس المعالم الاولى لمعنى التحضر البشري ، فكان ان تعرف على محيطه الخاص ثم على جماعته الصغيرة ، واخيرا انتظم في المجتمع الانساني وكانت هذه الخطوة اول درجة يرقاها في سلم الحضارة وقد تبعتها خطوات اخرى وئيدة او مطردة في تنظيم اساليب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي صورتها الحياة الثقافية وسايرتها بل واخذت بزمامها نحو مستقبل مشرق ، ومن هنا انطلق ذلك الانسان يبني ويشيد الحضارات العالمية القديمة كالحضارة الصينية في الشرق الاقصى والحضارة الهندية في شبه القارة الهندية ، والحضارات الفارسية والآشورية والبابلية والفينيقية والفرعونية والبيزنطية في الشرق الاوسط ، واليونانية في اوربا ، اذن فالحضارة هي ما تعيش به وفيه ، وهي الطريقة التي تتبعها جماعة انسانية في حياتها ، وهي السلوك الذي تعيش به ويرضى عنه الجميع ، ويمكن القول ان اكتشاف الكتابة كان اهم مظهر من مظاهر الحضارة القديمة . « ويعرف

« ويل ديورانت » في كتابه « قصة الحضـــارة » الحضارة بما يلي : « هي نظام اجتماعي يعين الانسان على الزيادة من انتاجه الثقافـي » اذن فالحضـارة بمفهوم ويل ديورانت هي طريقة الحيـاة المجتمعيـة التي تساعدنا على الزيـادة في تراثنـا الفلسفـي او العلمي او الادبـي ، وبعبـارة أخـرى فان اعظـم الحضارات هي التي تغني الفكـر الانسانـي باكبـر كمية ذات كيف جيد من الثقافة المتنوعة . هذه هي النقطة الاولى التي تجدر مناقشتها قبل البدء في هذا الموضوع . اما النقطة الثانية وهي بالضرورة ناتجة عن الاولى فهي ان الحضارة عالمية قبل كل شيء وهي دولية يعني ان الامم تتداولها فيما بينها وكما يقال فالايام دول وهذا مصداق لقوله تعالى : « وتلك الايام نداولها بين الناس » اذن فالمتتبع لتطور الحضـارات القديمـة والمـدة الزمنيـة التـي استغرقتهـا يلاحـظ أن هـذه الحضـارات كانت في تنقـل دائـم بيـن مختـلف الامـم ، وان كان مركز ثقلها في منطقة الشرق الاوسط وما جاورها . فقد تنقلت الحضارة بيـن امم الشـرق الاقصى والشرق الاوسط والشرق الادنى والنصف الجنوبي الشرقي من اوربا قبل ان تستقر امة ليست باليسيرة من الزمن في البلاد العربية ممثلـة بذلـك ارقى تطور وشكل تمخضت عنه الحضارات السالفة، ومعنى هذا انه لا يجوز للبعض ان يعتقـد بخلـود الحضارة واستقرارهـا في امة معينـة ناسيـا او متناسيا بذلك امكانية وثوب امته من جديد واضطلاعها بدورها الحضاري ، ومعنى هذا بعبـارة ثانيـة ــ واسبق الاحداث فأقول ــ انه لا شيء يمنـع مـن امكانية نهوض العرب من جديـد الا النفـوس التي فتنت بالحضارة الغربية واعتقدت انها كل شيء وان من العبث محاولة مجاراتها او تجاوزها .

لقد حمل العرب مشعل الحضارة زهاء ثمانية قرون كانت اوربا خلالها تعيـش في ظـلام دامس تحجبها عن النور سجف الجهل والخرافات والعبودية والاقطاع والديانة المشوهة ، وقد استمـرت هذه الفترة ما بين القرن السـابع والخامس عشر الميلادي اقام العرب خلالهـا اعظـم واروع حضـارة عرفهـا التاريخ القديم ، والحضـارة اية حضـارة لا تقـاس بالميدان المادي وحده او بالروحـي وحـده ، وانما بمدى حسن التوفيق بينهما لان الانسان عقل وروح قبل كل شيء . وقد حققت هذه الحضارة اثناء هذه الفترة من الابداعات الثقافية الروحية المادية ــ التي تقاس بها اهمية كل حضارة حسب مفهوم ديورانت ــ ما عجزت الحضارات القديمة عن تحقيقـه حاليـا رغم التقدم العلمي الهائل المتبع في مختلف الابحاث، وما ذلك الا لان هذه الحضارة قامـت علـى اساس ثابت وانطلقت في جميع الاتجاهات من بؤرة الاهيـة عليا الا وهي الدين الاسلامي بما يتضمنـه من ديـن ودنيا، اجل لم يكن للعرب ان يقيمـوا صرح تلـك الامجاد ولا ان يشيدوا تلك الحضـارة الوارفـة الظلال لولا الاسلام الدين الذي اخرجهم من الظلمات الى النور من الجهل الى العلم ، من الاحتقار والضعة الى الشهرة والتقدير والاعجاب العالمي . واذا كانت الحضارة مرة اخرى تتمثل في المصادر الاقتصاديـة والعلوم والفنون ، والنظـم السياسيـة والاخـلاق والعادات والتقاليـد ، فاننـا نلاحظ ان العرب قـد برزوا في هذه الميادين وفاقـوا سواهـم فيها ولم يستاثروا بها وحدهم بل حملوها الى غيرهم ، وافادوا واستفادوا ولم يكونوا بمعزل عن عالمهم . واذا دققنـا النظر في الحضارة العربية نجـد ان لها خصائـص ومميزات تتمثل في دينهـا الكـريم ، وفي اخلاقهـا الواقعية المبنية على احترام حقوق الانسان والمساواة بين جميع الناس ، والتسامح مع الطوائف الدينيـة الاخرى ، والدعوة الى العلم والادب ، والايمان بقيمة الانسان العقلية والروحية . نعم لا ننكر ان العـرب قبل ظهور الاسلام كانوا شيعا واحزابا مختلفة وقبائل متطاحنة وبدوا رحلا في راي معاصريهم المتنورين من الفرس والروم ، بل كانوا نسيـا منسيـا ، ولكن بعض الباحثين من العرب المعاصرين يؤكد على ان العرب في العصر الجاهلي كانوا ذوي حضـارة مزدهـرة ومركز لائق بين الامم المتحضرة كما كانوا يساهمون في السياسة العالمية بنصيب ملحوظ ، ولكن تلك المظاهر الحضارية المحدودة اندثرت وانمحت امام حضارة الدين الجديد ، لان المقومـات التي قامت عليها كانت من التلاشي والاهتزاز بحيث لم تستطع ان تثبت امام حضارة الاسلام . السر في ذلك يعود الى ان الدين الاسلامي الذي ظهر بالبلاد العربية ، كان اول ديانة سماوية عالمية تدعو الى وحدانية الله بكل وضوح وجلاء ، ثم لانه لم يات دينا لاقوام همهم في الحياة التزهد والتعبد والرهبنـة علـى عكـس الديانات السماوية التي سبقته والتي كان لليهـود والمسيحيين دور خطير في تشويهها . فهو دين يروي ظمأ الانسان المادي والروحي ، وهو دين يدعو الى الحياة المادية كما يدعو الى الحياة الروحيـة ، وهو

دين جامع شامل لمختلف القواعد وانماط السلوك والمعاملات الانسانية التي يسلكها الانسان في كل زمان ومكان والتي لها من القوة والثبات بحيث تستطيع ان تساير تطور الانسان حتى لحظة فناء هذا العالم .

اذن فالدين الاسلامي، كان السر الاول والاخير في تقدم العرب خلال العصور الوسطى ، ومنه استلهم العرب كافة الاشكال والمظاهر الحضارية ، وعنه اخذوا مصادر قوتهم وعظمتهم ، وهذا شيء لا يخفى على احد ولا ينكره منكر سواء في الشرق او في الغرب لماذ ؟ لان الاسلام — ومرة اخرى — جاء داعيا الى اخلاق كريمة سمحاء سواء في الحياة الاقتصادية او الاجتماعية او السياسية يقوم اساسها على احترام حقوق الانسان والمساواة بين جميع الناس في فرص الحياة ، هذه الاخلاق هي التي جعلت الدين الاسلامي ينتشر خلال قرن واحد من ظهوره من المغرب غربا الى اقصى الصين شرقا ، وهي التي جعلت سكان افريقيا السود وجنوب شرق اوربا يعتنقونه فيما بعد، وهو شيء عجزت عنه المسيحية المشوهة خلال قرون وقرون ، وهكذا اتيحت لاجناس واقوام مختلفة من فارسية وورومية وتركية وقبطية وبربرية وهندية وحبشية ان تنضم تحت لواء هذا الدين وان تعطي من فكرها وعلمها وادبها ما لم تكن تستطيع ابداعه قبل اعتناقها للاسلام . فقد كانت امما تقوم على العنصرية والاقطاع والظلم ، فوجدت في الاسلام خلاصها واعجبت به ايما اعجاب ، وهذا هو السر في انتشاره بسرعة بين الامم غير العربية لان الله تعالى يقول : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وكان الرسول (ص) والخلفاء الراشدون من اشد المسلمين غيرة على العدل والمساواة بين الناس واحترام حقوقهم وعدم التمييز العنصري ، وعدم تفضيل احد على الآخر في الحق بسبب من نسب او مال او جاه . فقد سرقت امراة من بني مخزوم في عهد النبي (ص) وجيء بها ليه لتعاقب ، فاهم ذلك قريشا وقالوا : من يشفع لنا عند رسول الله في اسقاط الحد عنها ؟ ثم ذكروا ان اسامة بن زيد حبيب الى قلب الرسول فكلموه في ان يشفع لها عنده ، فكلمه فغضب (ص) غضبا شديدا وقال لاسامة : اتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام في الناس خطيبا فقال : « انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد ، وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »

« وتغاضب ابو ذر ، وهو عربي من غفار ، مع بلال الاسود الحبشي مولى ابي بكر رضي الله عنه . وكان ابو ذر وبلال صحابيين ممن آمن بالاسلام ورسوله . وتطور النزاع بينهما الى ان اخذت ابا ذر الحدة فقال لبلال : يا ابن السوداء ! فشكاه بلال الى النبي ص فقال لابي ذر : اعيرته بامه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية !.. الخ الحديث »

وقد اخذ الاسلام في العصر الحديث ينتشر بين المسلمين السود في الولايات المتحدة الامريكية لانهم رأوا فيه الدين الذي يعيد اليهم اعتبارهم الانساني ويجعلهم سواء مع العناصر البشرية الاخرى .

ولا شك ان كل واحد منا يعرف الكثير عن عدالة عمر ابن الخطاب وغيرته على الحق وتواضعه مما يجعلنا في غنى عن ذكر بعض مواقفه .

هذه المناداة بالمساواة بين جميع الناس وعدم التمييز العنصري بسبب لون البشرة هي التي جعلت بعض المسلمين السود يبرزون في المجتمع العربي كنصيب الشاعر المنادم الخلفاء ، وكافور الاخشيدي العبد الاسود حاكم مصر في القرن الرابع الهجري وغير هؤلاء كثير .

اما عن التسامح الديني في الحضارة العربية يعني احترام الاديان السماوية الاخرى الذي فرضه الاسلام فهو ظاهرة يطول الكلام حولها ، فالاسلام يوصي بمجادلة اهل الكتاب بالتي هي احسن واحترام معابدهم ، وتحليل اكل ذبائحهم ، وعدم قذفهم بالسب والشتم ، على حين ان اليهود يوصون بظلم وغش وخداع كل من هو خارج ديانتهم . كان للرسول جيران من اهل الكتاب ، فكان يتعهدهم ببره ويهديهم الهدايا ويتقبل منهم هداياهم ، حتى ان امراة يهودية دست له السم في ذراع شاة اهدتها اليه لما كان من عادته ان يتقبل هديتها ويحسن جوارها . ولما جاء وفد نصارى الحبشة انزلهم رسول الله بالمسجد وقام بنفسه على ضيافتهم وخدمتهم ، وكان مما قاله يومئذ : انهم كانوا لاصحابنا مكرمين فاحب ان اكرمهم بنفسي .

وقد كان المسلمون ابان الفتوح الاولى يصلون في كنائس النصارى ولا يجدون حرجا في ذلك ، كما كانوا يستدعونهم للصلاة في مساجدهم احيانا . ومن

هذه المظاهر مجاورة الكنائس للمساجد فى كثير من المدن وخصوصا فى الاندلس ، كما كانت لاهل الكتاب الحرية الكاملة فى اقامة شعائرهم الدينية ، على حين نسمع اليوم الاخبار المؤلمة عن معاملة اليهود السيئة للمسلمين فى فلسطين وكيف انهم يهدمون مساجدهم ويمنعونهم من اقامة شعائرهم الدينية ، ومن هذه المظاهر ايضا اتخاذ كثير من الخلفاء الامويين والعباسيين لكتاب ووزراء واطباء وشعراء من النصارى واليهود ، فقد كان لمعاوية طبيب نصراني هو ابن اثال ، كما كان له كاتب خاص اسمه سرجون، اما المنصور العباسي فقد احاط نفسه بطائفة من هؤلاء النصارى مثل جرجيس بن بختيشوع طبيبه الخاص، كما اتخذ المعتصم من سلمويه بن بنان طبيبا له ، وكلنا يعرف ان الاخطل النصراني كان الشاعر الاثير عند عبد الملك بن مروان . اما المامون فقد بلغ القمة من ذلك حيث كان يعقد ندوات اسبوعية يجتمع فيها علماء من مختلف النحل والمذاهب والديانات . ومن مظاهر هذا التسامح كذلك احتفال اهل الكتاب باعيادهم فى الشوارع العامة بل ومشاركة المسلمين لهم فى ذلك احيانا كما كان الحال فى الاندلس ؛ هذا الى جانب تطبيق المعاملات الانسانية اثناء الحروب مما لم يسبق له مثيل فى التاريخ البشري.

وقد قامت الحضارة العربية على العقل والعلم غير مهملة جانب الروح والادب لان الاسلام جاء داعيا الى العلم حاثا الناس على التفكير فى هذا العالم ومحاولة معرفة ظواهره وغوامضه وهذا هو السر فى خلق الله تعالى للانسان ولان الله لم يخلقنا بدعا ولا اعتباطا ، وانما خلقنا لنستعمل عقلنا وتفكيرنا فنحقق بذلك انسانيتنا التى تسمو على باقي الكائنات . والقرآن يدعو المسلمين فى كثير من الآيات الى العلم « اقرأ باسم ربك الذى خلق » و « الا فليتدبر اولو الالباب » و « يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا .. » على هذا الاساس قام العرب يبنون حضارتهم مؤمنين بقيمة العلم جاعلين العقل منارهم غير مهملين الجانب الروحي . وخير دليل على ما قلناه هو ما خلده العرب من آثار فكرية وعلمية وادبية كان لها انعكاس خطير على الحضارة الغربية. فقد اشتهر العرب كمترجمين للفلسفة اليونانية بل انهم قد صوبوا بعض مفاهيمها الخاطئة واضافوا اليها الكثير ، وحاولوا ان يوفقوا بين الدين الاسلامي والفلسفة فبلغوا فى ذلك الشأو البعيد ، واشتهر منهم فلاسفة كثيرون اسدوا الى الفكر البشري خدمات جليلة فى ميدان المعارف المجردة مثل ابن سينا والغزالي والفارابي والكندي والمعري وابن حزم الاندلسي وابن رشد وابن طفيل وابن خلدون وغير هؤلاء ممن يعترف الاوربيون بفضلهم ، وبرز فى العلوم الطبيعية والفلكية علماء مشهورون مثل جابر بن حيان الذى استحضر حامض الكبريتيك ، والخوارزمي واضع علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب ، والرازي مكتشف حامض الكبريتيك مع الكحول ، والبيروني الذى صاغ نظرية دوران الارض حول محورها وحول الشمس ، وابن الهيثم رائد علم البصريات ، وابن يونس الذى عرف الرقاص (Lendule) قبل جاليليو بسبعة قرون باعتراف سارطون وتايلر وبيكر ، وقد اشتهر من الادباء والشعراء العرب كثيرون لا يحصى عددهم كان لهم هم الآخرون دور بارز فى هذه الحضارة من مثل : ابن المقفع والجاحظ والمعري وابن العميد والقاضي الفاضل والمتنبي وابن الرومي والبحتري وابي تمام وغير هؤلاء كثير وكثير ممن كتب عنهم الغربيون مئات الكتب اعترافا بفضلهم .

ولننظر الآن الى ما حققه العرب فى مجال العلوم المختلفة وما خلدوا من آثار فيها ، وكيف افادوا الانسانية جمعاء باكتشافاتهم المتعددة ؛ فهم الذين عرفوا طبيعة بعض الامراض كالجدري والحصبة ، واخترعوا الساعة الدقاقة والزوالية واكتشفوا قوانين ثقل الاوزان ، وهم اول من استخدم البوصلة فى الملاحة واكتشفوا الابرة المغناطيسية ، وقد وضعوا اصول علم الجبر وحساب المثلثات وبسطوا علم الحساب الاغريقي ، ونقلوا كثيرا من المزروعات والمغروسات الى اوربا ؛ كما كان لعلوم العرب فى الجغرافيا والفلك اثر كبير فى مساعدة الاوربيين على اكتشاف امريكا ؛ وهم الذين نقلوا الارقام عن الهند واخترعوا الصفر ، واول من اكتشفوا الدورة الدموية ، هذا زيادة على ما كتبوه فى مختلف الآداب والفنون ، واخص بالذكر منها رسالة الغفران لابي العلاء المعري التى يتحدث فيها عن العالم الآخر ، تلك الرسالة التى تأثر بها دانتي الايطالي فى الكوميديا الالهية وملتون الانجليزي فى ملحمة الفردوس المفقود ، ولا شك ان الاوربيين قد تأثروا بكتابي الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة يدل على ذلك ترجمتهم لهما الى مختلف لغاتهم الحية ؛ وقد تعددت المدارس والمعاهد العلمية فى جميع مدن العالم الاسلامي ،

وبان صلاح الدين الايوبي من اكثر الخلفاء انشاء المدارس والمعاهد ، ومن الطريف التذكير بأن اللباس الذي يلبسه اساتذة الجامعات الاوربية اليوم قد جاءهم عن طريق تقليد ازياء العلماء الاندلسيين. وقد تعددت غايات المدارس من حيث العلوم الدينية واللغوية والادبية والعقلية وكانت في دمشق وحدها سبع مدارس للقرآن، وست عشرة مدرسة للحديث، وثلاث وستون مدرسة للفقه الشافعي ، واثنتان وخمسون مدرسة الفقه الحنفي ، وللفقه المالكي اربع مدارس ، وللفقه الحنبلي احدى عشرة مدرسة . كما كثرت المستشفيات والاطباء في العالم الاسلامي حتى ان قرطبة وحدها كان بها خمسون مستشفى، وفي سنة 319 هـ بلغ عدد اطباء بغداد وحدها حوالي 860 طبيبا ، ولا شك اننا نعرف جميعا عظمة ذلك البيمارستان الذي بناه المنصور الموحدي بمراكش . وقد تعددت المكتبات العامة والخاصة في كل مدينة من مدن الشام والعراق ومصر والمغرب والاندلس ، ومن اشهرها مكتبة الفاطميين بالقاهرة وكانت تحتوي على مليوني كتاب تقريبا ، ومن اشهر المكتبات الخاصة مكتبة الفتح بن خاقان وزير الخليفة المتوكل العباسي ، ومكتبة الصاحب بن عباد البويهي اللتان لم يكن لهما نظير في الدنيا ، وقد قدر العلماء عدد ما اتلفه الصليبيون في مدينة طرابلس السورية وحدها حوالي ثلاثة ملايين كتاب ، اما في الاندلس فقد احرق الاسبان يوم استيلائهم على غرناطة حوالي مليون كتاب في يوم واحد ، ولا شك اننا نعرف جميعا ما فعله المغول ايام احتلالهم لبغداد والقائهم لكتب خزائنها في نهر دجلة حتى ان الفارس كان يستطيع عبور النهر بفرسه فوق المجلدات العائمة .

هذه الحضارة الآفلة رغم بعد المسافة بينها وبين الحضارة الغربية الحالية ، ورغم التعصب الشديد الذي يبديه جل العلماء والمؤرخين الاوربيين ضد العرب لم يمنع بعضهم من ان يعترف بمجد العرب قديما وبفضلهم على اوربا وعلى الانسانية جمعاء ، وهذا الدكتور لويجي رينالدي يقول « قام العرب في ظلمات بربرية العصور الوسطى باعادة نور الحضارة والمدنية الذي كان قد انطفأ في جميع بلاد الغرب والشرق حتى القسطنطينية » اما الدكتور جوزيف شخت فيقول « لقد تتلمذت اوربا على العرب مدة خمسة قرون نهلت في اثنائها من حياض العلوم العربية ، وبهذا اعدت نفسها لما تنتج الآن من البحوث العلمية الحديثة » .

ومن هنا نرى ان الغربيين قد اعترفوا بحضارتنا ايام عزنا وبعد انهيارنا اختلفت آراؤهم حولنا ، وصاروا يردون اسباب تخلفنا الى ديننا والى لغتنا والى جنسنا ، اجل فالقوة هي مقياس حضارة الامم اليوم وهي الوسيلة التي تجلب لاصحابها اعجاب الامم وتقديرها .

والآن لنتحدث بايجاز عن اهم العوامل التي ادت الى انطفاء شعلة الحضارة العربية وبالتالي الى التقدم العلمي والاقتصادي في اوربا اليوم ، لقد تتلمذ قليل من اوربا كانت في جهالة جهلاء ايام الازدهار العربي ، ولكن مجيء القرن الخامس عشر حدد معالم خطواتها الاولى نحو التقدم ، وكان ذلك على حساب الحضارة العربية ، فقد تكاثفت عدة عوامل واسباب على افول شمس العرب اخص بالذكر منها : زحف جموع المغول والتتار على العراق وتواصل الحملات الصليبية الاوربية على العالم العربي باسره ، وانقسام العرب على انفسهم شيعا واحزابا بسبب ابتعادهم عن المبادىء الاسلامية الصحيحة التي قامت على اساسها حضارة اجدادهم، هذا الى جانب الفساد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الذي نما وترعرع تحت ظل الحكم العثماني . اجل لقد كان للحملات الهمجية المغولية والتتارية دور فعال في القضاء على تلك الشعلة المتوهجة ، ذلك انهم كانوا اقواما شبه متوحشين للهدم والتخريب وسفك الدماء ، ولم يكونوا يدركون قيمة تلك الحضارة التي اجهزوا عليها ، ولو كانت تجري في عروقهم دماء التحضر ويتحلون بالمبادىء الانسانية السامية ، لابقوا على تلك الامجاد ولساعدوا على مواصلة تقدمها . ان الانسان لا يستطيع ان ينكر جدة الحضارة التي تنشأ عن مثل هذا الامتزاج ، ولكن ماذا استفاد العرب من شعوب متبربرة ، لم يستفيدوا شيئا سوى القضاء على حضارتهم ، وعلى العكس من ذلك فان هذه الشعوب قد تأثرت بالعرب تأثرا عظيما وذلك باعتناقها للدين الاسلامي ، هذا من جهة ، ومن ناحية اخرى فان الصليبيين — مدفوعين بشدة حقدهم على العالم الاسلامي — قد نظموا حملات حربية عظيمة على الشواطىء العربية وخصوصا شواطىء الشام مريدين بذلك طمس معالم تلك الحضارة المجيدة التي كانت تتحداهم دائما ، وقد قضى الصليبيون حوالي ثلاثة قرون في احراق المكتبات واتلاف الكتب والقضاء على كل مظاهر الحضارة، واعتقد ان الحديث حول هذه الحروب

لن ينهي اذ سرنا معه ، ولذلك نكتفي بالاشارة الى انعكاسات هذه الحروب القريبة والبعيدة . فمن آثارها المباشرة تشاغل العرب سواء بالمشرق او في المغرب بالدفاع عن كيانهم وعن دينهم وتراثهم ، هذا الدفاع الذى اعجزهم عن مواصلة خطواتهم الحضارية، وكان هؤلاء الصليبيون من الهمجية والتوحش والحقد بحيث لم يعرفوا معنى للرحمة وللتسامح الانساني ، وكان العرب من الترف والتحضر والانقسام بحيث لم يستطيعوا الحفاظ الا على الدين الاسلامي ، وان ينسى التاريخ فانه لن ينسى فضل صلاح الدين الايوبي في هذا الكفاح .

اما عن الانعكاسات غير المباشرة لهذه الحروب على اوربا فهي تفتح اعين الاوربيين على الحضارة العربية وتأثرهم بها ايما تأثر ، ونقلهم لآلاف المصنفات والمجلدات والكتب العربية في مختلف العلوم والفنون، وهنا نصل الى اهم العوامل فى تقدم اوربا . لقد خبر الاوربيون الحضارة العربية عن قرب وادركوا انها المفتاح الوحيد لتقدمهم فتأثروا بها حقبا طويلة ووعتها عقولهم فنقلوها الى اوربا ولكنهم لم يقفوا عندها بل تابعوا ابحاثهم ودراستهم مدفوعين بشدة تعطشهم الى عصر جديد ، فبالاضافة الى تأثرهم بالعلوم والفنون العربية اتجهت انظارهم واذهانهم الى التراث اللاتيني اليوناني ، فصاروا يترجمون علوم وفنون هاتين الامتين الى لغاتهم الحية التى تفرعت عن اللاتينية واليونانية ايمانا منهم بقيمة اللغة الام في التقدم الحضاري ، وصاروا يدرسون هذه العلوم والفنون في مدارسهم ومعاهدهم ، ومزجوا بين استفادتهم من التراث العربي واستفادتهم من التراث اليوناني واللاتيني ، والحق انهم كانوا يقبلون على تعلم وتفهم هذا التراث بشغف زائد ، كما كانوا يتقدمون بخطوات سريعة مصارعين الزمن وجميع العقبات ، وقد ساعدتهم على هذا التقدم الحضاري عوامل اخرى أهمها : اعتمادهم على خيرات الهند والشرق الاقصى وجلبهم للمعادن والمواد الخام منها ، وكذا اكتشافهم للقارة الجديدة الفتية التى تزخر بالمعادن والمواد الخام ، وتسللهم الى القارة السمراء الفتية بمواردها الطبيعية ، ثم توفر الطاقة المحركة واساس الصناعة في بلادهم اعني بذلك الفحم والحديد ، واخيرا سقوط الاندلس ونقلهم لعلومها وتراثها ، كل هذه العوامل دفعت بهم الى تقدم علمي واقتصادي لم يشهد العالم مثيلا له في الماضي ، وما زال هذا التقدم ماثلا حتى يومنا هذا .

في هذا الوقت الذى كانت اوربا تنفض عن نفسها غبار الجهل وتخرج من عصر الظلام الى عصر النور وتتطلع الى حضارة قوية جبارة ، كان العالم العربي ينام على امجاده الغابرة منطويا على نفسه يحسب انه وحيد في هذا العالم ، ولا يعير اهتماما لما يجري في العالم الاوربي من ثورات اقتصادية واجتماعية وثقافية ، وظل على جموده وتخلفه يجتر الماضي وما الماضي بصالح كله ، يزيد من وطأة هذا الجمود الحكم العثماني الذي اراد ان يمحو الاصالة العربية ، والذى كان يحكم العالم العربي بنظم وتقاليد لا تسمح له بالخروج من عزلته ، واذا كان الاوربيون قد حاولوا نقل بعض المظاهر الحضارية الجديدة الى لبنان باعتباره موئلا لمسيحيي الشرق وذلك ابتداء من اوائل القرن الثامن عشر ، فان هذه المرحلة لم تكن كافية لافاقة العرب من سباتهم العميق ، حتى اذا جاءت سنة 1798 استفاق الشرق العربي على اصوات مدافع نابليون بمصر ، ومن ثم كان اتصال العرب بالحضارة الاوربية وكان ما كان من محاولة الخروج من زاوية النسيان والظلام الى فضاء أرحب. نعم لقد حقق الاوربيون ما كانوا يحلمون به من تقدم علمي واقتصادي هائل ، ولكن هل هذا هو كل شيء !؟ كلا انهم لم يستطيعوا حتى الساعة ان يحققوا احلام فلاسفتهم وآمال ومفكريهم ورهبانهم في اقامة عالم متوازن عالم لا تطغى فيه المادة على الروح او الروح على المادة ، عالم يتسم بكونه ماديا روحيا يروي ظما الانسان المادي والروحي ، حتى لا يختل ذلك التوازن الذى هو من مقومات الشخصية البشرية في كل زمان ومكان . ان الانسان يحاول دائما ان يعرف عالمه المحيط به واكثر من هذا فهو يتطلع الى معرفة اخلاقية وميتافيزيقية تروي تعطشه الدائم للبحث في اسرار هذا الكون . لقد اعتقد الاوربيون اول الامر ان الدين هو المسؤول عن تخلف الانسان العلمي والاقتصادي ولذلك قاطعوه وحاربوه وابعدوه عن حياتهم العامة وجعلوا من الكنائس امكنته الخاصة ، واستقر في اعماقهم ان العلم هو كل شيء وان من العبث التعلق باوهام الكنيسة . واذا دققنا النظر نجد ان الاوربيين كانوا على حق في حملتهم تلك ، فان المسيحية المشوهة المنحرفة عن التعاليم الاصيلة لم تكن لتروي ظماهم الروحي خصوصا وانهم جعلوا العلم شعارهم في كل مجال ، فكيف يتفق البحث العلمي الفلسفي المعتمد على العقل والمنطق مع اوهام وخزعبلات

كثيـرة ؟ ولكن هل استطاع الاوربيون ان ينتهوا من هذا المشكل ؟ كلا انهم يعيشون اليوم ما يمكن ان نطلق عليه اسم « الفراغ الروحي » وهي ظاهرة لها آثار وابعاد خطيرة على الشخصيـة الاوربية ، ان التفاضل بين الحضارات لا يقوم على اساس المادة وحدها وانما على اساس مدى التوفيق بين الشعور المادي والشعور الروحي ، نعم ان الحضارة الغربية تمثل رقي ما وصل اليه الانسـان من الناحية المادية ولكنها لا تمثل ذلك من الناحية الروحيـــة ، لقد انهارت النفسية الاوربية اليوم وكـذا الامريكيـة ، وكلنا يعلم الكثير عن مشاكل الشبـاب في هـــذا العالم ، وقد يرجع البعض هذه المشاكل الى اسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية ، ولكن الواقع ان الاسباب الروحية هي فيمقدمة هذه الاسباب ، ان الشباب الاوربي يشعر بفراغ روحي كبير ويشعـر بحاجة ماسة للرجوع الى عهـد البدائيـة وعصـر الانسان البسيط ، لان الحضارة المادية قد اتخمته، ولهذا فهو يحاول ان يسخر هذه المعرفة العلمية على الاقل للوصول الى الحقيقة الدينية ، يقول الدكتور يوسف كمال الحاج في كتابه « فلسفيات » « لا شك في ان مدنية هذا العصر هي مدنية علمية ، ولكنها تتجه بموجب نزعتها العلمية هذه ، نحو الشعـور اكثر فاكثر بالحاجة الى الدين . التقدم العلمي هو اندفاع ، نحو معرفـة دينيـة اصـح » لقد ادرك الاوربيون اليوم اهمية الدين السماوي في ملء الفراغ الروحي وتوفير الطمانينة النفسية والروحيـة ، ولذلك صاروا يقومون بحملات عديـدة في مختلـف الميادين غايتها وعظ الشباب وارشادهم وهدايتهم الى الدين . ففي سويسرا نسمع ما يسمى بفرقة السلام الكنسية التي تعزف الالحان الموسيقية وتدعو الناس الى الاخذ بالدين المسيحي، وفي حديقة هايدبارك بلندن يكثر الوعاظ والمرشدون ، وفي اكثر جامعات اوربا يوجد ما يسمى بجمعيـات الطـلاب المسيحيين التي تعقد ندوات اسبوعية دينية ، كما ان من اسبـاب محاولة الرجوع الى الدين المسيحي ان يواجه الغرب به شبح الشيوعية الزاحف ، وعلى ذكر الشيوعيـة نرى انها اخطات حين ابعدت الدين وحاربته واعتبرته افيون الشعوب ، ولكنها ما زالت في نشوة عظمتهـا وقوتها التي حققتها خلال خمسين سنة ، ويوم يفيق اصحابها ـ او لعلهم بداوا يفيقـون ـ من سكرتهـم يدركون مدى الخطأ الذي وقعوا حينما اعلنوها حربا شعواء على الدين سواء أكان الاسلام او المسيحية .

ورغم كل تلك الحملات التي يقوم بها الغرب لاعادة الناس الى الدين المسيحـي فان مظـاهر القلـق والاضطرابات والامراض النفسية والاجتماعية وحوادث الانتحار لا تزداد الا استفحالا ، وهذا القلـق ليس ظاهرة ناشئة عن آثار الحربين العالميتين بقدر ما هو قلق الانسان الغربي المتطلع الى طمانينة روحيـة . وقد ادرك بعض الاوربيين الاتجاه الديني الصحيح في السنوات الاخيرة وذلك باعتناقهم للدين الاسلامي ، بل اننا نلاحظ ونسمع كثيرا عن ميل الشباب الاوربي الى الاسلام والى العالم الاسلامي علهم يجدون فيه تلك الحقيقة الضائعة ، وقد ذكر الدكتور مصطفى السباعي في كتابه من روائع حضارتنا ان استـاذا انجليزيا اعتنق الاسلام قال له : « ان هذه الحضارة تفقد الشرف والجمال ! فقلت له : (يعني الدكتور السباعي) اما فقدانها للشرف فلا انازعـك فيه .. واما فقدانها للجمال فكيف ؟ والنـاس يرونها اروع حضارة عنيت بالجمال .. جمال الطبيعة ، وجمـال اللباس ، وجمال المـدن ، وجمال البيـت ، وجمال المراة ايضا !.. فقال : انها فقدت جمال الروح وجمال الذوق الفطري وجمال الخلق » .

اذن هل يمكننا من خلال ما تقدم ان نصل الى نتيجة وهي ان الحضارتيـن الغربيـة والشيوعيـة ليست لهما تلك المقومات الروحية التي تضمن لهما الدوام والاستمرار باعتبار ان الانسان مادة وروح؟ وبالتالي هل يمكن للعرب ان يثبوا من جديد والحالة هذه انهم يمتلكون مقومات روحية انسانية متمثلة في الاسلام ؟ نحن لا يهمنا كثيرا التساؤل حول مصير الحضارة الغربية بقدر ما يهمنا البحث في المقومـات الصحيحة التي تضمـن للعـرب وثبـة جديـدة ! شخصيـا اعتقـــد هـــذا ، كمـــا اجـــزم ان هناك كثيرا من العرب والاجانب يساندون هذا الراي بحجج ودلائل مقنعة ، ولكن لنبحث مشكلتنا فبعـد اتصالنا بالاوربيين وتأثرنا بمظاهر حضارتهم تكونت عندنا فئتان : الفئة المفتونة بالغرب والفئة المفتونـة بالشرق ، فالاولى تعتقد ان الحضارة الاوربية هي كل شيء ، وان العرب لا يستطيعون مجاراتها بتاتا ، ولذلك يجدر بنا ـ حسب زعمهم ـ ان نقلدهـا في جميع مظاهرها وخصائصها ، والثانيـة تدعـو الى الاعتماد على تراثنا الماضي واحيائه كله والابتعاد عن كثير من المظاهر الحضارية الغربية ، وازاء هـــذا الاختلاق يتدخل الغربيون في شؤوننا ويدعوننا الى

التغريب والانفصال عن ماضينا ناسين او متناسين انهم هم انفسهم قد اعتمدوا ابان نهضتهم على التراث اليوناني واللاتيني وكذا التراث العربي . ان الفئة الاولى قد اخطات كثيرا حينما دعت الى الانفصال عن الماضي نهائيا ، فالانفصال عنه سيتركنا ضائعين ، ويمحو شخصيتنا لان من لا ماضي له لا حاضر له ولا مستقبل له ، وهم يخطئون حينما يعتقدون ان العرب قد تقدموا نتيجة لدخول الاستعمار الغربي الى بلادهم ، والحقيقة انهم بداوا طريق التقدم حينما استقلوا وامسكوا مصيرهم بأيديهم ، لان الاستعمار الغربي ترك ببلادنا مشاكل متعددة اكثر مما عمل على تقدمنا ، اما الفئة الثانية فهي مخطئة كل الخطا حينما تعتقد ان احياء التراث الماضي كله صالح لنا ، اننا لا ننكر ان من التراث ما هو صالح وحافز لنا على العمل ومنه ما ولى عهده واجدر به ان يهمل في زاوية النسيان ، ان التراث يجب الاعتماد عليه من حيث كونه نقطة للانطلاق لا رجوعا الى الوراء ، فليس من المعقول ان غيرنا يحارب بالقنابل الذرية واننا نحارب بأساحةعمر بن الخطاب ، نعم يجب ان نعيد عهد عمر بن الخطاب ولكن ماذا نعيد منه ؟ نعيد ذلك الايمان الصادق والطموح المثالي والكفاح المرير الذى ينقصنا فى عصرنا هذا ، وقد اثبتنا فى الماضي اننا قادرون على هذه الحضارة وفى عصر الظلام بالذات ودليل ذلك قول الله تعالى « وكذلك جعلناكم امةوسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » وقديما حينما اعتمد العرب على مبادىء الاسلام الصحيحة اوصلهم الى غايتهم لانه دين يدعو قبل كل شيء الى العلم والى التفكير والتدبير . ان لنا من اليابان خير مثال ، فاليابان كما نعرف جميعا كانت فى مستوى تخلفنا منذ مائة سنة تقريبا ، ولكنها استطاعت ان تنهض من كبوتها وذلك باعتمادها على ما هو صالح ونافع من تراثها ، ثم بتاثرها بالحضارة الغربية ، حتى وصلت الى ما هي عليه اليوم ، لماذا ؟ لان الشعب الياباني شعب العمل والصبر والكفاح والوحدة . ان من الواجب على العرب فى عصرنا هذا ان يعتمدوا على العلم وعلى التخطيط الاقتصادي المنظم جاعلين مبادىء الدين الاسلامي القويمة التى تحث على العلم وعلى العمل والتي تنظم حياة الانسان الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تنظيما متقنا نصب اعينهم ، وليس عيبا ان ناخذ عن الغرب، وانما العيب ان يستقر فى اذهاننا عدم مضاهاته وتحديه ، ذلك لان الحضارة عالمية ، نعم لقد استيقظنا متاخرين ولكننا اذا قارنا بين ما كنا فيه ابان عصر الجمود وبين ما وصلنا اليه حاليا لوجدنا اننا قد قطعنا اشواطا بعيدة فى سلم الحضارة ، لان الغربيين ما كانوا ليتركونا نحصل على الحظ القليل من هذا التقدم ، ان لامة العربية ما زالت امة فتية لها عادات وتقاليد ودين ولغة واصل واحد ، وهذه الخصائص المتوفرة فى العرب ليس لها مثيل فى امة اخرى، واكثر من هذا لها دين اثبت صلاحيته وعظمته منذ ظهوره حتى الآن ، لانه دين الاهي سماوي يتفق ومبادىء ومعتقدات العقل السليم ، وهو دين غير جامد كما يزعم البعض فهو قادر على ان يساير التطور الانساني فى كل زمان ومكان ، وللاسف الشديد هناك جماعات عربية كثيرة تعتقد ان عصر الاسلام قد ولى وغبر وانه يعوق الانسان عن التقدم الحاضر ، اذن فاي دين اصلح ؟ لا شك ان غلبية سكان العالم المسيحي وكذا اليهودي يؤمنون فى ظاهرهم او في اعماق اعماقهم بتفاهة وسخافة دياناتهم المشوهة ، ولذلك يقومون بحملات مسعورة للاجهاز على ديننا الاسلامي الذى اثبت صموده وتحديه لهم ، ولانهم اول من يدرك ان السر فى بقاء العرب رغم ما أصابهم فى الماضي والحاضر ، هو فى هذه المبادىء الاسلامية الخالدة ، ثم هم موقنون بان هذا الدين هو الدافع الاول والاخير لتقدم العرب . اذن فالحضارة ليست وقفا على الغرب وحده او الشرق الشيوعي وحده ، وليست خالدة فى مجتمع مهمل للجانب الروحي ، وانما هي عائدة الى امة تستطيع الحفاظ على ذلك التوازن الروحي المادي بفضل اعتقادها وعملها بمبادىء الحقيقة الخالدة .

مكناس ـ مومن عبد اللطيف

الأحجار الكريمة في الفكر العربي

بقلم الأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح

الاحجار الكريمة زهور لاتذبل ، ولا يزول قدرها مع الزمن ، تجتذب الانظار بالوانها الجذابة ، وبريقها الاخاذ .

ولهذا جلبت اهتمام الانسان منذ اقدم العصور ، وكان لصلابتها ومقاومتها لكل عارضة أثر كبير في الفكر الانساني ..

وان جلالة الطبيعة بأسرها ، لمركزة في اصغر نطاق ، داخل الاحجار الكريمة .. وانه ليكفي حجر واحد من هذه الاحجار .. كي تقف على قمة الخلق ، وذروة الابداع ..

وللاحجار الكريمة خصائص كامنة منحتها لها الطبيعة .. والصفات التى تتميز بها ، هي التى تتحكم في تقديرها ..

وكما تمدنا مملكة المعادن بكثير من الاحجار الكريمة ، فان مملكة الحيوان كذلك تغدق علينا اللؤلؤ ، والمرجان ، والعاج . كما تمنحنا مملكة النبات : الكهرمان الاصفر ، والكهرمان الاسود .

واحجار مملكة المعادن عامة ، اكثر صلادة وقوة من احجار المملكتين الاخريين ، وهذه الصلادة هي التي تكسبها صفة البقاء .. ولولاها لتأثرت بعوامل التفتت والعطب .. وكلما زادت درجة الحجر ، كلما سما قدره ، وعلا شأنه (1) .

والاحجار عموما كالاحجار وردت في القرآن الكريم على معان كثيرة ، أهمها :

اولا : وردت بمعنى حجر الكبريت ، قال تعالى : « وقودها الناس والحجارة » (2) . وقيل بل هي الحجارة بعينها ، ونبه بذلك على عظم تلك النار ، وقيل اراد بالحجارة الذين هم في امتناعهم وصلابتهم عن قبول الحق كالحجارة ، كمن وصفهم بقوله : « فهي كالحجارة او اشد قسوة » (3) .

ثانيا : وردت بمعنى الجبال ، قال تعالى : « وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وان منها لما يهبط من خشية الله ، وما الله بغافل عما تعملون » (4) .

ثالثا : وردت بمعنى حجر موسى عليه السلام ، قال تعالى : « فقلنا اضرب بعصاك الحجر » (5) .

رابعا : جاءت بمعنى حجر العذاب لقوم لوط ، قال تعالى : «وامطرنا عليهم حجارة من سجيل» (6) .

---

(1) انظر الاحجار الكريمة للدكتور عبد الرحمن زكي ص 6 القاهرة .
(2) سورة البقرة ، آية رقم 24 .
(3) سورة البقرة آية رقم 74 .
(4) سورة البقرة . آية رقم 74 .
(5) سورة البقرة . آية رقم 60 .
(6) سورة هود . آية رقم 82 .

خامسا : جاءت بمعنى حجر الكعبة على اصحاب الفيل ، قال تعالى: « ترميهم بحجارة من سجيل» (7) والحجر يقول عنه الفيروزابادي : هو الحجر الصلب ، وجمعه احجار فى القلة ، وفى الكثرة حجار وحجارة (8) .

والاحجار الكريمة قد اهتم بها القرآن الكريم ، اهتماما لفت الانظار ، وكان من ذلك ان اعطاها من اساليب التشبيه ، ما زادها سناء ، ورفع من قدرها ..

قال تعالى : « وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون » (9) واللؤلؤ : الدر ، واللؤلؤ المكنون : الذي لم تمسه الايدي ، ولم يقع عليه الغبار ، فهو اشد ما يكون صفاء ونقاء .

و « حور عين كامثال اللؤلؤ المكنون » بمعنى انهن ــ الحور العين ــ فى تشاكل اجسادهن فى الحسن من جميع جوانبهن (10) .. كما قال الشاعر :

كأنما خلقت فى قشر لؤلؤة
فكل اكنافها وجه لمرصاد

وكامثال اللؤلؤ المكنون : كامثال الدر ، يخرج من صدفه وكنه لم يغيره الزمان ، واختلاف احوال الاستعمار ، فصفاءهن وتلألؤهن ، كصفاء الدر وتلألئه (11) .

وقد شبهت الشعراء بالدر ، ولم تأت بهذه الصفة ، فى هذا الاختصار . ومن ذلك قول النابغة :

كمضيئة صدفية غواصها
بهج متى يراها يهل ويسجد (12)

وقال الاعشى :

وقد اراها بين اترابها
فى الحي ذي البهجة والسامر

اذ هي مثل الغصن ميالة
تروق عيني ذي الحجى الزائر

كدمية صور محرابها
بمذهب فى مرمر مائر

او بيضة فى الدعص مكنونة
او درة سيقت الى تاجر

لو اسندها ميتا الى نحرها
عاش ولم ينقل الى قابر (13)

وقال الفرزدق :

كدرة غواص رمى فى مهيبة
باجرامه والنفس يخشى ضميرها

موكلة بالدر خرساء قد بكى
اليه من الغواص قدما نذيرها (14)

ومن مليح الكلام ومختاره قول جرير :

ما استوصف الناس من شيء يروقهم
الا ارى ام نوح فوق ما وصفوا

كأنها مزنة غراء لائحة
ودرة ما يواري ضوءها الصدف (15)

---

(7) سورة الفيل آية رقم 4 .
(8) انظر بصائر ذوي التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ، للفيروزابادي . الجزء الثاني ص 436 طبع المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة .
(9) سورة الواقعة الآيتان رقم 22،23 .
(10) انظر تفسير القرطبي ، طبع كتاب الشعب ص 6375 ــ القاهرة .
(11) راجع : الجمان فى تشبيهات القرآن ، لابن ناقيا البغدادي ص 334 طبع وزارة الاوقاف بالكويت .
(12) انظر ديوان النابغة ص 67 .
(13) ديوان الاعشى . ص 139 .
(14) ديوان الفرزدق ، ج 2 ص 455 .
(15) ديوان جرير . ج 2 ص 14 .

وقال ابو نواس :

ظبـــي كـان اللـــه الـ
بـــه قشور الدر جلـدا (16)

ويقول بشار :

كانما خلقت من قشـر لؤلـؤة
فى كل اكنافها حسن بمرصاد (17)

وقال ابن الرومي :

تواضع الدر اذ البســن فاخـره
فكن درا وكان الدر اصدافا (18)

وقال تعالى : « كأنهن الياقوت والمرجان » (19) والياقوت فارسي معرب ، والواحد منه ياقوتـة ، والجمع : اليواقيت . وهو ثلاثة اجنـاس ، أصفر واحمر وكحلي .. فالاحمر اشرفها وانفسها ، وهو حجر اذا نفخ عليه النار ، ازداد حسنا وحمرة ، فان كانت فيه نكتة شديـدة الحمرة وادخـل النـار ، انبسطت فى الحجـر ، فسقتـه من تلـك الحمـرة وحسنته .. ون كانت فيه نكتة سـوداء ، قـل سوادها ونقص ، ولاصفر منه اقل صبرا منه على النار من لاحمر . واما الكحلي فلا صبر له على النار البتة (20)

وقال قوم : المرجان صغار اللؤلؤ ، الا ان صاحب الجمـان قال : ولا يصح ما قالـوا ، لان المرجـان جنس آخر : وهو احمر اللون ينشا فى قرار البحر متشجرا ، ويخرج بالكلاليب ، قال تعالى : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » (21) . ولو كان المرجان صغار اللؤلؤ ، لما كان فى هذا التكرار فائدة (22) .

والتشبيه هنا بالمرجـان ، ليدل ذلك على تشبيههم بالياقوت الاحمر ، وهو احسن الياقوت ، قال الشاعر :

هجان عليها حمرة فى بياضهـا
تروق بها العيتان والحسن احمر

وانشد الخليل بن احمد :

انمـا الذلفـاء ياقـوتـة
اخرجت من كيس دهقان (23)

وقال القائل :

هي كالـدرة المصونـة حسـنا
فى صفـاء الياقـوت والمرجـان

وقالوا فى اسماء النساء ياقوتة ، كما قالوا فى تسميتهن : لؤلؤة ومرجانة ، وذلك مثل ما ذكروا فى وصف زينتهن ، كقول النابغة :

بالدر والياقـوت زيـن نحرهـا
ومفصل من لؤلؤ وزبرجد (24)

ون الباحث والمفكر ، يجد ان الاشعار العربية، فيها كثير من التشبيهات بالجواهر ، وهذا يفيد ان الفكر العربي لمس فيها الجمال والدقة والابداع .

وقد ورد عن امريء القيس :

فاسبل دمعـي كفيـض الجمـا
ن والـدر رقراقـة المتحـدر

وعن طرفة بن معد يكـرب :

وفى الحي احوى ينفض المردشـان
مظاهر سمطـى لؤلـؤ وزبرجـد

---

(16) الجمان فى تشبيهات القرآن ص 339 .
(17) ديوان بشـار ج 2 ص 318 .
(18) مختارات الكيلاني . ص 215 .
(19) سورة الرحمن آية رقم 58 .
(20) البصائر للفيروزابادي ج 5 ص 391 .
(21) سورة الرحمن آية رقم 22 .
(22) الجمان فى تشبيهات القرآن . ص 330 .
(23) انظر : لسان العرب لابن منظور ج 11 ص 10 .
(24) ديوان النابغة ص 98 .

قال الصنوبري :

كأنما النرجس في روضة
اذا شنته الريح من قرب

اقداح ياقوت تعاطيكما
أنامل من لؤلؤ رطب

وقال ابراهيم النظام :

يسقى بلؤلؤة في جوف لؤلؤة
من كف لؤلؤة فاللون حسي

ماء وماء وفي ماء يديرهما
ماء جرى فيهما ولفكر وهمي

ويقول ابو الفرج بن هند :

البحر يخزن دره في قعره
وغثاؤه المبذول للرواد

ولا عجب فان الشعراء يستمدون تشبيهاتهم من نفائس الاحجار ، وقد اختص بهذا النوع من التشبيه ، لاول مرة ، الادباء العرب ، في دولة بني عباس ، واخذه عنهم الشعراء في سائر البلاد الاسلامية . ودواوين هؤلاء الشعراء ، مملوءة بهذه الاوصاف .

وهذا علي بن جهم يشبه الورد بالياقوت ، يحيطه الزمرد ، وفي وسطه تبر مسبوك ، يقول :

كحقة عاج ضببت بزبرجد
صوت قطع الياقوت في عطن القطن

ولله در القائل :

كأن محمر الشقيق اذا تصوب او تصعد
اعلام ياقوت نشرن على رماح زبرجد

وفي كل هذه التشابيه يكثر ذكر الياقوت ، لانه يعتبر الجوهر الاعلى قيمة ، ويذكر البيروني في كتاب الاحجار ، وكذلك القلقشندي ، في المكان الاول من نفائس الاحجار .

ومن اجمل ما ورد في وصف الياقوت شعر البحتري ، في خاتم ياقوت :

بياقوتة تبهي علي وتشرق

يغار حمرار الورد من حسن صبغها
ويحكيه جادي الرحيق المعتق

اذا برزت للشمس قلت تجارتا
الى أمد او كادت الشمس تسبق

اذا لتهبت في اللحظ ضاهي ضياؤها
جبينك عند الحرد اذ يتالق

ولا يخفى على الباحثين ما قدمه العرب ، من البحوث والدراسات الجادة، في علم الاحجار الكريمة، منذ ازدهرت الحضارة لاسلامية .

ولا غرو في ذلك ، فان البلاد الاسلامية الفسيحة ، اشتملت على شتى المعادن وانواع الاحجار الكريمة ، كما اشتهرت السواحل العربية بمغاص الدر والمرجان وكان تجار البلاد العربية يستوردون اصناف الجواهر المختلفة من الشرق الاقصى والهند وسيلان .

ويعد من اقدم الخبراء عند العرب ، والذين لهم صلة بالجواهر في الهند ، الصباح جد يعقوب الكندي

ومن المشهورين من طبقة الجوهريين ، على ايام بني مروان ، وبني العباس ، (عون العبادي) ، وايوب الاسود البصري ، وبشر بن شاذان ، وصباح ، ويعقوب الكندي ، وعبد الرحمان بن الجصاص ، و بن بهلول ..

ويعد كتاب « الجماهر في معرفة الجواهر » لابي الريحان محمد البيروني (25) ، من خير ما كتبه العلماء العرب ، في هذا الموضوع .

وقد رجع عند كتابته الى دراسة الاحجار الكريمة ، دراسة علمية ، ونقد ما كتبه علماء الهند ، والعرب الذين تقدموا زمانه .

وقد اشتمل كتاب البيروني ، على وصف اثنين وعشرين حجرا من الاحجار الكريمة وقد فاق ابو الريحان جميع العرب ، في هذا الفن ، ويعد البيروني من جهابذة رجال العلم الذين يعتد بهم ، ويعتمد عليهم .

---

(25) ولد ابو الريحان البيروني في عام 362 هـ . وتوفي في 440 هـ .

وشهاب الدين التيفاشي (26) ، الف كتابه المشهور : « ازهار الافكار فى جواهر الاحجار » وقد وصف فيه خمسة وعشرين نوعا من الاحجار الكريمة ، وتناول كل نوع منها على حدة ، ذاكرا خصائصها وصفاتها .

ومحمد النجاري ، المعروف بابن الاكفاني (27)، يعد من اعلام المؤلفين فى الاحجار الكريمة ، وله : « نخب الذخائر فى احوال الجواهر » .

وقد اهتم علماء اوربا بالدراسات العربية التي تناولت الاحجار الكريمة ، وكان اول مستشرق يهتم بهذا الفرع، هو العالم الهولندي: سي. ف. رافيوس S. F. Ravius لانه وجد فى الشعر العربي ، تشبيهات عديدة ، باللؤلؤ والمرجان ، والجواهر النفيسة ، فاراد معرفة اطلاع العرب الاقدمين ، على هذا النوع من المعرفة .

فقام فى اواخر عام 1784 م ، فى « وترخت » من هولندا، بترجمة كتاب احمد بن يوسف التيفاشي، الى اللغة اللاتينية .

اعقب ذلك اشتغال جمهرة من المستشرقين الايطاليين ،والنمساويين، والفرنسيين ، والانجليز، بعلوم الجواهر ، فنشروا وترجموا مختلف الكتب فى هذا الموضوع. وفى طليعة هؤلاء ، وستنفلد Wastenfeld وكليمنت موليه Mallet ويدن مان Wiedemon ويوليوس روسكا Ruska وهولميارد Holmyard (28) وغيرهم من رجالات الفكر والفن والدراسات العلمية .

وفى عام 1818 م نشر الكونت الايطالي : انطونيو رينيري بشيا Antonio Raineri Biscin فى ايطاليا كتاب التيفاشي « ازهار الافكار فى جواهر الاحجار » . ثم اعيد طبعه بنصه العربي وترجمته الايطالية فى عام 1906 م .

وقد نقل كتاب التيفاشي الاستاذ : (كليمنت موليه) الى اللغة الفرنسية ، واضاف اليه شروحا وزيادات وايضاحات من كتب عربية اخرى .

ونشره فى المجلة الاسيوية ، فى تسلسلها السادس فى المجلد الحادي عشر الصادر فى عام 1868 م (29) .

ومما يذكر ان علماء الاستشراق اهتموا بالعلوم العربية ودرستها بانعام وتامل ، فافادوا وبعثوا هذه العلوم الى الحياة .

وعلماء العرب اهتموا بعلاقة الاحجار الكريمة باللغة العربية ، فنجد ان اكثر علماء الاحجار ، وخاصة البيروني ، والتيفاشي ، والاكفاني ، وغيرهم ، يعالجون القضايا اللغوية فى شرح معلوماتهم عن الاحجار .

ولقد حصل فى مجرى الحركة الفكرية العامة ، فى العصور الاولى من العهد الاسلامي بعد ان تم الاقبال على دراسة القرآن الكريم ، والحديث الشريف ــ الميل لنقد النصوص ، ووضع القواعد اللغوية .. وقد رافق ذلك حيوية جديدة ، فى جميع المفردات التى لم تقف فى دورها عند الاشعار والامثال ، بل تعدت ذلك الى كثير من الاسماء المختلفة .

ونجد مثل هذه المعالجة فى كتاب : «فقه اللغة» الثعالبي ، وكتاب « المخصص » لابن سيده ، وحتى فى « الفصول والغايات » للمعري ، وغيرها ..

وان نظرة دقيقة عميقة فى تاريخ العلوم ، ترينا ان الجهود الحاضرة ليست الا نتيجة طبيعية ، لتطور مديد ، لا يقف عند الزمن ، بل يتابع جريانه الى الاجيال المقبلة .. وما الزمن الحاضر الا جسر للمستقبل ..

واننا كلما وعينا التاريخ وفهمنا اصوله ، كلما وعينا مجرى التطور الانساني ، فمن معرفتنا عالم الامس ، يمكننا وعي جهود اليوم ..

وكما ان جهود العلماء الاوائل، كانت فيما مضى، عبارة عن حقائق حية فكذلك الجهود المتواصلة ..

وكان العلماء العرب يبحثون فى الاحجار ، بيقظة فكرية واعية ، فكانوا يدققون من جهة ، ويقومون باجراء التجارب من جهةاخرى .. وهذا ينبيء عن ذكاء قادر ، وفهم اصيل ..

المملكة العربية السعودية ــ احمد عبد الرحيم السايح

---

(26) ولد شهاب الدين التيفاشي . عام 651 هـ . وتوفى فى 1293 م .
(27) ولد الاكتاني عام 749 هـ وتوفى عام 1348 م .
(28) انظر مجلة فكر وفن ــ العدد السادس ص 26 طبع المانيا الغربية ــ مجلة نصف سنوية .
(29) الاحجار الكريمة للدكتور عبد الرحمن زكي ص 14 .



سماء الخريف في لبنان

للاستاذ سليم الرافعي .

قوافل على مفترق الطرق تحمل امتعتها وخيامها .

قبائل مهاجرة ، يصرخ فيها الصبيان وتعوي الكلاب وتتلكأ العجائز والحوامل وتتساقط الاوعية وتتكسر الاواني فتلمع شظاياها ويصم دويها الآذان .

عربات يقطر بعضها بعضا ، يجرها بائع مخلفات الحروب . تحرن بغالها فتعترض وسط الطريق ، ويرتفع صوت زاجرها ثم يهدر فمه بصرخات السباب .

تتناثر الحشايا فيسقط ما في بطنها من صوف وقطن وتندب النساء بشعورهن المنفوشة وقمصانهن المهلهلة .

وعلى بعد خطوات يتبختر رجال مفتولو الاذرع والشوارب يضعون غلايينهم الضخمة على افواههم ويعتمرون خوذات الحرب وتردد الاصداء وعيدهم وأناشيدهم .

وفرسان من سلالة العبقرية المنقرضة يمتطون جيادا ضافية اللجم رائعة السرج حوافرها اجنحة وأرجلها اعمدة وآباطها هياكل واعرافها مآذن وصهيلها اذان نواقيس .

وحبال متصلة هنا وهناك سرعان ما تنقطع ثم تتصل بمهارة حمقاء ، ثم تتداخل فيها اشباح القوارب والبواخر والجمال وقطعان الضان والجواميس .

وقطارات بعضها معاكس للبعض الآخر ، مداخنها متطايرة ، وخطوطها آيلة للسقوط ، وركابها يصعدون ويهبطون ، ماشمون يقتلعون كل قضيب وينهالون على الركب المتقدم بأخشاب وجذوع وعصي وبنادق وزجاجات ومكانس وثياب وحيوانات ..

انه زمن يسير ، يتحرك بطاقاته الكبيرة وامكاناته المتلاحمة .. انه زمن الخريف !

ــ ولكن ، من صنع الخريف ؟

ــ الغوغاء ، دون شك .

الغوغاء قدرة الزمن الكبرى يثور بها على النظام والحكمة والجمال والاستقرار والارتباط والقانون .

ولابد لحضارة الصيف من غوغاء تنقم ، وتهدم.

فقد استفحل الهدوء ، وتأنق الجمال ، وسجا البحر ، وتألقت الكواكب ، وتناغمت الأنسام واستقرت الاوضاع . فاحقد ذلك كله رهطا لا يصبر على جمال ولا يتحمل وطاة نظام ولا يندمج في حياة، فاذا هو يتسلل من الزوايا وينطلق من الجحور ويتسرب من المغاور ، حتى بات جمهورا صاخبا تلاقى في مصادفة باغتة .

فأخذ يتقلب ، ويتسكع .. ثم يتحرش ، ثم يتجرأ على حرس ذاهل وجند نائم وسلطان آمن ، ثم ينتشر في كل مكان فيصرخ ويزعق ، ويخبط ويضرب ، ويكسر ويفجر .. فهل ينتصر الخريف ؟

ـ الطبيعة اضعف من ان تثبت على نظام ، واقوى من ان تنتظم على ضعف . الطبيعة تزلزل النظام لانها تريد المحافظة على النظام .

الطبيعة تنشيء الصيف ، لتسجل به عصرها الذهبي .

ان سر الطبيعة في اعماق الفوغاء . فالروح الفوغائية هي موجة الاختبار المريرة ، ارادة التحدي ، والمناجزة ، فلو استمرت لزال النظام ، ولو تجاهلها لزال ايضا ! .

طابت الثمار في الصيف واعتدلت الاهوية ، وتعرت الشطآن وتبخترت الآفاق ، فتطلعت روح التغاير الى هذا المشهد الخلاب . وادركت الطبيعة ان قدرتها العميقة يجب ان تستمر ـ اي يجب ان تقدم الثمار دائما . وهذا يقتضيها عملا ثوريا جذريا مرتبطا بالحقيقة المتكاملة .

فالصيف جزء من حقيقة الطبيعة . وفي عقلها الواعي ان المائدة لا بد لها من اعداد ، وفي عقلها الباطن رغبة ملحة في التغيير . ذلك ان باطنها يحوي بذور الانتفاض ـ وسطحها الظاهر يتقبل عناصر المائدة خارجة من الاعماق .

يصرخ الخريف : الى متى تستمر الغصون الجافة والاوراق المصفرة ، والسيقان المرتعشة ؟

ويطلع علينا الجواب : حفنة من الاوباش : تبرطم ، وتهمهم ، وتخرب وتدمر ، ان الاوباش معول الطبيعة تستنبت به الاخيار . فلا بد لنا من غيوم زاخرة سوداء ، تركب السماء ، وتستبد بها صباح مساء ، وتلقي علينا قيئها واحقادها واضغانها وتهددنا كل لحظة بالدمار .

الغيوم رسائل من جوف الطبيعة . معناها العمل مستمر !

كما أن لدخان الموقد رسالة تقول : ان الطعام سينضج !

تسمع هديرها وصراخها فنعلم اننا لا بقاء لنا افرادا وان البقاء لحقيقتنا الكلية . فنحن شعوبا وامما ودولا وحضارات معرضون للحركة الكبرى : حركة التغيير والتطور .

فما معنى تشبثنا بالقشور الوادعة ؟

يقول الخريف : لابد لكم من ملاقاة الحقيقة بمعولها المخرب . ومعولها المخرب هذا قد لا نلحظه في كل وقت لاننا لا ننظر الا الى الثمرات والزهور والجمال والنظام .

نحن ننظر الى الينابيع الصافية العذبة، نرتشف منها بايدينا ونحتسيها باقداحنا . ولا نتذكر ان زلزلة الخريف هي التي مهدت لهذه الخيوط الرقراقة . ونحن ننظر الى البساتين ببرتقالها وتفاحها ، ولا نتذكر ان الشتاء قام بالدور الاكبر ، وان شراسة العواصف اعطتنا فصل الربيع ، ثم فصل الصيف ، بعد ان استمر العمل الشاق اسابيع رهيبة ، قامت خلالها عناصر الطبيعة بالتفاعل والتجانس ، ثم تآخت وترابطت في خضرة زاهية . فمددنا ايدينا حين قطفنا الثمرة الى الظاهر ، ولم نتحسس حقيقة الباطن الفاعل .

يفعل الغيب عالم الحقيقة . اما العالم الحاضر، فانه يطفو على سطح التصورات . لكن ، سرعان ما تعتريه نهايته المتربصة فتذهل العيون وترتعد الفرائص .

يلطمنا الخريف بقبضته القوية ، وينذرنا بالشتاء ، فماذا ترانا نفعل ؟

ـ نخلع عرينا ، ونرتدي ملابسنا ، وننحدر من رؤوس الجبال ، ونأوي الى البيوت والمدافيء . وشعورنا المباشر يقول : اسرعوا ، اسرعوا ، فالحقيقة وراءكم ! وشعورنا الخفي يهمس في حيرة :

ـ لماذا تلزمنا الطبيعة بقوانينها ؟ السنا سادة الطبيعة وقاهريها ؟ ركبنا الجو ، وحملنا الحديد كالريشة التافهة ، وحفرنا الانفاق ، وبنينا المدن ، وفجرنا الذرة ، وبلغنا في طوافنا بحر الغيوم ، فكيف ترتعد اجسادنا امام غضبة الخريف الجادة ؟ هل انتصرنا نحن البشر حقيقة ؟ ولكن ـ لماذا تنتصر علينا الطبيعة اربع مرات كل عام ؟

وقد يطل راكب سيارة على طريق ممتد من طرابلس الى بيروت فتلتقط عيناه تلك المشاهد البائسة التي التقطها جده الاعلى في العصر الفينيقي:

مشاهد الخريف التي لا تتغير : غصون ذابلة ، واوراق متساقطة ، وسحب متهدلة ، وقرى تحتضن الناس في اكسار بيوتهم .

حقا ، لقد تبدلت مقاعد الناس وملابسهم وادواتهم — ولكن — لم يتبدل شعورهم ، فأين جبروتهم ؟

— انه القدرة على التطور ، والتطور شيء لا يملكه الفرد ، مهما ملك من أسباب الرفاهية . اننا ننحدر ، او نتصعد ، وارادتنا تفعل لنا كل ما كانت تفعل لاسلافنا ، فنحن ما نزال في قوالب البشرية ، رجالا ونساء ، ذكورا واناثا ، اننا نريد البقاء ونخشى الفناء ، ونرتعد أمام انتفاضات الارض والسماء ، ننتقل بالطائرة كما كان ينتقل أسلافنا بالدابة . ماذا حدث ؟ ما الفائدة من الطائرة او الصاروخ ؟ فنحن في حاجة الى الانتقال على أية حال ، ونحن في خوف دائم من الهلاك والانمحاق ، ونحن جنسان : قوي وضعيف ، ونحن فريقان : عدو وصديق ، ونحن عالمان : حاضر وغائب — فهل تغير شيء ؟

اما سائق السيارة فقد انغمس في دوره الجديد ، القديم ، وتطلع الى الافق الملبد بالغيوم .

منذ ثلاثة آلاف عام، كان سائق الركب القديم ، يتطلع الى الأفق أيضا ، في رحلة مشابهة من طرابلس الى بيروت ، وكان الخريف يرسم تلك الافاتين العجيبة على جوانب الافق .

لقد امسك سائقنا بمقود سيارته واداره بسهولة دون ان يفارقه ذلك الشعور القديم . شعور الخوف من الاصطدام بسيارة أو منزل او دابة .

طرابلس — لبنان : سليم الرافعي



الآثار العربية والاسلامية في المغرب العربي وحرب المستشرقين

للدكتور :
عثمان عثمان
إسماعيل

يحسن بنا بادىء ذي بدء ان نتعرض اولا ولو بايجاز الى نشأة علم الآثار واهتمام المستشرقين بدراسة آثار وفنون الاسلام ثم نقف ونستوقف لتبيان دواعي اهتمامنا بالتراث العربي الاسلامي ، ثم الوصول الى تقييم علمي ، لابحاث المستشرقين واعمالهم في ميادين تلك الدراسات .

لقد كان الانسان ميالا بطبعه الى جمع التحف التي خلفتها الاجيال السابقة وكان العرب أول من اهتم بحفظ ما جمعوه في مكان واحد وترتيب تلك الآثار فكان لهم بذلك الفضل في انشاء أول متحف أثري منذ القرن الخامس الهجري ، وهو متحف الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في القاهرة . ولم يعرف الغرب فن المتاحف الا بعد ذلك بقرون في عصر النهضة عندما تفتحت اعينهم على مخلفات اليونان والرومان ، وفي القرن الثامن عشر الميلادي أثناء الثورة الفرنسية اصبحت قصور الملوك والاشراف ملكا للشعب وأصبح قصر اللوفر في باريس بما حواه من تحف ونفائس جمعها ملوك فرنسا متحفا عظيما . ثم بدات عناية بعض العلماء بدراسة ذلك التراث بين جدران المتاحف أولا ثم انتقلوا الى دراسة العمائر والابنية القديمة حتى اهتدوا اخيرا الى ضرورة التنقيب عن الآثار في مظان وجودها وهكذا ولد علم الآثار .

وكان لعدم معرفتنا معرفة كافية بالحضارة العربية الاسلامية لعدم تجاوز معارفنا حدود ما سجلته كتب التاريخ المعروفة لدينا فقط ، ان ظلت دراسة تلك العمائر والفنون الزخرفية رهينة الجهل اسيرة النسيان حتى استهوت اهتمام المستشرقين منذ قرنين من الزمان فوضعوا فيها المؤلفات الضخمة ونشروا اللوحات والرسوم الرائعة عن آثار الاندلس ومصر والشام كما ترك الرحالة منهم مشاهدات طويلة عن آثار القاهرة والشرق الاسلامي ، ومنذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين للميلاد بدأت دراسات منظمة عن الغرب الاسلامي (1) لامثال ماكس برشم وسلادان ، كما ظهرت في اللغة الالمانية دراسات زاره الالماني وفلوي السويسري ، وفي الانجليزية دراسات بريجزولام والسيدة ديفونشير وكريسويل وديماند الامريكي .

وفي اللغة الاسبانية دراسات جوميث مورينو وتوريس بلباس ، كما كان النصيب الاوفى من حظ اللغة الفرنسية التي حفظت لنا دراسات فييت وهوتكير والفردبل ودي لافوا وريكار وميجون وهنري تيراس وهنري باسيه وبوتي وجورج مارسيه وغيرهم .

ويرجع الى هؤلاء فضل السبق في البحث عن الآثار العربية ووضع مناهج دراستها وتحديد اصولها

---

(1) راجع احمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) القاهرة 1962 ، الفصل الاول على الخصوص.

وتواريخها والوقوف على تفاصيلها وحقائقها . وقد شملت دراستهم معظم الآثار الاسلامية المعروفة بالبلاد العربية باستثناء بعض آثار المغرب (2)، التي لم يسمح للعلماء الاجانب بزيارتها ، ذلك أن سكان المغرب العربي من أدناه الى اقصاه قد هبوا حماة لتراثهم من عبث العابثين . ولعلهم ادركوا ذلك بفطرتهم الحساسة ونزعتهم التحررية منذ القدم (3) ؛ وبسبب النكبات التي اصابهم بها تاريخ الاستعمار الاجنبي فهبوا مدافعين عن تراثهم التاريخي والديني ومظاهر حضارتهم العربية الاسلامية فحرموا عددا كبيرا من علماء الاستشراق ورسل الاستعمار من أن تدنس اقدامهم مواطن حضارتهم المقدسة فوضع هؤلاء المستشرقون أبحاثهم في آثار العروبة والاسلام بالمغرب دون بحوث ميدانية مباشرة أو حفائر اثرية علمية (4) في معظم الاحوال ، الامر الذى بعد بهم عن تفهم تلك الآثار واستقراء خصائصها الصحيحة .

وقد وصلنا الآن الى مرحلة اليقين بأن البقية الباقية من الآثار العربية الاسلامية تمثل ركنا بارزا من اركان تراثنا المجيد ، كما لا يخفى أننا في موقفنا الحرج اليوم بين مختلف التيارات العالمية ، القومية والدينية والاقتصادية والفلسفية ، لا زلنا في مسيس الحاجة الى طاقة جديدة نتزود بها في اندفاعنا الى الامام . وقد تبين لنا على الحقيقة أنه ليس لدينا افضل من الوعي بالذات والتعرف على حقيقة التراث الذي قدمناه للبشرية والحضارة العالمية كحافز يدفعنا على النضال عن وجودنا . ولا بأس هنا ان نتذكر اختلاف العلماء في تفسير القوة الخارقة التي سارت بها الفتوح الاسلامية المبكرة حتى انجلت عن ارساء قواعد الدولة العربية ونشر بذور الحضارة الاسلامية .

لقد فسرها البعض برغبة العرب في نشر الدين، وارجعها البعض الآخر الى التغييرات الحادثة في موازين القوى الخارجية المحيطة بالعرب ، وذهب البعض الى انها كانت مجرد هجرة اقتصادية كباقي الهجرات المعروفة في التاريخ مثل غزوات الهكسوس على مصر، حتى رجحت اخيرا كفة النظرية القائلة بالقومية العربية . وتتلخص هذه النظرية في شعور الامة بذاتها وانبثاق الوعي العربي ، ذلك ان الامة اذا شعرت بذاتها وبما قدمته للبشرية من منجزات انسانية افاقت على صوت تراثها يناديها وسعت جاهدة لتحتل المكان اللائق بها تحت الشمس .

وقد تساءلت الدكتورة عائشة عبد الرحمن عن شكوى البعض من قصور اتصالنا الفكري بالحضارة الغربية ومشكلات الحاضر الذي نحياه ، ونبهت الى اننا ينبغي أن نشكو اولا عزلتنا عن ماضينا .

والصحيح عندي ان حياة الامم حلقات متصلة يرتبط فيها الماضي وعلله ومظاهر قوته على السواء بالحاضر الذي يمهد للمستقبل ، ذلك ان تعرفنا على مواطن الضعف ومظاهر القوة واسباب الفشل والنجاح في ماضينا والتعرف على أسرار العظمة في حضارتنا يمكن من معرفة الداء والتعرف على الدواء ، وكذلك يمكننا من متابعة المسيرة من حيث انتهت اليه اسرار علومنا وقدراتنا الحضارية .

واذا كان تاريخ الشعوب وحضارتها يتمثل فيما خلفته تلك الشعوب من آثار فكرية واخرى مادية ، وجب علينا اذن استقراء تلك المخلفات والمآثر المادية التي تمثلها المباني التاريخية ومختلف انواع المنتجات الفنية . ان تلك المآثر لا تقتصر على قدرتها الفائقة في التعبير عن عبقرية تلك الاجيال ، بل أنها تزودنا كذلك بالتعبير الملموس للحالة التي انصهرت فيها قوى المجتمع ، فالعمارة لا تظهر مع الكوخ والفقر الفكري ، وانما تظهر كدليل على الدفع الاجتماعي عندما يشعر المجموع بقدرته على تشييد بناء يكون بمثابة تركيب عضوي يترجم حالة الذوق والفكر والمدى الاقتصادي والاجتماعي بل والاستقرار السياسي كذلك ، وهو غالبا ما يقوم على أساس عقائد وفلسفات فوق حدود المادة بحيث يعتبر تشييد البناء الاسلامي كالضريح والمسجد والقصر كصورة صادقة لتلك العقائد والفلسفات على طول عصر ازدهار الحضارة العربية الاسلامية ، ذلك العصر الذي تقلدت فيه حضارتنا قيادة البشرية بأسرها في المجالات الفكرية والمادية على السواء أكثر من الف عام من الزمان .

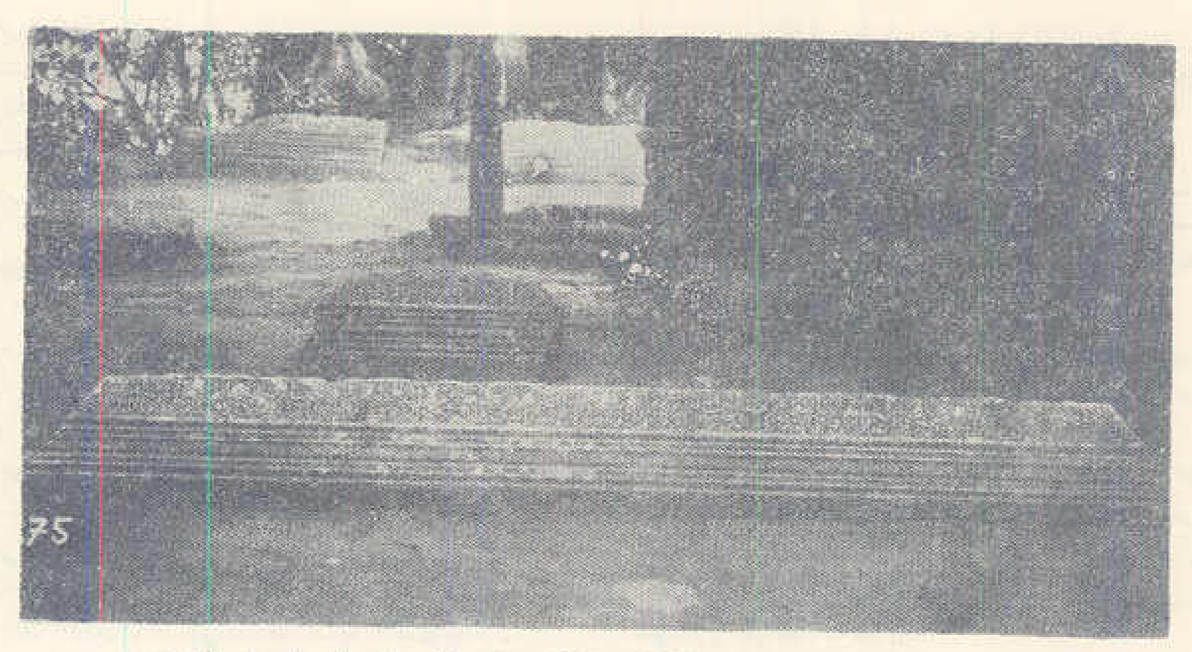
واذن فان حركة احياء التراث والاهتمام باستقراء مآثرنا يجب أن تكون نقطة البداية لانطلاق الامة من

---

(2) احمد فكري : المدخل ص 7 .

(3) عثمان عثمان : تاريخ شالة الاسلامية ، تحت الطبع بدار الثقافة – بيروت ، انظر المقدمة .

(4) اعترف بذلك ليفو بروفنسال وهنري باسيه في أبحاثهم عن شالة وانه لم يسمح لهما بعمل مجسات في الارض . انظر : Chella une nécropole mérinide, Hesperis 1922T 1-2 P. 2.



شاهد قبر الاميرة شمس الضحى والدة امير المؤمنين أبى عنان بن أمير المسلمين أبى الحسن
المريني وقد اخطأ المستشرقون فى قراءة نقشه العربي اخطاء جسيمة



احد مواقع الحفائر الاسلامية التي اجريناها بشالة عام 1959 / 1960 داخل القبة التي نسبناها الى امير المسلمين ابى سعيد عثمان المريني وتظهر اللوحة شاهد قبر منشوري الشكل تكسر الى ثلاثة اجزاء منفصلة وضع فى غير مكانه الاصلي ، وقد اسماه المستشرقون بشاهد قبر ابى العباس احمد وتخبطوا فى قراءة تاريخه وتحديد شخصية صاحبه

حيث انتهت مراحل سابقة أعطتها كل ميراثها وتجاربها، كما يجب أن نستخلص منها اسلحة قوية تعطي مددا سخيا لتيار اليقظة القومية فى مرحلة تجميع القوى وان نعتصر منها دواء لازمة الحضارة الاسلامية المعاصرة التي تعاني أخطر الازمات حسب احساسنا العميق بالماساة التي نعيشها والقلق على مستقبل تراثنا الحضاري وتأمين نمائه وتكامله .

وسوف نشاطر الفيلسوف توينبي رايه وتفسيره لازمة الحضارة ، لقد سبق أن حسبها هيجل ازمة سياسية فدعا الى تحقيق الدولة المثلى ، واعتقد ما ركس أنها ازمة اقتصادية فدعا الى تحقيق الاشتراكية ، ثم جاء دور توينبي ليفسرها بالازمة الروحية (5) .

فالحقيقة أن الانسان بما له من حرية وايمان وطاقة روحية خلاقة قادر على تسخير جميع نشاطاته العقلية والمادية لتحقيق غاياته المثلى، ولذلك وجب تبصيره بماهيته العظيمة وطريق الحق والحياة وهو طريق الله ، ليرتقي بإيمانه ومعرفته الصحيحة لذاته عبر القلق وعبر التناقض ، لبناء حضارته المنشودة .

والحق ان تلك الدوافع كلها كانت كافية لقيام جماعة من علماء وخبراء الاسلام المتحررين من عقدة الاجنبي والمجددين الذين اتصلوا بعلوم الغرب واطلعوا على مناهجه فى البحث ، تصدت لمهمة الكشف عن ذاتنا عن طريق دراسة الآثار التاريخية المعمارية والفنية وتطهير تراث العرب والمسلمين مما شابه فى ابحاث المستشرقين ودراساتهم .

ونحن عندما نحاول تقييم ابحاث المستشرقين فى هذا المجال، سوف لانكر اولا فضل السبق الذي احرزوه علينا ، ولكننا من ناحية أخرى لا نستطيع ان نغفل ما حوته تلك الابحاث من أخطاء عديدة وقعوا فيها عن جهل او عن قصد .

ذلك لجهل اصحاب بعض تلك الدراسات (او عدم اتقانهم) اللغة العربية ، وهي العامل المشترك الاعظم فى جميع فروع الدراسات المتعلقة بالآثار العربية الاسلامية ، فهي لغة المراجع المبكرة والمعاصرة لفترات الابداع التي خلفت تلك الآثار ، وهي كذلك لغة النصوص والنقوش التاريخية على مختلف الآثار العربية الاسلامية من عمائر وتحف متنوعة ، وفضلا عن هذا وذاك فهي لغة القرءان وسبيل ادراك اصول الشريعة واحكامها التي طبعت بطابعها العربي الاسلامي وفقا لاحكام الدين الحنيف جميع الفنون المحلية التي نشأت بمختلف المدارس الفنية الاسلامية . وقد نشرت فى عدة ابحاث سابقة تصحيحات لاخطاء مستشرقين امثال ليفي بروفنسال وهنري باسيه وجاك كاييه وعلماء البعثة الفرنسية تتعلق بقراءة النقوش التاريخية المغربية وتفسيرها ، تلك الاخطاء التي اوقعتهم فى اخطاء تاريخية كبيرة ادت الى اخطاء جسيمة فى وضع الترتيب التاريخي للمباني الاثرية الاسلامية (6) بالمغرب .

فعندما قراوا شاهد قبر الاميرة شمس الضحى ام السلطان ابي عنان المريني وفيه (... وقد دفنت الاميرة بمشهد ولدها السلطان ابي عنان ومن وفد من الشرق والغرب ...)

قالوا (لقد دفنت الاميرة بضريح ولدها السلطان ابي عنان ومن حضر من الشرق والغرب) ، فأماتوا السلطان وجميع الاعيان الذين حضروا للعزاء بسبب فهمهم لفظة (مشهد) بمعنى (ضريح) .

كذلك كان لبعد هؤلاء المستشرقين عن تفهم روح الاسلام واستيعاب فلسفته اثر فى بعدهم عن الحقيقة ، فان توينبي على الرغم من مكانته يرى ان هجرة الرسول من مكة الى المدينة تعتبر نقطة تحول اساسية فى تاريخ الاسلام كله ، اذ يبدأ بها انحداره من روحانية الدعوة الدينية الى مرتبة المؤسسة الدينية السياسية . ونحن عندما نعلم أن تفسيره للتاريخ قد تمشى مع عقيدته المسيحية لا نعجب عندما يزعم بعض المستشرقين باشتقاق محراب المسجد من هيكل الكنيسة(7) لعدم تفهمهم لروح الوظيفة الحقيقية التي يؤديها المحراب واختلافها البين عن وظيفة الهيكل بالكنيسة . على أن مثل هؤلاء المستشرقين الذين أخطأوا لقصور فهمهم لا تثريب عليهم فذلك مبلغ علمهم .

اما اخطاء المستشرقين المقصودة ، فانها تتضح لنا عندما نتفهم هدفهم الاصلي من دراسة ذلك التراث الذي جاءوا على قميصه بدم كذب فصدق عليهم قول الله : (افرايت من اتخذ الاهه هواه واضله الله على

(5) منح خوري : التاريخ الحضاري عند توينبي ، دار العلم للملايين بيروت ص 5 و 6 .
(6) عثمان عثمان : الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الاقصى ، تحت الطبع بدار الثقافة بيروت
(7) احمد فكري : بدعة المحاريب ، المجلد الرابع عدد 14 نوفمبر 1946 من مجلة الكاتب المصري .

علم) (الجاثية آية 21)، وقوله تعالى : (ولتعرفنهم فى لحن القول) (محمد الآية 30) . ذلك أن طائفة من المستشرقين هيأت ابحاثها خصيصا كتمهيد لعمليات التبشير ثم موجات الاستعمار من بعدها . ولا غرو فقد نشأت حركة الاستشراق تحت رعاية الكنيسة الكاثوليكية ، ويعترف المستشرق الايطالي كيتاني فى مقدمة (حوليات الاسلام) انه يريد أن يفهم سر المصيبة الاسلامية التي انتزعت من الدين المسيحي ملايين من الاتباع (8) . وعندما تطورت حركة الاستشراق الى الغرض السياسي الاستعماري ظهرت فى كتابات المستشرقين محاولاتهم التمهيدية للمؤامرة الاستعمارية على الوطن العربي . فكما كان من نتائج اصطراع الشرق والغرب منذ قرون مضت والقاء العرب الرعب فى قلوب الاوربيين، ان صار الاوربيون يشعرون بمذلة الخضوع للحضارة العربية التى لم يتحرروا من سلطانها الا منذ زمن قريب فاخذوا ينكرون فضل العرب فى تمدينهم حتى اصبح ذلك الانكار من تقاليد مؤرخي الاستعمار الذين خشوا انبعاث ذلك العملاق من جديد . وقد مهد لذلك بعض علماء الآثار من المستشرقين بمحاولة تجريد العرب من كل فضل فى اقامة عمائرهم وابداع فنونهم الامر الذي يتضح فى بعض كتابات كريسول وتيراس وبريموند وغيرهم .

ثانيا : منهجية المستشرقين فى دراسة الآثار الاسلامية ونقدها :

ونستطيع الآن تحديد ملامح المنهجية التي سيطرت اتجاهاتها الرئيسية على اساليب بعض المستشرقين فى دراسة الآثار العربية الاسلامية . واول ذلك المغالاة فى الاستقصاء عن المصادر والاصول الفنية لامكان تفتيت العنصر الحضاري المتكامل ، مع التركيز على الدراسات المقارنة لفنون ما قبل الاسلام لابراز تأثير الفن البيزنطي والمسيحي الشرقي على العموم ، ثم التركيز على انكار فضل العرب فيما ابدعوا من آثار ، والقول بأن بلاد العرب كانت فراغا قبل الاسلام ، واسدال ستائر كثيفة على تأثيرات الفنون العربية الاسلامية فى فنون الغرب .

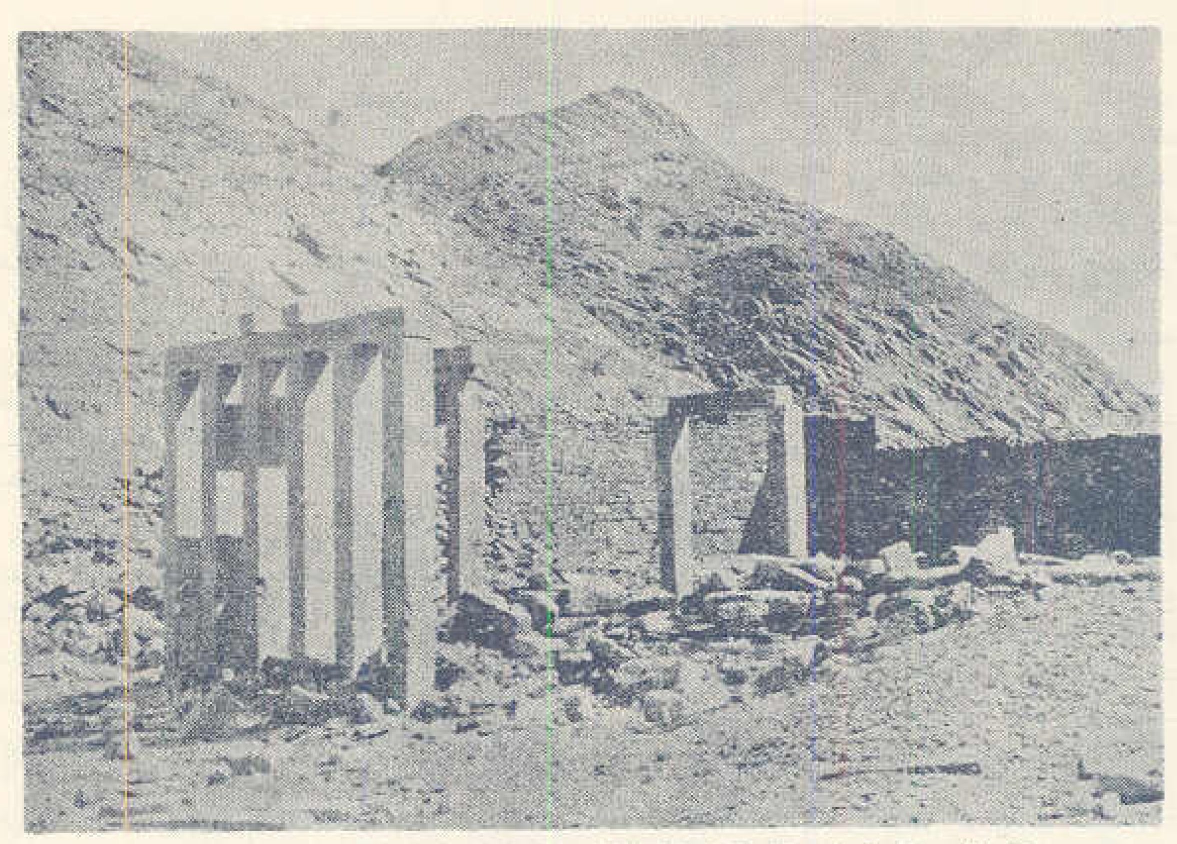
لقد كانت تلك الاهداف كافية لانحراف عدد كبير من المستشرقين عن المنهج العلمي السليم ، فقد اكد بروكلمان أن المنشآت الاسلامية شيدت فى الامصار بواسطة السخرة كما كان العمال دون استثناء من الاجانب بحيث يمكن القول ان طراز البناء لا يمكن ان يكون متشاكلا . وتذكرنا العبارة الاخيرة بقول جوميث مورينو ان المسجد بالهند لا يتشابه فى شيء مع المسجد فى اسبانيا او سوريا او مصر وانه من المستحيل ان يعثر المرء على عنصر مشترك بينهما .

اما مسالة السخرة التي اشار اليها بروكلمان ، فلا ينبغي ان يفهم منها أن هؤلاء العمال الاجانب المسخرون وضعوا التصميمات او ادخلوا العناصر المعمارية والزخرفية ، وانما يمكن النظر الى ذلك فى حدود النص الذي اورده ابن جبير فى رحلته عن وصف قلعة القاهرة اذ يقول (والمسخرون فى هذا البنيان والمقولون لجميع امتهاناته ومؤونته العظيمة كنشر الرخام ونحت الصخور وحفر الخندق المحدق بسور الحصن المذكور ، العلوج الاسارى من الروم وعددهم لا يحصى كثرة ، ولا سبيل ان يمتهن فى ذلك البنيان احد سواهم) ثم يزيد ابن جبير قوله : (وللسلطان ايضا بمواضع اخرى بنيان والاعلاج يخدمونه فيه ، ومن يمكن استخدامه من المسلمين فى مثل هذه المنفعة العامة مرفه عن ذلك كله) طبعة بيروت 1964 ، ص 25 .

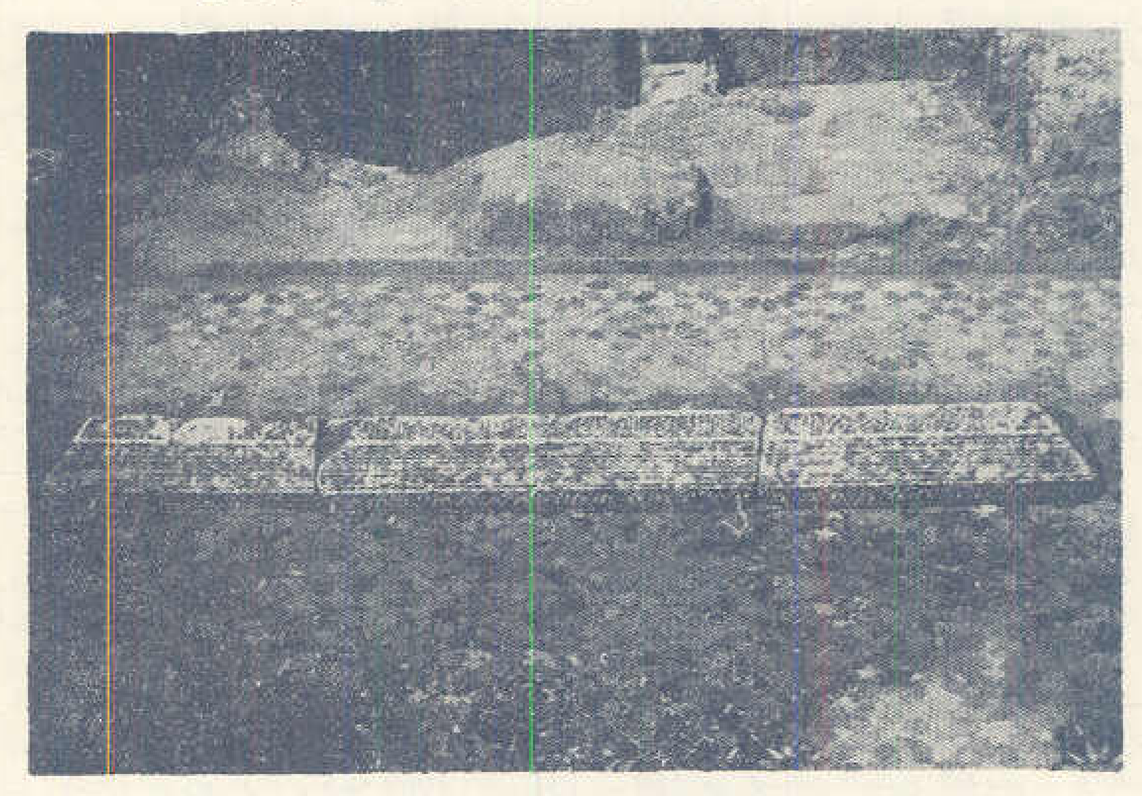
كما فات هؤلاء ان الفنان غالبا ما يكون اداة غير حرة تخضع لاحتياجات الحياة الاجتماعية وتتبلور فيها وحدة الالهام فتخرج منها نماذج الفنون والعمارة ، كما وجدت عناصر معمارية وفنية وليس لها نظير سابق فيما هو معروف قبل الاسلام . اما اختلاف الطرز المعمارية فبيان سببه من ايسر الامور ذلك أن الفن العربي الاسلامي الذي نجح الامويون والعباسيون فى فرضه على جميع مناطق الاسلام خلال ثلاثة قرون قد تولدت عنه عدة مدارس فنية محلية خاصة منذ نهاية القرن الثالث الهجري عندما بدات حركات الاستقلال وظهور دول اسلامية متعددة تميز كل منها بفنونه الاسلامية الخاصة فى نطاق السمات العامة للفن الاسلامي الذي يتميز بشخصيته العامة ككل عن غيره من الفنون العالمية .

على ان المنتجات الفنية لمختلف الصناعات التطبيقية كانت اكثر تشابها فى معظم المناطق نظرا لسهوله نقلها وانتشار تأثيراتها ، وعلى العكس من ذلك كانت فنون العمارة اكثر تنوعا واختلافا من منطقة

(8) عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر طبعة دار المعارف بمصر 1970 ، ص 50 وما بعدها .



آثار اليمن قبل الاسلام ، الاعمدة الستة وخلفها مدخل بوابة وراءها صف من الاعمدة لم يبق منها الا اثنان . وعلى العتب الذي فوق الاعمدة نقش باسم مشيده المكرب ((يدع ايل ذرح))



تفصيل من شاهد القبر المنسوب خطأ الى السلطان ابي العباس احمد وقد صححنا قراءة نقشه والقينا أضواء تاريخية على صاحب النقش ودوره التاريخي وظروف عمل النقش وتنقلاته ، لتفاصيل ذلك ينظر كتابنا : الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الاقصى ، تحت الطبع بدار الثقافة ببيروت

لاخرى تبعا لاختلاف المواد الخام والمناخ من بيئة الى اخرى من البيئات التي اشتملت عليها الامبراطورية العربية الاسلامية فى عصور ازدهارها الامر الـذي يستدعي تغييرا فى هيئة البنـاء المناسبـة للمادة ولابعادها المناسبة للمناخ .

ومن امثلة تشويه الحقائق ايضا اتجـاه فان برشم وجوميث مورينو وغيرهم لاثبات اشتقاق تخطيط المسجد من الكنيسـة واشتقـاق عناصـره الرئيسية كالمئذنة والمنبر والمحراب والمقصورة من المسيحيـة .

وكذلك مبالغة بعضهم فى دراسة المنابع والاصول الفارقة فى القدم مع اهمالهم لوحدة التعبير الفني فى البناء الكامل والانتاج المتكامل ، هادفين من وراء ذلك الى تفتيت التركيب المتلاحم الى عناصر منفصلة ليصلوا بكل عنصر معماري او زخرفي الى اصـل عربـي أو اسلامي . فتراهم بذلك يسقون تلك الوحدة الرائعة القائمة على حسابات وتقديرات والتي تضمن جمـال كل جزء بانتمائه الى بقية الاجزاء . ولم يقتصر الامر على ما فعله كريسويل وتيراس وغيرهما بالنسبة للآثار فقد تجرأ توينبي كذلك على عتمة التاريخ وراح يبحث فى متاهات الزمن عن رفات تراثنا القديم ، وقال : (ان الحضارة الاسلامية نفسها مكونة من اتحاد المجتمعين الايراني والعربي الذين يرجعان عبر الف عام من الحقبة الهلينية فى الشرق الى اصل الحضارة السريانية القديمة) . وهذا لم يتناول توينبي الحضارة الاسلامية كوحدة متكاملة بل عزل احداث التاريخ الاسلامي عزلا وانتخب ما يروقه منها وقرأ الشاهد الواحد على هواه قراءات متعددة فى مناسبات متعددة . وهكـذا اذان نفسه بخرق شـروط المنهـج التجريبـي فى البحث التاريخي متنازلا عن الوحدة الحضاريـة (9) والادوار الحضارية .

والآن فاننا اذا اردنا ان ننزع عن الاذهان فكرة الفراغ العربي الذي زعموه ببلاد العرب قبل الاسلام ، علينا ان نتذكر اولا بأن اصطلاح (جزيرة العرب) كان يشتمل بأوسع معانيه تاريخيا وجغرافيا على باديـة العراق وبادية الشام والركن الجنوبي العربي وهـو اليمن بالاضافة الى قلب الجزيرة .

وليس من المستبعد كما استنتج البعـض ان مناخ بلاد العرب كان اكثر اعتدالا خلال التاريخ ثـم انتهى الى جفاف تدريجي كما هو الشان بالنسبـة لتغيرات طبيعية بعدة مناطق اخرى من العالم .

وقد بدات الحضارة العربية الاصلية باليمـن حيث الخصب وجودة الموقع الجغرافي فاقام العرب حضارات معين وسبا وحمير منذ القرن التاسع قبل الميلاد (10) ، فلم تكن اليمن امة امية بل كانوا يقراون ويكتبون ولهم خط يعرف بالمسند لا زال قيد البحث، وكان اليمنيون بنائين تركوا مدنا وقصورا وسـدودا لا زال معظمها مطمورا تحت الرمال .

جاء فى الجزء الثامن من كتـاب الاكليـل للهمداني (11) العالم الجغرافي اليمني العالم باللغة الحميرية والخط المسند وصف شيق عـن قصـر غمدان بصنعاء ووصف مدن كصنعاء وظفار وارم ذات العماد كما تعرض لسدود اليمن واشهرها سد العرم فى مارب الذي ورد ذكره فى القرآن الكريم فى سـورة سبا (لقد كان لسبا فى مساكنهم آية، جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفـور فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم (12) ...) .

---

(9) منح خوري : التاريخ الحضاري عند توينبي ، ص 57 — 117 .

(10) علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ، الطبعة الثالثة 1963 ، ص 31 — 44 وخاصة ص 32. وقد ازاح رجال الآثار بعض الغموض الذي خيم على تلك الحضارة معتمدين على النقوش المكتشفة ، انظر كذلك فيليب حتي فى تاريخ العرب ، ص 45 . والعرب قبل الاسلام لجورجي زيدان ط 1969 . صفحات : 22 — 26 .

(11) ابو محمد الحسن بن احمد الهمداني من أوائل القرن الرابع الهجري : الاكليل ج 8 ، ص 15 ، نشر الاب انستاس الكرملي ، وانظر كذلك ياقوت فى معجم البلدان عن وصفه لقصر غمدان . وانظر العرب قبل الاسلام لجورجي زيدان طبعة 1969 ، ص 138 — 160 عن تمدن اليمن القديم . وانظـر العمارة ص 143 .

(12) سورة سبا الآيات من 14 الى 18 .

ويشير الشق الاول من الآيات الكريمة الى السد والخراب الذي حل باليمن ، كما يشير الشق الثاني الى رحلات اهل اليمن من الجنوب الى الشمال ، بمعنى ان نظام الري والتجارة عند العرب القدماء قد أشير اليهما في تلك الآيات . وعندما قام العالم المصري المرحوم الدكتور احمد فخري بأبحاثه الاثرية في اليمن (13) ايدبكشوفه ما اورده المؤرخ اليمني عن تاريخ وآثار اليمن .

وفضلا عن حضارة العرب القديمة باليمن ، قام المناذرة على الضفاف الغربية لنهر الفرات ببادية العراق (14) أيام حكم الطوائف بايران ، ببناء مدينة الحيرة . ويتحدث المؤرخون عن النعمان الاول الملقب بالاعور عام 418 م وبنائه قصرين على ضفاف الفرات وكيف كافأ مهندسه سنمار . ويهمنا من امر تلك الدولة انها كانت قنطرة تمر منها التيارات الحضارية الايرانية والفارسية الى قلب الجزيره العربية . كذلك كانت دولة الغساسنة ببادية الشام مكان شرق الاردن اليوم (15) واصلها من القبائل العربية التي هاجرت من اليمن بعد تخريب سد مأرب وقد كانت لهم حضارة اعظم من حضارة اللخميين عملت كذلك كقنطرة للتيارات البيزنطية الى قلب الجزيرة .

فاذا تذكرنا مدن الحجاز كمكة ويثرب والطائف وما كان لموقع مكة الجغرافي على الطريق التجاري من اثر على تجارتها العظيمة ومكانها من الحرم الذي كان يضمن سلامتها غالبا من اطماع جيرانها ، وما كان ليثرب من تفوق حضاري على مكة لوقوعها بسهل وافر المياه ، فكانت تتألف من أرض محروثة وبيوت مستقرة فسيحة كسائر المدن المتحضرة بشمال غرب بلاد العرب حسب اعتراف بروكلمان نفسه ، وكيف كانت الطائف اجمل بقعة في الحجاز ذات زرع ونخل واعناب امدت الدولة العربية بعديد من رجالات الشؤون الادارية والحربية ، اننا لو تذكرنا كل ذلك لهان علينا الاقتناع بدرجة ارتقاء العرب قبل الاسلام في السياسة والعمران . بل ان الخليج العربي كان يعتبر من اهم مناطق الشرق الاوسط كممر للطرق التجارية القديمة وهمزة وصل بين حضارات السند وحضارات الرافدين والبحر الابيض المتوسط ، ويذكر اريان ان الاسكندر توجه الى تلك الجهات وامر بانشاء القلاع والمدن الساحلية ، وبعد ما قلت اهميته ايام الرومان بسبب نزاعهم مع الفرس وتحول التجارة الى البحر الاحمر ، ظهرت طلائع الاسلام وقوضت صرح امبراطوريتي الفرس والروم فاستتب الامن والسلام بالشرق الاوسط وعادت الحركة التجارية الى الخليج العربي كممر دولي يربط الشرق بالغرب . وعلى الرغم من ذلك فان تاريخ تلك المنطقة الحساسة من العالم العربي كان مجهولا الى وقت قريب عندما قامت الحفريات الاثرية بجزيرة فيلكا بساحل الكويت عام 1953 م لتكشف عن مجموعة اختام عليها رموز كتابية وكتابات مسمارية تشرح حضارات الخليج وهياكل وآثار عديدة من الالف الثالث قبل الميلاد تثبت ان تلك الآثار ليست مجرد مخلفات حملها القدماء من البلدان المجاورة وانما هي بقايا حضارة ازدهرت وعاصرت غيرها من الحضارات قبل الاسلام وكان لها طابعها الخاص وتأثيراتها الذاتية .

واذا ما اضفنا الى ذلك استيعاب قلب الجزيرة العربية للتأثيرات والتيارات الخارجية حسبما اسلفنا وحسب قول توينبي نفسه بأن جزيرة العرب كانت منذ اواخر القرن السادس وأوائل السابع الميلادي قد تشبعت بالتأثيرات الثقافية التي شعت من قلب الامبراطورية الرومانية بحيث كان مولد محمد ثم دعوته بمثابة تفريغ لطاقة ذلك الاشباع الثقافي المخزون ، وتوليدا لتأثيرات حضارية جديدة (16) معادلة ، واذا

---

(13) احمد فخري : احدث الاكتشافات الاثرية في اليمن ، كتاب جامعة الدول العربية عن المؤتمر الثالث للآثار بفاس 1959 ، القاهرة 1960 ، ص 25 2 — 282 .
وجورجي زيدان : العرب قبل الاسلام طبعة 1969 عن دولة اليمن والجنوب ، ص 104 — 133 .

(14) علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ، ص 55 وما بعدها . وكذلك جورجي زيدان : العرب قبل الاسلام ط 1969 ، دولة اللخميين ص 199 — 218 .

(15) نفس المرجع ، ص 82 وما بعدها . وكذلك جو رجي زيدان : العرب قبل الاسلام ط 1969 . دولة الغساسنة ص 187 — 199 .

(16) منح خوري : التاريخ الاسلامي العام ، ص 61 — 62 ، وعن حضارة الكويت القديمة انظر تقرير قسم الآثار والمتاحف الكويتي عن الحفريات الاثرية في جزيرة فيلكا وخصوصا لوحات 1 — 5 وشكال 64 — 93 .

تذكرنا كل ذلك لادركنا فى يسر وانصاف ارتقاء عقول العرب قبل الاسلام . بل ان كثيرا من علوم الجاهلية التي كانت من قرائحهم لم تكن تقل عن الفلسفة الحديثة فى شيء ، فتحليل ابيات من قصيدة زهير بن ابي سلمى مثلا توضح لنا مدى الانفعال العاطفي بين العقلية العربية والعالم المحيط بها ، واقتناعا منا بتحليل ابن شهيد الاندلسي لاثر البيئة والظروف السياسية والاجتماعية فى الاذواق والملكات وبالتالي فى الانتاج الادبي (17) فاننا لا نقبل والحالة هذه أن ينبعث الشعر والادب الجاهلي من فراغ ، وسوف نظل على يقيننا بان كل انتاج فني سواء فى الشعر او الادب او الموسيقى او العمارة او الفنون التطبيقية انما هو مرآة صادقة لاحوال تلك البيئة من النواحي العقلية والاجتماعية والاقتصادية بل والنفسية كذلك .

وهكذا تسطع شمس الحقيقة بمنجزات عظيمة للعرب قبل الاسلام فى العمران والعلوم والسياسة ثم الوصول اخيرا الى الحقيقة الكبرى وهي مفهوم (الله) ، بحيث يبعد عن الحقيقة كل من اتهم العرب بالتخلف والهمجية . ولا شك عندي أن الله قد مهد للعرب واعدهم ليكونوا صالحين لاستيعاب آخر الرسالات واكمل تنظيم ديني واقتصادي واجتماعي . وحسبي الآن ما تنطق به الحكمة الانجليزية من انه لا فائدة من وضع خمر العرفة فى زجاجات مهشمة There is no use of putting the wine of knowledge into cracked bottles

والاصل فى التهم على العرب ، حدث من طائفة الشعوبيين فى صدر الاسلام لتشويه سمعتهم ، ثم تبعهم السنيون فى صدر الاسلام كذلك فاخذوا يحطمون من شان عرب الجاهلية ظنا منهم أن ذلك يعلي من شان الاسلام ، وهكذا اجتمع على العرب الاصدقاء والاعداء على السواء، ذلكالتفكير الساذج لا يفوقه سذاجةسوى تمسك المستشرقين المغرضين به واصرارهم على فكرة الفراغ العربي . وقد بنى المستشرقون زعمهم على اساس قول مبتور لابن خلدون فى مقدمته حيث يقول ان المباني والمصانع فى الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى ما كان قبلها من الدول (... اذ العرب اعرق فى البداوة وابعد عن الصنائع ... وايضا فكان الدين اول الامر مانعا من المغالاة فى البنيان ... فلما بعد العهد بالدين ... واستخدم العرب امة الفرس واخذوا عنهم الصنائع والمباني ... فحينئذ شيدوا المباني والمصانع (18 ...) لقد استغل المستشرقون المغرضون هذا النص فى التهجم على العرب وتجاهلوا بقية النص الذي يقول بأن اسباب الحضارة والترف بالعواصم التى انشاها العرب بعد الفتوحات الاسلامية دفعت اولائك العرب منذ العصور الاسلامية الاولى الى استخدام ملكاتهم الفكرية لاستنباط اصناف الصنائع (19) ومركباتها ومعناه بمصطلحنا استنباط عناصر البناء وتعبيرات الفنون . (20) ولا بأس هنا من وقفة تأمل فى جوانب المشكلة .

يرى الكثيرون ومنهم البارون دي سلان نفسه الذي ترجم المقدمة ان ابن خلدون استخدم كلمة (العرب) بمعنى (البدو) وانه لم يكن يقصد التهجم على العرب ، وقد ايد ذلك الاستاذ محمد الفاسي (21) والدكتور احمد فكري وغيرهما وقالوا بانه كان عربيا يشير بلفظة (العرب) الى الاعراب . والثابت أن القرءان الكريم اشار فى عدة مواضع الى (الاعراب (22)) بالوصف الذي ينطبق على مفهوم البدو .

كذلك بدت لنا فكرة اخرى على اساس زعم البعض ان ابن خلدون كان بربريا ، فلعله لو صحت هذه النسبة يكون قد ترسبت فى نفسه مشاعر الضيق ضد

---

(17) احمد هيكل : الادب الاندلسي الطبعة الخامسة 1970 ، ص 436 ، وقد تعرض الاستاذ العلامة الجليل علال الفاسي فى محاضرته الثانية من سلسلة الدروس الحسنية الرمضانية 1973 م للفكر العربي الجاهلي وموقف المستشرقين الذين اتهموا العرب بفقر الخيال وساقالحجج الدامغة لدحض مزاعمهم.

(18) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة نشر البيان العربي بالقاهرة 1957 ج 3 ص 856 — 929 وتعليق احمد فكري على النص فى كتابه المدخل ص 9 —10 .

(19) المقدمة نفس الطبعة والجزء ص 923 .

(20) تعليق احمد فكري فى المدخل ص 30 .

(21) محمد الفاسي : ابن خلدون والسياسة ، مجلة التربية الوطنية ، الرباط ، نوفمبر وديسمبر 1959 ، ص 7 — 11 .

(22) سورة الجاثية الآيات 97 — 98 — 101 — 120.

الامويين لما عرفه من بعض الاحداث التي احاطت بالبربر ابان فتح المغرب على عهدهم فهاجم العرب (متأثرا بحقده الموروث) فى شخص بني امية الذين لم يعترف لهم بأعمال عمرانية او فنية عندما قال ان العرب لم يعرفوا المباني والمصانع الا بعد اتصالهم بالفرس ايام العباسيين . غير ان هذا الاحتمال يضعف عندنا لعدة أسباب ، فنسبته الى البربر قائمة على غير اساس صحيح ولا تدخل اصلا فى تفسير موقفه فقد جاء فى اول النص نفسه (... والسبب فى ذلك ما ذكرنا مثله فى البربر بعينه ، اذ العرب أعرق فى البداوة وابعد عن الصنائع ...) واذا كانت بعض الاخطاء التي ارتكبها الامويون واستغلها الخوارج لاشعال ثورة البربر قد حدثت على نحو معين حرص المستشرقون على تضخيمه (23) ، فلسنا نفترض جهل ابن خلدون الفيلسوف المؤرخ بما حدث فى خط متواز لعدة شعوب اخرى حسب أسلوب ذلك العصر ، والاهم من ذلك كله ان ابن خلدون قد عاش فى فترة زمنية تفصلها عن تلك الاحداث قرون طويلة وتطورات اجتماعية وفكرية هائلة بحيث أصبح اليوم من نافلة القول التذكير بانصهار عناصر المجتمع العربي لا فى المغرب فحسب ولكن فى المشرق كذلك باللغة والدين والعادات والمصير المشترك وحمل الامانة والرسالة الواحدة قبل ان ينتصف القرن الثاني بعد الهجرة . ان الخطوات الجريئة التي بدأها بالمغرب ابو المهاجر وحسان وموسى وطارق قد عجلت بمفهوم الانسان العربي فى وضعه الشامل الجديد وهو كل من يحمل لواء الاسلام مسترشدا بسنة رسوله العربي مساهما فى بناء وتدعيم حضارته العربية الاسلامية .

واخيرا فاننا نستطيع القول بأن ما ادلى به ابن خلدون فى هذا الصدد يمكن النظر اليه فى حدود التأملات الفردية الفلسفية (24) دون أن يرتقي الى مرتبة الحجة التاريخية ، وذلك لان الواقع التاريخي والاثري يهدمه . والمسلم به اليوم وبعد اكتشاف وتاريخ ودراسة عدد كبير من الآثار الاسلامية المعمارية والفنية بكل من الشام وافريقية والاندلس من عصر الدولة الاموية ، أن وضع الاسس الاولى وصوغ العناصر الاساسية لمختلف مظاهر العمارة والفنون العربية الاسلامية قد تم فى عصر الدولة الاموية التي بدأ على يدها بالذات تشكيل شخصية الفن العربي الاسلامي كما نجحت تلك الدولة فى فرضه على انحاء الامبراطورية الواسعة لعدة قرون . وسوف نؤيد ذلك الراي بدليل آخر نستمده من ابن خلدون نفسه عندما يذكر دور الطراز ويقول (وكان من عادة ملوك ايران قبل الاسلام ان يزينوا ملابسهم بصور الملوك ويتخذون من ذلك شعارا لهم وانهم كانوا يخلعون من هذه الثياب الملكية على حاشيتهم ... وقد ورث المسلمون عنهم هذه العادة ...) فالواقع أن نسبة الطراز الى ايران قبل الاسلام لا تؤيدها الابحاث الاثرية حتى اليوم بينما ثبت وجود ما يشبه الطراز بالاسكندرية منذ عصر البطالمة وحتى وصول الاسلام .

— يتبع —

الرباط — الدكتور عثمان عثمان اسماعيل

---

(23) انظر راي بروكلمان المتعصب ، فى تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص 158 — 316 .

(24) يطابق رأينا الى حد كبير ما ادلى به احمد فكري فى المدخل ص 10 .

مع الفيلسوف المتصوف:

شهاب الدين السهروردي

للأستاذ محمد حمزة

استغفر الله ان قلت اني تقمصت روح عمر بعد اسلامه لضحك وبكاء كانا ينتابانه ، كان يبكي اذا ما دار بخلده واد بنته حية ، وهي تنفث التراب عن لحيته ، وكان يضحك عندما يتذكر الرغيف الذي كان يعبده ـ أيام جاهليته ـ ثم يأكله . وهذا هو موقفي من السهروردي ، الشاب الفيلسوف ، انشرح واغتبط اذا اشاعت عبقريته الفذة الملتمعة اضواءها في قلبي ، ويعمني الاسى ، واذرف الدمع اذا ما دبت في نفسي قصة نهايته الاليمة .

وفي سهرورد ، وهي مدينة في ماداي MEDIE بايران كان ميلاد أبي الفتوح شهاب الدين السهروردي ، في العقد الخامس من القرن السادس الهجري ، ونشيء تنشئة حسنة ، وشغف باشعار الصوفية ، وتغنى وأولع بها منذ صغره ، واكب منذ نعومة اظفاره على دراسة كتب ابن سينا ، وقرأ كتب أفلاطون ومؤلفات ارسطو ، واطلع على فلسفة الفرس ، فجمع لنفسه ثقافة عربية فارسية يونانية ، وانما سمن الحوت من غزارة الينبوع ! .

وعاش السهروردي زمنا شائنا ، اخذت منه الفوضى كل مأخذ ، وظهر الفساد في بره وبحره ، ونسغ الوفاء ، وانعدمت من اهله المروءة ، « وصارت الامانة خيانة ، والذكاء سفها ، والعدالة عداوة ، والانسانية جفاء . » فقضى السهروردي حياته يدافع عن القيم الروحية ، ويعمل من اجل المثل العليا ، وعقد مجالس للوعظ والارشاد ، فكان وعظه كمن يصرخ في واد او ينفخ في رماد ، وصار ارشاده كدابغة وقد حلم الاديم ! (1) .

ومن غريب ما اتفق له في بعض مجالسه ما رواه ابو المظفر سبط ابن الجوزي . قال : « وجلس يوما ببغداد وذكر أحوال القوم وانشد ـ رحمه الله وعفا عنه ـ :

ما في الصحاب اخو وجد نطارحه
حديث نجد ولا صب نجاريه

وجعل يردد البيت ويطرب ، فصاح به شاب من اطراف المجلس ، وعليه قباء (2) وكلوتة (3) ، وقال :

---

(1) حلم الجلد : فسد ووقع فيه دود فتثقب ، وهذا مثل يضرب لمن يسعى في اصلاح امر بعد ان اوصله الفساد الى حيث لا يرجى اصلاحه .

(2) قباء : ثوب يلبس فوق الثياب .

(3) كلوتة : القلنسوة او الطاقية .

يا شيخ ، لم تشطع وتنتقص القوم ؟ ! والله ان فيهم من لا يرضى ان يجاريك ولا يصل فهمك الى ما يقـــول ، هلا انشدت :

ما فى الصحاب وقد سارت حمولهم
الا محب فى الركـــب محبـــــوب

كأنه يوسـف فى كـل راحلـــــة
والحي فى كل بيت منــــه يعقـــوب

فصاح الشيخ ونزل من على المنبر ، وقصده فلم يجده ، ووجد موضعه حفرة بها دم مما فحص برجليه عند انشاد الشيخ البيت » .

ويحكى انه انشد يوما فى احد مجالســه هذيـــن البيتيـــن :

لا تسقني وحدي فمــا عودتنـــي
اني اشح بهـــا على جلاســـــي

انت الكريم ولا يليـق تكرمـــــا
ان يعبر الندماء دور الكـــــاس

فتواجد الناس لذلك ، وقطعت شعور كثيـــرة وتاب جمع كثير .

وقد انفق السهروردي جل حياته فى طلب العلم ، وكسب المعرفة ، والتقاط الحكمة انى وجدت ، يقول فى هذا الصدد : « قد بلغت سني الى قريـــب مــن ثلاثين سنة ، واكثر عمري فى الاسفار والاستخبار ، والفحص عن مشارك مطلع على العلوم » .

وكان من عوامل غزارة علمه ، وسعـــة افقـــه ـ زيادة على اسفاره ـ ما حباه الله به من ذكاء مفرط وبصيرة ثاقبة ، مما جعل ابن ابي أصيبعة يصفه بأنـــه « كان اوحد اهل زمانه فى العلوم الحكمية ،بارعا فى الاصول الفقهية ، جامعا للفنون الفلسفية ، جيد الفطرة، فصيح العبارة ، لم يناظر احدا الا بذه ، ولم يباحـــث محصلا الا اربى عليه ، وكان علمه اكثر من عقله » .

لم تستهوه بهارج الدنيا وزخارفها ، ولم يتخذ عمله حبالة لكسب المال الطائل او الجاه العريـــض ، بل انه اعرض عن الدنيا لانها متاع غرور ، وكل ما فيها طيف زائل ، وابى الا ان ينتشل نفسه « مــن شرط الوجود الانساني الضيق المتهافت المحدود ، لبلوغ درجة الخلود الابدي والعيش السرمدي ، ونيل رتبة كونية الهية » . ولا يكون ذلك الا بالتجرد عـــن المادة ورفض كل ازياء الحياة الحسنية ، وشغل العمر فيما يرضي الله سبحانه .

يقول فيما حكاه عن افلاطون : « انني ربما خلوت بنفسي ، وخلعت بدني جانبا ، وصرت كأني مجرد بلا بدن عري (4) من الملابس الطبيعية ، بـــريء عـــن الهيولى (5) ، فأكون داخلا فى ذاتي خارجا عن سائر الاشياء ، فأرى فى نفـــي من الحسن والبهاء والسناء والضياء ، والمحاسن العجيبة الانيقة ، ما أبقى منـــه متعجبا ، فاعلم اني جزء من اجزاء العالـــم العلـــوي الشـــريـــف » .

وكل الاحداث التي كان السهروردي مسرحا لها، مدة حياته العابرة أوحت اليه « فلسفته الاشراقية » التي خلدت ذكره فى احشاء التاريخ ، وفى بطون الفكر الاسلامي الرحيب ، وصارت معينا ثـــرا فى تـــراث الانسانية بعامة ، ونورا يشرق لآلاء على مدى الايـــام وتوالي العصـــور .

واساس الفلسفة الاشراقية هو : « ان الله نور الانوار ومصدر جميع الكائنات ، فمن نوره خرجـــت انوار اخرى ، هي عماد العالـــم المادي والروحـــي ، والعقول المفارقة ليست الا وحدات من هذه الانــــوار تحرك الافلاك ، وتشرف على نظامها » .

وصاحبها يدعو الله سبحانه ويقول : « تباركت ربنا خالق النور ، ومبدأ الوجود ، ارزقنا شوق لقائك، والصعود الى جناب كبريائك ، واجعل ذواتنــــا مـــن الطاهرات الكاملات ، فالفارقات ، العائدات اليك ، انك ولي الابد وصاحب الطول العظيم المجيد » .

وعلى من يريد ان يشرق عليه نور الله وفيضه ، ان يقوي نفسه بالفضائل الروحية ، ويضعف قـــواه البدنية بالتقليل من الطعام ، وذكر الله قياما وقعودا ، والتعبد آناء الليل واطراف النهار .

---

(4) فرس عري : غير مسرج ، واستعملت اللفظة هنا استعمالا مجازيـــا .
(5) الهيولى : وتسمى المادة الاولى : لفظ يوناني بمعنى الاصل والمادة ، وهي فى الاصطلاح : جوهر فى الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصـــال .

هذا هو السهروردي الذي ذهبت بحياته ـ وهي فى عنفوانها ـ يد الحسد والبغضاء ... هذا هو الفيلسوف المتصوف يتهم بالزندقة والمروق عن الدين ، وقد كان يناجي الباري تعالى ويقول : « يا قيام الوجود ، وفائض الجود ، ومنزل البركات ، ومنتهى الرغبات ، منور النور ، ومدبر الامور ، واهب حياة العالم ، ايدنا بالنور وثبتنا على النور واحشرنا الى النور ، واجعل منتهى مطالبنا رضاك ، آمنا بك واقررنا برسالتك ، يا آخذ النواصي بدات فتمم ، خلقت فاهد ، قضيت فاعف ، ملكت فاغفر » .

لقد حكم عليه فقهاء عصره بالزيغ وانحلال العقيدة ، وافتوا بقتله ، فلما نهي اليه الخبر وتحقق القتل كان كثيرا ما ينشد :

اری قدمي اراق دمي
وهان دمي فها ندمي

واختار ان يموت جوعا ، وترك فى مكان منفرد لا يصل اليه طعام ولا شراب حتى اسلم الروح فى اواخر سنة 586 هـ

الرباط : محمد حمزة



للأستاذ : عبد القادر زمامه

541 ـ ما القامـــة الدوحيـــة

ووجدت في مخطوطة (انوار التحلـــي على ما تضمنته قصيدة الحلي) الخزانة الملكية بالرباط رقم 394 .

« سال صالح بن شريف الرندي فتى كان يدعي علم الادب . فقال :

ـ هل لك شيء من الاعراب ..؟

فقال :

ـ لي فيه مذاهب ، لا تطيق لهامذاهب..!
فقال له :

ـ ابن لي كيف تعرب هذا البيت ؟..

الف الصفون فما يـزال كانـه
مما يقوم على الثـلاث كسيـرا

فتبسم الفتى .. وقال :

ـ اردت « كسبرا » وسألت خبيرا ..!

اما والوجوه المـلاح اذا اسفـرت . والعيون المراض اذا سحرت والحبيب اذا تبسم ..! والحب وانه لقسم ..! انه « لحـال » من التي نقصـــت . فاحتاجت الى الزائد . وافتقرت الى الصلة والعائد!. وهاتيك ما يلعب بالالباب ..! وانشد غير مرتاب ..

قل اذا قيل ذاك صـب معنـى
أن ذو الشوق . وقد بِنّ لمعنى

واذا قيل : في . فلانـة قـولا
فلتعمـدن . ان نفسك تعنـى

فلما سمعت كلامه ..! رايت منه هولا ..! حين رفع « ذو الشوق » و « فلانة » ونصب (قولا » ..! واعملت الفكر في ذلك فنبـا ..! ودعوت الخاطـر فابى ..! فقلت له : يا زين الفتيـان ..! ويا عيـن الاعيان ..! بحرمة آدابك ..! وحلية من اودى بك..! الا ما اعربت عما به اغربت ..!

فتنفس تنفس الصعداء ..!

وولى عني وغدا ..!

542 ـ قواعـد الاندلـس :

عند الاطلاع على مخطوطة (روض الانس ونزهة النفس) لمؤلفه صالح بن شريف الرندي لفت النظر هذا النص :

« وكانت قواعد الاندلس على قديم الزمـان : قرطبة ، واشبيلية ، وغرناطة ، وطليطلة ، ومـاردة ،

وسرقسطة . وكانت ملوك القوط تتخذ فى كل فصل من فصول السنة بلدا من هذه البلاد ..!

ففي فصل الربيع ماردة ..!

وفى فصل الصيف اشبيلية ..!

وفى فصل الخريف قرطبة ..!

وفى فصل الشتاء طليطلة ..!

وكانت سرقسطة فى صدر الاسلام بالاندلس قاعدة الثغر الاعلى . وقيل انها تضاهي مدائن العراق ، فى انهارها ، وكثرة اشجارها ..! وقد مضت تلك القواعد بسبيلها .. وامرها مشهور ..!

وقاعدة الاندلس فى زماننا هذا غرناطة حرسها الله ..! » .

543 ـ ابتلاء الشيخ سيدي امحمد ابن عباد

وجدت فى ترجمة الشيخ الصوفي سيدي امحمد ابن عباد من مخطوطة الاحاطة :

« انهي كلام بين يدي صاحب المغرب اسف به مدبر الدولة يومئذ ..! فاشخص عند ايابه الى رندة ..! وسجن مع ارباب الجرائم ..! فكتب الى ولي الامر ..

تركت لكم عز الفتى فابيتم
ان تتركوني للمذلة والفقر

ونازعتموني فى الخمول وانه
لدى مهجتي احلى من الامروالنهي

ثم قال :

يا من رماني بسهمه الغرب قد
رددته عليك مخضوبا بالدم

قال : فوالله ما مرت ثلاثة ايام حتى نفذ حكم الله فيمن عدا عليه ..!! »

544 ـ ابن الخطيب يتعمم ..!

وجدت فى ترجمة محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي الفاسي نزيل مالقة ، من مخطوطة الاحاطة .

« انشدني وانا احاول بمالقة لوث العمامة . واستعين بغيري على اصلاح العمل واحكام اللفة ..

اعممما قمرا تكامل حسنه
اربى على الشمس المنيرة فى البها

لا تلتمس ممن لديك زيادة
فالبدر لا يمتار من نور السها

545 ـ اذن اعتق عليكم ..!

وجدت فى ترجمة قاسم بن عبد الله بن الشاط الانصاري نزيل سبتة من مخطوطة الاحاطة :

« حدثني شيخي القاضي الشريف ابو القاسم :

كان يجلس عنده « ابن الشاط » رجل خياط من اهل سبتة يعرف بالاجعد من العامة . فاخذ يوما يتكلم فى مسالة ، وقال متمثلا : كما نقول : الاجعد الخياط فعل كذا ..!

ثم التفت اليه معتذرا فتبسم وقال :

ـ نمثل بك ...!

فقال الاجعد بديهة :

ـ اذن يا سيدي اعتق عليكم ..!

اشارة الى قول الفقهاء فى العبد يعتق على سيده اذا مثل به ..!

فاستظرف جوابه ..!!

ـ السلمانيات .. والعزفيات

وجدت فى ترجمة يحيى ابن هذيل شيخ ابن لخطيب من مخطوطة الاحاطة :

« وله تصانيف واوضاع منها ديوان شعره المسمى : السلمانيات والعزفيات ..! »

547 ـ أخرجت الارض أثقالها ..!

وجدت فى ترجمة صالح بن شريف الرندي من مخطوطة الاحاطة . قوله فى ثقيل :

تزلزلت الارض زلزالها
فقلت لسكانها : مالها ...؟

فقالوا اتانـــا ابو عامـــر ..!
فاخرجت الارض اثقالهـــا ..!

548 ـ افتـش فى التـــراب

وجدت من شعر ابي قزمان الشاعـر الاندلسي يصف تقلب الحياة به بين الشباب والشيب :

« وعهدي بالشباب وحسـن قـدي
حكى الـف ابن مقلـة فى الكتـاب

فصرت اليـوم منحنيـا كانـي
افتش فى التراب على شبابـي ..! »

549 ـ سنة شـرار المبتدئيـن ..!

وجدت فى المعيار للونشريسي : ج 8 ص 150 :
« ذكر الشيخ ابو عبد الله ابن رشيـد رحمـه الله من نوادر شهاب الدين القرافي رحمه الله . ان بعض المتطلبين قرا عليه مدة باجرة . ثم انتقل عنـه فقرا على شمس الدين الاصبهاني فاعجب به ..!

فاقبل يطلب من الشهاب ما بذل له فى الاجرة..! محتجا بانه لم ينتفع بالقراءة عليه ..!

فكان جوابه : لـولا تانـس بصـرك بضـوء « الشـهاب » لانطمـس باشعة « الشمـس » .

قال ابن رشيـد :

ـ وهذه سنة شرار المبتدئيـن ، فى الائمـة الراسـخين ..

550 ـ جالس ابن سبعين ..!

وجدت فى نوازل المعيار للونشريسي ج 8 ص 151 :

« وحكى الشيخ ابو الحسن البطرني رحمه الله ان رجلا من اصحاب الشيخ ابي علي السماط حـج فلقي عبد الحق ابن سبعين بمكة فجالسه ..!

فقال له الشيخ :

جلسـت معه ..!

وحدثك ..!

قـم عنـي ...!

فلا تعدنـي ..!

ولا تدخل لي الى موضع ..! »

551 ـ مصاحف شالة .. !

وجدت فى نوازل المعيار لابي العباس الونشريسي سؤالا وجوابا فى شان المصاحف الشريفة التى كانت محلاة بالفضة وغيرها ومحبسة على ضريح ملـوك شالة ..! ج 7 ص 11 .

« وسئل الفقيه ابو محمد عبـد الله سيـدي (كذا) محمد بن قاسم القوري رحمـه اللـه ..! عن الرباعات المحبسة على ضريح شالة ..! »

ويلي ذلك جواب الفقيه القوري فى الموضـوع .

552 ـ قصدوا قبـــره ..!

وجدت فى مخطوطة « ازهار الرياض » لابـي العباس المقري :

« ومن بديع كلام ابي اسحق ابن الحاج السلمي دفين مراكش :

اذا كان الفاضل حيا لم يقصدوه ..!

فاذا مات وصار .. مثلهم قصدوا قبره ..! »

553 ـ المناصف والمثالث ..!

وجدت فى نوازل المعيار للونشريسي ج 8 ص 99 :

« وسئل ابن لبابـة عن الذى يشتـرط على

المناصف والمثالث والمخامس

الا يحصد رب الارض معه ..! ولا يدوس ..! وان يكون العمل عليه كله فاجاب :

ـ هذا العمل الجاري في بلدنا وعليه كان مشايخنا ..»!

554 ـ المـــلاح ..!

وجدت فى محاضرات (ادب الاندلس وتاريخها) التي القاها بفي بروفنسال فى الجامعة المصرية المطبوعة بالقاهرة 1951 م ص 100 :

« .. وقد اختلفوا فى اشتقاق لفظ الملاح والاصح انه فى لاصل اسم المكان الذى افرد لليهود آخر ايام بني مرين وهو ـ النبع المالح ـ ومنذ ذلك الوقت اصبح هذا الاسم اسما مطلقا . ودل على حي اليهود او (الفيتو) فى سائر مدن مركش . ولكنه اسم غير معروف فى الجزائر ولا فى تونس، ولا فى اسبانيا لاسلامية بطبيعة الحال ..! »

555 ـ الموتساس ..!

ووجدت فى المحاضرات المذكورة ص : 88 .

« وحسن دليل على اهمية المحتسب من الناحية العملية فى الاندلس امر يستنتج من ان الملوك المسيحيين كانوا كلما استردوا من المسلمين اقليما ابقوا فيه المحتسب ومن الطريف ان نجد هذه الولاية الاسلامية فى أساسها تنتقل من الاراضي الاسلامية الى الناحية الاخرى من شبه الجزيرة الايبرية وان نجد لفظ المحتسب يدخل فى اللغة القشتالية فيصير الموتاس ليدل على الوالي المكلف بضبط الموازين والمكاييل .. »

556 ـ اغسلوا المهاريس ..!

وجدت فى مخطوطة الاحاطة فى ترجمة الطبيب ابن عيشون :

« حدثني بعض شيوخنا ، وقد جرى ذكر عجائب الرزق ..!

اصاب السلطان وجع، واستدعى الاطباء ليلا. ومنهم ابن عيشون هذا . وقد حضر وزراء السلطان ..! واختلط نساء القصر معهم لمكان الشدة ..! وشرع الاطباء فى تركيب دواء . ولم يحظ المذكور بالمشاركة..! فجعل يبكي مع النساء .! ويقول :

ـ اغسلوا المهاريس ..! يكررها رافعا صوته..! فلما افاق السلطان بعد ذلك ، ذكر الاطباء . فقالت له حظاياه :

ـ لم يكن اشد احتياطا عليك فى غسل المهاريس لما يتوقع فيها . ولا اكثر بكاء من ذلك الشيخ ابن عيشون ..! فكان اعظم الاطباء جائزة ..!»

557 ـ جبل طارق ..!

وجدت فى كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات لمؤلفه زكرياء القزويني ص 123 ط بيروت .

« جبل طارق : بارض طبرستان ..!

ذكر ابو الريحان الخوارزمي فى الآثار الباقية من تصانيفه . ان فى هذا الجبل مغارة فيها دكة تعرف بدكة سليمان بن داود عليهما السلام ..! »

558 ـ تركوا القيطون ..!

وجدت فى كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر لابن خلدون عند كلامه على « واغمرت » ج 7 ص 105 ط. بيروت .

« .. حتى اذا جاء العرب الهلاليون ، وغلبوهم على الضواحي ، واعتصموا بتلك الجبال قبلة المسيلة وبلاد صنهاجة وصدوا بها عن الظعن وتركوا القيطون الى سكنى المدن ..! »

559 ـ ابن المقفع ..!

وجدت فى كتاب المدخل الى تقويم اللسان وتعليم البيان ورقة 43 من مصورة الاسكوريال

« ويقولون : ابن المقفع بفتح الفاء . والصواب المقفع بكسرها ..! لانه كان يعمل القفاع ويبيعها ..! والقفعة ، قفة من خوص لا مقبض لها ..! »

560 ـ شيم العبيد ..!

وجدت فى « اعتاب الكتاب » لابن الابار ص 202 ط دمشق 1961 م

« وحكي ان مجاهدا كتب يوما الى المنصور عبد العزيز رقعة لم يضمنها غير بيت الحطيئة :

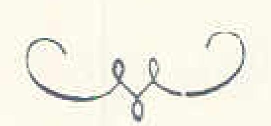
دع المكـارم لا ترحـل لبغيتهـا
واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

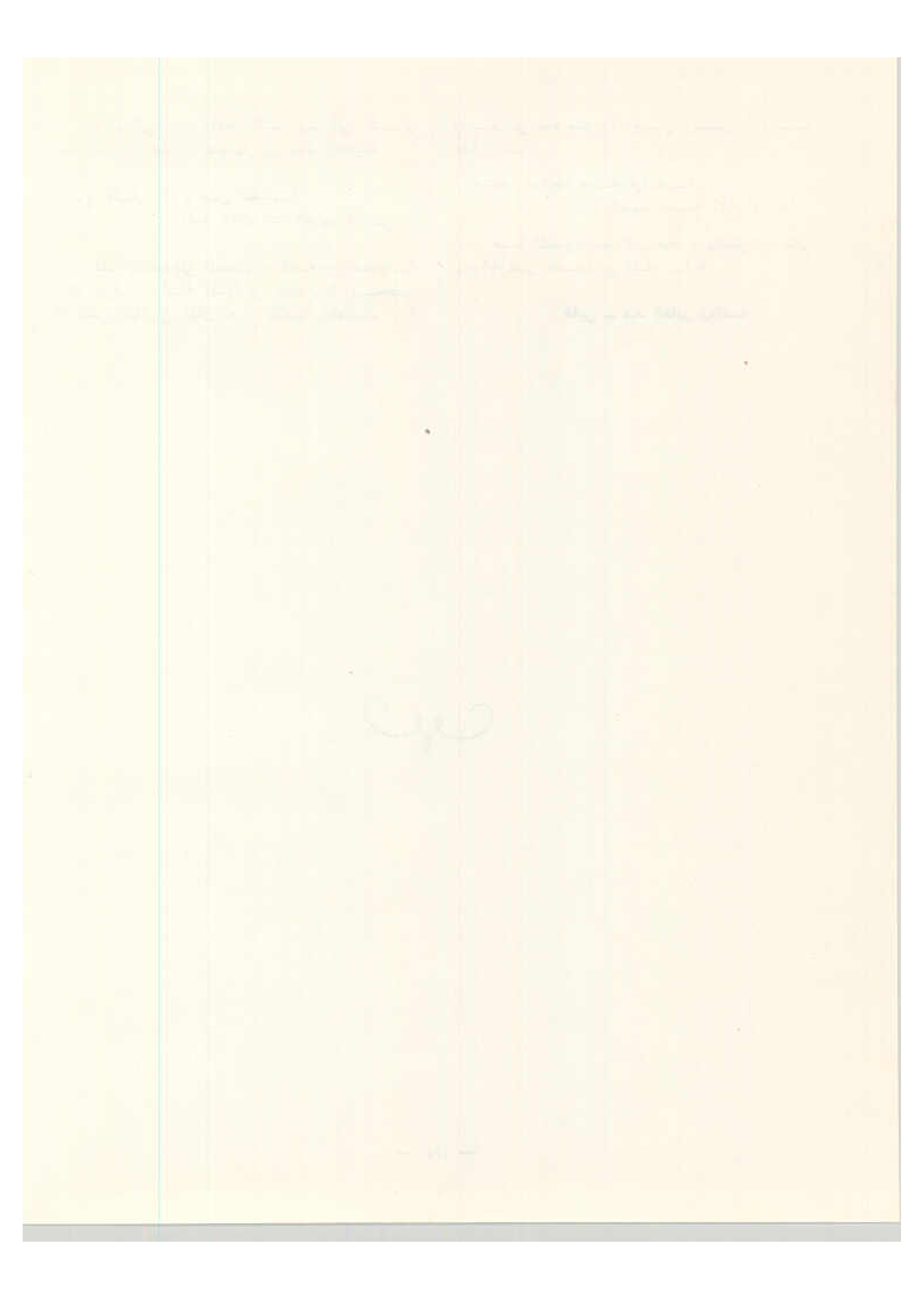
فلما وردت على المنصور ، اقامته ، واقعدته..! وكاد يمزق من اهابه فضلا عن ثيابه ..! واستحضر ابا عامر التاكرني فقال له : تطاطـا لخطبـك ..! واسمع المرجمة عنه ..! وعنون وبسمل . وكتب هذا البيت :

شتمت مواليها عبيـد نزارهـا
شيم العبيد شتيمة الاحرار ..!

فسلا المنصور عما كان فيه . والحق ابا عامر بوزرائه فنال جسيما من دنياه ..! »

فاس ـ عبد القادر زمامه





ديوان المجلة

* شعـــر ...
* مـاذا أقـول ! ومنجزاتك عالـم
* المغـرب الكبيـر ...
* بشـرى البشـائـر
* جرفتنا حضارة الغرب قسـرا ...
* أمجـاده .. التاريـخ سجلهـا .. !
* بـلادنـا
* نــود ...
* على هامش حرب رمضـان



شعر .. كأزهار الربيع ، مفوف   نديان ، مؤتلق النضارة مترف

هيمان .. يسبح في البهاء وفي السنا   ويموج في مور الشذا ويرفرف

نشوان من سحر اللطافة مائد   ويكاد من ماء الفصاحة ينطف

ماء لكروم يدب في اعطافه   ووساوس الانغام فيه تعزف

يجري، ومن نجوى لهوى دفاقه   وعليه من حلل السراوة مطرف

عدوية سبحاته ، علوية   صبواته ، زاك ، معافى مدنف

فتقول «واها» اذ يلذك سائغا ،   وتقول « آها » اذ تشاق وتشغف

هتفت به قمرية سحرية ،   من قبل أن تجد السواجع تهتف

ورقاء .. أكتاف «الرصافة» ايكها،   وفراح «دجلة» وردها المترشف

سجعت واوتار اللهاة غضيضة ،   وشكيرها لم ينم وهي ترفرف

زهي النشيد العذب في نبراتها   جذلان يختلب الفؤاد ويخطف

فصغت لارنان الحنين وسحره   مهج تقرط سمعها وتشنف

تتلقف الآذان عذب لحونه   سكبا ، ومسعور الحشا يترشف

كالطل في خضل النبات ؛ هفا له   فاشتفه وهج السنا المتلهف

اني فتحت له فؤادي واعيا   وانا الاخيذ بلطفه المتعطف

العراق : محمد بهجة الاثري

في تخليد الذكرى الثالثة عشرة لعيد العرش المجيد :

ماذا أقول ؟؟ ومنجزاتك عالم ..!

للشاعر مفدي زكرياء

ذكرى تعاد .. ولا امل نشيدا   يا فاس . حسبك ن اقول جديدا

والذكريات ، وان تقادم عهدها   ما زلن في عمر القداسة عيدا

والشعر ، والعرش الذى اوحى به   ما ان يزالا : طارفا وتليدا

يمضي الزمان ، ولن تزال حداته   كالنيرات ، تشامخا ، وصعودا

والمجد ، مهما غاص ، فى كبد البقا   ما زال عند الصانعيه وليدا

ما للحساب ؟! وفى الجوانح خافق   حذق الحساب ، فانكر التحديدا!

نبضاته ، الاعياد .. لا ستواتكم!!   والحب يعرف يومها المشهودا

قلب ، به اقتعد المليك ، وشعبه   فمضى يطاول فى الخلود خلودا

والحب يغمر ذاوذا ، فيصوغني   بجلال ذا ، وجمال ذاك ، قصيدا

ما انفك هذا الحب يصرخ فى دمي   فتخذت منه على الوفاء شهودا

لم يسل هذا القلب ، منذ عرفته   كلا ولا عرفت لظاه خمودا

كلف بحبك يا بلاد ، وبالذي   اضفى عليك ، من الجلال برودا

وبذكريات المجد ، ينشر عطرها   آذار ، يعتصر الخدود ورودا

هل عيد عرشك والربيع ، تحالفا   فرفعت من هذا وذاك بنودا ؟

وانبت فاس عن المدائن كلها   عدلا ، وقد تركت بفاس رصيدا

وشغلتني ، وغمرت مجتمعي بها   كيلا احمل فى الغرام صدودا

فسبحت فى لجج الجمال بدربها   وشكوت بثي نهرها العربيدا

والزهر ، باكره الندى ، فوددت لو   اني التهمت براعما وخدودا

وارى الغصون الجبليات ، فراعني — ان لا ارى فوق الغصون نهودا
وودت لو ان الغصون تحولت — قفدون مع (ليلى المريضة) غيدا (I)
ما زلت انعم بالشباب ، ولم ازل — في الحب ، طمح ان اكون عميدا
لا تعجبوا ، فانفجر ملء شفاهكم — ما زال يرضع فجري المولودا
واذا عشقت ، فشاعر متصوف — ما صاغ ربك قلبه جلمودا
فتح الجمال الى الاله طريقه — فتعمق الايمان والتوحيدا
وتسامت لصلوات في وجدانه — فطعن في (سبط النبي) عقودا

— ❊ —

يا مالك الوجدان ، والشعب الذى — انجزت فيه مواثقا وعهودا
بادلته حبا ، وصنت ذمامه — فانالك الاخلاص والتاييدا
وغرست فيه فضائلا علوية — وشحنت فيه مداركا وزنودا
ماذا اقول ؟ .. ومنجزاتك عالم — لا يقبل الاحصاء والتحديدا
ويحار فكري في اصطفاء اجلها — مهما بذلت لنقدهن جهودا
يشدو بهن فم الزمان ، على المدى — واظل فيها البلبل الفريدا
وبكل فج من جهادك ثورة — خضراء ، تضمن للبلاد وجودا
ومن قف عربية ، رشقت على — درب النضال لواءك المعقودا
اشيد بالعدل الذى طهرته ؟ — فارتاح صاح لا يخاف ثمودا
ام بالقضاء ، وانت من قربته ؟ — فغدا من (المتخاصمين) وريدا
ام بالسدود ؟ ومن سواك اقامها ؟ — فوضعتها — دون السؤال — سدودا!
ام بالسهارى الكادحين ؟ ومن ترى — الاك يرعى الكادح المكدودا ؟
ام بالمعارف في الشباب زرعته — هاء فتسابقت ، تغزو الفضاء بعيدا!
ام بالفضائل ، وهي كل طباعكم — فطبعت منها شعبك المحسودا ؟
ام بالاصالة ، دنسوا حرماتها ؟ — فاذبت من بعض النفوس صديدا
ام بالتوازن في الخطى .. طوع النهى — تغزو الحوادث مسرعا ، ووئيدا
ام رؤية المنظر البعيد ؟ ولم تزل — في الملهمين محنكا ورشيدا
ام باعتدادك ، قبل كل شجاعة — بالراي ، تجزم ان يكون سديدا
أم ثورة الاسلام تبعث زحفها — فتزيد في عزم الهداة وقودا
والملتقى ، ورباط يفتح سفره — والمسلمون ، يحررون عقودا

I) ليلى المريضة بفاس لا بالعراق .

اشراقة الحسن العظيم بمغرب ، ... جعلت (بلاهور) اللقاء اكيـــدا

ومناهــج سطرتهـا ، وغرستهـــا ... فى الندوة الاولى ، فكن رصيـــدا

والمسلمون ، بنور هديك عبـدوا ... سبل النجاة ، فاتقنوا التعبيـــدا

لم يعش عن صوت الضمير سوى الذي ... تركته ـ صحراء الضياع ـ بليدا ؟

وانحادثات ، وما اجل صنيعهـا ! ... وضعت لخلف المسلمين حـدودا

يا مرحبا بالخطب ، يجمع شملنـا ... اتراه ، ينقذ عرضنـا الموؤودا ؟

بطل العروبة ، يوم عيدك ، قف بنا ... نستـوف ذكرا للجهـاد مجيـــدا

المال والفلـذات تحملهـــا الدمـا ... والشعب اقسم ان يموت شهيـدا

وبواشق الحسن العظيم تنزلـت ... تذرو نفايات الشعوب حصيـــدا

والساح فى سينا ، تردد قصفهـا ... جولان .. تلهم عزمنـا البـارودا

والكون يلـهج بالبطـــولات التـي ... ضربت مثالا فى الجهاد شـــرودا

اوحى لـك البصـــر ، فاسـرعت ... هبوات شعبك ، لا تهاب حديـدا

من صنع روحك ، قلبه ، ومن الذي ... يبري سواك من القلوب جنودا ؟

سر ابن يوسف ذاك؟ ام سر النبي؟ ... وكلاهمـا يتساجـل التجديـــدا

— ❊ —

مولاي ، ان قصرت .. عفوك انني ... عن شاو مدحك لا ازال بعيـــدا

الصدق يشفع لي، ويشفع لي الرضى ... وكما علمـت ولائـــي المعهـــودا

قالوا : مدحت المالكين ، اجبتهم ... ما كنـت يومـا للبنـاة جحـودا

مدح البطولة ، رفعـة ، وكرامـة ... لولا البطولة ما انتزعت خلـــودا

ما كنت بالاقزام احفل ، ان همو ... رفئوا ، واطرب ان اغيض حسودا

لا ينكـــر الامجــاد الا آفـــن ... طمس الظلام طريقـه المســـدودا

فاقبل فديتك ـ نفحة من شاعـر ... بطل ، تفيـا ظـــلك الممـــدودا

واسلم اشعبك ، والعروبة قائـدا ... يزجي الشـــراع عنايـة وصمـودا

ان الذى شملتـك منـه رعايـــة ... لا شك ، ينجـز سؤلك المنشـودا

فاس ـ مفدي زكرياء



للشاعر المدني الحمراوي

امة المجد الشهمة العربية ... امة السيف امة البندقيه
امة الخيل والجهاد تنادت : ... جددوا عهد وحدة مغربية
من شفاف المحيط صف متين ... والتحام يزيدنا حيويه
رصصوا سطره قويما ، وصدوا ... عنه آفات نزغة عصبية
اخوة كلنا عروقا ودينا ... وجوارا وغاية بشريه
وشعار « القرآن » وحد منا ... امما لم تزل ــ به ــ حنفيه
واللسان الفصيح يربط منا ... بين اخوان لهجة يعربيه
امل واحد حدانا جميعا ... ومصير موحد وقضيه
وامان جديدة ، وتراث ... كان فكرا ونهضة مدنية
هو ارث الجدود فينا مشاع ... كان هديا ودعوة قدسيه
كان نورا بالقيروان وفاس ... وتلمسان فى عهود بهيه
وبمراكش وتونس كانت ... دافقات حياضه العلميه
عرفتها بجاية وراتها ... موجة من سيول فكر قويه

— * —

عرفتها ربوعنا فى جبال ... وسهول ، وفى صحارى قصيه
كالمصابيح ترسل الهدى نورا ... وحياة ، وقوة خلقيه
ومناراتها على كل نهج ... تتحدى جهالة وثنيه
وشعاراتها سلام وحق ... واخاء يضم شمل البريه
وخضوع لخالق ذي جلال ... وبقاء ، وقدرة ازليه
هي طاقاتنا ، هي الروح فينا ... هي أقوى من الحصون العتيه
هي ميراثنا ، وعنوان مجد ... فى حياة شريفة وعليه

جمع الله شملنا بهداها … فلنصنها امانة سلفيه

حرستنا من الفناء قديما … وحديثا ، فيا لها من وفيه

باعاجيبها بلغنا منانا … فطردنا محتلنا بحميه

هي كانت في كل قلب سلاحا … محق الغصب بالشباة الخفيه

والعدو الغشوم كان قويا … آية المحق في يديه ضريه

وبآياتها جدود كرام … قهروا كل قوة همجيه

وبراياتها الخوافق صالوا … وغزوا كل وهدة وثنيه

فلنشيد على متين قواها … ما سنبنيه في حياة سويه

فهي الاس غيرها يتداعى … كلما هب عاصف او رزيه

ويد الله سوف تعلي وتحمي … ما سنبنيه فوقها من بنيه

فالى ساحة البناء فهبوا … امة في مودة اخويه

ذكرونا بامسنا يوم كنا … وحدة — في كفاحنا — وطنيه

لم يكن للفروق فيها مكان … من حدود او نزعة قبليه

وحدة الصف في جهاد شريف … هي من ديننا هبات سنيه

ومع الدين لا تحل فروق … لا تزيد الانام الا بليه

ومع الدين لا يحل شعار … جاهلي ودعوة دمويه

لا تخنكم حصافة الراي يوما … فتصابوا بنكسة عنصريه

بغية الحاقدين ان نتعادى ، … كيف يرضون ان تنال مزيه ؟

بغية الملحدين ان نتلاشى … في مفاهيم مفرضات فريه

هي — في الحق — فتنة وسراب … ليس فيها من اليقين بقيه

وقشور بها خدعنا كثيرا … عن لباب في ملة عبقريه

ملة الحق عصمة لو حللنا … عقدة النقص عن نفوس غبيه

هي اولى بنا اذا ما نبذنا … ما ورثنا عن امة عجميه

— * —

ايها الشعب في المغارب هيا ! … وحدة الصف في بنيك سجيه

مغرب اليوم واحد مثلما كا … ن قديما على عهود رضيه

فتحرك على طريق سوي … وتطلع الى حياة رخيه

باسم رب الحياة نمشي جميعا … ويدا في يد بحسن طويه

الرباط — المدني الحمراوي



اهلا بصاحب هذا المولد النبوي ... مقابل الطرف الأمي والأبوي
اهلا بميلاد مولود به كملت ... بشرى البشائر للبادي وللقروي
اهلا بميلاد من لم يحك مولده ... من الظروف مكاني ولا سلوي
اكرم بها ليلة غراء مسفرة ... عن غرة في محيا الضنضيء القصوي (1)
اكرم بها ليلة غراء ضاحية ... فيها يتيمة سمط اللؤلؤ اللؤوي (2)
اكرم بها ليلة غراء مطلعة ... شمس الضحى بسماء المطلع النبوي
اكرم بها ليلة غراء مظهرة ... سر الوجود الذى فيه الوجود حوي
اكرم بها ليلة غراء منتجة ... نتيجة العالم السفلي والعلوي
هي التى عرف الكهان ان لها ... شانا متى لاح فيها للنجوم هوي
يا ليلة المولد الميمون طالعه ... طوى زمانك من فيه الزمان طوي
طوى الذى طوي السبع الطباق له ... طيا وزيا بسط البساط زوي (3)
لولاك ما انزل الذكر الحكيم ولا الديـ ... ـن القويم ولا في الصحاح روي
ولا وعاه ابن مسعود ولا انس ... ولا رواه ابو داوود والنووي
لولاك ما جمع القرآن جامعه ... ولا درى الخازن التفسير والبغوي
ولا روى قاريء صحت قراءته ... حرفا من القريء الزيدي والأبوي
ولا اقيمت من الاسلام قاعدة ... ولا بدا فضل سني على حشوي (4)

لولاك ما استنبط الاحكام مجتهد   ولا استبان حلال البيع من ربوي

ولا ابان بياني معانيه   ولا نحا اللفظ نحوي ولا لغوي

لولاك ما جمعت جمع الحجيج ولا   امنوا لرمي جمار الموقف المينوي (5)

لولاك ما جعلت ام القرى حرما   ولا تشرف من بين الورى علوي

لولاك لم يغلب الروم الغلاب ولا   ملوك ساسان تيمي ولا عدوي

لولاك ما نيل ما عز الكليم لدى   نجواه بالموقف الطوري والطووي

ولم تدن حمير الصعر الخدود ولم   يرق المنابر عباس ولا اموي (6)

فكم افدت صديقا او ابدت عدى   وكم فديت رفيقا او هديت غوي

وكم منحت عطاء او منعت حمى   وكم اعنت ضعيفا او اهنت قوي (7)

وكم ازلت دوى عن جسم كل دو   وكم ازحت جوى عن قلب كل جوي (8)

وكم جنبت الى الاعداء عادية   وكم نهبت لهم من جامل وشوي (9)

بجحفل من صحاب المصطفى صبر   على اقتحام الظبى بالمازق الوغوي (10)

قد عوضوا لثم بيض الهند مصلتة   من لثمة المبسم الظلمي والظموي (11)

من كل اروع بسام اذا كلحت   عون الحروب له عن فاهها الشغوي (12)

مدجج كالسبنتى لا يساوره   من الاسود كرائي ولا شروي (13)

يدعو الورى بدعاء المصطفى لهم   الى صراط من الدين الحنيف سوي

يا ليت اني اليه جبت فيح فلا   للجن بالليل فى حافاتهن دوي

بكل ناجية خوصاء طاوية   يخوض آل المواميء آلها الحنوى (14)

كانها حقب جاب طالما جزات   بالروض حتى رماها بالقنى السفوي (15)

صامت وصام اسابيعا ينهنها   حتى لقد طويت من صومها وطوي (16)

والماء يرصده غرثان من ثعل   يرى القنيص اذا يبدو صفيف شوي (17)

حتى احط لدى مغناه ارحلها   فاستطيب ثواء حيث طاب ثوي (18)

القي عصى السير لا انوي الاياب اذا   كان الاياب من الزور الرفاق نوي (19)

خذها اليها ربيع بنت ليلتها   زهراء شاذية من زهرك الشذوي

عذراء معربة عن عذر صاحبها   بالحال ان لم تفه بالمنطق الشغوي

ما اسطاع حاكه صنعاء صناعتها   ولم يحكها رباطي ولا سلوي

وافت تقبل ترب النعل من خفر   ترجو القبول بجاه المولد النبوي (20)

(1) الضُّضيء : الاصل ــ المعدن .
(2) ضاحية : ليس فيها غيم .
(3) زوى الشيء : جمعه وقبضه
زبا الشيء :
(4) الحشوي : نسبة الى الحشو : فضول الكلام .
(5) امنى الحاج : اتى مني : او قصدها
(6) الصعر الخدود : صعر خده : اماله عن النظر الى الناس استنكافا واستكبارا .
(7) منع الحمى : حماه
(8) الدوى : المرض ، والدوي : المريض
(8) الجوى : شدة يحسها العاشق او الحزين والجوي : المعاني من الجوى .
(9) الجامل : القطيع من الابل مع رعاته ــ صاحب الجمال .
(9) الشوي : ما شوي من اللحم .
(10) الوغوي : نسبة للوغى
(11) الظلمي : نسبة للظلم (بفتح الظاء) : بريق الاسنان ، جمع ظلوم (بفتح الظاء)
(12) الشفوي : شفت السن : اذا زادت طولا على سواها والشفواء : العقارب لزيادة المنقار الاعلى لهذا الطير على منقاره الاسفل .
(13) السبنتى : ج سبانت : الجريء المقدام ــ النمر لجراته .
(13) شروي : لعله نسبة الى الشرى ، وهو الجبل عموما ، وتعرف به خاصة مأسدة ، كانت بجانب الفرت (سار ذكرها مثلا) .
(14) خوصاء : خوصت تخوص خوصا : غارت عيناها فى راسها .
خوصت الشاة : كانت احدى عينيها سوداء ، والاخرى بيضاء ، مع بياض فى سائر الجسم .
(14) ناجية : مسرعة .
(14) الآل : السراب .
(14) الموامي : مفرد : الموماة او الموماء : الفلاة .
(15) جأب : ج : جؤوب : المغرة (طين احمر يصبغ به) .
الجاب ايضا : الغليظ الجافي .
(16) نهنه : نهنه فلانا عن الشيء : جزره عنه بالقول او بالفعل .
(17) ثعل : ثعلت الاسنان : تراكب بعضها على بعض .
(17) القنيص : القانص ــ المقنوص .
(17) الصفيف : ما صف فى الشمس ليجف ، او على النار ليشوى .
(18) الثواء : ثوي يثوي ثواء وثويا المكان وفيه وبه : اقام .
(19) الزور : الزائر : للمفرد والمثنى والجمع .
(20) الخفر : خفرت الجارية تخفر خفرا : استحيت اشد الحياء .

جرفتنا حضارة الغرب قسرا...

للأستاذ الشاعر محمد الكبير العلوي

ردد النغم وانتق الالحانا ... وصغ القول رائقا رنانا

وحك الشعر كاللآلي سموطا ... وعقودا معانيا وبيانا

وانظم الدر من نثيرك عقدا ... حسن السبك جوهرا وجمانا

واملا الارض بهجة وسرورا ... واهازيج رائعات حسانا

واملا الجو والسماء نشيدا ... واترك الكون زاهيا نشوانا

واقم ذكريات خير البرايا ... مشرقات الهدى تسود الزمانا

حاربته ونازعته قريش ... يوم ضلت تتابع الشيطانا

ولكم جاءها الرسول بآي ... واقام الدليل والبرهانا

معجزات تحير الفكر فيها ... دونها الزهر عزة ومكانا

دونها انجم السماء ارتقاء ... وانتظاما ونضرة واتزانا

واتى هاديا بشيرا نذيرا ... ينشر العدل والاخا والامانا

وجد الارض فى ضلال بعيد ... يتردى الورى بها خسرانا

قد فشا الويل والمظالم فيها ... وادلهمت ارجاؤها بهتانا

بجرم الجاهل المسيء ويمضي ... ليس يخشى من الورى نكرانا

يئد المرء بنته دون جرم ... ويباهي بقتلها استحسانا

بينما الناس يعبدون التماثيـ ... ـل ويهدون للدمى قربانا

هاجر المصطفى الحبيب فقامت ... طيبة النور ترقب الاتيانا

فهي فى عيدها العظيم ازدهاء ... وازدهارا وفرحة وامتنانا

اشرق النور في قلوب ذويها ... فتلقوه في الهدى اخوانا
وقضت مكة الكريمة دهرا ... في المآسي تكابد الاشجانا
فهي تشتاق مصطفاها المفدى ... لم تجد بعد هجره سلوانا
وقضى المسلمون فيها زمانا ... لا يلاقون رحمة او حنانا
حيث لاقوا من المآسي ضروبا ... ومن الكيد والبلا الوانا
لا تضيقي يا مهبط الوحي صدرا ... وازيحي الهموم والاحزانا
لم تكن هجرة الرسول فرارا ... وانزواء ولم تكن هجرانا
انها هجرة وعود حميد ... وانتصار يحطم الاوثانا
وتمادت قريش وابن هشام ... في التحدي وبيتوا العدوانا
واتوا ينسلون من كل صوب ... يلتظي الحقد فيهم غليانا
يوم ساقاهم كؤوس المنايا ... جحفل المصطفى فذاقوا امتهانا
فهم البدن اعمل السيف فيها ... فتلاشت ومزقت قطعانا
ومضا المصطفى أمام البرايا ... في البرايا يفصل القرآنا
ومحا الشرك والضلالة والاغـ ... ـواء هديا وحرر الانسانا
وبدا نوره يشع شمالا ... وجنوبا وينسخ الاديانا
لست احصي امجاده وعلاه ... ولو اني افنيت فيها الزمانا
غير اني اشدو بكل قصيد ... في ثناياه افتن فيه افتتانا
واحوك البدائع الفرفية ... رائعات تشنف الآذانا
غير اني اجيد فيه التغني ... والمعاني واحكم الاوزانا
غير اني فيه تعودت سبقا ... واعتلاء اذا ابتدرت رهانا
اقتفي في مديحه ابن زهير ... واميرالثنا الرضى حسانا
نحن كنا على الزمان ملوكا ... نحكم الارض كلها سلطانا
يوم شع الهدى فكنا وكانت ... شرعة الله ديننا وهدانا
يوم سرنا على طريق المعالي ... والهدى لا تزيغ عنها خطانا
يوم كانت جحافل الغرب تخشا ... نا ولم تخش كائنا من كانا
يوم كانت فرسان يعرب اسدا ... ضاريات تدحرج الفرسانا
يوم كان الجمال فيها كريما ... وافر العرض ساميا مصطانا
طاطا الشرق راسه مشرئبا ... وحنى الغرب هامه لقوانا
ففككنا القيود عن كل شعب ... طالما هان عزه واستكانا

واضاءت بنا البسيطة نورا ونشرنا العلوم والعرفانا

واقمنا حضارة الحق فيها وملأنا مجهولها عمرانا

ذاك دين الهدى هلموا اقتفوه ذاك تاريخنا وتلك علانا

ضاع منا ايماننا دهدانا فاستسقنا الالحاد والعصيانا

ضاع منا اعتزازنا فانجرفنا لحضيض الهوان نرضى الهوانا

رحمة بالصقور تخشى العصافيـ ـر وبالاسد تختشي السيدانا

ضاع منا الطريق حتى ضللنا فى المتاهات نسأل العميانا

نقتفي الغرب وهو خصم وطورا نقتفي الشرق وهو بعض عدانا

جرفتنا حضارة الغرب قسرا فنسينا امجادنا نسيانا

وتردى الشباب فى كل مرمى ضل فى صوب قصده حيرانا

غره من بريقها لمعان زائف النور فاقتفى اللمعانا

وانبرى خلفها يريد ضياء فاستحالت انوارها نيرانا

نحن ملنا عن الهدى وانحرفنا وتركنا طريقنا المستبانا

واخذنا القشور من كل مرأى ليس يروى سرابه ظمآنا

وخلعنا الوقار عنا يسارا فترى المرء كاسيا عريانا

فاذا ما رايتنا حرت فينا ارجالا رايت ام نسوانا

نحن فى زيهن مثل العذارى يتبارين زينة وافتتانا

وهي فى زينا فوارس جن ثائرات تطوق الميدانا

ونثرنا القريض حرا فوافى مسترقا مستعبدا ومهانا

فاذا ما سمعته حرت فيه أكلاما سمعت ام هذيانا

— * —

يا رسول السلام نورك ما ز ال مشعا يطبق الاكوانا

قد تلقاه مغرب النور هديا فاضاء الصحراء والسودانا

حسبنا بعدك ابنك المتسامي حسن الشعب مجزلا احسانا

ملك قد اضفى على الشعب يمنا وامانا ونعمة وجنانا

سعدت فى افيائه الارض عدلا وهمى سيبه بها هتانا

فتسامت مزهوة وتراءى كل شبر ورقعة بستانا

وترامت فيها الجماهير تشدو بثناه تردد الالحانا

واستظلوا بظلها واستطابوا مجتناها وروضها الفينانا

ايقظ العرب من سبات عميق ودعاهم لينقذوا الاوطانا

صيحة هزت الوجود ارتجافا … ونداء بزلزل الطغيانا

قال خوضوا معارك العز زحفا … ثورة كالجحيم حربا عوانا

فمن العار ان تظل عصابا … ت الصهاين تحكم الجولانا

وصمة فى جبين كل ابي … عربي ، ففجروا البركانا

ضجت الارض ثورة واوارا … واكتست من نجيعها ارجوانا

حي ابطالنا الميامين فيها … معقد العز جيشنا الشجعانا

كل حر يغشى المنايا كريما … ثابت الجاش باسما جذلانا

رفعوا راسنا الى الافق الاعـ … ـلى فكانت لنا العلى عنوانا

حسن الشعب انت اسمى جنابا … فى مراقي العلى واعظم شانا

دمت للدين والعروبة ذخرا … نقتفي نهجك القويم استنانا

وولي العهد المعظم يسمو … وافر العز والهنا حيث كانا

الرباط ـ محمد الكبير العلوي

أمجاده .. التاريخ سجلها ..!

للشاعر : ادريس الجاي

افق فؤادي ، افرح ولا تكتئب — اليوم عيد العرش عيد الطرب

فيه يطيب الشدو ، يحلو الغنا — فيه بروق الشعر ، تسمو الخطب

اما ترى الطير لفرحتها — مغردات ، راقصات تثب ؟

أما ترى الريحان فى ارضنا — وكل ما هب عليها ودب

مبتهجا بالعيد مستبشرا — كانما البشرى نسيم يهب ؟

افق فؤادي اترع الكاس لنا — كاس المنى طفا عليها حبب

— * —

فاستيقظ القلب ، وقال : معا — ذا الله اني اليوم لن اكتئب

اليك ما يمليه صدق الهوى — اكتب، ولا تخش عذولا عتب !

العيد ، عيد العرش ذكرنا — ملاحما كانت مثار العجب

فى مشرق الارض ومغربها — اذهلت العجم وشعب العرب

ما خاضها ملك يعززه — شعب شديد الباس الاغلب

فكم اغار من مغير على — هذا الحمى ممن نأى او قرب

فما انهزمنا ، بل هزمنا العدى — وما سلبنا ، بل غنمنا السلب

لرب عرش جنده مكره — وشعبنا عرش المليك احب

فما لباغ فيه من مطمع — او فيه كلا لخؤون ارب

امجاده التاريخ سجلها — عبر القرون فى سجل الذهب

لا تمحى ما قدم العهد بها — وما تعاقبت عليها الحقب

فى لوحه المحفوظ سطرها — رب الخلود ، حبذا ما كتب

— * —

العيد ، عيد العرش اذ نحتفي   به ، فالعز يرى عن كثب
في طلعة المنصور سيدنا   كالبدر في الظلماء اذ يرتقب
نعم المسمى انت يا حسن   من ادعى احسن منك ، كذب

— * —

يا عاهلي المحبوب ، تالله ما   حبك سنة ولا مستحب
لكنه فرض على مخلص   لآل البيت شرفاء النسب
بحبكم اوصى طه المصطفى   صلاتنا عليكم تحتسب

— * —

يا عاهلي جادت يداك بفيـ   ـض الخير ، فالشكر علينا وجب
كم منن للشعب اسديتها   فانهمرت كالوابل المنسكب
فاهتزت الارض لها وربت   وانبتت من كل حب واب
من بعد ما استرجعتها من يد اللص   الدخيل الناهب المغتصب
بالعدل والقسطاس وزعتها   على بنيها ، زارعيها بحسب
وكم بنيت من سدود على   بور الاراضي ، فاذا هي خصب
ومثلما احييت هذا الثرى   بالماء ، احييت النهى بالكتب
بالجامعات بمعاهدها   للصاعدين منهلا ما نضب
(دار الحديث) انت منشئها   كم اخرجت من الشباب العجب
علما ، وحفظا ، وتقى ، وهدى   فنعم من فيها تربى وشب
ورواية القرآن اعليتها   فاقبل القراء من كل صوب
وكل يوم تبتني مسجدا   او جامعا رحبا ، رفيع القبب
المومنون انت رائدهم   من خان منك العهد ليس وثب

— * —

لله عرش في السما فرعه   واصله في صخر عز رسب
زينته من استوى فوقه   لا بهرج من لؤلؤ وذهب
كم طاطا الراس له سيد   وعفر الوجه هجين غلب
اجدادنا قد عودونا على   تاديب من كان قليل الادب
فمن يغامر فيمد يدا   اثيمة للعرش يلق العطب
يلقى فحولا كاسود الشرى   وامة ترهب حين تهب
ذاكم بان العرش معقلها   وضامن الوحدة يوم الكرب
وما اعتلاه غير ذي همة   قعسا ، سليل المجد ، صنو النجب

كالحسن الثاني كوالده | من ضحيا بكل غال يحب
لمحو عار الذل عن ارضنا | وطرد كل معتد مغتصب
فلم يكفا عن نضالهما | حتى توارى المعتدي وانسحب
وطهر لله بعزمهما | وغضبة الشعب ، عزيز الترب

— * —

يا طاهر الصلب ، عريق النسب | وطاهر القلب ، نقي الحسب
لقد كسبت حبنا والوفا | وذاك اغلى ما مليك كسب
اقسمت لا تبقي على ارضنا | شبرا بأيدي من حمانا غصب
(مليلية) واختها (سبتة) | وارضنا الصحرا (بو دي الذهب)
تعلم ان الحسن الثاني منا | عنها تخلى ، ما عليها شطب
حاشا سياتي يوم تحريرها | ويجمع الشمل ، وتجلو السحب

— * —

في مشرق الارض ومغربها | للحسن الثاني ، الثناء وجب
اقر بالفضل له اخوة | اما انبرى ينصر حق العرب
فتوهوا بجيشنا ، وبمن | جرده قبل اندلاع اللهب
فكان بالمرصاد للمعتدي | اما تحفز العدو ، وثب
فهللت (سيناء) لما غزا | وكبر (الجولان) لما غلب
وبارك القدس حملته | على بني عباد عجل الذهب

— * —

يا من اعز ذكرنا في الورى | وحقه الاجلال حيث ذهب
ارواحنا تفديك راضية | من كل مكروه اليك اقترب
لقد سرى حبك في دمنا | اذ صرت اغلى ما لنا واحب
اهنأ بعيد العرش واسلم لنا | فانت للشعب مليك واب
واحفظ الهي الشبل سيدنا | محمدا والامراء النجب
والراية الحمراء خفاقة | منكم عليها كل خير يهب

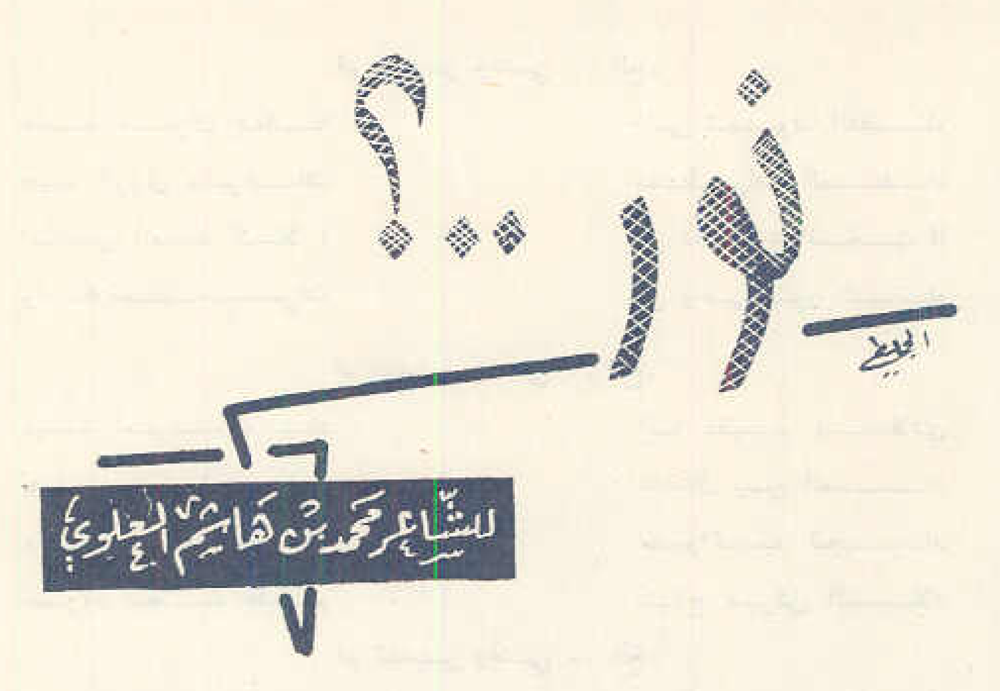
الرباط — ادريس الجاي



للشاعر محمد بن محمد العلمي

بلادنا حدائق من سندس ، ... بها تزينت ربوع (الاطلس) :
فيها ربوع أشرقت جدته ، ... وسحره يغشى عيون النرجس
فيها الحضارة التى قد بهرت ... آياتها ، ومتعة للانفس ،
فيها الاصالة ، ووحي دائم ... تعبده قريحة المقتبس ،
وفى تراثها الفني قيم ... نحن لها من اوفياء الحرس .
تنوعت آثارها ، وكثرت ، ... بكل ناد زاهر او مجلس ،
حتى غدا تاريخها فى عمقه ... شغل الخبير الباحث المدرس .
أنوارها تألقت بين الورى ، ... وفى الخلود شمسها لم تطمس
فى العز عاشت حرة كريمة ، ... ونبعها الزلال لم ينحبس :
فى كل سفر لبلادي روعة ... للمجد ، تنطق حروف الفهرس
بالضاد والاسلام قد قامت لنا ... حضارة تزهو بأقوى الاسس ،
ترعى الكيان فوقنا عناية ... كبيرة ، دامت بروح القدس .
فالقيروان هاهنا ماثلة ، ... قد عانقت روائع الاندلس
بلادنا جوهرة صافية ، ... ترفض كل مرجف مدلس ،
وكلها طهر وعطر عابق ، ... وعرضها الرفيع لم يدنس
وحسنها منفرد من نوعه ، ... فى جوها الفض الضحوك المشمس
كأنها فى فنها مليحة ، ... فوق الملاح ، برزت فى عرس
حسن الضيافة لها شنشنة ... قد نبعت من خيرها المنبجس
فيها الجمال والجلال والهنا ، ... وفى حماها مطمح الملتمس
واينما سرت ففيها جنة ، ... وراحة للزائر المستأنس
بلادنا انشودة عريقة ، ... يشدو بها الدهر العميق النفس
قد حفظت عهد السلام أبدا ... بطبعها السمح النبيل الكيس
فى ظل عرش قائد ورائد ، ... يسعى بها الى المقام الانفس
تلك بلادي من سقت بحبها ... كل العوالم الذيذ الاكؤس !!

الرباط ـ محمد بن محمد العلمي



قم للغدير وغني   غناك بسحر فني
قيثارتي فى يساري   بصدرها همس لحني
والناي يكر اذني   وعالمي وكوني
وفى الرياض هزار   متيم ومغني

قم للغدير وغني .. الخ.

امن رحيق الكروم   وسابحات الغيوم
وضاحكات النجوم   وبارقات السديم
اتيتني فى وجوم   تزيح عني الهموم
كانني لست شعرا   اهز قلب الكريم

قم للغدير وغني .. الخ.

أحبه علويا   احبه عبقريا
أحبه عمريا   احبه خالديا
احبه وشنطونا   احبه فدائيا
أحبه سحبنيا   احبه حسنيا

قم للغدير وغني .. الخ.

اني رايت بهاه   وعقله ودهاه
وصولة فى لماه   تزف قدس مناه
براحتيه شذاه   الى المعالي خطاه
فى دقة وتفان   يخط سير سناه

قم للغدير وغني .. الخ.

فكم مراق دعانا   الى شهوب الفضاء
حيث الرؤى مشرقات   معطرات الصفاء
ايمكن الغد كلا ؟   من ذا يعد السخاء ؟!
وانه معجزات   من وحي نور السماء

قم للغدير وغني .. الخ.

عيد لعرشك باد   ايا عظيم بلادي
حملته كل عز   فاختال بين العباد
ومن سناه تبارت   مواكب للجياد
سرور شعب عظيم   بتاج عرش البلاد

قم للغدير وغني .. الخ.

قررت سحق جناة   وظالمين طغاة
فما تأخر شعب   لخوض نار العداة
بل قام يهتف مرحى   الى خضم الحياة
الى الجلان وسينا   وسفك رجس الجناة

قم للغدير وغني .. الخ.

مواقف سجلتها   محافل فى الجزائر
حيث النضال حكيم   مرصع فى الضمائر
حيث المليك زعيم   لقلب كل مناصر
فأنت اقدس حصن   لمخلص ولثائر

قم للغدير وغني .. الخ.

شعري لعرشك يذكي   عزائما للخلود
فشعبك اليوم اضحى   يشق حقل الوجود
فما استكان لباغ   ولا رضي القيود
وعزمه فى اكتساح   لمشكلات الخمود

قم للغدير وغني .. الخ.

وليس ذاك جديدا   بل كان فيه تليدا
ففي الحياة القريبة   قد كان صقرا عتيدا
وها هو اليوم ماض   يقيم عصرا جديدا
الى العلاء أراه   يشيد عهدا سعيدا

قم للغدير وغني .. الخ.

مشاكل قد اراها   تزف بيض مناها
ففي الادارة شذب   يشد ازر قواها
وفي العدالة صوغ   مبدد لشقاها
بركز الدين فيها   والفقه يضفي بهاها

قم للغدير وغني .. الخ.

وفي المصانع ربح   للصانعين سداها
والكادحون بارض   تمتعوا بشذاها
واصبحوا مالكيها   تدر فيهم ثراها
وغاض فقر وبانت   سعادة في ذراها

قم للغدير وغني .. الخ.

والضاد رق سناها   على فصول المعاهد
ففي المدارس اضحت   عزيزة في المقاعد
لها نفوذ وشان   يسر قلب المجاهد
وبعد حين تراها   مخلدات المحامد

قم للغدير وغني .. الخ.

وفي الثقافة تدي   رضاعه الادباء
وفي الفلاحة كدح   ابطالها شهداء
الى الامام شبابي   فكلكم نبلاء
برائد حسني   افكاره عظماء

قم للغدير وغني .. الخ.

كل القطاع تمغرب   يقطرنا وتمذهب
وعاد منهم الينا   معززا ومحبب
بضاعة قد رددنا   من بعد كدح مخضب
كذاك كل عزيز   اذا تكامل اطرب

قم للغدير وغني .. الخ.

اغـــــرودة الحـــــن	ورقـــــاء في فـــنـــي
تلقـــــاك هـــاتفـــــة	بنهضـــــة الـــوطـــــن
باليمـــــن للحـــــــن	بقاهـــــــر الـــزمـــــن
بأمـــــــة عظـــمـــــت	قيـــــــادة الحـــســــن

فـاس ـ محمد بن هاشم العلـوي

على هامش حرب رمضان المجيدة

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

صحا البطل المقدام يرمي بداهيه ... ويغزو حصونا للطواغيت راسيه

وراح يباري بالبطولة باسهم ... تساندها مثل من الحق ساميه

ويزرع فى جولان موتا ، محررا ... اراضي قد باتت ترجاه باكيه

ويهدم (برليفا) بعزمة خالد ... يرى الموت جنات ترويه حانيه

ويقذف لهبا ، ذائدا عن كيانه ... وينسف احلاما تباهى معاديه

وامسى زنيم فى أسى متوجسا ... يشاهد آمالا تساقط ذاويه

فبالامس قد رام النجاح كثعلب ... يظن بروغان حظوظه زاهيه

وما قد درى ان الحياة دوائر ... وان صروح الظلم لا بد هاويه

وان دعاة الحق دوما بواسل ... يناصرهم عزم وروح مباهيه

— * —

أيا شعبنا ان المعارك جمة ... يعد لها الباغي كوارث داميه

يبيت غدرا للحليم مخادعا ... فيرضى لها ذؤبان غاب مواليه

وانت على مر الدهور منارة ... تضيء دروبا للبرية داجيه

وتفرش ربوات سلاما وطيبة ... تحن لها نفس وطير وداليه

وتضفر خيرا ياسمينا مؤرجا ... فيروى بأشذاء قلوبا معانيه

وما كان مكر ان يصدع شملكا ... ورايتك القرآن تزهو مصافيه

ولكن وقت الروع تبدو كطارق ... يثير ضروسا ـ لا تماثل ـ قاضيه

يمزق اعداء بهمة مسلم ... يرى الموت خلدا فى فراديس باقيه

لسحق أبي جهل ومن عب زيفه ... فتهرا أصنام الخنا متداعيه

— * —

ايا امة الاسلام ان حياتنا   تصير بقرآن مصابيح هاديه

وسؤددنا ازاهي ـ ورب محمد   يصوغه اسلام مقايس غاليه

وعزتنا لا ترتضي فى وجودها   مفاهيم رعناء عن الحق عاريه

فكيف تعيش اللات مجدا ورفعة   وهذى مناهيج الاله مباريه

ونحن ملايين يهاب جنابها   اذا هي صارت بالهدى متآخيه

عقيدتنا نشدو بها فى محافل   ونرضى بها جنسية نعم ماهيه

بنفسي لو يصحو اباء ضميرنا   فتمسي لنا نظم المهيمن حاديه

بذاك واعداد ندمر باطلا   ونمضي اعاصيرا نذيقه غاشيه

ونملا آفاق الحياة مجادة   توقعها لحنا شحارير شاديه

نعيد لأقصانا ضياء حياته   فقد ذاق من بغي نوازل ضاريه

فيضحى عزيزا فى رعاية اهله   تضمه احضان به متفانيه

وتسجع مرحا فى رياض جماله   بلابل نشوى من أمان مناغيه

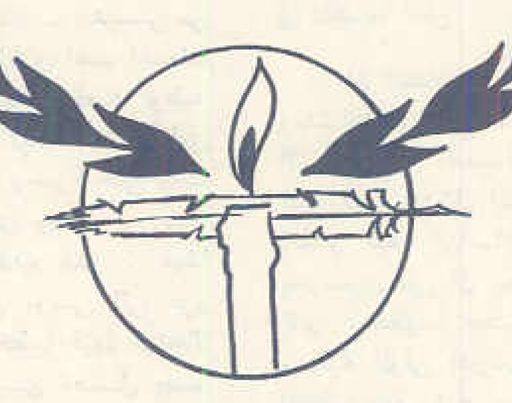
بهذا يرى عملاقنا عهد مجده   ويشهد منيات عناقيد دانيه

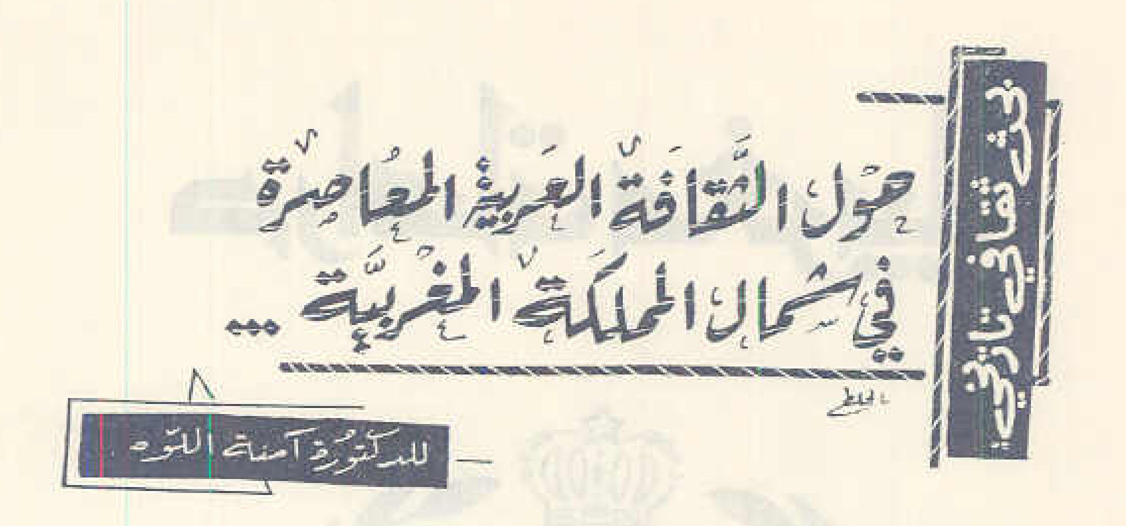
ويشرب من نبع الخلود انتصاره   فتعنو له الدنيا تصافيه راضيه

تطوان ـ محمد المنتصر الريسوني

دراسات مغربية







- 2 -

تعريب الشمال

فنعود لاتمام ما كنا فيه من التذكير بأيام طنجة الاولى .. ايام الفتح الاسلامي ، حينما كانت طنجة عاصمة الولاية المغربية باسرها .. اتخذها ـ كما اسلفنا ـ كل من طارق وادريس الاول عاصمة المغرب الادارية وعاصمة المغرب الثقافية بنزول اول بعثة ثقافية عربية فيها ، التى قال ابن خلدون في شأنها: « ان موسى ابن نصير انزل بطنجة عربا مع طارق وامرهم ان يعلموا البربر القرآن والفقه » ـ وقال غيره : انهم كانوا سبعة عشر ـ ويذكر البعض اسماءهم ـ وذلك كله حسب ما قلنا ـ بتدبير من الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الذى اهتم اهتماما زائدا بهذه الجهة من خلافته الواسعة ، قصد توطيد اسباب العروبة والاسلام فيها الى الابد ، الامر الذى تحقق والحمد لله ، اذ لم تمر فترة وجيزة حتى راينا الاقليم وما والاه قد تعرب واهتدى وصار من دعاة الاسلام المتحمسين لنشره ، والذب عنه . فهذا قائدهم طارق قد دعاهم بأمر من موسى الى غزو الاندلس سنة 92 هـ فاستجابوا وخطب فيهم ارتجالا خطبته المشهورة قائلا يحمسهم حين فصل بهم البوغاز : البحر وراءكم ، والعدو امامكم ، فليس لكم والله الا الصبر .. الى آخر الخطبة .. ففعلت فيهم الخطبة فعل السحر ، فاندفعوا واكتسحوا الجزيرة جلها ، في بضعة شهور ، مما دل على صدق ايمانهم وخلوص عروبتهم . وما زال بعض الباحثين فى شك من صدور الخطبة المذكورة من طارق ، نظرا لفصاحتها وسبكها المتين ، ونظرا لكون الجيش المكون من ابناء جموع البربر ـ مع قلة من ابناء العرب ـ لا يمكن ان يصل فى تلك المدة الوجيزة ، الى مستوى يتاتى معه ان يستوعب الخطبة ويندفع تحت تأثيرها .. وانا مضطرة هنا لدحض ما يقوله اولئك المتشككون وللذب فى وجوههم عن ذلك الاثر الادبي النفيس الذى يعد بحق ـ فيما علم ـ اقدم نص نثري فني عربي فى هذه الديار المغربية كافة ، لا فى الديار الشمالية فحسب ، واني موجزة القول فى ذلك ما امكن .

ان النقاد ازاء خطبة طارق هم ما بين منكر ومتشكك ومقتنع .. شانهم فى ذلك مع كثير من الآثار الادبية القديمة الصادرة عن اصحابها فىعهود قلت فيها وسائل التدوين او انعدمت بالمرة .. واني لاتذكر كيف اناساتذتنا فى التعليم الاولي كانوا يحرصون على ان يحفظونا خطبة طارق هذه .. كما كانوا يحفظوننا خطبة قس بن ساعدة الشهيرة ـ وخطبة المولى ادريس الثاني .. فكنا نجد لهذه الخطب رنة وغنة .. ونستشعر طلاوتها وحلاوتها .. ولكن لما انتقلنا الى التعليم العالي اصبحنا نسمع من بعض الاساتذة ونقرا فى بعض الكتب ان خطبة المولى ادريس مفتعلة وان خطبة قس منتحلة (رغم ان من رواتها نبينا العربي عليه الصلاة والسلام كما ف

السيرة النبوية) . و ن خطبة طارق موضوعة مصنوعة .. وقوالا اخرى جعلتنا نشك فى سائر ما ينسب الى الاقدمين .

بيد ان النقد النزيه والبحث الحصيف توليا الكشف عن الحقيقة واثبتا صحة صدور تلك الخطب عن اصحابها مما لا يدع شكا ولا يقبل ترددا .

وفيما يخص خطبة طارق فان الذين تولوا افك التشكك فيها هم فى الواقع احد فريقين ، اما فريق اجنبي تمثل فى زمرة من المستشرقين المولعين باثارة الشبهات والشكوك فى كل ما لم يجدوه مسطورا ومدونا فى حينه على الاضابير والاحاقير القديمة .. واما فريق من اخواننا الشرقيين الذين يحلو لهم ترد د ما يصدر عن اولئك المتشككين ..

والكل يعلم ان التدوين كان شائعا فى الصدر الاول للاسلام : بيد ان الرواية والاتكال على البديهة والذاكرة كانت اغلب على القوم فى جل ما يصدر عنهم فى مجالسهم ومواقفهم من نثر وشعر . كما ان الجميع يعلم ان الخطب كانت اجل ما يتخاطب به العرب القدماء وانها اكبر وسيلة من وسائل الاعلام عندهم لتبليغ الاوامر وبث الافكار ونشر الوعي والدعوة والتحريض .. فالقائد العام يخطب فى جنده كلما عقد لهم لواء ووجههم الى زحف .. وقائد المعركة يخطب فى كتائبه كلما دفع بهم لخوض معركة .. فلماذا نريد من طارق ان يشذ عن هذه القاعدة المتبعة آنذاك وهو القائد المتمكن من اصول العروبة وتقاليدها العسكرية .. ولماذا نستكثر عليه ان يخطب فى جنده وهو قد دفع بهم لفتح صقع لا عهد للعرب بمثله وراء البحار ..

انني رايت بعيني لوحة مرسومة من طرف رسام اجنبي قديم فى متحف اوربي .. تمثل طارق بن زياد وسط جيشه الباسل وهو يخطب فيهم ويستثير حميتهم وهم يهتفون ويلوحون .. فهل ذلك الرسام الاجنبي افتعل هو ايضا من مخيلته ذلك المنظر .. واغلب الظن انه لم يسجل ذلك الموقف فى لوحته الا لما شاع وتوارثه قومه من اخبار الفتح الاسلامي الذي ما زال اذ ذاك عالقا باذهانهم لم تغب عنهم معالمه وحقائقه ..

ان (الحقيقة والخيال) كثيرا ما يجور احدهما على الآخر .. او بالاحرى طغيان اوهام الخيال على معالم الحقيقة الناصعة ، فلولا اجنحة الخيال الجامحة لما تشكك الشاكون فيما اثر عن العرب الاقدمين من شعر ونثر .. ولما تشككوا فى بعض ما اثر عن زعماء المسلمين الاولين .. فهذه رسالة عمر الشهيرة التى وضعت اول مسطرة قضائية فى الاسلام .. وهذه خطب علي بن ابي طالب ورسائله التى جمعها اصحابه وعتبروها « نهج البلاغة » فى الآداب العربية الاسلامية .. لقد خاض قوم فى شانها بحور ظلمات الانكار وغلوا فى دروب التيه والضلال ، منكرين صحة تلك الآثار واثاروا فى وجهها عجاج الشبهات والشكوك .

وكذلك خطبة طارق، فلقد طغى ازاءها (الخيال) الجامح على (الحقيقة) الثابتة .. فلو كان الامر يتعلق ببعض عبارات لخطبة لكان فى البحث متسع . وللاخذ والرد مجال ، اذ يبدو شيء من التزيد فى بعض فقراتها .. نتيجة لتداولها بين الرواة عبر القرون والاجيال .. اما ان يكون الانكار يأتي عليها من اساسها فهذ ما لا سبيل الى قبوله والخوض فى ميدانه . ما دام يرمي الى هدم لبنة غالية من صرح تاريخنا الادبي ومجدنا العربي ، لا يخص تاريخ الجزء الشمالي وحده بل تاريخنا الوطني الشامل ..

وبالاجمال فان هناك اكثر من دليل على صحة الخطبة وعلى عروبة طارق .. وعلى ان سكان ذلك الاقليم قد تعربوا بسرعة ، فكانوا والحق يقال اول اقليم تعرب فى المغرب وحافظ على عروبته فى صدق وامانة عبر الاجيال . وهذا ما نشاهده اليوم فى سكانه المعروفين « بجبالة » من كونهم يمتازون بنوع من العروبة الخالصة لا تشاهد عند غيرهم ، توارثوها منذ ذلك الحين.. بل هناك شواهد اخرى على سرعة انتشار العربية فى جوانب الاقليم وما جاوره شرقا وجنوبا .. فهذه سبتة بدورها قد تعربت فى ذلك الحين ، ونبغ فيها علماء وشعراء معروفون باسمائهم وانتاجهم العربي ، وهذه اصيلة انجبت كثيرا من فطاحل العلماء فى ذلك الوقت المبكر .. وكذلك مدينة البصرة ـ القريبة من القصر الكبير ، والمندثرة اليوم .. نبغ فيها علماء وادباء مذكورة اسماؤهم فى كتب التاريخ .. بل ان اثر طنجة التعريبي المبكر ـ نجده جنوبا فى مدينة وليلي الادريسية وما حولها (وبفضلها تاسست مدينة فاس حسبما سطر فى التاريخ) ـ كما نجده شرقا فى

اقليم الريف حيث تأسست مدينة النكور العربية ، في صدر المائة الثانية من الهجرة (القريبة من الحسيمة) على يد صالح بن منصور الحميري وابنائه الذين اسسوا هناك دولة عربية قامت بجلائل الاعمال من بناء المساجد ، ونشر الثقافة العربية ، وتشجيع العلماء والادباء ، واستقدامهم من سائر الاطراف .. وفي النكور هذه نزل الامير الاموي عبد الرحمن الداخل ، اواخر المائة الثانية ، ومنها عبر الى الاندلس واسس الدولة الاموية العظيمة ..

لماذا نشك في سرعة تعريب المغرب في ذلك الحين خلال نحو ربع قرن أو يزيد ، ونحن شاهدناه اليوم قد تفرنس في اقل من ذلك بكثير ..

ان اعداء العروبة في هذه الديار ، وفي خارجها، هم الذين يزرعون هذه الشكوك ، ويوهموننا بمختلف الاقاويل بان المغرب بربري بعيد عن العروبة .

فنصل من هذا العرض الوجيز الى ان هذا الشمال قد تعرب وانه عن طريقه وبفضله تعربت بقية اجزاء المغرب واهتدت الى الصراط المستقيم .

بعض مزايا الشمال

واذا اردنا ان نسترسل ونطنب شيئا ما في تعداد فضائل ومزايا هذا الشمال فاننا نجده مصدر اشعاع فكري وعقائدي وثقافي على كثير من البلاد قاصيها ودانيها .

ـ فمنه انطلقت الدعوة الاسلامية جنوبا .

ـ ومنه انطلق ادريس الاول واسس الدولة المغربية الاولى واتخذ ابنه ادريس الثاني فاس عاصمة الدولة .

ومنه انطلقت الجيوش المغربية بقيادة طارق لفتح الاندلس اي من طنجة بالذات .. وقيل من سبتة وهو الاصح ..

ـ ومن سواحله انطلقت سائر الجيوش المغربية التى انقذت الاندلس غير ما مرة ..

ومنه خرج كثير من الرواد الاوائل يجوبون اقطار المعمور ، يستكشفون المجاهل ويصفون المعالم ..

من سبتة خرج الادريسي وجال وساح ، ودون احسن مرجع في الجغرافية ووصف البلدان والعمران .. ووضع معه اول خارطة معتمدة للكرة الارضية جاءت افضل من خارطة سابقة بطليموس.

ـ كما خرج من سبتة رحالة آخرون كابن جبير وابن رشيد .

ـ ومن طنجة خرج الرحالة العالمي العظيم ابن بطوطة .. واليها رجع بعد ان قضى اكثر من عشرين سنة وهو يجوب الآفاق ويخترق الصعاب ، عاد وقد ملئت جعبته بأخبار المعمور الغريبة النادرة ، التى لا وجود لها الا في رحلته « تحفة النظار » التى بز بها معاصره ماركو بولو الرحالة الايطالي الشهير .

فاي خير قدمه هؤلاء الرواد الاوائل للانسانية جمعاء ، وهم ابناء هذا الوطن العزيز .

ولا انسى ان اشيد باعلام آخرين سطع نورهم وشع خيرهم من هذا الاقليم .

ـ فهذا القاضي عياض السبتي الذى اشرقت انواره على بلاد المشرق كما اشرقت على بلاد المغرب، فقال قائلهم :

مشارق انوار تبدت بسبتة
ومن عجب كون المشارق من غرب

مشيرا الى كتابه العظيم « مشارق الانوار » .

وهذا ابو العباس السبتي صاحب المآثر في الجود، صاحب الفلسفة القائلة : « الوجود ينفعل بالجود » . وكان يجمع المال من الاغنياء ويفرقه في الفقراء ، واسس لذلك زوايا في عموم المغرب اشهرها زاوية سيدي ابي العباس بمراكش .. ولهذا الشيخ نظرية طريفة في خصوص مساعدة المراة المحتاجة حيث قال : ان المراة الجميلة هي اولى بالمساعدة والاحسان اكثر من الذميمة ، صونا للجميلة من الوقوع في حبائل الغواية والتردي في مهاوي الرذيلة .

وهذا القطب المولى عبد السلام بن مشيش ، صاحب جبل العلم الذى شعت منه انوار المعرفة الربانية الى سائر الارجاء شرقا وغربا الى ان صار مدى حياته ، وهو في خلوته ، مقصد العارفين الكبار .. ولما توفاه الله ، بفعل الاعتداء الشنيع من المجرم الاثيم ابن ابي الطواجين؛ صار قبره مزارةعظمى الى اليوم . وليس عليه الا ضريح من حجارة وطين، بدون قبة مرفوعة ، ولا فرش مبسوطة ، وانما هو حوش من حجارة مركومة مفروش بالتراب

والحصا ، تنفيذا لقول الشيخ : ان جسده ليس احسن من تراب .. فكانه ابن تيمية ، او احد وهابي هذا الزمان الذين يقولون : خير القبور الدوارس .

واخيرا ، فان هذا الاقليم شهد احداثا كبارا ووقائع عظمى نصر الله فيها لاسلام واعز المغاربة اجمعين . يكفي ان نذكر منها واقعة وادي المخازن التى ادل الله فيها للمغرب من اعدائه البرتغال ومن معهم من الاحلاف (وخلدها ملكنا الهمام الحسن الثاني باطلاق اسم وادي المخازن على السد العظيم المقرون انشاؤه على وادي اللكوس قرب العرائش) .

ذلك الانتصار العظيم الذى عقبته انتصارات باسترداد كثير من المدن الساحلية التى كانت محتلة من البرتغال والاسبان والانجليز .. حيث استردت العرائش واصيلا والمعمورة وطنجة والجديدة وغيرها .. ولم يبق الا سبتة ومليلية وما انضاف اليهما من الجزر والسواحل التى تنتظر استرجاعها بحول الله وقوته .

اسباب اليقظة

واذا اراد الله شيئا هيأ اسبابه ، ورب ضارة نافعة .

فان احتلال الفرنسيين للجزائر ، ادى الى تدخلهم فى شؤون المغرب ، والى نشوب حرب بين الجانبين فى وقعة اسلي سنة 1844 .

ثم لم تلبث القوات الاسبانية بدورها تتحرش بالمغرب ، ليدخل معها فى صراع مبيت ، كان من نتيجته احتلال تطوان سنة 1860 ثم لم ينسحبوا منها الا بعد ان اثقلوا كاهل المغرب بغرامة مضنية وبشروط قاسية .. فاشتد الكرب من جهتين على المغاربة وتفاقمت الاهوال والاخطار واشتد الضغط الخارجي وتكالب الدول على اختلافها ما بين طامع وناقم ..

وقد اصبحت طنجة من جديد عش المؤامرات والتجمعات .. واشتغل الراي الدولي عامة بقضية « المسالة المغربية » كما اشتغلوا فى ذات الوقت « بالمسألة الشرقية » .

وانعقدت مؤتمرات دولية : مؤتمر مدريد سنة 1880 الذى اسفر عن منح امتيازات خاصة لبعض الدول ، تخول لهم التدخل فى شؤون المغرب الداخلية .. ثم مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 الذى انفصل بالاعتراف بسيادة المغرب واستقلاله الا انه منح امتيازات واسعة لخصوص الدولة الفرنسية (بحكم جوارها ومصالحها فى الجزائر) ومنح امتيازات اخرى لاسبانيا لكونها تجاور المغرب وتحتل جوانب منه .

ولكي لا تقع المأساة الكبرى ويقع المغرب نهائيا فريسة تكالب الدولتين ، اخذت اصوات المصلحين تنادي بوجوب ادخال اصلاحات على جهاز الدولة المغربية ، ووجوب تسليح البلاد ، باسلحة حديثة ، وتجهيزها بمختلف المعدات الضرورية للمحافظة على كيانها .

فبادر المولى محمد بن عبد الرحمن ، وكذلك ابنه الحسن الاول ، باتخاذ التدابير الممكنة لاستدراك ما فات ، وتلافي تفاقم الاخطار وتكرار الاخطاء .. فكان من جملة التدابير المتخذة استقدام بعض الفنيين الاجانب لدراسة الحالة وتقديم المقترحات المناسبة فاجمعت الآراء على احتياج المغرب الى تكوين الاطر الصالحة باسرع ما يمكن، كي تتولى اخذ السلطة ، والقيام بالشؤون العسكرية والمدنية .

فوجهت بعثات عديدة الى مختلف انحاء اوربا .. ليتكون بعضها عسكريا ، والبعض فى العلوم والمهن والفنون الحديثة . كما وجهت اخرى الى بعض البلدان الشرقية وخاصة مصر .

ولكي لا اطيل ، فان هذا المسعى اتى ببعض النتائج اذ ان بعض الطلبة المبعوثين الذين استطاعوا ان يتغلبو على الصعاب ويعودوا بثقافة حديثة ، هم النواة الاولى للنهضة الثقافية المغربية الحديثة.. يضاف اليهم بعض الافراد الذين استطاعوا بوسائلهم الخاصة ان يحصلوا على ثقافة مماثلة تخول لهم القيام بالاعباء وتحمل المسؤوليات .

وكانت طنجة كما قلنا هي مسرح هذا النشاط الجديد ، فبعد ان كانت فقدت مركزها الطلائعي بحكم تبدل ظروفها التي نجمت عن احتلالها البرتغالي والانجليزي (قرابة قرنين) وبعد ان كانت تطوان من اجل ذلك هي مركز القنصليات الاجنبية فى الشمال والنشاط السياسي والثقافي – عاد النشاط الى طنجة من جديد وخاصة بعد احتلال تطوان .. فلقد اخذت بزمام مقاليد الامور الخارجية كعاصمة دبلوماسية ومقر النائب السلطاني – لكونها اصبحت محط الانظار ومقصد الاجانب من كل جانب –

يعتمدون فيها قناصلهم ويؤسسون مراكز تجارية وثقافية ويزودونها بمختلف الوسائل الحديثة .

من ذلك انه كان يلاحظ خلال القرن التاسع عشر ، وجود جاليات كثيرة العدد لمختلف الدول في طنجة ، ووجود تجهيزات حديثة من مدارس ومستشفيات ومراكز مواصلات كالبريد والتلغراف ..ثم احدثت مراكز لحفظ الامن ودور تجارية ومصارف مالية .. واشياء أخرى انفردت بها طنجة في ذلك الحين .

ولكن الشيء الهام الذى ظهر فى طنجة فى فجر النهضة المغربية فيما يخص الثقافة هو المطابع ودور النشر والصحافة بمختلف اتجاهاتها : السياسية والثقافية والتجارية .. غير ان اكثرها كان بلغات اجنبية وتابعا للسفارات الاجنبية ، ومنها صحف تصدر بالعربية تابعة لاصحابها او لجهات اجنبية .

وهذه قائمة بالصحف العربية .. ضاربين صفحا عن الصحف الصادرة باللغات الاجنبية :

— جريدة « المغرب » :
صدرت سنة 1889 ، اول جريدة عربية صدرت بطنجة ، لصاحبها دانيال صوران المحامي ، وباسم عيسى فرح ، ومشاركة سليم كسباني (شاميان) .

— جريدة « السعادة » :
اصدرتها القنصلية الفرنسية سنة 1904 باسم ادريس الخبزاوي الجزائري ، وبمساعدة وديع كرم اللبناني .

— جريدة « ظهار الحق » :
صدرت سنة 1904 لصاحبها ابو بكر ابن عبد الوهاب وكان الاستاذ عبد الله كنون فيما بعد من جملة محرريها لما عادت من جديد .

— جريدة « الصباح » :
صدرت سنة 1906 ، اسبوعية سياسية ادبية علمية ، مديرها ابن حيون ومحررها وديع كرم ، وكان لها اتصال وثيق بالحركة الوطنية .

— جريدة « استقلال المغرب » :
اسست سنة 1908 للدكتور المستشرق هايمان البلجيكي ، ولعلها كانت تعبر عن اتجاه القنصلية البلجيكية .

— جريدة « لسان المغرب » :
صدرت سنة 1908 ، مديرها فرج الله نمور ورئيس التحرير اخوه ارتور ، وهي سياسية ادبية ، تعنى بالشؤون المغربية ، وهي التي نشرت مشروع الدستور المغربي الذى كانت النخبة المغربية تطالب باعلانه وتطبيقه في العهد الحفيظي وصحف اخرى لا نطيل بها .

ويتضح من هذه القائمة ماهية كل صحيفة او المنحى الذى تنحو اليه .. مما يغنينا عن كل تعليق .

وكانت هناك صحف اخرى تحرر اصول سوادها فى فاس عاصمة المملكة ، وتطبع وتوزع فى طنجة كجريدة « الفجر » المؤسسة سنة 1908 التى كانت تعبر لسان الحكومة المغربية ، وكان اللبناني الشهير نعمة الله الدحداح من جملة محرريها حينما كان يقيم بطنجة .

وباختصار فان الصحافة عرفت ازدهارا فى طنجة فى تلك الفترة الحرجة .

ولم يكن ينافس طنجة فى مضمار الصحافة اذ ذاك الا سبتة وتطوان اللتان كان لهما بعض السبق التاريخي فى اصدار الصحف وخاصة جريدة « اثنين سبتة» التي كانت تصدر بسبتة يوم الاثنين بحروف عربية وذلك سنة 1883 .. اي قبل جريدة «المغرب» الآنفة الذكر .

ونذكر كذلك جريدة « تلغراف الريف » التى كانت تصدر احدى صفحاتها بالعربية بمدينة مليلية (1901 — 1951) ، وكان البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي احد محرريها بالعربية اثناء مقامه بمليلية .

بيد ان الحكومة المغربية يظهر انها تضايقت اذ ذاك من كثرة هذه الصحف المتضاربة وما تحدثه من التشويش والبلبلة فى الافكار فوجهت عن طريق النائب السلطاني بطنجة السيد محمد الطريس الى السلك الدبلوماسي بطنجة امرا بايقاف الصحف التى يصدرونها او يوجهونها ، بحجة ان المغرب لا يتوفر على قانون للصحافة والمطبوعات فى ذلك الحين .. غير اننا لا ندري مدى مفعول هذا القرار الجريء ، وانما اغلبية الصحف قد توقفت واختفت لسبب او لآخر .

والى الحلقة القادمة

الرباط — الدكتورة آمنة اللوه

صور من بطولة العلماء بالأندلس

للدكتور عبد السلام الهراس

العلماء ورثة الانبياء فى اقامة الحق واقرار العدل ومقاومة الباطل والدفاع عن المظلومين والحفاظ على الشريعة فى الدولة والمجتمع والعلماء بحكم رسالتهم تقاة فى السر والعلانية لانهم اعرف الناس بربهم واكثرهم خشية له وحياء منه على رضاه واتقاء لسخطه ؛ وبذلك استطاعوا ان يتحرروا من الخوف من غير الله ذلك الخوف الذى اذل رقابا ومرغ جباها لان منه تنبع مواقف الذل والخزي والتملق والتراجع عن الحق ومشايعة الظلم وتبرير الباطل واطراء الفساد ، ولنا فى تاريخنا الطويل كثيرة وكبيرة جدا من نماذج هؤلاء العلماء الافذاذ الذين وعوا رسالتهم وادركوا مسؤوليتهم وتحملوا عبئها بأمانة وتواضع ووقفوا مواقف تلحقهم بركب موروثيهم من الانبياء والرسل ؛ ومتى كانوا فى هذا المستوى أدرك منهم الناس صدقهم واخلاصهم فسارعوا الى الاقتداء بهم والانصياع لقيادتهم والسمع لكلمتهم والتجاوب معهم ، وهابهم الحكام واستقاموا على الطريقة المثلى حبا فيهم او اتقاء لمعارضتهم ؛ وتبلغ الامة ذروة المجد والقوة عندما يتلاقى العالم والامير على الحق ويتفاهمون على الخير ويتعاونون على البر. كان العلماء منذ اوائل الفتوحات الاسلامية فى مقدمة الجيوش الفاتحة يحملون السيف ويبثون العلم ويحرضون على الشهادة مخلفين وراءهم كل عزيز وغال وقد ظفرت الاندلس منذ فجرها بعلماء افذاذ اعزوا العلم فاعزهم وضربوا المثل بسيرتهم وجهادهم وصراحتهم فى الحق ولو ان بعضهم خان الامانة واغرته المناصب وبطانة الاهواء وعثرت به النزوات وفقد حريته فى التعبير عما يعتقد وأصيب بالوهن اي حب الدنيا وكراهية الموت فقد بذلك احترام الناس له وعرض نفسه للسخرية والسخط !! مما خلف فراغا فى القيادة الاسلامية واسرع بالاندلس الى حياة الفوضى والاضطراب وهوى بها الى مصير خطير . وفى الاندلس من هذا الصنف ومن ذاك !! ولم يغفل التاريخ ولا الادب ابا من الصنفين !! ويجب فى هذه العجالة ان نقدم لشبابنا صورا من الصنف البطولي الذى يمثل العلم والعلماء حق التمثيل . فمن هؤلاء شيخ الاندلس فى الحديث ابو علي الصدفي وهو من جلة العلماء الذين ندبوا انفسهم للمعرفة تعلما وتعليما فارتحل الى المشرق استزادة للعلم وحبا فى المعرفة ونال منه حظوة كبيرة ثم عاد الى بلده فاحبه الناس وقدره المرابطون وارادوا اسناد ولاية القضاء له بمرسية وارغموه على قبولها ففر بنفسه الى المرية وبقي بها مدة قليلة حتى اكتشف امره فولوه القضاء على كره منه فلم يلبث فيه سوى سنة واشهر يختفي بنفسه فرارا من تحمل هذه المسؤولية وحبا فى الحياة العلمية الحرة .

وكان ابو اسحاق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين والي مرسية وبلنسية يجل ابا علي ويحرص على ان يكون تلميذا له رغم أعباء الجهاد المتواصل غير انه احب ان يمشي ابو علي اليه فياخذ عنه في قصره دون ان يبذل ما يبذله طلاب العلم من زيارة الشيخ في بيته ولكن رغبة الامير اداها رسوله الى الشيخ في عبارة مؤدبة مغلفة . قال الرسول الوزير لابي علي :

« ان الامير ابا سحاق يريد ان يسمع عليك الحديث » ــ يعرض له بالمشي اليه ــ فأجابه الشيخ « لهذا جلست » ! اي فليات بنفسه الي .. فكرر ذلك عليه فاجاب الشيخ بنفس الجواب واخيرا عرض الوزير عليه حلا وسطا ، ان يتبادل الشيخ الامير الزيارة فياتي الشيخ اليه مرة وياتي الامير لمنزله اخرى فاسعفه الشيخ على شرط الا يمشي اليه . الا بعد ان يفرغ من درسه مع طلابه واصحابه ويقوم من مجلسه . وهكذا يؤثر الشيخ طلاب العلم على الامير مشعرا اياه بجلال العلم وعزة العلماء وكرامتهم ، وهذا موقف آخر من الشجاعة يضاف الى رفضه القضاء وستخفائه بعد الالحاح عليه . ويشبه موقفه هذا بموقف امام المحدثين البخاري الذى ارسل اليه الامير خالد بن احمد الذهلي والي بخارى : « ان احمل الي كتابي الجامع والتاريخ وغيرهما لاسمع منك » فقال البخاري لرسوله : « انا لا اذل العلم فان كانت لك الي شيء منه حاجة فاحضر في المسجد او في داري وان لم يعجبك هذا فانت سلطان فامنعني من المجلس او في داري وان لم يعجبك هذا فانت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة لاني لا اكتم العلم .. »

وكانت حياة الشيخ الصدفي متداولة بين رحاب العلم وساحة الجهاد ولم يكن تلامذته واصحابه سوى رفقاء نضال وطلاب شهادة .

وذات يوم نادى المنادي على الجهاد وخرج الامير ابراهيم في جموع غفيرة من الجند النضالي ومن المتطوعين الذين كان العلماء في مقدمتهم والتقوا مع العدو المسيحي في « كتندة » وانهزم جيش المسلمين شر هزيمة لسبب تخاذل الجند المنظم الذى لم يقتل منه احد لفراره من المعركة في حين استشهد نحو عشرين الفا من المطوعة وكان من بينهم ابو علي الصدفي وذلك يوم الخميس الثامن او التاسع عشر من ربيع الاول سنة 514 هـ ، ونجا منها عالم المغرب ابو بكر بن العربي المعافري كما استشهد فيها العالم الصالح الزاهد ابو عبد الله ابن الفراء وكان سعد بلقاء **ابي علي الصدفي في بلدته** بالمرية وتوثقت **الصلة بينهما** .

وابو عبد الله هذا من العلماء الذين كانوا يمتازون بشجاعة وجراة في الحق . ومما سجل له التاريخ زيادة على شجاعته وحضوره معارك المغرب والاندلس وسند الاسلام في هذه الربوع . الجهاد موقفا جابه به يوسف بن تاشفين امير

فمن المعلوم ان المرابطين دخلوا الاندلس بطلب هؤلاء العلماء للتخلص من تلك الطغمة الفاسدة التى تفرقت طوائف واحزابا واثاروا الفتن بين المسلمين واهملوا شؤون الثغور ومكنوا للعدو من بلادهم واصبحوا لا هم لهم الا التآمر على بعضهم وهم يؤدون الجزية لعدوهم ولا يتقاعسون عن اعانته وتقويته وقد يتنازلون له عن ارض المسلمين وحصونهم ولذا كان استدعاء المرابطين للمرة الثانية بهدف القضاء عليهم ، وتطهير الاندلس من عبثهم وتوحيد المسلمين للحفاظ على بلادهم والدفاع عنها . وقد اتخذ يوسف بن تاشفين عدة اجراءات غداة توليه مسؤولية الاندلس وكان منها تخليص الاندلسيين مما فرض عليهم من ضرائب ظالمة لكنه في نفس الوقت كان يحتاج الى المال لتجهيز الجيش ومواصلة الجهاد فكان يكتب الى بلدان الاندلس فيما يكتب ، يطلب منهم المعونة ولكنه ما كان يقدم على ذلك الا بعد استفتاء جميع العلماء والقضاة ومنهم ابو عبد الله بن الفراء الذي تأخر عنه بجوابه حتى كاتبه مرة ثانية .

فلما اجابه قال :

« فما ذكره امير المسلمين من اقتضاء المعونة وتاخري عن ذلك ، وان الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والاندلس افتوا بان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اقتضاها ، وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه في قبره ، ولا يشك في عدله ، فليس امير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه في

قبره ، ولا من لا يشك فى عدله ، فان كان الفقهاء والقضاة انزلوك بمنزلته فى العدل فالله تعالى سائلهم عن تقلدهم فيك ، وما اقتضاها عمر رضي الله عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف ان ليس عنده درهم واحد في بيت مال المسلمين ينفقه عليهم ، فتدخل المسجد الجامع هناك بحضرة من اهل العلم وتحلف ان ليس عندك درهم واحد ولا فى بيت مال المسلمين ، وحينئذ تستوجب ذلك والسلام » .

وان كان موقف هذا العالم يتسم بالصراحة والشجاعة والتحري فان مما يجب تسجيله فى صحيفة المرابطين موقف امير المسلمين يوسف الذى لم يغضب لهذا الجوب ولم يبطش بصاحبه مثلما فعل غيره من الحكام بمن جابههم بالحق والصدق من العلماء ، وللمرابطين مواقف عظيمة من هذا النوع الذى يدل على سعة صدورهم وخوفهم من الله .

الدكتور عبد السلام الهراس

طارق بن زياد والمسلمون في الأندلس

● بمناسبة ألف وثلاثمائة عام على عبور طارق إلى شواطئ أوربا ●

للاستاذ أنور الجندي

ان انطلاق طارق بن زياد الى الشاطيء الاوربي عام 93 هجرية قبل ثلاثة عشر قرنا يبدو الآن فى نظر الباحثين والمؤرخين حدثا جليل الشأن جديرا بالنظر فيه والتعرف الى ابعاده وآثاره ، ذلك ان عبور طارق بن زياد المسلم المغربي الاصل ومعه سبعة الآف مقاتل من البربر الى أوربا قبل ان يمر قرن واحد على بزوغ فجر الاسلام من شانه ان يلقي الضوء على مدى قوة هذه الدعوة التى استطاعت ان تمد جناحيها مشرقا ومغربا فتقف على ابواب الصين فى نفس الوقت الذى كانت تزحف فيه نحو نهر اللوار فى قلب فرنسا .

فاذا راعينا كيف حاصر المسلمون القسطنطينية سنوات وسنوات فى محاولات واسعة لاقتحام اوربا من ناحية المشرق قبل ذلك بسنوات عرفنا كيف امكن ان تذل الجبهة الغربية للمسلمين الى قلب اوربا وكيف كان موسى بن نصير يخطط لاقتحام اوربا حتى يعود الى الشام من القسطنطينية .

ولم يكن ذلك غريبا فى ذلك الوقت ، بل كان هو من طبيعة الامور ، ولولا بعض الظروف السياسية لاسلامية العامة وحرص الخلفاء على ان لا يزجوا بجند المسلمين فى متاهات قاسية ، لولا ذلك لانفذ موسى بن نصير مشروعه واقتحم أوربا التى لم تكن فى ذلك الوقت قادرة على مواجهة المسلمين ، والتي كانت فى نفس الوقت متطلعة الى ذلك الضوء اللامع الذى يحمل معه الحضارة الانسانية، ولقد اشار كثير من المؤرخين الغربيين الى مدى الاثر الذى احدثته معارك كارل مارتل فى توقيف المد الاسلامي عند حدود اسبانيا الاسلامية وكيف كان اثر ذلك فى تأخر سير الحضارة سبعة قرون ، فلو ان المسلمين استمروا فى طريقهم الى قلب فرنسا دون ان تعوقهم هذه القوى التى تجمعت لصدهم فى تعصب وعناد ، لولا ذلك لبلغ العالم الغربي نهضته قبل سبعمائة عام مما بلغها بعد ذلك ، ولكن اوربا كانت منذ بزوغ الاسلام على موقف العداء وقد عملت على ان تغلق اوربا فى وجه هذا الدين الكريم وتحول دون نفاذه اليها ، وكانت مقاومة اوربا لحكم المسلمين فى الاندلس خلال سبعة قرون كاملة علامة على ذلك الخوف البالغ من خطر الدعوة التى يحملها الاسلام .

ولذلك فان عبور (طارق بن زياد) الى العدوة الغربية بجيشه المغربي كان علامة هامة فى تاريخ الاسلام كله تدفعنا اليوم الى مراجعة صفحات التاريخ ودراسة ذلك الحدث الذى بدأ منذ تلك اللحظة واستمر فى تدافعه وفعله حتى نهاية القرن التاسع الهجري (الموافق للقرن الخامس عشر الميلادي) وكيف تكونت فى هذه المنطقة الشاسعة من أوربا امة اسلامية كبرى فضلا عن الدولة الاسلامية التى حملت مستحدثات العلوم والتى كانت مصدرا للعلم والنور فى الغرب كله ، وكانت جامعاتها

فى اشبيلية وقرطبة وطليطلة منائر المنهج العلمي التجريبي الذى تلقاه اولئك الاعلام الذين عرفتهم اوربا فى اوائل عصر النهضة وفى مقدمتهم بيكون وغيره من الافذاذ الذين شهدوا بانهم تعلموا على ايدي المسلمين وانهم حملوا معهم المنهج التجريبي الذى لم تعرفه اوربا ولم يعرفه الغرب من قبل والمخالف لمنهج اليونان القائم على المنطق .

ولقد كان هذا النبع الثر ، والضوء الساطع الذى استمكن فى الاندلس هو الذى عم اوربا من بعد فكشف عنها عصر الظلمات والجهالة والرهبانية المتخلفة عن صناعة الحياة وكان الاسلام بحقيقته القائمة على التوحيد من وراء كل ما دفع اوربا الى النهضة والى الحياة من جديد وان لم تاخذ اوربا الاسلام نفسه كعقيدة فقد اخذت اصوله ممثلة فى اعادة بناء الارادة الفردية الحرة ذات المسؤولية الذاتية والالتزام الاخلاقي .

وكان للفكر الاسلامي آثاره البعيدة فى التحرر من كثير من القيود التى فرضتها تفسيرات الكتب المقدسة مما اعلنه لوثر وكلفن ، وكان للفكر الاسلامي على النحو الذى قدمه ابن رشد ابعد الاثر فى تغيير العقل الغربي على نحو جديد جعله اهلا لحمل امانة الحضارة العلمية المادية والسير بها .

ان الباحث المؤرخ يستطيع ان يستكشف آثار الاسلام عقيدة وفكرا وحضارة فى كل ما تحولت اليه اوربا منذ عهد النهضة ويعرف ان الطريق الاول والاوسع والاعمق انما كان من الاندلس الاسلامية التى اقامت فى ارضها تلك المؤسسات العلمية القادرة ، هذه المؤسسات التى اجتاحتها قوى النفي بعد ذلك واخرجت اهلها منها وحكمت على الامة الاسلامية التى قامت على الاسلام سبعة قرون ان تقتل او ترتد او تهاجر .

وقد احصى المؤرخون عدد المسلمين والعرب المهاجرين فى الفترة ما بين 1492 م الى 1609 م نحوا من ثلاثين مليونا من العرب كانوا قادة العلم والفكر والصناعة والتجارة فى هذه الارض التى اخرجوا منها .

وكان موقف الفرنجة من المسلمين فى هذا الاخراج غاية فى التعصب والعنف فقد احتوى على القتل والتشريد والابادة وسفك الدماء بعد ان خدعوهم بالعهود والمواثيق والامان .

وستظل هذه الصفحة السوداء قائمة فى وجه التاريخ الغربي تشهد لاصحابه بروح الظلم والاستبداد فى مواجهة صفحة المسلمين البيضاء النقية التى قدمت عصارة جهدها الحضاري والانساني للبشرية كلها ولاوربا جميعا دون ان تبخل به او تجعله خاصا بها .

لقد قدم المسلمون حين اقتحم طارق بن زياد العدوة الى اوربا ، قدموا الضوء والخير وفتحوا لاوربا طريقا من النور ، فقدموا العلوم وقدموا ثمار المزروعات ، وقدموا الارقام والحروف ، وقدموا اسماء النجوم ، وقدموا عصارات التجارب العلمية فى الفلك والطب والرياضة والطبيعة .

قدموا ذلك كله حسبما يأمرهم الاسلام به ، دون مقابل ، ودون ان يضنوا او يبخلوا وقدموا معه ما هو خير منه : ذلك المثل الاعلى للخلق الاسلامي الرفيع ، ونبالة الرجل المسلم ودينه وسماحته ، وفروسيته التى ترتفع على الصغائر .

وقدموا اعظم مقدرات الاسلام : الاخاء الانساني والارتفاع عن العبودية وتحرير النفس من عبادة الفرد وتحرير العقل من عبادة الاوثان .

تلك هي الصورة التى نراها اليوم من وراء ثلاثة عشر قرنا ونحن نشاهد مراكب طارق بن زياد حاكم طنجة وهو يتقدم الى العدوة الغربية فى جنوده فاذا وقع فى المحظور واحس بالخطر حرق مراكبه واندفع من رجاله فى كلمة ليس بعدها من قول يقال :

(البحر وراءكم والعدو امامكم)

ولم يتوقف طارق بن زياد عند هذا بل بدأبنفسه وقدم روحه خالصة فى سبيل الحق ، فحمل على قائد العدو فقتله وبذلك فتح الطريق امام الآلاف السبعة من رجاله المؤمنين الاشداء الى ان يقتحموا المفازات فى ارض لم يكونوا يعرفونها، ولكنهم بالايمان والصبر كانوا قادرين على ان يجوسوا فيها ويقيمواكلمة الله بها .

انتصر طارق بالمسلمين فى 28 رمضان 92 وهزم القوط شر هزيمة وغرق ملكهم فى النهر وكانت

موقعة (شدونة) هذه هي موقعة الفصل التي دالت بعدها دولة القوط وغنم المسلمون ملك اسبانيا .

وقامت كلمة الله مدوية في ارجاء هذه الارض من شدونة الى طليطلة عاصمة المملكة القوطية ومنها الى غرناطة وقرطبة والبيرة ومالقة ومرسية ثم الى قشتالة وليون .

هذه هي الصفحة الضخمة المشرقة من تاريخ الاسلام التي فتحها طارق بن زياد في مثل هذا العام من قبل الف وثلاثمائة سنة تكشف لشباب المسلمين اليوم صورة اجدادهم الذين لم يكونوا غزاة بل ابطالا يحملون رسالة وعقيدة ويدفعونها في كل ارض ويقدمونها لكل شعب ولا يجعلون الدنيا ولا مطامعها اكبر اهدافهم ، ولكنهم يأخذون منها ما يمنحهم الله ويجعلون ذلك في سبيل الرسالة الكبرى .

لقد عبروا في قوة الايمان وقدموا ارواحهم خالصة لله وثبتوا دعوتهم وركزوا رايتهم فوق ارض اوربا سبعمائة سنة يحمونها ويدافعون عنها ويشاركهم في ذلك اخوتهم مسلمي المغرب فيعبرون اليهم عاما بعد عام .

وتلك هي عبرة التاريخ اليوم حين يحتفل المغرب بذكرى عبور طارق بن زياد نلتمس منها قوة على ان نعيد مرة اخرى ذلك التاريخ ، وان يتاح لنا مرة اخرى ان نقدم الاسلام للعالمين والغرب اليوم يعرف اكثر مما يعرف الناس في اي مكان ان الانسانية قد عجزت عن ان تجد في ايديولوجيتها المحدثة ما يعطيها الضياء والنور وسكينة القلب وسعادة الروح . وانه لا سبيل اليها بعد ان جربت كل شيء ، لا سبيل لها الا ان تلتمس هذا الضياء الذي ازورت عنه طويلا وسوف تجد انه هداها ونورها . ان القوى الصهيونية العائثة تحاول اليوم ان ترد البشرية عن نور الاسلام بما تقدمه لها من ايديولوجيات اثبتت فشلها وعجزها واحدة بعد اخرى ، وسوف لا تجد البشرية امامها الا التجربة الاخيرة التي هي التجربة الاولى التي قدمها لها (طارق بن زياد) منذ الف وثلاثمائة سنة فاخذت منها وعجزت عن ان تلتمس روحها واعماقها .

ولكنها اليوم سوف لا تجد لها سبيلا الا في الضياء الذي حمله طارق بن زياد الى اوربا في مثل هذا العام منذ امد طويل .

وسوف يعرف شبابنا ان هذا النور هو الحق الذي يهدي البشرية كلها والذي لا محيص لامة من التماسه اذا ارادت الحياة الحق الخالصة والحضارة الانسانية المثلى .

القاهرة ـ انور الجندي

أدباء المغرب في العصر المريني الأول



الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية في عصره .

للأستاذ محمد العلمي حمدان

- 4 -

شعر ابن المرحل

يمتاز شعر ابن المرحل بظاهرة فريدة تتجلى فى ان المتمحص فيه يلمس من خلال قصائده خلاصة مميزات الشعر فى العصر المريني فى شتى الجوانب التى مسها والاغراض التى تناولها ، بل يمكن للناقد والمؤرخ الادبي ان يستشف من خلاله اهتمامات السلاطين المرينيين ويلتقط كثيرا من مميزات المجتمع المغربي التى بدات بوادرها مع ميلاد هذه الدولة. واذا كانت كثير من اعمال ابن المرحل قد تبددت نتيجة ظروف انتقالية وحاسمة سبق الاشارة اليها ، فانها كذلك لم تحتفظ فى القلة الباقية الا بالشعر الذى عبر عن الجانب الديني والتعليمي وما يمكن ان يدخل ضمنهما من دعوة الى الجهاد والزهد فى الدنيا وهي بذلك تشهد على انه ابن المرحلة الاخيرة من حياته كما توضح الاسباب التى جعلت صفة الفقيه تغلب عليه ، وتشرح المؤهلات التى رشحته لملازمة ولي العهد ابي مالك .

اغراض شعره :

رغم ان ابن المرحل ساهم فى التجديد الشعري فى عصره حين نظم فى الموشحات والاوزان الخفيفة الصالحة للغناء التى انتشرت فى عصره خاصة بالاندلس ، فان اغراض شعره لا تخرج عما عرفه عصر ازدهار الشعر العربي على العموم بالشرق والاندلس ، وعلى ذلك سنقسم شعره الى الاغراض لاتية : شعره فى المدح السياسي – الدعوة الى الجهاد الديني والقومي – المدح الديني – شعر الزهد ، النسيب واخيرا الموشحات .

المدح السياسي :

شعر ابن المرحل فى هذا الموضوع لا يخرج عن الشعر العربي القديم فى مدح اولي الامر ونعتهم بحميد الخصال وثاقب الراي والغيرة على الدين والاناة والتبصر والحزم مما كان يلقي كامل الاستحسان من اولئك نظرا لحاجتهم فى ظروفهم تلك الى مثل هذا الاطراء، واذا كان شعر ابن المرحل فى هذا الغرض اروع ما ترك فيما يبدو من حيث الاخيلة والسلاسة والعذوبة فاننا مع الاسف لا نتوفر على ديوانه فى هذا الموضوع لانه مفقود ، وبين ايدينا قصيدة واحدة قالها يهنىء بها ولي العهد ابي مالك بفتح مراكش ، وهي قصيدة جميلة بما تضمنته من اخيلة واوصاف مشتقة من الطبيعة ودقة ملاحظة الشاعر فيما تناوله من جزئيات وتلميحات واشارات تاريخية الى جانب التشخيص الناطق المتحرك للصور التي خلقها وكونها . وابن المرحل كما سنرى فى هذه القصيدة يعود بنا الى شعراء عمالقة من شعراء العصر العباسي ويذكرنا بقصائد خالدة من قصائدهم ، فهو حين يمدح مهنئا بفتح مراكش بعد ان استخلصها المرينيون من الموحدين بقصيدته المدحية التى يقول فيها :

فتح تبسمت الاكوان عنه فما
رايت املح منه مبسما وفما

فتح كما فتح البستان زهرته
ورجع الطير فى فنانه نغما

فتح كما انشق صبح فى قميص دجا
وطرز الطير فى اردانه علما

سرعان ما يذكرنا برائعة ابي تمام فى فتح عمورية والتي يقول فيها :

فتح الفتوح تعالى ان يحيط به
نظم من الشعر او نثر من الخطب

فتح تفتح ابواب السماء له
وتبرز الارض فى اثوابها القشب

وما اقوى التشابه بين القصيدتين ادبيا وتاريخيا ، فالمستوى الادبي متماثل قوي فى كليهما اسلوبا ومعنى وكلاهما اتخذ البسيط اطارا لقصيدته. وتاريخيا نجد كلاهما امام ملك وحول موضوع يتعلق بالفتح والانتصار على الخصم .

وابن المرحل يقدر فنه ونفسه فلا يحط من مكانتهما فى مدحه ولا يظهر فى حالة استجداد او تلهف على التقرب فهو قريب او الى المال فهو الفقيه المتدين مربي الامير وانما نحس فيه الشاعر الملتزم لما يقتضيه عمله من طاعة وتبعية ولكن عن اقتناع شخصي وصدق يقويهما حبه لفنه كشاعر . كما انه لا يبتذل او يبالغ بل نجد وصفه فى متبوعه يتسم بالاعتدال والمعقولية لا ينجر وراء العوانف الجامحة ولا تجمح به المبالغات .

ملك بصير بأدواء الامور له
راي نجيح وطب يذهب الالما

عدل الحكومة ماضي العزم معتدل
كالريح يمضي بعدل كلما عزما

واذا كان تاثير الشعر العباسي يطل من خلال القصيدة كدليل على ثقافته العربية فان آفاقه لا تقتصر على ذلك وحده ، وانما تدل على انه كان بصيرا بالشعر والادب فى وطنه حين يطل علينا بثقافته وخبرته وسعة حفظه من خلال قوله :

مولاي يهنيك ما اعطيت من ظفر
على عدى اصبحوا فى حيرة وعمى

وعن قريب الى يمناك مرجعهم
فلا يجازي امرؤ الا بما جرما

ابن المفر وخيل الله تطلبهم
لا يعصم الله منهم غير من رحما

الا يذكرنا الشطر الاول من البيت الاخير بشيء ؟ الا يذكرنا بقول الشريف الاخم من قصيدة امام عبد المومن يعارض هو بدوره بها ابا تمام :

ما للعدا جنة اوقى من الهرب
ابن المفر وخيل الله فى الطلب

الى جانب التاثير القرآني والحديث النبوي والثقافة الاسلامية عامة فى باقي القصيدة وكم يؤلمنا ان يضيع ديوان من هذا القبيل وفى مستوى هذه الشاعرية .

الدعوة الى الجهاد :

غرض آخر يدخل ضمن الشعر السياسي والقومي ارتاينا افراده بباب خاص نظرا لمكانته الوطنية والقومية على النطاق الديني والسياسي ، وهو صنف من الكفاح الذى يستعمل الكلمة اداة لاثارة الهمم واستنفار المواطن للدفاع عن وطنه فى حدوده الضيقة او الفسيحة والتضامن لنصرة المسلمين اينما وجدوا ، وفى هذا النوع من الشعر يبدو لنا ابن المرحل ذلك المسلم الغيور على عقيدته ووطنه المتالم لما يصيب المسلمين والاسلام من مهانة ، الامر الذى يدفعه الى المساهمة ، بما تفرضه عليه المرحلة، من واجب استصراخ المسؤولين واستنفار المجاهدين فى الاسواق والمساجد لانقاذ الاندلس واهلها وهي تتعرض لعدوان المسيحيين المتعصبين وهم يتقاودن السكان الى مصيرهم المرعب محاولا اثارة الغيرة الدينية والقومية فى نفوس المغاربة ، ومن غيرهم للتطوع وانقاذ البلاد ؟ بمثل هذه الصرخات :

استنصر الدين بكم فاستقدموا
فانكم ان تسلموه يسلم

لا تسلموا الاسلام يا اخواننا
واسرجوا لنصره والجموا

ازدت بكم اندلس ناشدة
برحم الدين ونعم الرحم

وانظر الى هذا التاكيد التاريخي عن الوحدة الوطنية بين المغرب والاندلس وانظر الى هذا التقابل عند الشاعر يثير به الغيرة والحماس بعد ان :

استخلص الكفار منها مدنا
لكل ذي دين عليها ندم

قرطبة هي التى تبكي لها
مكة حزنا والصفا وزمزم

وحمص وهي اخت بغداد وما
ايامها الا صبا والحلم

ثم هذا التذكير بما اوجب الله للمجاهدين بهذا النداء :

يا اهل هذه الارض ما اخركم
عنهم وانتم فى الامور احزم

تسابق الناس الى موطن
الاجر فيها وافر والمغنم

باعوا من الله الكريم انفسا
كريمة فقاض منها الحكم

دعاهم الله الى رحمته
وحبهم بين يديه يخدم

ولا اشك ان داعي الوطنية ايضا كان ينطق ابن المرحل ، انه الوطن الذى فتح عينيه فيه وعاش فيه صباه صحبة اهله . وما اقوى الشبه بين ظروف المسلمين فى الاندلس والشاعر يلهب حماس المسلمين لانقاذ اخوانهم من مكر العدو بهم ، وحال العرب اليوم فى فلسطين والشاعر العربي المعاصر يثير الحمية الدينية او القومية فى نفوس اهلها واشتاقها للجهاد فى سبيل اعادة الحق المغصوب ، وان الثقافة الاسلامية لتكاد تنطق من ثنايا الابيات وهو يصف المجاهدين بقوله :

اخرجه من بيته ايمانه
وحبه فى فعل ما يقدم

لم يثنه عن عزمه اهل ولا
مال ولا خوف نعيم يعدم

والله راض عنه والخلق له
يدعون مهما كبروا واحرموا

ثم وهو يشحذ عزيمتهم لملاقاة الموت بقوله :

خذوا لسلاح وانفروا وسارعوا
الى الذي من ربكم وعدتم

ان الالتزام مع قضايا العصر تتجلى فى شعره باجلى صورها ، وتابى الصورة الا ان تكتمل ، ويابى التاريخ الا ان يعيد نفسه حين تتوجه الدعوة الى قومية المعركة من اجل فلسطين فتجد آذانا صاغية من المغرب وهو يمد يد المساعدة ، وهم يستجيبون لصرخة المستنجد ونصرته ، مع قصيدة شاعرنا وهو يلهب حماس مواطنيه بالمغرب لنجدة اخوانه بالاندلس، وكأن القصيدة لم يمر عليها سبعمائة سنة ، وهي خصيصة الادب الخالد الذى لا يموت بعد ان يستنفذ اغراضه ، ويتجلى ما ذكرنا فى قصيدته التى تدعو الى اجابة استنجاد ابن الاحمر صاحب غرناطة بيعقوب المنصور على عدوه لاسبان والتى يقول فيها اثر استجابة يعقوب للطلب :

شهد الاله وانت يا ارض اشهدي
انا اجبنا صرخة المستنجد

لما دعا الداعي وردد قطلنا
قمنا لنصرته ولم نتردد

الى قوله :

الله يعلم ننا لم نعتقد
الا الجهاد ونصر دين محمد

المدح الديني :

يدخل ضمن هذا الفرض ما انشده ابن المرحل من قصائد فى مدح الرسول (ص) وذكر سيرته وشوق الى زيارة البقاع المقدسة التى تضم قبره الشريف وقد بلغ حب الشاعر فى هذا المضمار حدا دفعه الى تدبيج قصائد فى مدح مثال النعل النبوية،

والى وضع معشرات فى سيرته من يوم ولد الى يوم وفاته ، ولطابع الروحي الصوفي ، فى هذا الصنف من شعره جلي واضح ، وهو اغلب ما احتفظت لنا به الايام من شعره ، مما يؤكد ما ذهبنا اليه من انه ابن المرحلة الاخيرة من حياته ومن امثلته فى ذلك وقد التزم روي الهمزة بدا وختاما هذه المعشرة التى يقول فيها :

احق البرايا بالثناء مضاعفا
نبـي له فى الوحـي كـل ثنـاء

امام هدى صلى النبيون خلفه
وصلـى عليه اهل كـل سمـاء

ابا عتقاء المصطفى ان حقـه
عظيم فكونـوا اكـرم العتقـاء

اما كنتم من قبله فى شقـاوة
فلولاه هل كنتم من السعـداء

وفى معشرة اخرى يلتزم حرف التاء فى ميلاد الرسول (ص) فيقول :

تذكرت ميلاد الرسـول محمـد
فاملته لا بـل دمعـي املـت

تناسى فؤادي كل حـب بحبـه
كذاك تحيل الشمـس ضوء الاهلة

تمنيت فى تلك المعالـم خطـوة
تسكـن قلبـا لي وتبـرد غلـة

ويستمر فى صنعته وتدفق طبعه فى بقية شعره من هذا النوع دون ان نحس تكلفا ، ومن ذلك قوله وقد اشتاق الى زيارة قبر النبي (ص) بعد ان بلغ عتيا ، ولكن صحتـه تحول بينه وبين رغبتـه ، ونلاحظ الصنعة بملاحظة اوائل الابيات مع اواخرها

امالي الى قبر النبي مبلـغ
سلاما فقد افنى الزمان دمائـي

اماني كانت لي زيـارة قبـره
وارضي روض يانـع وسمائـي

امال قناتي بعد حسن اعتدالهـا
زمان اراني النقص بعد تمائـي

اماري مشيبي فى سني وقد رمى
فؤادي على قوسي فكيف رمائي

ولعل فكرة اداء الفريضة لم تراوده الا فى سنه المتقدمة تلك ، ورغم الصنعة الصارخة التى نلمسها فى ثنايا كل بيت او مقطوعة من هذا الغرض ، فان السلاسة التى يتميز بها وتمكنه من لغته يبعد اتهامه بالتكلف ، وكما سبق فقد بلغ به الشوق والتفاني الى مدح النعل النبوية وتقبيلها وانشاد قصائد فى شانها اوردها المقري فى فتح المتعال فى مدح النعال وابن عبد الملك فى الذيل والتكملة يقول فى بعضها :

ومما دعاني والدواعي كثيـرة
الى الشوق ان الشوق مما اكاتمه

مثال لنعلـي من احب حويتـه
وها انا فى يومي وليلـي لاثمـه

اجر على راسي ووجهي اديمـه
والثمه طورا وطـورا الازمـه

صبابة مشتاق ولوعـة هائـم
نعم انا مشتاق الفؤاد وهائمـه

الا بابي تمثـال نعـل محمـد
لقد طاب حاذيه وقدس خازمـه

ورغم هذا التطرف فى التعلق بالنعل ، فالاكيد انه انعكاس لما ضاع عليه من فرصة الفريضة الى قبر النبي (ص) ، ويؤكد ذلك ايضا ما جاء فى طائيتـه المشهورة فى نفس الموضوع حيث يقول :

رايت مثال النعل نعـل محمـد
تملت ومالي غير ذلك اسفنـط

الا بابـي ذاك المثـال فانـه
خيال حبيب والخيال له قسـط

فـان لا تكنهـا او تكنـه فانـه
اخوها اعتدالا مثل ما اعتدل المشط

ارى لثمه مثل التيمم مجزيـا
فالثمه حتـى اقـول سينقـط

ومـا هـي الا لوعـة وصبابـة
بقلبي لها سقط وفى مدمعي سمط

لقد اصبح متيما مجنونا بهذا المثال كما ترى ولا اجد من اضعه مع شاعرنا فى هذا الميدان واقارنه به سوى الشاعر المصري البصيري صاحب البردة والهمزية فى المدح النبوي هذا الرجل الذى عاش نفس الفترة الزمنية التى عاشها شاعرنا .

هذا الاتجاه الروحي من ابن المرحل لا يخلو من باعث سياسي ، وهو يدخل ضمن الاتجاه الديني الاسلامي الذى نهجه المرينيون وتعصبوا له فى سياستهم الدفاعية عن الاسلام فى الاندلس والسير بحسب ما يامر به القرآن والسنة فى اصولهما ، وهم بذلك يخالفون ويعارضون ما ذهب اليه سابقوهم الموحدون من اخذ بالراي واهتمام بالفروع ، كما يسود هذا الاتجاه ايضا من شاعرنا الى اهتمامات المرينيين فى احياء المواسم والاعياد والمناسبات الدينية الاسلامية واحتفائهم بها واستغلالهم لها كمناسبة لتشجيع الادباء على فنون القول ، وتتم سياسة بناء المساجد والمدارس التى انتشرت فى عصرهم ، كما يؤيدها ما كانوا يعقدونه من مباريات ومسابقات بين الطلبة والمثقفين فى مثل تلك المناسبات والتي كانوا يتراسونها مستمعين ، ويختمونها باجازة المتفوقين والمشاركين بمختلف الصلات التى كانوا يقدمونها لهم تشجيعا لهم وللثقافة فى ايامهم .

واذا كانت تنشئة ابن المرحل الدينية قد ساهمت بدورها فى طغيان هذا النهج الديني فى شعره فان اهتمامات السلاطين المرينيين وعنايتهم بمثل هذا الموضوع يقيمون له المهرجانات دفعت شاعرنا الى التمادي فى ذلك ترضية لسياسة الدولة من شاعر الدولة .

وفى الحلقة المقبلة بحول الله سنتحدث عن باقي الاغراض من شعر شاعرنا .

فاس ـ محمد العلمي حمدان



قصة العدد

- لن أراك بعد اليوم ...

معرض الكتب ١٨

- احــلام السراب : ديوان شعر للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي
- دراسات نقدية : أديب بين الترجمة الذاتية وفنية القصــــة
- السحر وما حوله



قصة العدد



سمعت السيدة اوبريان نقرا ناعما على باب المطبخ فلما فتحته رأت امامها السيد رامريز ، أحسن المستأجرين الذين يقيمون فى منزلها ، وقد وقف الى جانبيه ضابطان من رجال الشرطة .

فقالت السيدة اوبريان :

ما هذا يا مستر رامريز ؟ هل حدث لك شيء ؟

وكان يبدو على السيد رامريز انه مغلوب على امره ، وليست له الفاظ يعبر بها عن حقيقة الموقف .

وقد قدم الى منزل السيدة اوبريان منذ سنتين قبل ذلك ، وعاش فيه منذ ذلك الحين فى حجرة استأجرها منها ، يوم كان قد ركب الحافلة من مدينة مكسيكو قاصدا مدينة سان دياجو ثم قصد منها الى مدينة لوس انجلوس ، وهناك تمكن من العثور على هذه الحجرة الصغيرة الانيقة فى منزل السيدة ، وكانت حجرة لطيفة مشمعة الارض مزخرفة الحيطان بالزهور والصور ، والى جانب ذلك السيدة اوبريان راعية المنزل التى كانت لها شخصية تتحلى بالصرامة والرأفة فى ذات الوقت ، وكان يعمل خلال الحرب فى مصنع المطار حيث يصنع قطع الغيار للطائرات التي تحلق فى السماء فى طريقها الى أمكنة لا يعلم عنها شيئا ، حتى اذا ما انتهت الحرب احتفظ بعمله ، واستطاع منذ اليوم الاول الحصول على مقادير كبيرة من المال ادخر بعضا منها . ولم يكن يشرب الا مرة واحدة فى الاسبوع وهو الامر الذى ترى السيدة اوبريان انه من حق كل عامل مخلص لما يقوم به ، دون جدال .

وكانت الفطائر تسوى فى فرن السيدة اوبريان بالمطبخ ، وسوف تستخرج من الفرن بعد قليل محمرة لامعة هشة ، وكانت للمطبخ رائحة طيبة بحيث ان الشرطيين مالا الى الامام وقد جذبتهما الرائحة ، وكان السيد رامريز يحملق فى رجليه حائرا ، كما لو كانا هما اللذين قاداه الى الوقوع فى كل هذه المتاعب ..

سألته السيدة اوبريان :

— ماذاحدث يا سيد رامزيز ؟

ولما رفع عينيه الى السيدة اوبريان راى خلفها المائدة الطويلة يغطيها المفرش الابيض الناصع ، والابريق تطفح فوق مائه مكعبات الثلج ، وقد صفت فوقها الاكواب لامعة الزجاج ، وقدح مترع بالسلطة الشهية ، وقدح آخر نكوم فيه الموز والبرتقال ، وكان يجلس الى هذه المائدة اطفال السيدة اوبريان وهم يتحدثون — أولادها الثلاثة الكبار وكانوا منهمكين فى تناول الطعام ، وبنتاها اللتان كانتا تحملقان فى الشرطيين وهما تمضغان .

قال السيد رامريز فى هدوء وهو ينظر الى يدي السيدة اوبريان المنتفختين :

— لقد قضيت هنا ثلاثين شهرا .

فقال احد الشرطيين :

وهذا يعني انه أطال الاقامة المسرح له بها ستة اشهر ، فلم تمنح له غير تأشيرة مؤقتة ، ولذلك فقد كنا نبحث عنه .

ما كاد السيد رامريز يصل ويستأجر الحجـرة الصغيرة حتى اشترى آلة راديو ليضعه فيها ، واصبح يديره عاليا كل مساء ويتمتع بذلك ، ثم اشترى ساعة معصم واستمتع بذلك ايضا، وكان يخرج في كثير من الليالي ليتجول في الشوارع الصامتة ويشاهد الثياب الزاهيـة المعروضة في واجهات المتاجر ويشتري بعضا منها ، وكان يقف امام متجر الجواهر ثم يدخله ليشترى منه بعضا منها لتقديمها هدايا الى صديقاته ، وكن قلة من النساء ، وكان يغشى دور السينما خمس مـرات في الاسبوع في اول عهده بالاقامة في المدينة ، ويمتطـى الترام طوال الليل في بعض الاحيان، وهو يتلذذ بشم رائحة الكهرباء وهو ينقل عينيه الداكنتين بين الاعلانات المضاءة ويستشعر دمدمة العجلات تحت قدميـه ، ويشاهد الدور الصغيرة النائمة،والفنادق الكبيرة وهي تمرق حواليه في سرعة ، وكان يقصد الى جانب ذلـك المطاعم الكبيرة ليتناول وجبات عشاء كاملة ، كما كان يغشى دور الاوبرا والمسارح ، وكان قد اقتنى سيارة حتى اذا ما نسي ان يسدد اقساطها قدم الرجل الذى باعها له ذات ليلة الى هذا المنزل الذي يقيم فيه ثـم امتطاها واختفى بها في غضب .

قال السيد رامريز :

وها انذا جئت لاقول لك ، يا سيدة أوبريان انه اصبح علي ان اتنازل عن حجرتي، وقد جئت لآخـذ امتعتى واسير في رفقة هذين الرجلين .

ـــ لتعود الى مدينة مكسيكو ؟

ـــ نعم الى لايجوس وهو حي صغير يقع في شمال مكسيكو .

ـــ انني آسفة يا سيد رامريز .

قال السيد رامريز بصوت أبح ، وهو يطـرف بعينيه السوداوين في سرعة ويرفع يديه امامه في يأس: « لقد شددت امتعتى وأنا على استعداد » . فلم يمسسه الشرطيان ، اذ لا حاجة الى ذلك .

قال السيد رامريز : ها هو ذا المفتاح ياسيدة اوبريان لقد اعددت حقيبتي بالفعل » .

وهنا لاحظت السيدة اوبريان الحقيبة بالقرب منه على الارض لاول مرة .

وعاد السيد رامريز ينظر داخل المطبخ الضخـم الى الادوات الفضية اللامعة والى السادة الصغار وهم يتناولون طعامهم ، والى ارض المطبخ البراقـة ، ثم استدار يتأمل العمارة المجاورة وهي تشمخ عاليـا بادوارها الثلاث الجميلة وشرفاتها ومداخنها وسلالمها الخلفية والاحبال التي يرفرف الغسيل عليها في مهب الريح .

قالت له السيدة اوبريان :

لقد كنت احسن سيرة من جميع الذين اقامـوا عندي .

فأجابها في نعومة :

« شكرا لك ياسيدة اوبريان شكرا لك » ثم أغمض عينيه ، وقال لها احد أبنائها ان طعامها يبرد ، ولكنها هزت له راسها وعادت تستدير الى السيد رامريـــز وتذكرت الزيارة التى قامت بها ذات يوم الى بعض مدن المكسيك الواقعة على الحدود ، وتلك الايام الملتهبة والحشرات التي لا نهاية لها وهي تثب أو تستقر ميتة علـى الارض ، والقنوات التى تتسرب من خلالها مياه النهر الى الحقول ، والشوارع القذرة ، وتذكـرت الاحياء الصامتة والجمة الساخنة ، والاكل الغليظ على توالي الايام ، وتذكرت الجياد البطيئة والارانب وهي تجري في الطرقات ، وتذكرت مناظر الجبال الحديدية والوديان التي يكتسحها النقع ، وشواطىء المحيـط التي تمتد لآلاف الاميال دون أن يسمع فيها صوت آخر غير الامواج ، لا سيارات لا عمارات ، لا شيء .

قالت :

انني آسفة حقا ياسيد رامريز .

فقال في وهن : لا اريد ان أعود الى المكسيك ، انني أحب الحياة هنا واريد ان ابقى هنا ، كنت اشتغل وعندي ما يكفي من المال ، وليس بي ما يشين ، أليس كذلك ؟ لا اريد ان اعود الى المكسيك .

قالـت :

انني جد آسفة يا سيد رامريز وبودي لو كان في استطاعتي ان افعل شيئا .

وترقرقت الدموع في عينيه ، ومد يديه ليأخذ يدها في حرارة وهو يصافحها ويضغط عليها ويتشبث بها، ويقول : تصوري يا سيدة أوبريان انني لن أراك بعد اليوم ، لن أراك بعد اليوم .

فابتسم الشرطيان لما رأيا ، ولكن السيد رامريز لم يلاحظ ذلك ، وسرعان ما اقلعا عن الابتسام .

ـ الوداع يا سيدة أوبريان لقد كنت معي لطيفة المعشر جدا ، اوه ! الوداع يا سيدة أوبريان ، تصوري انني لن أراك بعد اليوم » .

ووقف الشرطيان فى انتظار أن يستدير السيد رامريز ويلتقط حقيبته ويذهب معهما ! حتى اذا ما فعل تبعاه بعد ان حركا قبعتيهما للسيدة اوبريان ، فراقبتهم وهم ينحدرون مع السلم ثم اقفلت الباب فى هدوء ، ثم عادت الى كرسيها عند المائدة وشدته اليها وجلست عليه ثم التقطت السكين اللامعة والشوكة وعادت تواصل تناول طعامها .

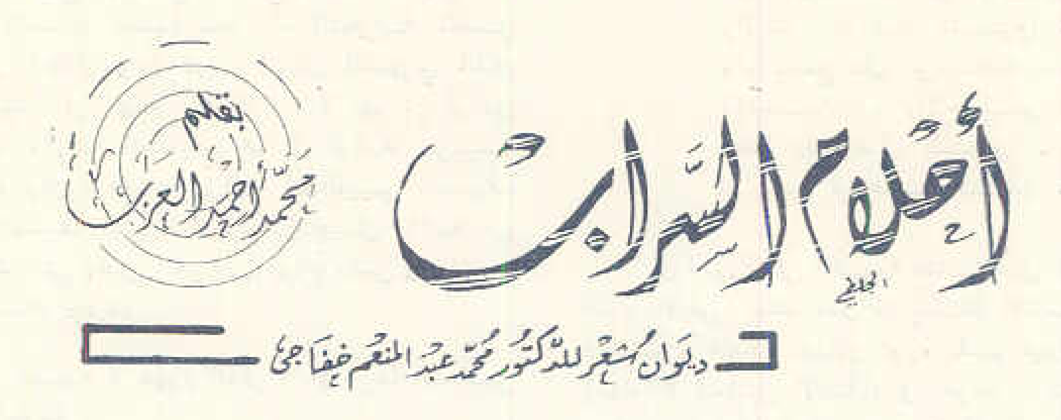
فقال لها احد ابنائها: اسرعي يا أماه قبل ان يبرد الاكل ، فتناولت لقمة وضعتها فى فمها ومضغتها فى بطء لفترة طويلة ثم حملقت فى الباب المقفل ثم وضعت السكين والشوكة .

وعندما سألها ابنها : هل هناك شيء على غير ما يرام يا أماه ؟ اجابته وهي تضع يدها على وجهها : كيف استطيع أن تصور اننى لن ارى السيد رامريز مرة اخرى بعد اليوم ؟!

الرباط : عبد المجيد بن جلون



معرض الكتب



و « احلام السراب » هو الديوان الشعري الثالث للدكتور الشاعر محمد عبد المنعم خفاجى ، وان يكن اول ما وقع فى يدي من شعر لهذا الرجل الهائل العطاء .. وما احسب الدكتور خفاجي كان كاتبا قبل ان يكون شاعرا ، فان نشأته الريفية وثقافته الدينية والادبية ، وطبيعة منطقه فى تناول الاشياء ، كل ذلك يؤكد بأن عمق الشاعرية فيه أبعد اغواره غورا، وان ما عدا الشاعرية فيه يأتي تاليا .. وان كان ذلك التعاقب لا يتحيف من قيمة شيء لحساب شيء آخر على الاطلاق .. بمعنى ان قضية سبق الشعر فى الرجل لا تنال من قيمته الفكرية ، وانما تعني بالضرورة ان شاعرها ينطلق من منطلق الشاعرية فى كل شيء ، ويأتي فكره ليضع هذه الشاعرية الوائقة فى مناطها الصميمي من حركة الخلق وديمومة الابداع .

واذا كانت مدرسة « أبولو » فى الشعر قد استقطبت عديدا من الشعراء الفاعلين فى مسار الحركة الشعرية المعاصرة ، واستطاعت — من خلال هؤلاء الشعراء — ان تستصفي اروع ما فى الاتجاه التقليدي من قوة التعبير ، وفحولة الاداء ، وصفاء الايقاع ... واروع ما فى الاتجاه الذهني — اذا صح ان يقال — من وحدة الحس، ووجدانية الحركة وهز الاعماق ، واحتضان الطبيعة .. فان شاعرنا يقف — من خلال ابداعه الشعري وليس من خلال مجرد حضوره الآني — مع شعراء هذه المدرسة وان تكن المقامات الشعرية تتفاوت من شاعر الى شاعر ، ومن نوعية ثقافية الى نوعية ثقافية ، ومن طموح فى حركة الابداع الى طموح فى حركة الابداع ... بمعنى اننا نستطيع ان نجد فى شعر الدكتور خفاجي تجنيحا كالذى نجده عند شعراء ابولو بلا استثناء ، وخاصة حين يعطف شاعرنا الى بكائياته العذبة يفلسف فيها احزانه واحزان عصره اللاغط بملايين المقولات الضاغطة .. ولكننا كذلك نستطيع ان نجد فى شعر الدكتور خفاجي ابوانا فارقة بينه وبين زملاء مدرسته على الاطلاق . وخاصة حين يعطف شاعرنا — بحكم مزاجه وثقافته — الى لون من الوان التصوف الوجودي — اذا جاز لهذا التعبير ان يستقيم فيصبح التصوف وجوديا — فان كل تمرد يبحر معه الدكتور الشاعر ما يلبث فى تضاعيف القصائد او فى نهاياتها ان يجنح الى استغفار لائذ ، او استرفاد لقوى الالوهية الخالقة ... وتلك خاصية ربما لا تعثر عليها فى شعراء مدرسته بلا تفريق .. ان التمرد الكاسح — فى القصيدة الواحدة — عند شعراء ابولو لا ينعطف الى مهادنة من اي لون ، ولكن هذه المهادنة عند الدكتور خفاجي ظاهرة لا تتخلف فى اي من القصائد التى يبحر فيها مع خاطر هاجس ، او انفلات متأزم على نحو من الانحاء .

ولو شك التنميط النقدي الذى لف بردائه الاسود حياتنا الفنية فى المرحلة الاخيرة ان يدين هذا المنزع وان يشجب هذا الاتجاه وما نريد ان نشايع او

نرفض ، ولكننا نريد ان نقف الى جوار حرية الخالق وان نقاتل تحت راية ابحاره الحر الى ما يشاء من الضفاف ، فقط نريد ان يكون هذا الخالق فى حركة تفجيره لبراكين عطائه الشعري صادرا عن خلفية فلسفية يتسمح المصطلح النقدي فيسميها رؤية او رؤيا او التصاقا حميما بمفردات التجربة المعبر عنها قبل وخلال وبعد ميلاد العمل الشعري الذى هو القصيدة فى نهاية المطاف .. لا يهم ان نوافق او نخالف ، ولكن الصميمي هو ان نؤكد حرية الشاعر ، وان نرفع عن رقاب الخالقين سيوف القناعات المسبقة التى تنتمي الى جيل راكد من العقائديات التى تحيل الفن الى صراخ بائس فى منشور منطفىء شانه جهيض .

فى قصيدة « هموم الفكر » (1) يبدا الشاعر بالثورة العارمة :

بكيت .. ويضحك القدر
ونمت .. وغيرنا سهروا
ومن عجز الضعيف
خصوم حياتنا قدروا
وقلت مناجيا نفسي
لماذا كان لي بصر ؟
لماذا كان لي عقل ؟
لماذا كان لي نظر ؟
لماذا كنت انسانا ؟
وافضل مني الحجر ؟

هذه بداية ثائرة ومتمردة ، وكان يمكن لشاعرنا ان يستطرد مع هذه الثورة ، وان يتمرد اعرض من هذا التمرد ، ولكن الكوابح الذاتية والبيئية والثقافية هانت هذا الجناح الباسل على هذا الافق ، وجنحت به على افق مغاير تماما ، وربما يستقيم منطق الاثراء هنا اذا قلنا انه ثورة على الثورة ، وتمرد على التمرد، واستجابة لموقف عقائدي نحن نحترم ذرات ذراته بلا حدود .. ان الشاعر يجهش فى الم عقب حشد من التمردات الرائعة :

لماذا رب لم يدرك
حقيقة هديك البشر ؟
لماذا رب كل الناس
بالاوهام قد اسروا
وفى ادراك معنى الحق
والايثار .. قد عثروا ؟
ولم يجمع على توحيدك ..
القدماء .. والأخر ؟
لماذا رب ضل الناس ..
ليس تردهم نذر ؟

ان الثورة على الثورة تعني قبل كل شيء ان الثائر الاخير يملك قدر ما يملك الثائر الاول من قناعات ، فلماذا نصادر ثورة باسم ثورة اخرى ؟ ولماذا لا نتعايش الاضداد فى حومة الجدل الواهب معطية حصادها الهائل على امتداد كل العصور ؟

وانسيابا مع هذا الموقف العقائدي يكتب الشاعر عديدا من القصائد المحضة لهذا الفرض .. « رحلة التاريخ (2) » .. « مهرجان الحق (3) » .. « ملحمة الاجيال (4) » .. « امم تطوى (5) » .. وغيرها .. وهو فى كل هذه القصائد يحاول بالفعل ان يقول كلمته ، وان ينوع — بصوته هو — على لحن نوع عليه شعراء العربية فى كل اجيالها ، وهنا تبدو فداحة العبء الشعري بحق — ويبدو المتصدي لهذا العبء واحدا من الكبار اذا سلمت لنا خطواته على هذا التراب الحاشد بملايين البراكين .

وقد تعطي قصيدة « رحلة التاريخ » وجه القضية اروع مما يعطي سواها بلا حدود ..

قد اعز الانسان فيها النبي
ليلة كل شانها عبقري
كل ساعاتها عظيم مجيد
وعظيم صباحها والعشي
وجهها المشرق الجميل البهي

---
(1) احلام السراب . ص 39 .
(2) ص 8 .
(3) ص 12 .
(4) ص 15 .
(5) ص 19 .

فجرها الابيض الوضيء الندي
وقف الدهر خاشعا فى جماها
وهدى الارض نورها الاحمدي

وتمضي القصيدة على هذا النسق من هذا الايقاع المتواصل الموحي فتستقصي كل ابعاد الرحلة . ونحس مع آخر اصدائها اننا على مشارف الانتهاء فى رحلة كل ابعادها عبقري المحتوى .. والشكل .. وحركة الشعر المتوجه فى كل مسافات رحلة الابداع.

وهنا – لا بد ان نستيقظ على حقيقة ان الشاعر فى رحلة عروجه الفوقي فى قصائده الايمانية لم يفلت من قبضة كونه شاعرا من مدرسة ابولو .. وهذه الكينونة الشعرية « ليست شيئا ساذجا يمكن ان تمر به هكذا عابرين ..

لقد احتذى الشعر الايماني انماطا سابقة عليه دائما ، فوقع على تراب الفقد لهويته الذاتية . وهذا اخطر ما واجه الشعر الديني من تحديات لم يفطن اليها دارسو هذا اللون من الشعر على مستوى تذوقي او مستوى اكاديمي جميعا وبلا تفريق .. ولكن شاعرنا هنا حاضر فى كل بيت من ابيات قصيدته ، حال فى كل صورة من صورها ، ليس بما هو فرد مبتوت الجذور بما قبل وبما بعد . فهذا مناط لا يمكن العروج اليه . وانما بما هو واحد من جيل شعري يعتنق رؤى وجدانية شاعرة ، ويتحرك من خلال منظور فني على كل الجبهات ، وفى كل اتجاه ..

— * —

ولكن الحس العقائدي المحتوى ليس هو كل القضية فى هذا الديوان فهناك الى جواره يبدو الحزن حسا مأساويا على مستوى من التغور ق صميم الذات ... ولست اعني هنا بالحزن هذا النوع من الاحباط النفسي الذاهل عن دوره وهويته، وانما اعني هنا بالحزن هذا النوع من الفجيعة الكونية ق منطق الاشياء .. ان هذه الصرخة الحزينة الاسيانة تترجمها هذه الكلمات :

نحن يا رب .. من عقيدتنا .. من ديننا.. بين ذا الورى غرباء

ان يكون الجمال .. والخير .. موجودا .. ولا يبصرون .. داء عياء

وهذه الكلمات :

هي الحياة واشجانها
آلامها لي واحزانها

انا منها قصة ضخمة
ومن القصة عنوانها

وهذه الكلمات :

وي لامسي ولا يأسي وي
ولليلي ونهاري العبقري

المنى كل المنى قد ذهبت
وتلاشت بددا من راحتي

وبقايا الحلم كان بيدي
اين ما كان قريبا بيدي ؟

اين امسي الصفوف ولى ومضى
ثم ابقى لي الاسى فى وجنتي

والرؤى اضحت خيالا ودجى
بعدما كانت سنى فى ناظري

فسواء املي او المي
ليس فرق بين الاثنين لدي

ان هذا الحزن الرومانسي الهادىء المتأمل النابض فى هذه الكلمات يثير اكثر من قضية فى معركة تقويم هذه المرحلة الشعرية التى اعطى الدكتور خفاجي ابداعه فيها .. لقد غزت هذا الشعر اسراب من التساؤلات الفلسفية التى اجتاحت اشعار ناجي . وعلي طه ، والهمشري ، والشابي . وغيرهم وغيرهم ، مما قد يوحي الى دارسي هذه المرحلة الشعرية ان ثمة توافقا فى الايقاع النفسي والفني يشترك فيه كل هؤلاء . ولعل رؤى (اطلال) ناجي تشتبك مع رؤى كثير من الشعراء الذين اطلوا من نفس النافذة على وادي الوجود والعدم ونوعوا على نفس هذا اللحن المأساوي السخيف . ولا يعني بروز هذه الظاهرة ان كل شعراء المرحلة واقعون فى شباك المماثلة او التناسخ الهش ، بقدر ما يعني ان هؤلاء الشعراء يعبرون بصميمية عن روح مرحلة متكاملة تنعكس من خلال وضعيتها الكونية وليس من خلال وضعيتها الفنية فى شعر هؤلاء المبدعين .

ان قضية الحزن هنا لا تعني ـ كما قلت ـ موقفا ذاهلا عن نفسه وعن كل شيء . وانما تعني بالضرورة موقفا وجوديا فاتحا احداثه على كل شيء على العشريائية الباهظة التى تحكم الاشياء .. على القوى العدوانية الساحقة للقوى المسالمة .. على القبح الوجودي الملتهم فى شراهة كل تكوين جماليات الحياة .. على الحرب .. والجوع .. والتفاوت والفلاظة .. والاهدار .. والظلم .. والدمامة .. وكل ما هو منتم بالضرورة الى عائلة القبح فى جنبات الوجود .. ان هذا الحزن هو حزن ديوان « احلام السراب » مع احتياط ينبغي ان يراعى جيدا فى هذا الصدد ، وهو ان الشاعر لم يقع فى شراك المباشرة للتعبير عن كل هذه الرؤى وكل هذه المقولات ، ولكنه ظل راينا فى موقعه الذى ينتمي اليه . باكيا كل آلامه واحلامه من خلال هذه القناعة الذاتية بأن على الشاعر ان يحس ويقول ، وليس بأن يقول ثم يحس .

ان حزنا ذاتيا يندغم فى حزن كلي هو ما يرى فى هذا الديوان . ان حزن الشاعر على فقد امه .. وابيه .. يندغم فى حزنه الشامل على فقد العدالة والحرية وجمال الجمال فوق الارض .. وهذا وحده هو ما يعطي حزن شاعرنا مذاقه الصميمي ، الشامل لابعاد كل المقولات الصميمية الهادفة الى قراره .

عشت للسراب .. وذقت كل خداعه
واصاب غيري الخوف والوهن
اماه ... ابكي العمر وهو مضيع
وقلوب صحبي البغض والضغن
اماه ابكي العيش وهو مرنق
وحياة غيري .. الزور .. والأفن

هذا هو مذاق الحزن فى ديوان « احلام السراب » ..

والحب .. ثالث ابعاد هذا الديوان .. الحب الذى عرفناه عند شعراء ابولو حبا للفاتنة .. وللصديق .. وللابن .. وللطبيعة .. وحتى للحب نفسه.. وابدا يبحث الشاعر فى من يحبه عن الدفء المفتقد والحنان المنشود .. والفرح الغائب عن دنياه ..

يغني شاعرنا لوحيده « ماجد » فتسيل شفافية وعذوبة من لون رائع بحق ..

واحة آمالي .. انت .. فى متاهات السفر
كالسحر جئت.. كالسنا.. وكالنسيم فى السحر
وجئت كالمنى .. وكالنصر .. اتى على قدر
كالشمس يوم الزمهرير .. كالشذى غب المطر
وما أحيلى العيش حين جئتنا باروع الصور
وصرت يا (ماجد) فى جيدي عقدا من زهر
واعشوشبت بك الحياة وارتوى بك الثمر
واخضر عشنا ، وكان العش مجدب الصور
انسان عيني .. ورؤى الروح ، وبهجة البصر
وفلذة من كبدي .. وجدة اسمي فى البشر

وحضن الدفء فى حياته يغني فينهمر العطر فى كلماته :

ياكل آمالي وبهجة خافقي
حسبي فعهد الحب يعرفني
انت التي اشعلت فى قلبي المنى
وهواك صدق هواك يذكرني
حسبي ذنوبا فى الهوى دهري الذي
بطموح نفسي عاد يحرمني

وحين يغيب حضن الدفء عن حياته يجهش :

وان بعدت فانني
احيا على ذكرياتك

طول النهار اناجي
الجميل من امسياتك

والليل انشر فيه المكنون من صفحاتك
وفى فؤادي ... تروي العذاب من ضحكاتك

الحب هنا مشدود من الخاص الى العام ، ومن العام الى الخاص ، بلا حوائط عازلة بين هذين المحورين .. الحب الذى يعطي بلا ثمن ويدفع اغلى الاثمان حتى يعثر على حب جديد ..

ولا اريد ان اعبر قبل ان انبه هنا الى شيء .. ان شعراء العمود يقاتلون شعراء الشعر الحر . ويقاتل شعراء الشعر الحر كذلك شعراء العمود مخيلين الى ذواتهم والى المتلقي معا ان ما بينهما من مسافات فنية قد احترق بلا عودة الى البكارة

والاخضرار .. وما هكذا تستقيم ظاهرة من الظاهرات الفنية او حتى الوجودية .. ان الكون ناهض على محور الجدل فى كل شيء . الليل والنهار ، الحياة والموت ، الحزن والفرح ، القديم والجديد ، فلماذا نصادر هذا الجدل على هذا المستوى الفني بالذات وهو اقمن المستويات جميعا بتمديد مسافاته واحتضان اكثر من جدل واعمق من حوار ؟

ان الذين يرون فى الشاعر العمودي ـ حين يمد يده الى نموذج جيد من الشعر الحر ـ مرتدا او فاسقا عن امر قانونه الفني يقامرون باروع ما يملك هذا الفنان وهو ضرورة اطلاله على كل انبثاقات الجديد .. والذين يرون فى شاعر الشعر الحر ـ حين يمد يده الى نموذج جيد من الشعر العمودي ـ رجعيا او ورائيا او ما شاؤوا من المقولات الساذجة يقامرون باروع ما يملك هذا الفنان كذلك . وهو تعاطفه اللا مبالي والحميم مع جذوره ومنابعه تلك التي يعيش لغيرها مقتلعا من جذوره ، ناضب الضفاف الى حد اليباس .

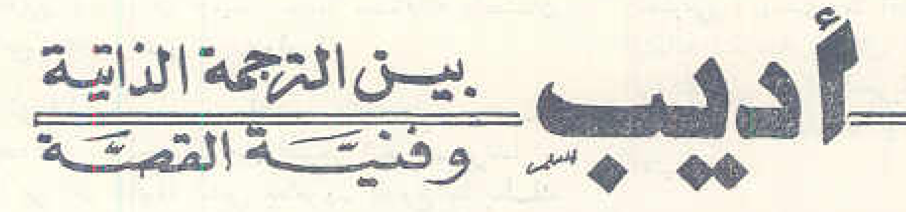
لكل هؤلاء نقول : دعوا هذه البكائيات البائسة، وقولوا للناس شعرا يتخطى حواجز الصمت . ويقفز من فوق جدران الجمود .

واكاد انتهي الى قناعة اخرى ... هي ان شعراء الازهر والدكتور الشاعر محمد عبد المنعم خفاجي واحد منهم ـ بحاجة الى دراسة خاصة مستأنية ، تتفرس ملامح اتجاهاتهم على تشعبها وتباينها وتبحث لكل واحد منهم عن انتمائه الفني الحقيقي ، ومدى ما افاد من ثقافته لانتمائه ، ومن انتمائه لثقافته . فان كل اولئك راجع فى النهاية الى تشكيل حركة شعرية تصدر عن رافد صميمي . وان تغايرت شكولها وانماطها والوان انتماءاتها الفنية ..

وان كنت واثقا من شيء ، فانني واثق من ان الدكتور الشاعر محمد عبد المنعم خفاجي اقمن دارس بهذه الدراسة ، اولا : لانه رجل اكاديمي يعرف من اين يبتديء والى اين ينتهي .. وثانيا : لانه فنانشاعر يعرف قيمة النبض الشعري ومساره جميعا . وقبل ان القي بالقلم .. فلتكن تحية الوداع ... ان اشد على يد الرجل وان انبط به هذا العبء .. وان استرفد قلمه الشاعر آلافا من مواعيد الحرف تختبيء فى قفزاته الواثبة فوق السطور ..

محمد احمد العزب





تاليف : الدكتور طه حسين * عرض : الاستاذ محمد محمد الخطابي

- 2 -

فقد الادب العربي علما بارزا من اعلامه المعاصرين الذين أرسوا دعائم النهضة الادبية والفكرية فى مصر والذي كان له أثر فعال فى باقي أبناء الوطن العربي ، الا وهو عميد الادب العربي الدكتور طـــه حسين ، ان أعمال طه حسين القصصية تكشف لنا النقاب عن مراحل هامة من حياته لم يفصح عنهـــا بصراحة قبل وفاته ، وكلما تمعن الدارس فى مختلف هذه الاعمال اكتشف جديدا ـ ربما لـم يكـن فى حسبانه ـ ففى ((الايام)) ((وأديب)) « ودعاء الكروان » « وأحلام شهرزاد » ((والمعذبون فى الارض)) وغيرها من هذه الاعمال يكشف لنا طه حسين عن كثير من الحقائق التي تصور طموحه الشخصي والصراع الذي كان يعتمل فى نفسه ، وفى هذه الدراسة محاولة لفهم جانب من جوانب حياة هذا الاديب الكبير من خلال كتابه : ((أديـــب))

تدمنا فى القسم الاول من هذه الدراســـــة ، الخطوط العريضة لقصة « اديب » سقناها باسهاب حتى نكون على بينة بكل خطوة سنخطوها بجوار هذا المضطرب الثائر ، المتفتح المنطلق الذى لا يعبأ بشيء والذى ظل متأرجحا بين الهروب من واقعه الكئيب الذي مله وسئمه ، وبين التطلع الى حياة كريمة راقية فيها كل ما تتمنى نفسه وتتوق اليه .

والآن آن لنا ان نتساءل من جديد : هل التـزم طه حسين منهجا معينا فى كتابه : «أديب» هذا ؟ أم ارسل الحديث على هواهنه طيعا منسابا دون تقييد بما يسمى بالأصول الادبية أو ما يشبهها ؟ . ان طـــه حسين نفسه يعترف بانه لا يلتزم طريقا بعينها فيمـــا يكتبه من اعماله القصصية او ما شاكلها ، واذا القـــى القارىء نظرة عجلى على سبيل المثال . على كتيـــب آخر من كتبه وهو « المعذبون فى الارض » لوجد أن الاقاصيص التى احتواها الكتاب لم تتوفر على المقاييس اللازمة لكل قصة ، يقول الناقد فؤاد دوارة فى هـــذا الصدد : « اذا أخضعت كلا منها (من الاقاصيـــص) للمقاييس الفنية للقصة لوجدتها تخرج كثيرا عن هذه الاقاصيص ، فبعضها لا تنهض له وحدة تربط بـــين احداثه ، وبعضها الآخر يقوم على حدث تافه لا يكفي لبناء قصة أو حتى صورة متكاملة من صور الحيـــاة ، وجميعها خالية من الحبكة والتشويق اللازمين لكـــل قصة » (1) ثم يضيف الناقد قائلا : « وقد احس طه حسين نفسه بهذه الحقيقة وهو الناقد الذواقة الذي لا يبارى ، فظل يؤكد المرة بعد المرة بين ثنايا الكتاب انه لا يكتب قصصا ، ولا يعنى كذلك بالتزام القواعـــد التي وضعها النقاد لكتابة القصة ، ولا يهمه ارضـــى قراؤه عليه ام سخطوا ، ومع ذلك فانك تبعده يتوقـف بين كل حين ليذكر القارىء وفضوله وكيف يريـــد ان

1) فى « القصة القصيرة » فؤاد دوارة ص 19 .

يعرف كذا وكذا من التفاصيل أو انه لذلك سيسوقه اليه ، وسيمتنع عن تقديمه ، الامر الذى يؤكد شدة احتفاله بالقراء وبرأيهم ، وهذه الالتفاتات الكثيرة الطويلة من الكاتب الى القارىء تارة والى نفسه تارة اخرى تكون العيب الجوهري الثاني من عيوب هذه القصص » .

اذا كان الامر كذلك اي اذا كان طه حسين لا يخضع كتاباته للمقاييس المتفق عليها ، فما المعول الذي نعمل به فى تناول مثل هذه الاعمال بالدراسة والتحليل ؟ خاصة اذا اضفنا الى هذا كله قول ناقد شاعر كبير وهو ت، س، اليوت حينما يقول : « ان عظمة الادب لا يمكن ان تحدد فقط بالمقاييس الادبية على الرغم من اننا يجب ان ندرك انه سواء كانت الأعمال ادبية او غير ادبية ، فلابد من تقييمها وفقا لهذه المقاييس » اي لابد ان تكون هناك مقاييس ادبية لوزن العمل الادبي » .

فهل نعتبر « اديب » قصة توفرت فيها كل مقاييسها الضرورية ؟ هل هناك رابط يربط بين احداثها؟ اي هل توفرت على حبكة محكمة قائمة ؟ بل هل كانت هذه الاحداث مسلسلة بطريقة منطقية سليمة البناء ؟ ام هي قصة من ذلك النوع من القصص الذي يكون معظمه مخلخل البناء مفكك الاحداث الذى يسميه الناقد الانجليزي « ادوين ميود » — كتابه « بناء الرواية » بقصص الشخوص والذي يقول عنه : « الاحداث فيه مفككة يسيرة طالما ان المقصود منه هو توضيح جوانب الشخصيات .. » (2) .

هل قصة « أديب » من هذا النوع ؟ أم يمكننا ان ندرجها تحت نوع آخر من القصص المعاصر الذي يخرج عن نطاق القصص الذيلا يتبع فيه مؤلفوها طريق القصة التقليدية بل ، يحاولون خلق اشكال جديدة تناسب مضمون قصصهم التي لا ينبغي للشخصيات فيها « أن تتقيد بعامل الزمان » بل تتحرك الى الوراء والى الامام وفق رغبتها ، لا تتحكم فيها الحكاية بل الحركة النفسية التي تكمن وراءها وتجتمع فيها المشاهد المختلفة ، هذه الحركة هي التي تضفي على العمل الروائي نوعا من الوحدة والاتساق » (3) .

الحقيقة أن « أديب » ليست من هذه ولا من تلك فى شيء ، ويمكننا ان ندرجها تحت قصص الشخوص بتحفظ شديد — لاننا واجدون طه حسين يتنقل بين الفينة والاخرى من مكان الى آخر بل حتى فى الزمان، دون مبرر وانما ارضاء لاهواء نفسية معينة أثناء الكتابة كما تمثل هذا ايضا — الاستطراد المبالغ فيه الذي نجده فى القصة حتى يصل الامر بالمؤلف فى بعض الاحيان الى كلام لا طائل من ورائه والذي يفسد على القارىء متعة التتبع أثناء القراءة ، ولنضرب مثلا لذلك ، ففي الفصل الاول من الكتاب عند وصف المؤلف لبطل قصته أو احاديثه « اديب » يقول : « ولم يكن صوته عذبا ولا مقبولا وانما كان غليظا فجا ولكنه مع ذلك لم يكن يخلو من نبرات حلوة تجري عليه اذا قرأ شيئا فيه تأثر وانفعال ، وكان له ضحك غليظ مخيف يسمع من بعيد، بل كان كل ما يصدر عن صوته غليظا مخيفا يسمع من بعيد ولم يكن للنجوى معه سبيل وكثيرا ما ضايقه ذلك حين كان فى باريس ، .. » ففي هذه الفقرة يضيع المؤلف متعة شيقة كانت من نصيب القارىء ؛ ذلك حينما يعلن بشكل تقريري مفاجيء أن صاحبه « كثيرا ما ضايقه ذلك حين كان فى باريس » نعلم سريعا وبصورة تلقائية أن صاحبنا سيذهب الى باريس ، وهذا الاخبار السريع ينقل الينا ضحكات صاحبنا وهو فى باريس ، فكأننا نشعر بهذه النقلة المباغتة الغير متوقعة فاذا هي بمثابة رسم لاحداث — أذهاننا لم يحدثنا عنها الكاتب بعد ! وتتجلى أكثر صحة هذه الملاحظة — بداية الفصل الثاني مباشرة اذ يقول الكاتب : « فقد عرفته فى القاهرة قبل أن يذهب الى باريس ثم أدركته فى باريس بعد أن سبقني اليها » وكان فى امكان الكاتب أن يحذف هذه العبارة السابقة ويبدأ بالعبارة التي تليها وهي : « ... عرفته مصادفة وكرهته كرها شديدا حيث لقيته لأول مرة كنا فى الجامعة المصرية القديمة فى الاسبوع الأول من افتتاحها . الخ » (4) وبهذا نظل نتطلع شوقا الى معرفة ما لم نعرفه عن صاحبنا وصديقه بطريقة أكثر فنية وأقل تقريرا كما فى هذه الحال . وليس هذا هو المثال الوحيد فى هذا الكتاب من هذا النوع بل هناك عشرات الامثلة مما يضعف من العمل الأدبي ، ويقلل من شأنه، لان الفن العظيم اتسم دائما بالطريقة اللامباشرة التي تخلق فينا شوقا وتشوقا واجتهادا وتطلعا نحو استكناه المجهول والخفي .. والا فيمكن

---

2) مجلة « الكتاب العربي » الجزء الثاني والعشرون ص 28 « بناء الرواية » ادوين ميود
3) نفس المرجع السابق .
4) « أديب » ص 13 .

القول بأن طه حسين انما يكتب أو يصرح أو يسترجع ذكرياته في غمرة من الفرح والغبطة غير مبال اومحتفل بهذه الملاحظات التي هي ليست بخافية عنه دون شك. ولئن صحت هذه الملاحظة الاخيرة أمكننا أن نعتبر هذا المؤلف من التراجم الذاتية التي تتوارى خلف قناع خفي لا يزيحه المؤلف عن القارىء الا بعد مشقة وعنـاء ، وهذه الملاحظة في نظري اقرب الى الصواب من غيرها لانه من العبث ان نحسب هذا العمل ذا قيمة ما لـم تنحصر هذه القيمة في نطاق هذه الملاحظة الاخيرة أي دون ان يغدو عملا لا يسمو الى مرتبة اي عمل آخر من اعمال طه حسين الأخرى مثل « الأيام » أو عند نظيره من الاعمال الادبية لدى مؤلفين آخرين .

« اديب » في الميـزان :

« كثيرا ما يكتب طه حسين على هواه غير عابىء وغير مرتبط بهدف ولا مسوق الى غاية سوى غايـة الفن والجمال . ولكننا ما نكاد نفحص أعماله المنشورة حتى نجدها صدى لنفسه ومانفسه الا انعكاس لظروف بيئية معينة » (5) .

حقا لقد كانت أعمال طه حسين صدى لنفسـه لاشك وللبيئة التي عاش فيها ، وان كان حقا ان هدف طه حسين ووسيلته من وراء كتابته هو الفن والجمال، فهل بلغ طه حسين هذا الهدف وهل حقق هذه الغاية؟ هل جاء كل ما كتبه فنا جميلا ؟ لاشك أن طه حسين كان ذا حظ كبير في الاطلاع على اسرار الجمـال والاستمتاع بسحر الفن ، ولكن ليس كل فن أو جمال سواء بل غالبا ما يكون هناك تفاوت بين اي فن وآخر، فليس من ريب ان ما اثر به طه حسين فن جميل ولكن مع ذلك يبرز لنا سؤال على هذا النحـو : في اي مستوى يمكن أن ندرج هذا الفن ؟ انه لاشك مستوى رفيع ، هذا في اعمال بعينها دون الاخرى . ففي الايام ذلك السجل الحافل الذي لا يفتأ المرء يقراه مرة بعد الاخرى من غير ان يمل قراءته ، تلك المرآة الناصعة البياض التي تتجلى لنا فيها صورة لا يعتريها صدأ ولا يكتنفها غموض لطه حسين في أول حياته وهو ضرير فقير ، ذلك الصبي الشقي الذي كان يظل النعـل برجليه سنة أو ما قاربها ، والذي يقضي بقية العام حافيا ، ذلك الصبي الذي حفظ القرآن في التاسع من عمره ، والذي لا يرى في حفظ القرآن وتعليمه مخرجا لما تتوق اليه نفسه من حياة ليس فيها شظف الريف وفقرها المدقع ، هذه الصور المتعددة وسواها التـي رسمها لنا طه حسين بريشة فنان صادق لتحفل بانبل المشاعر والتي لن يزيدها الزمان الا ضــوءا ، ان «الايام» تلك الايام التي عاشها طه حسين والتي جاءت في كتابه هذا ايام من عمر طويل او هي عمر من ايام قصيرة ان هذه المشاعر الصادقة لم تات ــ على هذه الصورة التي رايناها عليها الا لصدق في الانطباع ولانه والم وحسرة تلك الأيام الخوالي التي مضت وانقضت ولم يبق منها سوى وميض الذكريات التي خشي عليها صاحبها من الضياع فسجلها في هذا الكتـاب . واذا نبشنا في اعماق هذه « الايام » لنرى أين يكمن السـر الذي جعلها ذات قيمة أدبية عظمى لالفيناه ، دون شك ، يكمن في صدق التعبير وجمال التصوير وجماعية التجربة في فرديتها وشفافية الاسلوب ورقته ونفاذه الى القلوب دون جهد أو بعض عناء ، كما يكمن السـر في كونها جاءت صورة للطبقة المتوسطة بفقرها وعجزها وجهلها القديم وتصويرا للتقاليد العتيقة البالية التـي كانت سائرة ــ في عصر المؤلف ــ والتي ذهبت بعينيه وببصر الآلاف من امثاله ، اذا كان هذا هو حال طه حسين في « ايامه » فماذا عنه في « اديب » ؟ ذاك الذي كان يرى في اوربا عامة وفرنسا خاصة كل بغيته ومناه وما أن ادركهما حتى جن جنونه !

اننا اذا حكمنا على اي عمل ادبي بالنظـرة الخاطفة ، اي على صورته الظاهرة فلابد اننا غافلون ــ لامحالة ــ جوانب هامة تختفي وراء هذا الظاهر ، ولكي نبدد هذا الضباب دعنا نلقي بعضا من الاسئلة التي تنبثق من خلال العمل الادبي نفسه .. فنقول مثلا : لماذا مدد الاديب اقامته في مرسيليا اياما أخرى وهو قاصد باريس ؟ لماذا يعترف لنا بتوقد عاطفته بسهولة وبسرعة نحو فتاة تعمل خادما في الفندق الذي نزل به؟ لماذا اباح لنفسه شرب الخمر والنبيذ والمعتق بهذه السرعة المذهلة اي اثر وصوله من القاهرة وهو الشيخ الازهري التقي النقي ، واذا اعددنا « لماذا » هذه فاننا لن نجد لها حصرا ، وهنا يكمن السر الذي ينبغي لنا ان نلتف وراءه من خلال هذه التساؤلات التي تبـدو بديهية لأول وهلة غير اننا اذا تعمقناها الفيناها عكس ذلك ، فأديب هذا الذي نزل كما ينزل عامة الناس في فندق من فنادق مرسيليا ليقضي ليلة او بعضها ــ ثـم يواصل طريقه الى باريس ــ كيف حدث له ان هام حبا بأول فتاة تقع عيناه عليها وهي خادمة الفندق «فرنند»؟!

5) « الفن في حياتنا » فتحي غانم ص 53 ــ 54 .

فهل كان محروما من الجنس اللطيف اثناء اقامتـه في القاهرة ؟ أم هي صورة من صور مجونه وخلاعته كما فسرها بعض النقاد ؟ (6) .

الحقيقة أنها ليس هذه ولا تلك ، ذلك أن طـه حسين على الرغم من انه أورد في هذا الكتاب انه كان متزوجا ، فان الحقيقة تتعارض وهذا القول ذلك انه ليس هناك ما يثبت تاريخيا أن طه حسين كان متزوجا قبل سفره الى فرنسا، وما اشارته الى تطليق زوجته « حميدة » سوى رمز الى جفوته لنساء مصر اللائي كن يمثلن في نظره في ذلك العهد صورة من صور الرجعية والتأخر والجهل ، ويتأكد لنا هذا الرمز ويتجلى أكثر وضوحا في اقباله المنقطع النظير على الحياة المصرية الجديدة في فرنسا فما أن وطئت قدماه مرسيليا حتى اقبل على شرب الخمر بشراهة كما تمثل في اقامتـه علاقة حب محمومة مع فتاة الفندق : « فرنند » ان هذا الاقبال وهذا الشره وهذا التفتح وهذا الانغماس في البيئة الجديدة ان هو في الواقع الا تفسير للشـوق الذي كان يعتمل في نفس طه حسين منذ كان في القرية في مصر ، كما أنه يفسر طموحه نحو حياة أفضل وعالم جديد وتعطشه لحياة راقية حافلة بشتى أسباب النعم والبذخ ، ففي شربه للخمر واقباله عليها بذلك النهم كأنما « يشرب » الحياة الجديدة التي طالما تاقت نفسه اليها ، كما أن في طلاقه من زوجته بهذا المعنى ليس سوى « تطليق » لحياة التعاسة والبؤس التي كـان يحياها في مصر .

« ولكني على كل حال ، قد دخلت النوم حمـارا وخرجت منه انسانا يحس ويشعر ويتصل ويتـذوق الجمال ، ويعرف كيف يستمتع بسحر العيون أصبحت انسانا وتذكرت قصة الاخطل فعفت شراب الحمـار وآليت الا أروى الظمأ الا بمثل ما رواه الاخطل » فكأنما صاحبنا وجد « انسانيته » في فرنسا حيث بدأ «يحس ويشعر ويتصل ويتذوق الجمال » !

ولنتمعن معا هذه العبارة : « لعلك تنكر أيهـا الصديق اقبالي على الشراب خاليا ، وعلى الشراب بعد ان كذب الظن وخاب الامل ولكن ما رأيك في ان كذب الظن وخيبة الامل هما اللذان دفعاني الى الشـراب دفعا ، فقد ابيت ان اذعن لمكر الاقدار وغدر الظروف واقسمت الا اذوق النوم حتى أرى وجه هذه الفتـاة المشرق ثغرها » (7) .

هذا التطور السريع المفاجيء الذي طرا علـى حياة صاحبنا او اديبنا اثر وصوله الى مرسيليا وقبل ان يتغلغل في الحياة الجديدة الصاخبة لا ينبغي لنـا اغفاله بل لابد من الوقوف عنده لنتعرف على دلالاتـه الخطيرة ، انه لمن الخير أن نترك أديبنا يسائل نفسه بنفسه : « كيف انتقلت من طور الى طور ، وكيـف تغيرت من حال الى حال ، انني لفي حيرة لا أعرف لها حدا ولكنني مع ذلك كله راض على نفسي بعـض الرضى ، بل كل الرضى .. »

ماذا بقي أن نقول ، لقد أعلنها صراحـة ، انه راض عن نفسه كل الرضى وقد وجد راحة البـال واطمئنان الخاطر ، وهو الآن في بلد كله نعومة وظرف ولين .

يسوق لنا طه حسين هذا الصراع الداخلي في اسلوب سلس شفاف يتضمن أفكارا ورموزا هامـة تفصح عن نفسية المؤلف وتصور الصراع الذي كـان يعيشه في تلك الفترة من حياته ولن تتضح لنا هذه الأفكار ولن تنكشف هذه الرموز ما لم نتتبع بتؤدة وتأن كل سطر من سطور هذا الكتاب ، وذلك ما سـوف نتوخى القيام به في الحلقة القادمة — بحول الله — من هذا البحث .

محمد الخطابي

(6) انظر : كتاب : اهل الكهف ، أديب ، لقيطة ، للاساتذة محمد الفاسي ، عمر الدسوقي ، محمـد الصادق عفيفي .

(7) « اديب » ص 140 .



صدر مؤخرا عن مطبعة جامعة محمد الخامس بفاس كتاب هام للدكتور رشدي فكار وهو عبارة عن دراسة انثربولوجية اجتماعية تتعلق بالسحر وما حوله وما له وما عليه، وقد اضاف المؤلف كتابه هذا ملحقا عن انسان القرآن من خلال ابعاده الاجتماعية.

التعريف بالمؤلف

الدكتور رشدي فكار باحث اجتماعي متخصص صدرت له عدة مؤلفات ودراسات سوسيولوجية وانثربولوجية عالج فيها موضوعات علمية كثيرة تهم الاسرة والمجتمعات مما مكنته أن ينال سمعة طيبة وثقة كبيرة عند قرائه بالعربية والفرنسية ولعل هذا هو السر في ظفره بأعلى المراتب الجامعية والعضوية في عدة اكادميات، فالعالم فكار دكتور من جامعة باريس ودكتور الدولة في الآداب من جامعة جنيف واستاذ زائر بجامعتي نيوشتال وجنيف وعضو مشارك في اكادمية العلوم Ac. Sc. do . M وهو يتولى منصب التدريس بجامعة محمد الخامس بالرباط.

تقديم لكتابه

اول ما يطالعنا في هذا الكتاب الآية القرآنية الكريمة: «فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى».

وهي الآية السادسة والستون من سورة طه، وقد اختارها المؤلف كدليل على ان القرآن الكريم لم يغفل السحر اذ ورد ذكره في عدة آيات من الكتاب العزيز، ولذلك فان الدكتور فكار أراد في كتابه أن يبرز موقف العلم والاديان من السحر.

— ♦ —

في المبحث الاول من هذا الكتاب يقدم المؤلف لمحة تاريخية عن السحر فيقول: ((من المسلم به، ان الغوامض والاسرار والغيبيات، والخفايا، كانت تسيطر بصفة عامة على معرفة الانسان في فتراته الاولى، وامتصت المجتمعات القديمة من بين ما امتصت سيطرة هذه المعطيات التي كانت في بدايتها على مستوى الطوطمية، والوثنية، والتجسد، والتقمص الاحيائي.. ولقد نشأ السحر في مظاهره الاولى عبر هذا الاطار، اطار الخفي والغامض والسري والغيبي.. ولقد حاول بعض المؤرخين ان يعطي تواريخ محددة ما امكن، فمنهم من ذهب به الى ما قبل طوفان نوح، ومنهم من ارتفع به الى تسعة آلاف عام قبل الميلاد، الا أن التحديد خصوصا بين سحب الاساطير وضباب الرواة ينظر اليه بتحفظ وحيطة ان لم يدعم بالوثائق والوقائع الاثرية الملموسة.

فالفراعنة — مهما كان التحديد وتموجه — عرفوا السحر قطعا على مستوى بين محدد اذ كانت له قواعد

وانسقة سحرية بمعنى يشتمل على طقوس وشعائر معينة ، أعطتنا دراسة الاثر الفرعونية صورة واضحة عنها كمثال كتاب الموتى ، وأسرار الاهرام واسطـورة « اوزيريس — ايزيس » Osiris - Isis . ولقـد لعب السحر دورا هاما لدى الفراعنة بمـا فى ذلـك الناحية الطبية ، حيث الجسم يقسم الى جزئيـات ، كل جزئية تخضع لقدرة سحرية معينة ، وكان السحر نوعين ، سحر رسمي Licite وهو سحر الكهنة ووصلت قدرته وفعاليته — على حد اعتقادهم انذاك — الى الاحياء والاماتة ، والسحر السري Illicite وهو يلجأ الى الطلاسم والسموم ، وقد حورب فى عهد « رمسيس الثالث » وكانت توقع اقسى العقوبات على السحرة السريين الذين كانوا يزاولـون نشاطهـم السحري غير المشروع .

والبابليون والآشوريون والكلدانيون ، عرفـوا السحر ... ويذكر بالنسبة للبابليين ان الآلهة كان لهم اسمان : اسم ظاهر ، واسم خفي باطني لـه قـدرة طلسمية سحرية ، ولقد تفشت فى ارض بابيلون ظاهرة « الارواح الجائلة الباطنية » وكانت هناك طقوس خاصة لحصرها والتغلب عليها ، كما عرفوا بعض الظاهـرات التي تسير فى فلك السحر كالتنجيم والشيطنة ، وقد كان للشياطين تصانيف ، منهم من يعمل بالليل فقط ، ومنهم من كانوا يسجدون له ، واشهر نوع الطاغوت من الشياطين الصارفة عن الخير ... وعند اليهـود فى المجتمعات الهامشية المعاصرة لهذه المجتمعات القديمة وصل السحر الى قمته ، عرفته مملكة سليمان ، كمـا تفشى فى عهد موسى ... والاغريق والرومان وعبر العصور الوسطى كان للسحر عندهم مكانة لا يستهان بها ودور برز لنا على مستوى « مديس وسيرس : (MEDEES et CIRCE) فى « الاودسة » الا انه كان كثيرا ما يحدث خلط والتباس بين السحر وما حوله ، خصوصا العرافة بين الساحر والعراف ، ورغم التنقية الفكرية التي قامت بها الفلسفة الاغريقية لمواجهـة التغميض ، ومحاولة الفهم للقوة الغير المرئية المؤثرة فى الانسان وتحقيق رغباته ، وتحكيم المنطق ، الا ان الاساطير والخفايا ومسيرة التغميض عاشوا جنبا الى جنب مع الصفاء الفكري السقراطي والافلاطونـي ، والارسطي ، والرؤيا الاصيلة آنذاك .. وسيطر السحر عند الرومان فى بعض عصور روما ، خصوصا على عهد الامبراطـور « جوليـوس سيـزار أوجستـوس Augustus واتجه السحار الى روما من كل صوب ، أما نيرون Neron فقد حارب السحر رغم انه كثيرا ما كان يلجأ الى السحرة خفية لمساعدته ، وعرفـت بيزنطة أشكالا متعددة من السحر ...

وهكذا استمر موكب السحر عبر العصور الوسيطة فى اوربا خصوصا الظواهر الخاصة « بأسرار الحيـاة وطاقتها (Elixir de la vie) ، وسحر الآبـار وتسميمها ، وجاءت النهضة العلمية فى اوربا فحدت نسبيا وتدريجيا من هذه الظاهرة ...

وفى الهند و لصين وشرق الاقصى عاشت ظاهرة السحر وتعايشت مع هذه المجتمعات بدورها . وجدير بالذكر انه فى فترة من الفترات كانت هناك علاقة قوية بين « البوذية » و « الغيبية » Occultisme وارتباط ذلك بنظرية الاحلال وتناسخ الارواح ، وبالتالي كان يصعب فى هذه الفترة عزل الدين عن السحـر عندهـم ...

والمجتمع العربي ، منذ القدم وعصور الجاهلية ، وهو يتعايش مع هذه الظاهرة وما حولها كالتنجيـم والعرافة ... وورث من المجتمعات المجاورة ، كمـا ورثوا من غيرهم ، ضروبا كثيرة من ضروب السحـر ووسائله وتعرض الكثير من الرحـالة والمؤرخيـن والكتاب لهذه الظاهرة بالوصف والتصنيف والتبويب ، حتى ابن خلدون نفسه فى مقدمته ...

وما زالت اقطار كثيرة من العالم العربي تعيش هذه الظاهرة خصوصا فى مناطقها المختفية الفقيرة ، وتجد من يمارس السحر ويستمع اليه ويلجـأ الـى وسائله لمواجهة مشاكل الحياة .

أما الاسلام كدين فقد كان له موقف واضح حول السحـر .

— ◆ —

فى المبحث الثاني حلل المؤلـف فى دراسـة عميقة مدلول السحر وما ذا يعني به ؟ وهكذا قـدم تعريفا اصطلاحيا للسحر : « هو فن يزعـم الاتيـان بخوارق القوانين المتعارف عليها وذلك بفضل الغـاز ووصف ووسائل ، كثيرا ما تكون غريبة »، هذا التعريف نجده يشمل ضمنيا رؤية السحر على مستوى « عالم الطبيعة » وهو عالم مادي Monde matériel « وعالم ما فوق الطبيعـة » وهـو عالـم الارواح Monde des esprits فالسحر يتصدى لعالم ما فوق الطبيعة عالم الخوارق والالغـاز والاسـرار ،

والخفايا ، والغيبيات بصفة عامة ، لكن المؤلف يرى بأن هذا التعريف لا يفي بالمراد اذ انه لم يحدد متى ينتهي عالم الطبيعة ويبدأ عالم ما فوق الطبيعة والخوارق ، ولذلك فهو يريد أن يتجاوز هذا التعريف الاصطلاحي التقريب الى ما هو أعمق رغبة منه فى تحديد المدلول والمنطوق على مستوى التعميق والتخصيص فيركز بحثه ـ فى هذا الصدد ـ على اتجاهين رئيسيين : اتجاه نظر الى السحر نظرة تقنية رافضة اساسا ، واتجاه نظر اليه نظرة تقريرية تعتمد على الملاحظة ، واستقراء الابعاد دون أن ترفع به الى مرحلة الاعجاز والخوارق ... وقد تولى المؤلف تحليل مفهوم الاتجاهين معا . (1)

— ◆ —

المبحث الثالث خصصه المؤلف لموضوع ما حول السحر من ظاهرات شبيهة به مثل : « الشعـوذة » Sorcellerie وهي فى مظاهرها وجوهرها لا تشكل الا نوعا من المزاولة المنحطة لدعاة السحر وادعيائه لدى الشعوب المتخلفة ، ثم « الشيطنة » . Satanisme ou Diabolisme وما حولها كالعفاريت والاشباح والجن ، والمسخرين من الوكلاء والخدم لدعاة الشيطنة ، فما هي الا ضرب من ضروب الرؤية الخلفية لمساوىء النفس الدونية ، وانطباعاتها التحتية ، ترمز أساسا الى الجانب الشرير عند المخلوقات ، اما « اللا منظور او الخفي » Occultisme فهو من أسرار الطبيعة والنفس مما لا زال مجهول الاسباب كليا أو نسبيا . « التنويم » Hypnotisme وهنا يجب التمييز بين التنويم الاصطناعي والتنويم الطبيعي ، فالتنويم الاصطناعي عرفه الانسان منذ القدم مارسه كهنة مصر الفرعونية فى علاج بعض الامراض كما مارسه كهنة الاغريق وعرفه الهنود الاقدمون ، ولقد استعمل فى التحليل النفسي ...

— ◆ —

أما المبحث الرابع فقد قدم فيه المؤلف تحليلا مركزا لعلاقة السحر بالدين ، ونظرا لاهمية هذا المبحث فى الكتاب ولتماسك الموضوع فاننا نحيل القارىء الذي يهمه هذا الجانب الى الكتاب نفسه لتحصل الفائدة المرجوة ..

— ◆ —

فى المبحث الخامس يبرز الدكتور فكار موقف الاسلام من السحر فيقول بشكل مختصر ان القرآن يكذب السحر ولا يصدقه ، ويسفه السحر ... القرآن لم يعط للسحر على مستوى جوهره ، قدرة اعجازية خارقة وانما هو مجرد « تقلد مكتسب وصناعة » تقول الآية « انه لكبيركم الذي علمكم السحر » وفى آية اخرى « وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم »

أما الملحق الذي تناول فيه المؤلف انسان القرآن من خلال ابعاده الاجتماعية فانه عبارة عن دراسة مقارنة حلل فيها الدكتور فكار وضع الانسان المسلم فى بيئته ومجتمعه فقدم لنا فى تصور سوسيولوجي انسان القرآن ، ولكي تبرز ـ يقول المؤلف ـ اصالة (سوسيولوجية) او اجتماعية انسان القرآن لا بد لنا من تحديد ابعادها على ضوء المقارنة باجتماعية انسان ما قبل القرآن فى الجاهلية ومعطياته الانتربولوجية اولا ، وعلى ضوء المقارنة باجتماعية الاديان الاخرى ثانيا ، وقد دحض المؤلف مزاعم بعض المستشرقين امثال القس (لامناص) الذي وضع دراسات عدة عن البيئة الاجتماعية للتدليل بشكل غير مباشر على سلبية القرآن الروحية فى حين ان انسان القرآن ـ اجتماعيا ـ جاء نموذجا مستوعبا لما صلح من ماضي الانسان ، متجها به الى الكمال فى التشريع بما يتمشى ومتطلبات الحياة الاجتماعية المتجددة ، نموذجا خرج بالانسان من نمط المجتمعات المحلية ، الى نمط المجتمع العالمي ، شرع « للانسان الشامل » فى كل زمان ومكان ، تاركا لمبادئه ابعادا مرنة ، مبسطة ، هي مصدر قوته الاجتماعية ، واصالته التشريعية تعتمد على التعليل للظاهرة ، والتخريج لها اكثر ما تعتمد على الالتزام الملقن والحتمية المجردة ، وقف القرآن فى تصوره للانسان اجتماعيا ـ يقول المؤلف ـ موقفا وسطا بين « الحتمية السوسيولوجية » وبين « الحرية الانسانية » فكان فى ذلك خير تشريع جسد الحقيقة الاجتماعية للانسان فى شكل واقعي ملموس مؤكدا معالم « قارية المجتمع » و « مظاهر حركيته » عبر روح عملية رائعة .

---

(1) راجع الكتاب ابتداء من الصفحة 26 .

وما علينا الا ان نتدبر – يقول المؤلف – فيما جاء به القرآن الكريم من مبادىء تحدد مدلول الطبيعة الاجتماعية البناءة للانسان، وتكيفها سواء على مستوى الاسرة او الجماعة ، والمجتمع العام .

بالنسبة للاسرة اجاز القرآن ما هو صالح من قواعد السلوك والعلاقة وعالج ما يمكن اصلاحه بشكل واقعي عملي وردع ما هو غير قابل للاصلاح دون تردد او مراوغة .

وقد قدم الدكتور فكار امثلة كثيرة فى هذا الباب مستدلا بآيات قرآنية .

اما بالنسبة لموقف القرآن مما فيه خطر على الاسرة وبنيانها واستمرارها فكان موقف الرادع المحذر دون تردد موقفه من واد البنات ، من الزنى ، وموقفه من رمي المحصنات وشيوع الفاحشة وخطر ذلك على الامة برمتها .

وباختصار ان ملحق انسان القرآن تناول دراسة قيمة وعميقة تعتبر تجديدا وخروجا عن التقليد الذي طبع امثال هذه الموضوعات .

الرباط : عبد الرحيم بن سلامة



من أنباء العالم الإسلامي

المغــــرب :

* كلف صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وزيره في الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الداي ولد سيدي بابا بمهمة في دولة الامــارات العربية ، وقد استقبل سيادته الشيخ زايــد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة نهار يوم الاربعاء 8 ماي الماضي حيث سلمه رسالة من جلالة الملك الحسن الثاني ، وقد اجرى الداي ولد سيدي بابا خلال مقامه في ابو ظبي سلسلة مــن المحادثات مع المسؤولين في دولة الامارات العربية استهدفت تعزيز العلاقات والروابط بين البلدين .

* نشرت جمعية تاريخ المغرب بالتعاون مع المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط دراسة عن الاطوار البارزة في تاريخ وجدة ، كتبها الاستاذ مولاي رشيد مصطفى الاخصائي في الدراسات التاريخية عن شرق المغرب . وقد حللت الدراسة المراحل الكبــرى في تاريخ المدينة منذ العصور الغابرة مرورا بانشائهــا والمعارك التي شهدتها والاسر التي تقلدت زمامهــا حتى استقلال المغرب . ومما يتضح من تاريخ المدينة انه تاريخ كفاح ومعارك نظرا لموقع المدينة المنفتح على المغرب الاوسط والمغرب الاقصى بالاضافــة الى الدور الذي لعبه مؤسسها زيري بن عطية .

* صدر للدكتور محمد الحبــابي الاســتاذ في كليــة الحقــوق كتــاب جديــد باللغــة الفرنسيــة بعنــوان : « معركــة البتــرول العربيـــة » ، (224 صفحة من القطع المتوسط بمطابع دار النشر المغربية ، الدار البيضاء) .

ويعتبر الدكتور لحبابــي ان معركــة البتــرول العربي هي أول تغييــر اساسي في العلاقــات غيــر المتكافئة بين الاقطار المتطورة والمتخلفة .

وقد قسم المؤلف بحثه الى خمسة فصــول تعرض فيها الى الطاقة في العالم وكيف ان تطور الامم المصنعة اعتمد اساسا على الطاقة وكيف ان البترول هو المصــدر الرئيســي للطاقة ثم الى اطار معركــة البترول العربي من حيث بنيات الصناعــة العالميــة للبترول والتكتل البترولي العالمي . وتحدث بعــد ذلك عن غنى الدول العربية في البترول . وكذلك عن التعبئة العربية من اجل معركة البترول .. واشار باقتضاب الى السياسة البترولية في المغرب واحال القراء على فصول نشرت في جريدة « ليبراسيون » منذ سنوات واستعرض التدابيــر التــي اتخذتهــا الجزائر في الميدان البترولي ، والمحاولات التي تمت في المشرق العربي لتعديل انظمة الشركات البترولية، والمعارك الرئيســية في هذا المجال ، وانهــى المؤلــف بحثه بخلاصة عامة عن ضرورة المراجعــة الجذريــة للعلاقات بين الدول الصناعية والدول المنتجة للمواد الاولية .

* انعقد بمقر كلية العلوم بالرباط الجمــع العــام لجمعية العلوم الطبيعية والفيزيائية بالمغرب .

وبهذه المناسبة قدم السيد بوانار خبير منظمة الامم المتحدة عرضا حول الصيد البحري في العالم وقضايا تنمية الثروات .

* بدات بالرباط مناظرة علمية بمناسبة مرور 150 سنة على ميلاد باستور . وقد اقيم بكلية العلوم معرض خاص بهذا العالم كما عرضت اشرطــة عن حياته ومكتشفاته . تشرف علــى المناظــرة اللجنــة المغربية لليونسكو .

وبقاعة الثقافة اقيم معرض للصور تمثل مختلف مجالات الحياة في المانيا الديمقراطية وخاصة الناحية الرياضية ، وقد جعل المعرض تحت شعار (الرياضة في الفنون التشكيلية) .

* ترجم المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط رسالة الدكتوراه التي كتبها الاستاذ كنيث برون لنيل الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا عن (التاريخ الاجتماعي لمدينة سلا من 1830 الى 1930). وقد نشرت جمعية تاريخ المغرب الرسالة التي ترجمت بتصرف .

* حضر الى دار الحديث الحسنية بالرباط جمع من العلماء والاساتذة والمثقفين لتتبع الرسالة التي تقدم بها الاستاذ محمد الادوزي عن الامام البخاري واجتهاده لنيل الدبلوم في الدراسات الاسلامية العليا وكانت اللجنة المكلفة لمناقشة الرسالة مؤلفة من الدكتورة عائشة عبدالرحمن والاستاذ حسن الزهراوي. وافتتح بداية الحديث المرحوم الاستاذ علال الفاسي متحدثا عن جهود دار الحديث الحسنية رغم ضعف وسائلها والطرق والمناهج التي تسير عليها ، وتقديمها لافراد من متخرجيها الذين يعرضون هذه المؤسسة مفيدة في موضوعات مختلفة . وقال : ان عددا كبيرا من الافراد تخرجوا من دراسة السنتين وانصرفوا لينكبوا على تأليف الرسائل العليا . وطالب ان تتوفق وزارة التعليم لطبع بعض الرسائل التي نوقشت والتي قبلتها سابقا .

ثم تكلم الاستاذ الادوزي صاحب الرسالة فأعطى نظرة طويلة عن رسالته التي تقع في اكثر من 300 صفحة مبتدئا بالحديث عن المشاق والجهود التي بذلها في البحث .

* صدر عن قسم احياء التراث بمديرية الشؤون الاسلامية التابعة لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية كتاب جديد بعنوان : « التعريف بالقاضي عياض » بقلم ولده ابي عبد الله . وقام بتحقيقه الدكتور محمد بنشريفة .

* صدرت طبعة جديدة لكتاب الاستاذ عبد المجيد بن جلون « في الطفولة » الذي كان الجزء الاول منه قد نفذ من سنوات . الطبعة الجديدة تضم الجزئين في كتاب واحد .

الجزائـــــــر :

* انعقد ببجاية عاصمة الحماديين بالجمهورية الجزائرية الشقيقة الملتقى الثامن للفكر الاسلامي تحت اشراف وتنظيم وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية ابتداء من شهر ربيع الاول الى 12 منه وضم الملتقى كسابقه رجالات الفكر واعلام الثقافة في العالم العربي والاسلامي والاوربي تناولوا بالدرس قضايا مختلفة تسير في الخط الاسلامي وتهتم بالدور الذي يقوم به المفكر اليوم وعلى مر العصور في امته وتجاه الانسانية في كل من قضايا الساعة وآفاق المستقبل .

وقد تناولت مواضيع المؤتمر واحدا وثلاثين محاضرة الى جانب المناقشات والتعقيبات التي تحولت في كثير من الاحيان الى شبه محاضرات اخرى وكلها تكشف الاخطار واسباب الضعف والانهيار وعوامل الازدهار والصعود والرقي ورسمت الطريق الواضح للخروج من عهد الغفلة والتخلف .

حضر المؤتمر ما يربو عن ثمانمائة مشترك يضاف اليهم مئات المستمعين الذين وفدوا الى القطر الجزائري من اصقاع الارض تابعو جل المحاضرات والمناقشات والتعقيبات من خلال مكبرات الصوت التي نصبت في انحاء المدينة التي كانت هي الاخرى تحتفل بمرور المائة التاسعة من تاريخها والتي كانت حضارتها تعم حوض البحر الابيض المتوسط وصقلية والاندلس .

وقد اشتمل جدول الاعمال التي تناولها رجال الفكر في هذا اللقاء المواضيع الآتية :

1 ـ وضع الاقليات والجاليات الاسلامية في كثير من البلاد وواجب العلماء والمفكرين ورجال الاعمال نحوها ، وهكذا فقد القت الدكتورة ليلى الصباغ من القطر السوري محاضرة بعنوان « وضع الجاليات الاوربية في العالم العربي الاسلامي ابان الحكم العثماني كما القى الدكتور محمد نجاة الله الصديقي استاذ الاقتصاد بجامعة علي كره المسلمة بالهند محاضرة تناولت بالدرس : الاسلام والمسلمون في الهند ، كما ساهم الاستاذ فرنسيس منهايم كاتب ورئيس الجمعية البلجيكية العربية ببروكسيل بحديث تحدث فيه عن وضع الاقليات والجاليات عموما والاسلامية خصوصا في كثير من بلدان القارات الخمس ، وواجب العلماء والمفكرين ورجال الاعلام نحوها ، وتناول الدكتور سلفاتوري بوتو استاذ التاريخ بجامعة روما بايطاليا « وضع الجاليات الاوربية في المغرب قبل الاستعمار كما حاضرت الاستاذة جوليت منس من فرنسا في موضوع يتعلق بمشاكل العمال الجزائريين بفرنسا ، واخيرا القى

الدكتور عبد الكريم سايتو استاذ الاقتصاد بجامعة طوكيو باليابان محاضرة تناول فيها وضع الاقليات والجاليات عموما والاسلامية خصوصا في كثير من بلدان القارت الخمس ، وواجب العلماء والمفكرين ورجال الاعلام نحوها ايضا . .

اما النقطة الثانية ، فقد تناولت دور المفكر في امته وتجاه الانسانية في كل من قضايا الساعة وآفاق المستقبل ، حيث حاضر الدكتور هورست غريكه رئيس قسم علوم الشرق والعصور القديمة بجامعة هالة بالجمهورية الديمقراطية الالمانية في « مسؤولية المؤرخ كمفكر نحو المجتمع ، ثم الدكتور اللامع العالم التيجاني الهدام والاستاذ محمد مزالي وزير الصحة والشؤون الاجتماعية ، والدكتور صلاح الصاوي الاستاذ بكلية الآداب بجامعة طهران ، وكلهم تحدثوا في نفس الموضوع. وكان موضوع « المثقف المغربي بين الفعالية والسلبية» للاستاذ محمد زنيبر مثار اهتمام وتعليق ومناقشة من طرف الجميع نظرا لتركيزه وموضوعيته .

اما النقطة الثالثة فكانت تحت عنوان :«مساهمة بجاية الحمادية في الحضارة والفكر الاسلاميين واسباب وآثار انحطاطها حيث القى الدكتور رشيد بوروبة استاذ تاريخ بجامعة الجزائر « الحياة الاقتصادية والفنون في بجاية الحمادية » ، واعقبه الاستاذ المؤرخ التونسي عثمان الكعاك « البجائيون من بربر واندلسيين ، وصقليين ودورهم العظيم في حضارة شاملة على ضفتي البحر المتوسط الغربي خلال اربعة قرون » ، وبعدهما القى الدكتور سعيد محمد رعد من سوريا محاضرة قيمة تحت عنوان : « دور بجاية الحمادية في تكوين نظرية ابن خلدون التاريخية العمرانية عن العمران البشري ، واثر ذلك في تاريخ الفكر الاسلامي . كما ساهم الدكتور مولاي بلحميسي استاذ تاريخ بجامعة الجزائر بمحاضرة بعنوان : «دور بجاية في البحر الابيض المتوسط في عهد الحماديين والحفصيين ، واخيرا كان مسك ختام هذه النقطة محاضرة الشيخ سليمان داوود بن يوسف وهو بحاثة جزائري ومن كبار العلماء الافاضل الذين اسهموا في بناء الحضارة الاسلامية بالقطر الجزائري وكان موضوعها « مساهمة بجاية الحمادية وآل زيري في الحضارة الاسلامية على نطاق واسع داخل المغرب وخارجه .

والنقطة الرابعة ، وقد تناولت موضوعا هاما حول مساهمة الحضارة والفكر الاسلاميين في مختلف مجالات العلوم والفنون والتراث الانساني على العموم ، وعوامل ازدهارها واسباب انحطاطها وشروط انبعاثها ، وقد ابتدا هذه النقطة الاستاذ الدكتور مانفريد فلايشهامر نائب رئيس قسم علوم الشرق والعصور القديمة بجامعة هاله بالمانيا الديمقراطية بمحاضرة حول : « ملاحظات حول دور العلم في الحضارة العربية الاسلامية واعقبه الدكتور محمد سويسي استاذ بالجامعة التونسية بالقاء محاضرة قيمة جامعة حول « لمحة عن آثار العرب في الرياضيات والفلك . اما الدكتور سعيد شيبان ، استاذ طب العيون بجامعة الجزائر فقد كان نجما متالقا في محاضرته التي كانت بعنوان : « مصنف عصري لطب العين من القرن السادس الهجري » « مرشد الكحالين لمحمد بن اسلم الفافقي » .

والقى الاستاذ مصطفى عبد الله بعيرك « دور الشمال الافريقي في الحضارة والفكر الاسلاميين » ، اعقبه الدكتور وصفي ابو مغلي من فلسطين واستاذ اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة وهران عن « مساهمة الحضارة والفكر الاسلاميين في مختلف مجالات العلوم والفنون والتراث الانساني على العموم ، وعوامل ازدهارهما ، واسباب انحطاطهما وشروط انبعاثهما » ، ثم بعد ذلك امتعنا الدكتور احسان عباس استاذ التاريخ بالجامعة الامريكية في بيروت بمحاضرة شيقة تتعلق بنفس النقطة الرابعة . كما اسهم في نفس النقطة الدكتور الحبر يوسف نور الدايم استاذ بكلية الآداب جامعة الخرطوم بمحاضرة كانت بعنوان : « الفكر الاسلامي ـ آثاره واسباب قوته وضعفه » .. ثم تحدث في محاضرة رائعة الدكتور جوزيف فان ايس مدير المعهد الشرقي بجامعة توبينغن بجمهورية المانيا في « نشاة علم الكلام في الاسلام » اعقبه الاستاذ عبد المجيد مزيان استاذ علم الاجتماع بجامعة الجزائر حول « جدلية الانحطاط الاقتصادي في الحضارة الاسلامية » وكانت المحاضرة الخاتمة في هذه النقطة للدكتور ميقال دي ايبالزا الاسباني حول موضوع : « بين التعصب والاسلامية » او « الاسلام من خلال بعض الشخصيات في العالم المسيحي » .

والنقطة الخامسة والاخيرة المدرجة فى جدول الاعمال تحت عنوان الاصالة والتفتح .. ما مفناهما وما مدى اهمية هذا الجمع بالنسبة للافراد والامم .

كانت المحاضرة الاولى فى هذه النقطة الاخيرة للدكتور زكي نجيب محمود استاذ المنطق الوضعي بجامعة القاهرة بعنوان « بين الاصالة والمعاصرة » اعقبتها محاضرة بعنوان « الانية والاصالة مع التفتح والعالمية » للسيد عبد الله بن بوبه وزير العدل فى الجمهورية الاسلامية الموريطانية .

وقد انبثقت عن المؤتمر خمس لجان فنية تناولت دراسة المواضيع التى القيت فى الملتقى واتخذت بها خمس توصيات ختامية تؤكد على ضرورة البعث الاسلامي وتتناول وضع الاقليات والجاليات عموما والاسلامية خصوصا فى كثير من القارات الخمس وواجب العلماء والمفكرين ورجال الاعلام نحوها وكان هذا موضوع اللجنة الاولى ، وتناولت اللجنة الثانية : دور المفكر اليوم وعلى مر العصور فى امته وتجاه الانسانية فى كل من قضايا الساعة وآفاق المستقبل ، واللجنة الثالثة كان موضوع دراستها مساهمة بجاية الحمادية فى الحضارة والفكر الاسلاميين والعالميين واسباب وآثار انحطاطها .

واللجنة الرابعة تناولت مساهمة الحضارة والفكر الاسلاميين فى مختلف مجالات العلوم ، والفنون ، والتراث الانساني على العموم ، عوامل ازدهارهما ، اسباب انحطاطهما ، وشروط انبعاثهما.

واللجنة الخامسة تناولت « الانية ، والاصالة مع التفتح والعالمية .. معنى هذه المفاهيم ، مدى امكانية التوفيق بينها ، درجة اهمية هذا التوفيق فى عالم اليوم بالنسبة للفرد ، والمجتمع ومصير الانسانية كلها ..

ولا بأس من ان نشير الى مفاهيم هذه المصطلحات .

الانية : هي وعي الذات لنفسها وتوكيدها كذات مسلمة .

الاصالة : هي تنمية الذات بالتزام القيم الاسلامية والتعبير عن هذه القيم فى مختلف مجالات الحياة .

التفتح : هو تبليغ رسالتنا الروحية الى العالم فى ممارسة الاخذ والعطاء ، وهي اقتباس كل ما تتأكد الحاجة اليه مما هو لدى غير المسلمين فى حدود الاصالة .

العالمية : بعد التوكيد ان ما يدعى بالمعاصرة هو تعبير عن الحضارة العربية فى طور سيطرتها ، وانه لا ينبغي لها ادعاء تمثيل البشرية جمعاء ، فان اللجنة ترى ان العالمية هي تلك الجوانب التى تلتقي فيها مجموعة الثقافات

وبمناسبة هذا الملتقى الفكري الرائع اصدرت وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية عددا خاصا ضخما من مجلة الاصالة افردته لمدينة « بجاية » تحدثت فيه عن الدور الهام فى تاريخ الجزائر الثقافي والحضاري والسياسي ، حيث يلمس القارىء ذلك الدور الهام الذى قامت به الجزائر فى بناء مجد الحضارة العربية الاسلامية الى جانب المراكز الحضارية الاخرى فى العالم العربي الاسلامي من خلال ما انجبت من علماء ومفكرين فى شتى ضروب المعرفة وشارك فى هذا العدد صفوة مختارة من مفكري الجزائر والمغرب وتونس والعالم العربي والاسلامي والاوربي .

تونـــــــس :

* اقام سفير تونس فى لبنان صلاح الدين عبد الله حفلة تكريمية فى دار السفارة للمجاهد العربي محمد علي الطاهر حضرها اصدقاء المحتفى به من العاملين فى حقل الجهاد الوطني والصحافة . وفى خلال الحفلة علق السفير بحضور السيدة الماجدة وسيلة قرينة الرئيس بورقيبة على صدر ابي الحسن وشاح الاستقلال التونسي وهو ارفع وسام تونسي يمنح للابطال المجاهدين بعد ان القى كلمة تحدث فيها عن جهاد ابي الحسن محمد علي الطاهر .

* المسالة التونسية والسياسة العثمانية 1881 ـ 1913 للدكتور عبد الرحمن تشايجي نقله عن الفرنسية وعلق عليه الدكتور عبد الجليل التميمي ، وهو كتاب يكشف عن كثير من الاسرار التى ظلت الى الآن مكتومة وفيها ما يتعلق بموقف الباب العالي من حرب المغرب الاقصى مع النمسا اواخر سنة 1829 .

※ الحضارة التونسية من خلال الفسيفساء للسيد المنجي النيفر، وهو يتناول تاريخ الفسيفساء التونسية في مختلف مظاهرها ويزود القراء بعدد من اللوحات الرائعة الجميلة .

فمرحبا بهذه الجهود التي تنير الدرب نحو كتابة مؤلة لتاريخ المغرب العربي الكبير عامة . وتقديرا القائمين على تشجيع رجال الفكر في اخراج بنات افكارهم .

※ « قراضة الذهب في نقد اشعار العرب » لابن رشيق تحقيق الشاذلي بويحيى طبع الشركة التونسية للتوزيع في اخراج رفيع اشرفت عليه وزارة الشؤون الثقافية والاخبار .

※ اصدرت الشاعرة التونسية الشابة ، فضيلة الشابي ، ديوانها الشعري الاول عن « المؤسسة العربية للدراسات والنشر » ببيروت بعنوان «روائح الارض والغضب».

فضيلة من الجيل الجديد في تونس الذي ظهر في اواسط الستينات ونما في احضان الشعر الحديث

وتعتقد فضيلة ورفاقها ان الشعر الحر ليس سوى نصف متحرر : فقد تحرر من التفعيلات الا انه لم يتحرر من التفعيلة نفسها .

يعكس الديوان بوضوح الهزيمة التي عاشها العالم العربي منذ 67 ، حيث تشكل كل مشاعر فضيلة الشابي واهتماماتها .

※ يعقد خلال شهر نوفمبر المقبل حوار اسلامي — مسيحي في مدينة الحمامات بتونس ، يشترك فيه عدد من علماء الديانتين حول موضوع تحديات النمو في العالم ومشاكله الروحية .

وستستمر الندوة لمدة اسبوع في نطاق حوار اسلامي مسيحي لتبادل المعلومات والافكار حول مشاكل النمو المتفاوتة في العالم والقضايا الروحية.

※ اصدرت الدار التونسية للطبع والنشر كتابا بعنوان « محمد الخضر حسين حياته وآثاره » تأليف محمد مواعدة وقدم للكتاب الاستاذ المنجي الشملي المدرس بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالجامعة التونسية .

وتتجلى صورة « محمد الخضر حسين » من خلال هذا الكتاب في ثلاث مراحل هي المرحلة التونسية ، والمرحلة السورية ، والمرحلة المصرية .

مدة المرحلة التونسية 40 سنة (1873 — 1912) وهي فترة التعلم والتثقيف ، ولد محمد الخضر في بلدة « نفطة » بالجنوب التونسي، وتعلم في جامع الزيتونة حيث اشتغل على اعلام الشيوخ وعاشر جلة العلماء ، وقد انتمى الى كتلة الشيوخ المحافظين المعارضين للاصلاح الاجتماعي والديني ، فاسس مجلة « السعادة العظمى »

ومدة المرحلة السورية 8 سنوات (1912 — 1920) وهي فترة ترحال ومعاشرة للرجال حيث غادر موطنه تونس في طريقه الى الشرق ، فزار مصر حيث التقى بالشيخ رشيد رضا ، والحجاز والبانيا ، وبلاد البلقان ، وبلاد الاستانة ، ثم انتهى به المطاف الى دمشق ، فدرس بالمدرسة السلطانية وحاضر في الجامع الاموي ونشر في الصحف مقالات عديدة داعيا الى توثيق عرى الالفة بين العرب والترك ومؤيدا للخلافة العثمانية وسفر لتركيا في المانيا .

اما مدة المرحلة المصرية 38 سنة (1920 — 1958) فهي فترة الاستقرار والشهرة العلمية وبلوغ اعلى المراتب فاعترف له القوم بسعة الثقافة ، وشهدوا له بأنه من كبار علماء الازهر ، فاذا هو رئيس جمعية الهداية الاسلامية 1928 ، واذا هو في مجمع اللغة القاهري 1933 ، واذا هو في منصب شيخ الازهر 1952 .

والكتاب رسالة جامعية قدمها الاستاذ محمد مواعده الى كلية الآداب والعلوم الانسانية بالجامعة التونسية لنيل شهادة الكفاءة في البحث وتقدم بها في 15 من شهر دسمبر 1972 وكان نجاحه فيها بتفوق قدرته اللجنة بملاحظة استحسان .

وشكرا للمدير العام للدار التونسية للنشر التي تسهم في بعث التراث الانساني ، للتعريف برجالات تونس العالمة .

داكـــــار :

✻ انتقل الى رحمة الله، العالم المسلم، الشيخ الحاج احمد التكروري السنغالي ، وذلك بجمهورية السنغال ، والشيخ الحاج احمد ، قد قدم خدمات جليلة للعمل الاسلامي ، وفى مقدمتها تفسير واف لمعاني القرآن الكريم ، وضعه باسم (ضياء النيرين الجامع بين علوم الطائفتين) فى اجزاء عديدة ..

نرجو للفقيد الرحمة والغفران وان يثيبه الله خير الثواب . وانا لله وانا اليه راجعون .

✻ اممت السلطات السينغالية مجلة « لومنيتور افريكان » التى ظلت تصدر فى دكار طيلة الـ 15 سنة الماضية تحت اشراف مجموعات صناعية فرنسية .

وقد اصبحت هذه المجلة المشهورة فى افريقيا السوداء ابتداء من عددها 645 ، مجلة يديرها ويحررها السينغاليون .

✻ متحف جديد يسع لعرض 26 الف قطعة فنية واثرية ، يبدا انشاؤه فى العاصمة السينغالية داكار قريبا .

وسيلحق بالمتحف مركز ثقافي ومكتبة ومعهد للفنون القومية .

تصميم المتحف وملحقاته هو مزيج من فن المعمار الصحراوي والمعاصر فى الوقت نفسه .

تنـــزانيـــا :

✻ قرارات صارمة صدرت قبل فترة الى رجال البوليس فى تنزانيا بمطاردة او اعتقال اي شاب او شابة يشذ فى ملبسه او مظهره عن التقاليد الافريقية العريقة المحافظة .

الاوامر صدرت بمطاردة الفتيات اللائي يرتدين الميني جوب و السروال الضيق او البلوزات والقمصان غير المحتشمة ، او حتى استخدام الباروكة ومساحيق التجميل .

كما صدرت الاوامر باعتقال الشباب الذين يطيلون شعورهم بالفهم وان كل رجل بوليس تنزاني يحمل معه اليوم ـ عدة ـ لقياس حجم اي سروال مشكوك فى امره .

العدة هذه تحتوي على مسطرة قياس ، وبعض الكرات وزجاجات بيرة التى يدخلها الشرطي من طرف السروال ، فاذا راها قد خرجت من الطرف لآخر، فان السروال صالح للبس اما اذا رفضت ذلك فيعني ان السروال ضيق وان لشاب مصيره السجن !

كينيـــــا :

✻ عقد الامين العام عدة اجتماعات مع وفد مجلس اتحاد مسلمي كينيا والذى يضم الاستاذ سالم بالعلا نائب وزير مالية كينيا والاستاذ محمد جهاري نائب وزير الصحة الكيني ولاستاذ عيسى كوريا من رجال الدعوة الاسلامية والاستاذ عثمان عرارو عضو مجلس النواب الكيني ..

وقد بحث الامين العام مع الوفد مختلف اوجه النشاط الاسلامي الذى يقوم به اتحاد مسلمي كينيا واحوال المسلمين وشؤون الدعوة والجمعيات الاسلامية واحتياجاتها ..

نيجيريـــا :

✻ فى نيجيريا حذر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية النيجيري المسلمين من نشاطات القاديانيين المنحرفة .

الكونغـــــو :

✻ تلقى الامين العام لرابطة العالم الاسلامي الشيخ محمد صالح القزاز تقريرا ضافيا من الاستاذ عبد الله عثمان كوكي موفد الرابطة الى الكونغو برازفيل تضمن نبأ اسلام تسعة من الكونغوليين .. وقد استبدلت أسماؤهم باسماء اسلامية . واكد موفد الرابطة فى تقرير ان هناك اقبالا كبيرا على اعتناق الدين الاسلامي .

✻ علم ان الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي قد اتخذت الخطوات الفعلية لافتتاح مركزين اسلاميين فى كل من عاصمتي الغابون ومدغشقر وذلك القيام بنشر الدعوة الاسلامية .

وعلم ايضا ان هناك اتجاها لفتح مكتب للرابطة فى الدانمارك لمساعدة المسلمين فيها وتحقيق احتياجاتهم ومطالبهم .

٭ اصدر الرئيس الاوغندي عيدي امين امرا جديدا يقضي بمنع ارتداء الشعر المستعار فى المكاتب الحكومية والاماكن العامة .

وقال عيدي امين فى قراره اني ارفض ان يستخدم شعبي الشعر المستعار .

واضاف الرئيس الاوغندي ـ انه اذا استخدم احد افراد عائلتي الشعر المستعار فسوف اتبرا منه على الفور .

جنوب افريقيا :

٭ تمت مصادقة حكومة جوهانسبورج باعطاء قطعة ارض لمسلمي جنوب افريقيا لبناء مسجد ومركز اسلامي فى ليناسا بمنطقة جوهانسبورج ، وستتكلف المباني ما يعادل حوالي 800 مليون ليرة ايطالية ، وهذا المركز الذى سيكون اكبر المراكز على الاطلاق فى جنوب افريقيا قام بتصميمه احد المهندسين ..

وقد وافق المجلس البلدي لمدينة جوهانسبرج على هذا المشروع بعد ان جاهدت لجنة نور الاسلام طيلة السنتين الماضيتين فى سبيل الحصول على الارض اللازمة لاقامة هذه المباني ، وقد اكد الدكتور مومونيات رئيس اللجنة المذكورة ان الاموال التى ستستخدم لبناء هذا المركز وردت عن طريق التبرعات ، فقد تبرعت امبراطورة ايران فرح ديبا بحوالي 12 مليون ليرة ، ودفع بنك استاندرد بجنوب افريقيا مبلغ 8 مليون بينما جمع بعض افراد من المسلمين تبرعات تبلغ 5 مليون ..

وسيتم البناء على اربع مراحل منفصلة .. الاولى بناء المسجد بقبة واحدة وثلاثة مآذن ، اما المراحل الثلاثة الباقية فتشمل بناء مدرسة اسلامية بها 12 صفا وملجا للاطفال ومكتبة وقاعة استقبال وعرض ، وسيتسع المسجد لالفين من المصلين بينما تتسع المدرسة لخمسة آلاف تلميذ ..

الغابون :

٭ صدرت يوم 15 مارس اول مجلة اسبوعية تصدر فى الغابون .

مصر :

٭ صدرت فى القاهرة اول مجموعة قصصية للمؤلف الشاب محمد الراوي وعنوانها « الرقص تحت الشمس » وهي تحكي معاناة الانسان المصري بعد حرب 5 يونيو 1967 وتصور الواقع الذى خلقته النكسة فى اسلوب روائي .

٭ اصدر محمد عبد السلام الزيات امين عام مجلس الامة المصرية وهاني خير امين عام مجلس الامة الاردني كتاب « احكام الدستور والاجراءات البرلمانية فى التطبيق » ويعتبر الكتاب مرجعا هاما فى الشؤون والابحاث الدستورية والبرلمانية .

٭ نوقشت فى كلية اللغة العربية بجامعة الازهر رسالة الدكتوراه المقدمة من محمد زين العابدين حسن سلامة وموضوعها « الشمني وكتابه شرح قواعد الاعراب » وكانت لجنة المناقشة مؤلفة من الدكاترة عبد العظيم الشناوي مشرفا وعبد الحميد طلب ويحيى عبد المعطي عضوين .

٭ انتقل الى رحمة الله محمد ابو زهرة وكيل كلية الحقوق بجامعة القاهرة سابقا واستاذ الشريعة الاسلامية بقسم الدراسات العليا ووكيل معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة وصاحب المؤلفات المشهورة عن الائمة الاربعة والفقه الاسلامي ولقد كان الفقيد رحمه الله من ابرز الدعاة العاملين فى نشر التعاليم الاسلامية والدفاع عنها .

وكان نشاط الفقيد رحمه الله يتجلى فى الوعظ والارشاد فى المساجد والمجتمعات العامة وفى قاعات المحاضرات على طلابه فى الجامعة وفى كتبه المنتشرة فى مختلف ديار العالم الاسلامي . ومن ابرز كتبه موسوعة الفقه الاسلامي والزواج والطلاق والحدود والقصاص والجريمة والعقاب فى الشريعة الغراء وعن ائمة الاسلام ابو حنيفة ، والشافعي .. ومالك واحمد بن حنبل .

ومما يؤثر عنه رحمه الله انه كان الوحيد من بين اساتذة الشريعة الاسلامية فى الكلية الذى يفصل بين الطلاب والطالبات فى مدرجات الكلية اثناء القائه محاضراته .

كما كان يستخدم قاعات الدرس لنشر الوعي والثقافة الاسلامية بين الطلاب ..

رحم الله الفقيد رحمة واسعة واسكنه فسيح جناتـه ..

* بحث الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف المصري مع تنكو عبد الرحمن رئيس اللجنة التحضيرية لبنك التنمية الاسلامي الخطوات التي تمت لانشاء البنك والتأييد الكامل الذي لقيه من الرئيس انور السادات .

ويساهم البنك في المشروعات الانتاجية بالدول الاسلامية . ويبلغ رأسماله الفي مليون دولار .

* نوقشت بكلية دار العلم بالقاهرة رسالة الماجستير المقدمة من عبد الفتاح محمد محمد عثمان وموضوعها « شعر المراة في العصر العباسي » وكانت لجنة المناقشة مؤلفة من الدكاترة عبد الحكيم بليغ مشرفا و حمد الحوفي ولطفي عبد البديع عضوين.

* اعلنت مجلة « الطليعة » المصرية في عددها الاخير ، انها ، ابتداء من ابريل 1974) ستصدر ملحقا جديدا بعنوان « الفلسفة والعلم » .

وترى « الطليعة » ان مثل هذا الملحق بات يشكل ، بالموضوعات التي ينبغي ان يطرحها ، مطلبا موضوعيا للمجتمع المصري والمجتمع العربي و « تضيف لمجلة القاهرية ان هناك « مجالين يتقدمان غيرهما من المجلات الاخرى وهما : « الفلسفة والعلم » وهذان المجالان فيهما من الخصوبة بقدر ما فيهما من الغموض ، والمطلوب عندئذ ازالة الغموض وكشف الخصوبة مع اثرائها .

وليس من سبيل الى ذلك سوى طرح القضايا النظرية في اطار حوار يتميز بالحرية واتساع الافق مع التزام الواقع الاجتماعي في تطوره نحو تحرير الانسان من استغلال الانسان » .

وسوف يصدر الملحق كل اربعة شهور .

* « الله احد » كتاب نشره المجلس الاعلى للثقافة الاسلامية للاستاذ محمد عبد الرحمن عوض .. والكتاب في العقيدة الاسلامية يبحث في مسالة التوحيد .

* نوقشت بكلية دار العلوم بالقاهرة رسالة الدكتوراه المقدمة من حسن محمد شرف وموضوعها « دراسة وتحقيق كتاب الافعال لابي عثمان سعيد بن محمد السرقسطي » .

* «سيناء الحرب والمكان» اسم الكتاب الذي صدر بالقاهرة للصحفي محمود المراغي . تناول الكتاب التاريخ العسكري لسيناء وبه مجموعة من الوثائق السرية التي تنشر لاول مرة عن اطماع اسرائيل في الاراضي المصرية .

* فاز وزير الثقافة المصري يوسف السباعي (56 سنة) بجائزة الدولة التقديرية في الاداب لعام 1973 كما فاز فنان الاسكندرية سيف وانلي (67 سنة) بجائزة الدولة التقديرية في الفنون وفاز الدكتور محمد حلمي مراد (54 سنة) بجائزة الدولة التقديرية للعلوم الاجتماعية . قيمة الجائزة 2500 جنيه زائد ميدالية ذهبية . كما قرر المجلس الاعلى للفنون والاداب اهداء 8 جوائز تشجيعية قيمة الواحدة منها 500 جنيه . هذا وقد تنازل يوسف السباعي عن قيمة جائزته .

* تجري حاليا محاكمة شبكة كانت تعمل لافساد الاخلاق والضمائر في مصر العربية المسلمة وقد ثبت من التحقيق ان هذه الشبكة يشترك فيها مجموعة من العاملين في السينما والمسارح ..

وتقول المصادر المطلعة انه ستنزل اقصى العقوبات بافراد هذه الشبكة .

* توفي في القاهرة الاديب عبد الحميد جودة السحار رئيس هيئة السينما على اثر اصابته بضعف في عضلة قلبه . بدا السحار كتابة القصة منذ 38 سنة متخصصا في الكتب والقصص الاسلامية واهمها « ابو ذر الغفاري » و « سعد بن ابي وقاص » و « وبلال مؤذن الرسول » و « ابناء ابي بكر » و « اهل البيت او محمد والذين معه » وهو اضخم عمل روائي اسلامي استغرق منه 5 سنوات ومن اهم رواياته « في قافلة الزمان » و « الشارع الجديد » و « النقاب » و « فجر الاسلام » .

* صدر بالقاهرة احدث كتاب لانيس منصور وعنوانه « شيء من الفكر » .

* نوقشت بقاعة الامام محمد عبده بالازهر رسالة الدكتوراه المقدمة من ابي المجد السيد نوفل مفتش الوعظ . موضوع الرسالة « العوامل التي تساعد على نشر الاسلام في العالم المعاصر » .

* صدر في سلسلة « كتاب اليوم » بالقاهرة كتاب جديد لتوفيق الحكيم عنوانه « انا والقانون .. والفن » .

* نوقشت بكلية الآداب بجامعة عين شمس رسالة الدكتوراه المقدمة من محمد السعيد عبد المؤمن رمضان وعنوانها « الظواهر الادبية في عصر الدولة الصفوية » .

* خصصت وزارة الاوقاف المصرية نصف مليون جنيه للاحتفاظ بالتراث الاسلامي للمساجد الاثرية وتجديد وترميم ما تهدم منها . وتقوم وزارة الاوقاف حاليا في هذا الاطار بتجديد مسجد عمرو بن العاص الذي ينتهي العمل فيه في اول رمضان القادم حيث تبدأ اقامة الشعائر الدينية فيه . كذلك تقوم الوزارة بترميم مسجد المؤيد الاثري كما تجري الاتصالات مع عدد من الدول العربية والاسلامية لبحث امكان انشاء جمعية اسلامية هدفها العمل على انقاذ الآثار الاسلامية .

* رشح المجمع اللغوي بالقاهرة الدكتور مهدي علام لجائزة الدولة التقديرية في الآداب ومحمد رفعت لجائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية .

* اقيم مهرجان ادبي للشاعر الفقيد عزيز اباظة في القاهرة لمدة 3 ايام في شهر مارس الاخير على مستوى البلاد العربية . نظمت المهرجان وزارة الثقافة المصرية بالاشتراك مع مجلس الفنون و لمجمع اللغوي وجمعية الادباء .

* « بطل بني شيبان » كتاب جديد صدر بالقاهرة للاديبين علي الجمبلاتي وعبد المنعم قنديل وهو الكتاب الثامن في سلسلة ابطال الفتح الاسلامي .

* «اصول النحو العربي» احدث كتاب للدكتور محمد عيد الاستاذ بدار العلوم بالقاهرة . اصدر كتابين قبل ذلك احدهما « النحو المصفى » والثاني « الرواية والاستشهاد باللغة العربية » .

* « اوراق اعتماد لدى المقصلة » عنوان ديوان شعر صدر حديثا بالقاهرة لشاعرين عربيين هما الشاعر الفلسطيني عبد الرؤوف يوسف والشاعر اليمني حسن اللوزي .

* في ندوة عقدها المجمع اللغوي بالقاهرة ليستمع الى د. نيلسون بشاي استاذ اللغويات المصري في جامعة هارفارد الامريكية وهو يلقي بحثه حول تطبيق المناهج اللغوية الحديثة على اللغة العربية. اصبح بعض اعضاء المجمع قائلين : ان ما عرضه الباحث من وقائع خاصة بتاريخ تطوير النحو العربي غير صحيحة ، وان ما عرضه يقضي على اللغة العربية وقواعدها .

* د. حسين نصار رئيس قسم اللغة العربية بآداب القاهرة قرر طبع البحث الجديد وعرضه للمناقشة العلنية في 27 من الشهر الحالي ليرد فيها الباحث على معارضيه من اساتذة العربية واللغويات . د. نيلسون قال ان ابحاثه اثمرت في مجال استخدام العقل الالكتروني في ترجمة المقالات العربية وتعليم التلاميذ العربية الصحيحة في اشهر قليلة .

* نوقشت بكلية التربية بجامعة الازهر رسالة الماجستير المقدمة من فاروق عبد السلام وموضوعها « التعصب الفكري وخصائص الشخصية » وكانت لجنة المناقشة مؤلفة من الدكاترة احمد عبد العزيز سلامة مشرفا وعضوية جابر عبد الحميد جابر وسيد محمد غنيم .

* صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب « نشأة الصحافة العربية بالاسكندرية 1873 – 1882 » تاليف عبد العليم القباني في 126 صفحة . ويعرف الكتاب في ايجاز بنشأة الصحافة العربية في مدينة الاسكندرية في الفترة من 1873 – 1882 ويلقي الضوء على الصحف والصحفيين مع تقويم دور كل منهم في اطار البيئة والظروف التي احاطت بالصحافة العربية في المدينة خلال تلك الفترة .

* نوقشت بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة رسالة الدكتوراه المقدمة من عبد المجيد محمود

مطلوب المدرس المساعد بحقوق جامعة عين شمس وموضوعها «نظرية الارادة المنفردة فى الفقه الاسلامي» وكانت لجنة المناقشة مكونة من الدكاترة محمود شوكت العدوي عميد الكلية مشرفا وعضوية ابراهيم دسوقي الشهاوي ومحمد زكريا البرديسي .

* اصدر وزير الثقافة يوسف السباعي قرارا باختيار الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي عضوا فى لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والآدب بالقاهرة.

* صدر فى القاهرة كتاب « الاتجاهات الفنية فى الشعر الفلسطيني المعاصر » وهو الرسالة التى حصل بها كامل السوافيري على الدكتوراه من كلية دار العلوم ومما يذكر ان الدكتور السوافيري قد تحرر من قيود الوظيفة وتفرغ للبحث والدراسة فى الادب والنقد وينوي ان يقوم بجولة يزور فيها البلاد العربية ليحصل على زاد جديد لابحاثه المقبلة .

* ستحتفل جريدة الاهرام المصرية فى السنة القادمة بذكرى مرور قرن على تاسيسها . آخر رئيس تحرير كان محمد حسنين هيكل الذى امضى فيها 17 سنة .

* اول رسالة دكتوراه فى العالم تعدها فتاة فى القانون البحري صاحبتها مصرية هي هانم محمد حسن الموظفة فى مجلس الدولة بالقاهرة والتى حصلت على 3 دبلومات من جامعة القاهرة فى القانون العام والخاص والاداري .

* نوقشت فى كلية اللغة العربية بجامعة الازهر رسالة الدكتوراه المقدمة من حازم طه مجيد المدرس بكلية آداب الموصل وموضوعها « المبرد ـ ثقافته وآدابه » وكانت لجنة المناقشة مؤلفة من الدكاترة : محمد عبد المنعم خفاجي مشرفا وعضوية عبد الرحمن عثمان وعبد الحميد يونس .

* كان اول المشروعات التى بادر اليها يوسف السباعي فور توليه وزارة الثقافة اصدار مجلة جامعة باسم « الثقافة » وقد صدر العدد الاول منها وكان النصيب الاوفر من العدد خاصا بالفقيد الكبير محمود تيمور رائد القصة العربية ومن كتابه مصطفى السحرتي ورضوان ابراهيم وعبده بدوي والحساني عبد الله وعبد الرحمن فهمي ومحمود البدوي . ورئيس تحرير المجلة الدكتور عبد القادر القط ونائب رئيس التحرير عبد العزيز الدسوقي .

* « الشاطيء والبحر » مجموعة قصص جديدة تاليف ابراهيم المصري صدرت فى مطبوعات «الجديد» لرئيس تحريرها الدكتور رشاد رشدي .

* نوقشت بكلية دار العلوم بالقاهرة رسالة الدكتوراه المقدمة من يوسف نوفل عن « محمد عبد الحليم عبد الله» وكانت لجنة المناقشة مؤلفة من الدكاترة عبد الحكيم بلبع مشرفا وعضوية احمد هيكل وعبد القادر القط .

* صدر فى سلسلة « كتاب روز اليوسف » بالقاهرة « ملامح الشخصية المصرية فى العصر المسيحي » تاليف رأفت عبد الحميد تقديم الانبا غريغوريوس اسقف البحث العلمي .

* صدر فى القاهرة الكتاب رقم 13 لفتحي الابياري وعنوانه « ادباؤنا والحب » يحلل فيه رؤية الحب عند عشرة ادباء منهم طه حسين وعباس العقاد ومحمود تيمور .

* نوقشت فى كلية اللغة العربية رسالة الدكتوراه المقدمة من محمود ابو الروس وعنوانها « شواهد النحو فى حماسة ابي تمام » وكانت لجنة المناقشة مؤلفة من الدكاترة محمد رفعت محمود رفعت مشرفا ويحيى عبد العاطي وتمام حسان عضوين .

* صادرت سلطات الامن المصرية مجموعة مصاحف مزورة كانت مرسلة بالبريد العادي الى هيئات ومؤسسات خاصة فى القاهرة والاسكندرية .. ويتركز التزوير على حذف الآيات التى تتحدث عن اليهود وعن عيسى ابن مريم عليه السلام وتعتقد اوساط الامن المصرية ان هذه المصاحف مزورة فى اسرائيل ، اذ انها شبيهة بالمصاحف التى صودرت فى دول الخليج قبل اشهر وقد اكتشف التحقيق يومئذ ان التزوير تم باصابع اسرائيلية .

* نوقشت فى كلية اصول الدين بالقاهرة رسالة الدكتوراه المقدمة من عبد المنعم السعيد نجم المدرس

المساعد بالكلية وموضوعها «سنن ابي داود السجستاني» في الحديث » .

❊ لجنة القصة بالمجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة تعد دراسة عن الدكتور طه حسين ستظهر في كتاب في الذكرى الاولى لوفاته .

❊ انتهى مجلس اللغة العربية في القاهرة من اعداد اول معجم حديث ، متخصص في الجغرافية ، يقع في 300 صفحة ، ويضم حوالى 500 من ادق المصطلحات العامية في هذا المجال .

يعتبر هذا المعجم احد الاسس الهامة في تعريب التعليم الجامعي اعدته مجموعة من خبراء لجنة المجمع الجغرافي .

❊ صدر عن الثقافة الاسباني العربي بمدريد مجموع مختار من الشعر العراقي ونثره مترجما الى اللغة الاسبانية .

❊ جامعة الاسكندرية ستصدر مجلة ثقافية يحررها اعضاء هيئات التدريس .

❊ « عشت الف عام » عنوان الكتاب الذي صدر بالقاهرة لفنان الشعب الممثل يوسف وهبي يحتوي على الجزء الاكبر من مذكراته في الفن والحياة .

❊ « مستويات العربية المعاصرة في مصر » كتاب جديد للدكتور السعيد بدوي استاذ علم اللغة بدار العلوم ومدير قسم اللغة العربية بالجامعة الامريكية بالقاهرة . الكتاب دراسة جادة شائقة .

❊ صدر في القاهرة « بريطانيا والخليج العربي من عام 1780 — 1880 » تأليف الكاتب الصحفي محمد امين عبد الله . الكتاب يتضمن وثائق هامة عن نظرة بريطانيا للخليج قديما وحديثا .

❊ اعلنت صحيفة (الاهرام) ان اللغات الاجنبية ستدرس في مصر منذ التعليم الابتدائي ، واوضحت انه سيقع اللجوء الى عدد كبير من رجال التعليم الفرنسيين والانجليز .

تركيـــــا :

❊ في تركيا قام نجم الدين اربكان بزيارة الى السعودية على راس وفد كبير لتقوية العلاقات بين البلدين صرح بأن القدس بلدنا ، ولا حل الا بعودة الشعب الفلسطيني الى دياره . وقال اربكان زعيم حزب السلامة الاسلامي .. اننا في تركيا نؤيد جميع القضايا الاسلامية .

❊ في حديث خاص ادلى به وزير العدل التركي شوكت كازان (احد وزراء حزب السلامة الوطني) الى جريدة (ملي كازيتا) قال فيه : انه سيصدر قرارا يمنع فيه كل ما يمس مشاعر الناس واخلاقهم مثل المجلات الخليعة والصحف التي تعيش على الجنس .

❊ لاول مرة منذ خمسين سنة ، في المدارس الابتدائية والمتوسطة في تركيا ، يفرض درس الدين كمادة اجبارية على الطلاب .. وقد لاقى هذا القرار استحسانا كبيرا لدى الشعب التركي المسلم .. وكان اول ثمرة من ثمار حزب السلامة الوطني !! (الجريدة القومية التركية) .

❊ اعيد تشكيل اتحاد طلاب المعاهد الاسلامية العالية في تركيا .. وكان اغلق منذ عدة شهور .

❊ علمت النشرة الصادرة من المركز الاسلامي الثقافي بروما في ايطاليا على اشتراك الحزب الاسلامي التركي لاول مرة في توجيه دفة الحكم داخل الوزارة الائتلافية التي تشكلت في تركيا اخيرا وبرنامج الوزارة الجديدة يشمل مساعدات من الحكومة لبناء مساجد جديدة وهذه هي اول مرة ترتبط فيها الحكومة التركية بمثل هذا العمل منذ دستور عام 1928 .. واعرب الامين العام للمركز عن اطيب تحياته بالنجاح للحكومة التركية الموقرة .

وقال : ان الدول الاخرى التي تحكم وتوجه طبقا للشريعة الاسلامية الغراء تسير بخطوات واسعة نحو التقدم ، وكل ما يحدث من اضطرابات وازمات تجتاح العالم في وقتنا الحالي لا اثر له في هذه الدول .

واضاف ولا شك ان كل ما يفعله الانسان عندما يفكر في الله عز وجل لن يشوبه سوى القليل من

الاخطاء واني لاذكر جيدا بهذه المناسبة حديث الدكتور ميدتشي عضو مجلس الشيخ الايطالي ووزير الخارجية السابق لسفراء الدول الاسلامية بشأن الارض المطلوبة لبناء مسجدنا ، عندما قال كم انتم سعداء ايها المسلمون ان تخصصوا جزءا من وقتكم خمس مرات يوميا لاداء الصلاة والتفكير في خالقكم ..

✻ افرج مؤخرا في تركيا عن الكاتب الاسلامي قدير مصرلي اوغلو بسبب تدهور صحته في السجن .. وكان قد نقل الى المستشفى قبل ثلاثة اشهر ..

وكانت احدى المحاكم قد اصدرت حكمها بسجن الكاتب الاسلامي لمدة اربعة عشر عاما بتهمة العمل على الغاء العلمانية واعادة الحكم الاسلامي لتركيا .

لبنـــــان :

✻ مع مطلع عام 1974 صدر عن دار العلم للملايين ببيروت مرجع اساسي في التربية ، افتقرت اليه المكتبة العربية طويلا ، هو كتاب « التربية عبر التاريخ » بقلم احد اقطاب التربية في البلاد العربية الدكتور عبد الله عبد الدائم .

وينضاف هذا الكتاب الهام الى سلسلة الكتب التربوية الرائدة التي اصدرها المؤلف خلال السنوات الماضية والتي نشرتها دار العلم للملايين ، ليؤلف معها مكتبة تربوية جامعة .

فبعد كتاب « التخطيط التربوي » (الطبعة الثانية 1972) الذي يعتبر المرجع الاول الشامل في هذا الميدان ، وبعد كتاب « التربية العامة » (الطبعة الثانية 1972) الذي يعرض لاسس التربية وفلسفتها ، وبعد كتاب « التربية التجريبية والبحث التربوي » (1968) الذي يعالج اساليب التجريب العلمي في التربية واسس البحث التربوي ، يصدر هذا الكتاب الجديد حول « التربية عبر العصور » ليكون بمثابة موسوعة ميسرة عن تطور التربية ومذاهبها وروادها والاشكال التي عرفتها منذ العصور القديمة حتى النصف الاول من القرن العشرين .

والكتاب بهذا المعنى مرجع شامل ونقطة انطلاق اساسية لكل من اراد ان يكون نظرة وافية سريعة عن نشأة التربية وتطورها عبر التاريخ وفي بلدان العالم المختلفة ، بدءا من التربية لدى الاقوام البدائية ، ومرورا بالتربية الشرقية القديمة ، فالتربية اليونانية والرومانية ، فالتربية في العصر الوسيط في اوربا ، فالتربية العربية في جاهليتها واسلامها ، فالتربية في العصور الحديثة وروادها الكبار ، حتى التربية الحديثة في القرن العشرين ومقوماتها ومدارسها الكبرى .

ويولي الكتاب عناية خاصة للتربية العربية في عصورها المختلفة والمؤسسات التي عرفتها والاساليب التي اتبعتها والمناهج التي وضعتها ولرجالات التربية العربية . كما يولي مثل هذه العناية للتربية الحديثة منذ اوائل القرن العشرين ولمبادئها الاساسية وللطرائق الشهيرة التي سادت فيها ، كطريقة « منتسوري » وطريقة « دوكرولي » وطريقة « دالتون » و « مذهب كرشنشتاينر » وسواها من الطرائق والمدارس التربوية الحديثة .

ويتوقف الكتاب وقفات مطولة عند اصحاب الانظار في التربية في شتى العصور والامصار ، ويتريث بوجه اخص عند بناة التربية الحديثة من « روسو » الى « بستالوتزي » الى « فروبل » الى «هربارت» و « سبنسر » ، فضلا عن اصحاب المدارس الحديثة في القرن العشرين .

واهم ما في هذا الكتاب انه يربط ربطا وثيقا بين الاتجاهات التي عرفتها التربية في عصورها المختلفة وبين اتجاهات التربية الحديثة اليوم ، مقارنا بين الجانبين ، باحثا عن جذور « التجديد التربوي » الذي شاع في العقدين الاخيرين ، منقبا عن اصوله التاريخية البعيدة او القريبة .

ويقع الكتاب في 680 صفحة ، ويشتمل على احد عشر بابا ، ويضم فهارس علمية تكشف عن طابعه الموسوعي : فبالاضافة الى فهارس الاعلام يشتمل « الكتاب ـ الموسوعة » على فهارس للقبائل والشعوب والامم ، واخرى للغات والمذاهب والفنون ، وثالثة للدول والمدن والمؤسسات ، ورابعة للاحداث والوقائع ، وسواها من الفهارس الشاملة الميسرة .

✻ دعت جمعية المكتبات اللبنانية لحضور افتتاح معرض « كتب المطالعة للاطفال والاولاد » برعاية وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة الذي اقيم في صالة وزارة السياحة .

✻ صدر عن دار الثقافة في بيروت ديوان « من خوابي ازمن » للشاعر شكر الله الجر ويقع في 200 صفحة حجم كبير ومزين برسوم بريشة الشاعر .

✻ صدر عن د ر النسر المحلق للطباعة والنشر في بيروت كتاب « جبران خليل جبران في دراسة تحليلية تركيبية لادبه ورسمه وشخصيته » تاليف الدكتور غزي فؤاد براكس ويقع الكتاب في 494 صفحة كبيرة ويضم عدة لوحات .

✻ يعد الاديب والمربي رفيق عطوي رسالة للماجستير عن « قابوس بن وشمكير » احد شعراء الفارسية في العصر العباسي الرابع وسوف تقدم الرسالة الى قسم اللغة العربية في الجامعة اللبنانية .

✻ اقيم في مدينة بعلبك مهرجان خطابي كبير بمناسبة ازاحة الستار عن تمثال خليل مطران شاعر الاقطار العربية ، تكلم فيه من مصر الشاعر صالح جودت ، ومن العراق الشاعرة لميعة عمارة ، ومن لبنان كل من نقيب الصحافة رياض طه والشاعر سعيد عقل والمؤرخ يوسف ابراهيم يزبك ورئيس الحكومة تقي الدين الصلح الذي مثل رئيس الجمهورية في المهرجان وقد حضر المهرجان صانع التمثال النحات المصري عبد الحميد حمدي وقد صب التمثال بالبرونز في ايطاليا وحضر المهرجان حشد من المثقفين والمواطنين .

✻ يصدر قريبا في بيروت كتاب « سمفونية النور » للشاعر اللغة الفرنسية شارل القرم بعد مرور عشر سنوات على وفاته . وينتظر ان يكون لهذه المجموعة الشعرية مركز متألق في دنيا الشعر اللبناني باللغة الفرنسية . وقد وضع مقدمة الكتاب الشاعر باللغة الفرنسية للشاعر شارل القرم بعد مرور عشر تربطه بالفقيد صداقة قوية ممزوجة باعجاب كبير . وسيكون للمقدمة ايضا دوي في دنيا الادب .

✻ صدر عن دار البشير في بيروت كتاب « عظماؤنا في التاريخ » في 220 صفحة . وهو مجموعة ابحاث كتبها الدكتور مصطفى السباعي ، جمعها وحققها وقدم لها وضبط نصوصها الاديب الحلبي عبد الله الطنطاوي .

✻ دعت جمعية متخرجي المقاصد الاسلامية في بيروت الى حضور ندوة حول فكر المفكر الجزائري الفقيد مالك بن نبي في تقديم للمحامي عمر مسقاوي .

✻ يصدر هذه الايام عن (مؤسسة الدراسات العربية) ببيروت كتاب (الموسوعة السياسية) باشراف عبد الوهاب الكيالي وكامل زهيري ، واشترك في تحريرها الدكتور سعد رزوق ، محمود حداد ، ماجد نعمه ، زاهي ناصر ، عدنان كيالي ، مهى بطاس ، ابراهيم ناصر ، ومحمد زايد . وقد استغرق اعداد الموسوعة 3 سنوات ، وتشتمل على احدث المواضيع السياسية ، وتفسر المصطلحات وكل ما يرتبط بالسياسة من مصطلحات اقتصادية وعسكرية وفكرية وتاريخية ، كما تهتم بالشخصيات السياسية والاحزاب السياسية والدول والاحداث السياسية الرئيسية .

✻ اقامت دائرة اللغة الانجليزية وآدابها في الجامعة الامريكية ببيروت واللجنة المئوية لمولد امين الريحاني ندوة حول رواية الريحاني « كتاب خالد » في قاعة الوست هول بالجامعة الامريكية اشترك فيها الدكاترة : سهيل بشروئي رئيس دائرة اللغة الانجليزية وآدابها ودونالد براون الاستاذ الزائر في دائرة اللغة الانجليزية وآدابها وهيوهار كورت رئيس برنامج الدراسات الثقافية وفؤاد خوري رئيس دائرة الاجتماع والعلوم الانسانية وبيتر سميث رئيس دائرة الفنون الجميلة .

✻ احيت لجنة اصدقاء المفكر الاسلامي الجزائري مالك بن نبي ذكرى وفاته في قاعة اليونسكو ببيروت في حفل خطابي تحدث فيه سماحة الامام موسى الصدر وفضيلة الشيخ مهدي شمس الدين والشاعر عمر ابو ريشة والمحامي عمر مسقاوي والسيد حسن الامين وقد نوه الخطباء بمواقف المفكر الاسلامي وفي كتاباته .

✻ صدر في بيروت « معجم الحروف والظروف » تاليف يوحنا قمير الذي وضع مواده حسب ترتيب المعاجم الحديثة وشرح كل حرف او ظرف فيه شرحا بسيطا واضحا يفي بالمراد ويلقي ظلا على ما يرغب الاديب او الطالب في الحصول عليه ويقع الكتاب في 144 صفحة ويطلب من مكتبة لبنان ببيروت .

* طلب قاضي التحقيق فى بيروت بسجن صاحب صالة سينما مدة سنة لانه اقدم على عرض افلام خليعة ضمن البرنامج العادي متجاوزا مراقبة الامن العام . وقد احال المحقق الاول صاحب القاعة والموزع والعاملين معه على المحكمة .

* صدرت عن «دار الادب» فى بيروت ترجمة رواية « صيادون فى شارع ضيق » لجبرا ابراهيم جبرا ، التى كتبها باللغة الانجليزية ونشرها عام 1960 .

قام بالترجمة محمد عصفور ، مؤكدا بأن الرواية ملك الادب العربي قبل ان تكون ملك اللغة التى كتبت بها .

كتب المستشرق الانكليزي « دنيس ديفيز » عنها : انها رواية افكار وشخصيات بالدرجة الاولى» وقال عنها عبد الواحد لؤلؤة ، ان اهميتها هي فى قدرة الكاتب على تكديس جميع هذه الشخصيات والافكار والمواقف فى بوتقة صغيرة وجعلها تتحرك فى مختلف الاتجاهات .

ولجبرا ابراهيم جبرا ، رواية ثانية صدرت قبل سنتين بعنوان : « السفينة » .

* « الدبلوماسي العربي ممثل دولة ام حامل رسالة ؟ » كتاب جديد صدر فى بيروت تأليف الدكتور حسن صعب استاذ علم السياسة فى الجامعة اللبنانية يطرح فيه بضوء خبرة ربع قرن فى العمل الدبلوماسي العربي على صعيدين : صعيد التحديات الوجودية التى يعانيها العرب والتى تتحكم بتعاطي الدبلوماسي العربي مع الآخرين من حيث الجوهر ، وصعيد الوظائف اليومية الدبلوماسية والقنصلية التى تنظم تعاطي الدبلوماسي العربي مع الآخرين من حيث الشكل . فأي دور يختاره الدبلوماسي العربي لنفسه متفاعلا مع التحديات الوجودية والوظائف الشكلية : أدور سفير الدولة ام دور حامل الرسالة ؟ انه كتاب جديد يثير فيه الدكتور صعب معضلة وجودية عربية شأنه فى سائر مؤلفاته السابقة .

السعودية :

* بعثت جامعة الرياض هذا العام تسعة من موظفي اقسام المكتبات فيها الى الولايات المتحدة الامريكية لتحضير الماجستير فى دراسة علم المكتبات ، كما ان الجامعة ستبعث فى العام المقبل اربعة من معيدي المكتبات لتحضير الماجستير والدكتوراه للتخصص فى المكتبات واقسامها ، وتأتي هذه الخطوة فى نطاق تدعيم اقسام المكتبات فى الجامعة بالمتخصصين .

* اصدرت جريدة « لاهرام» عددا خاصا عن المملكة العربية السعودية وقد شمل ملامح عن نهضتها فى شتى المجالات بالاضافة الى لمحة تاريخية عن آثارها ومناطقها التاريخية ومصايفها الجميلة .

* تحدث وزير المعارف السعودية عن اهم المشاريع التى تنفذها وزارة المعارف فى الميزانية الجديدة فقال : تمثل مشروعات الوزارة فى احداث المدارس وفى الانشاءات للابنية المدرسية والمكتبات العامة ومشروعات التعليم الفني والاستاذات الرياضية ومراكز الوسائل التعليمية .

* حرص الملك فيصل على ان يقدم لهنري كيسنجر نسخة من بروتوكولات حكماء صهيون .

* صرح مدير التعليم بمنطقة ابها فى المملكة العربية السعودية بأن عدد مدارس منطقة عسير وصل الى 170 مدرسة ابتدائية و 25 مدرسة متوسطة واربع مدارس ثانوية و 65 مدرسة للثقافة الشعبية ومعهدا ثانويا للمعلمين وبهذا يصبح مجموع مدارس منطقة عسير 265 مدرسة يدرس بها 304.500 طالبا اضافة الى ان عدد المدرسين والاداريين فيها بلغ 2.506 موظفين . واضاف قائلا : لقد تم اتمام 22 مشروعا للتعليم فى المنطقة وتسعة مشاريع تحت الدراسة اضافة الى ان وزارة المعارف تعتزم اقامة ثانوية مهنية وثانوية زراعية بالمنطقة ومعسكر كشفي هذا خلاف بيت الشباب الذى تقرر انشاؤه فى منطقة عسير والذى سيكون جاهزا قريبا لاستقبال ابناء المملكة والمقيمين فيها .

* تلقى الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير المعارف السعودية والرئيس الاعلى لمجلس العلوم والفنون والآداب تقريرا من الملحق الثقافي السعودي للشؤون الاعلامية والنشر فى بيروت تضمن معلومات

من الحركة التربوية والفكرية والثقافية فى العالم العربي للآونة الاخيرة كما تضمن معلومات عن المركز الدولي اعلوم الانسان والانماء فى لبنان وما ينفقه العالم على التربية فى البلدان النامية وبعض المؤتمرات التربوية الاخرى .

* قال مدير عام وكالة الانباء السعودية المساعد فى تصريح صحفي حول نتائج الاجتماع الذى عقد مؤخرا فى القاهرة لمديري وكالات الانباء العربية بأن من بين المواضيع التى بحثت فى هذا الاجتماع توحيد السياسة الاعلامية العربية .. بحيث تخدم القضايا العربية والاسلامية فى جميع انحاء العالم .

* طلبت رابطة العالم الاسلامي فى مكة المكرمة من وزارة العدل فى المملكة تزويدها بصورة من قرارات المحاكم الشرعية بالمملكة المتضمنة احكاما شرعية بطرد القاديانيين من المملكة وذلك لاستكمال الاوراق المتوفرة لدى الرابطة عن هذه النحلة الضالة واتباعها.

* وافقت اللجنة التنفيذية للبحوث والنشر فى جامعة الرياض برئاسة الدكتور عبد العزيز الفدا مدير الجامعة وافقت على طباعة عدد من البحوث والمؤلفات العلمية التى يمكن اعتبارها مراجع مباشرة لطلبة الجامعة .

* تقوم حاليا لجنة مكونة من امارة منطقة عسير ووزارة المعارف السعودية ووزارة المالية لتحديد مواقع الاماكن الاثرية فى مدينة جرش الاثرية . كما تدرس اللجنة موضوع الاماكن المطلوب نزع ملكيتها بعد ان اكد خبير الآثار وجود آثار قديمة فى هذه المدينة وذلك رغبة من وزارة المعارف السعودية فى المحافظة على هذه الآثار .

* . اكدت تحاليل مخبرية خلو ماء زمزم من اي تلوث .. فقد وضع الدكتور يوسف عبد المنان رئيس قسم الكيمياء بكلية التربية بمكة المكرمة بحثا خاصا عن ماء زمزم .. مستندا على التحاليل المخبرية التى اجراها واكد بها خلو ماء زمزم من اي تلوث .. وهذه التحاليل تدحض افتراء اعداء الاسلام والمسلمين وتؤكد بلا شك نظافة ماء زمزم ..

* اول كتاب عن النظام التجاري فى المملكة العربية السعودية صدر فى 250 صفحة بعنوان « الوجيز فى النظام التجاري السعودي » تأليف الدكتور سعيد يحيى مدرس القانون التجاري والبحري بجامعة القاهرة والمعار لجامعة الرياض .

* التلفزيون الملون دخل السعودية في ابريل ، ويستعد التلفزيون العربي لانتاج عدة افلام ملونة واستعراضية ليمد بها تلفزيون السعودية الملون ، منها فيلم ينتجه المخرج السعودي محمد القزاز ويلعب بطولته عادل امام وهالة فاخر .

* قررت وزارة المعارف السعودية ابتعاث 25 موظفا من خريجي الجامعات السعودية الى الولايات المتحدة للتدريب فى مجالات التعليم المختلفة .

* وصل الى صنعاء على طائرة سعودية مائة مدرس مصري للعمل فى الجمهورية العربية اليمنية وهؤلاء المدرسون هم من اصل 350 مدرسا تعاقدت معهم المملكة العربية السعودية والجمهورية اليمنية.

الاردن :

* عقدت فى نادي خريجي الجامعة الاردنية ندوة حول قضية القدس حاضرها وماضيها، تحدث فيها الوزير الاسبق محمد اديب العامري عن ارتباطات العرب بمدينة القدس منذ القدم وكيفية نشوء هذه العلاقة والتراث الذى خلفه العرب فى القدس قبل الاسلام .

وتلاه الوزير السابق الشيخ عبد الحميد السائح وتحدث عن قدسية بيت المقدس فى عهد الاسلام وارتباط المسلمين بالمدينة وما تضمه من تراث وذكريات وامجاد ارتبطت بعقيدة المسلمين وتاريخهم، ثم تكلم روحي الخطيب امين القدس العربية وقد طرده اليهود منها ، تكلم عن اوضاع القدس فى ظل الاحتلال الاسرائيلي والانتهاكات التى تقترفها ضد حرية الاماكن المقدسة وتغيير المعالم الحضارية وطرد المواطنين العرب منها .

* صدر فى عمان بالاردن « ملامح من الغرب » للكاتب القصصي محمود سيف الدين الايراني والكتاب

من منشورات دائرة الثقافة والفنون الاردنية وقد ضمنه المؤلف بعض وقفات فى رحلاته الى اقطار القرب تلك الوقفات التى كثر فيها القول واتخذ مما كانت تقع عليه العين سببا لفكرة فى الادب او راي فى الفن او خاطرة اوحت بها احوال الحياة الاجتماعية فى تلك العواصم التى زارها ، واسلوب الايراني الذي يغري القارىء بالاستزادة كفيل بنشر الكتاب .

❊ فجعت عمان بعلم من ابرز اعلامها هو المرحوم الشيخ نديم الملاح ابن طرابلس الشام مولدا والاردني علما وفقها وادبا ، وهو يعتبر من بناة المملكة الاردنية الهاشمية فى التربية والتعليم والقضاء والصحافة ،

❊ قصائد من عيون امراة « مجموعة من الشعر الحديث للشاعر على فودة تدور حول حب الارض وذكريات من القرية الحزينة والضياع الذى تعرض له شعبه الفلسطيني .

وقسم الديوان الى لوحات اللوحة الاولى فى قصائد ، واللوحة الثانية اوراق من دفتر الاحزان والسفر والقسوة ، واللوحة الثالثة حجر الذكريات ، واللوحة الرابعة من مفكرة انسان فى القرن العشرين ، واللوحة الخامسة الاغتسال فى بحر الدم العربي .

❊ اخذت وزارة الاوقاف الاردنية تستعين بأهل الاختصاص من حملة الشهادات العليا للاستفادة منهم فى الوعظ والارشاد على الاساليب الحديثة وفى سبيل استقطاب اكبر عدد منهم خصصت الوزارة مخصصات مالية تدفع مكافاة عن كل جهد فى هذا السبيل .

❊ اعلنت الحكومة الاردنية رسميا منع عرض جميع الافلام السينمائية والتلفزيونية التى تتسم بالعنف والرعب وسفك الدماء والخلاعة والجنس والكراتيه التى تثير الغرائز على نفسية المشاهد لانها افلام مضرة تحبذ الناس لارتكاب الجرائم . وينطبق على هذا المنع كل اللافتات الدعائية والصور التى تلصق على الجدران فى الشوارع العامة .

❊ علم ان مؤتمرا دوليا لعلماء التاريخ فى العالم سيعقد فى عمان فى مطلع العام المقبل بدعوة من الجامعة الاردنية .

❊ قررت اللجنة الاردنية للترجمة والنشر رفع كتاب الى رئيس الوزراء بالموافقة على انشاء مجمع لغوي فى الاردن . كما قررت المباشرة بطبع كتاب « معجم الرياضيات » . وتشكيل لجان لوضع خطط لترجمة المصطلحات الاسلامية الى اللغتين الانجليزية والفرنسية . وترجمة ثلاثة كتب تربوية عن اللغة الانجليزية .

❊ تسلمت الجامعة الاردنية مبلغ 25 الف دينار تبرعا من مصفاة البترول الاردنية لاقامة ملحق مبنى الكيمياء فى كلية العلوم .

❊ اصدر محمد عبد السلام الزيات امين عام مجلس الامة المصري وهاني خير امين عام مجلس الامة الاردني كتاب « احكام الدستور والاجراءات البرلمانية فى التطبيق » ويعتبر الكتاب مرجعا هاما فى الشؤون والابحاث الدستورية والبرلمانية .

❊ عاد الى عمان قادما من بغداد الوفد الاردني لمؤتمر الوثائقيين العرب المؤلف من سليمان عيسى وعيسى الجهماني من كبار موظفي وزارة الثقافة والاعلام . وقد حث المؤتمر الدول العربية على تاسيس دوائر او مؤسسات مستقلة للوثائق وانشاء معهد لتدريب الوثائقيين فى احدى العواصم العربية واصدار مجلة فى بغداد تنطق باسم الوثائقيين العرب .

❊ افتتح طلال حكمت مدير دائرة الثقافة والفنون الاردنية عرض مسرحية « عفاريت القرن العشرين » على مدرج الجامعة الاردنية وقد قدمتها فرقة «صوت الاردن للانتاج الفني » بالتعاون مع الجامعة الاردنية

❊ قررت وزارة التربية والتعليم الاردنية اعتبار كتاب « الى ولدي » للمرحوم الدكتور احمد امين ليكون كتاب مطالعة للصف الاول الثانوي فى مبحث اللغة العربية .

❊ صدر الجزء الثاني من تاريخ علم الحساب عن اللجنة الاردنية للتعريب والنشر والترجمة « الفصول فى الحساب الهندي » لابي الحسن احمد بن ابراهيم لاقليدس تحقيق الدكتور احمد سعيدان .

* صدرت فى عمان للقاص احمد عودة مجموعة قصصية بعنوان « حينما لا ينفع البكاء » وقصص اخرى كتبها فى تواريخ مختلفة وفيها قصص موفقة جدا ، وقد كتبت بأسلوب اديب سليم .

* عين الشيخ محمد عبده هاشم فى منصب المفتي العام للملكة الاردنية الهاشمية منقولا من مركز الموجه الديني فى وزارة التربية والتعليم .

* اصدر الباحث الاردني نمر سرحال « احياء التراث الشعبي » وقد قامت بطبعه دار فلادلفيا للنشر والتوزيع وهو مقدمة لابحاث مطولة قام المؤلف بدراستها دراسة ميدانية ويعتزم اصدارها فى اجزاء .

* اعلنت دائرة الآثار العامة فى عمان انه تم اكتشاف كهف اثري وعلى بابه صور منقوشة بالصخر فى منطقة ـ البصة ـ التى تبعد حوالي عشرة كيلومترات الى الغرب من عمان .

وقال المدير العام للآثار ان الدراسات الاولية دلت على ان هذا الكهف الذى ظهر ان ارضيته من الفسيفساء الملونة كان يستعمل كنيسة فى العصر البيزنطي ثم استخدم فيما بعد كمكان للسكن فى العصر الاموي ..

واضاف يقول : ان اهم ما اكتشف فى هذا الكهف هو مجموعة من قطع النقود الذهبية والفضية وقطع فخارية اسلامية . .

وقال : ان الكتابة المنقوشة على هذه النقود تعود فى تاريخها الى سنة 702 ـ 732 ميلادية خلال عهد الخليفة عبد الملك بن مروان .. وقال ان عمليات الحفر والتنقيب مستمرة فى الموقع لاكتشاف المزيد من الآثار والمعلومات التاريخية .

* انشأت الجامعة الاردنية قسما للدراسات العليا فى الآثار بكلية الآداب لاول مرة .

الكويـــت :

* سينقل معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية من القاهرة الى الكويت وسيشغل مبنى مستقلا من 40 غرفة وسيدعم بعدد من المتخصصين فى فن المخطوطات من جميع الدول العربية تمهيدا لتحويله لمركز لدراسة المخطوطات .

* يصدر قريبا فى الكويت : عن منشورات رابطة الادباء فى الكويت « الحركة الادبية والفكرية فى الكويت » تأليف الدكتور محمد حسن عبد الله « هدامة » مجموعة قصصية تأليف سليمان الخليفي، وعن منشورات دار ذات السلاسل « ادباء الكويت فى قرنين » الجزء الثاني تأليف خالد سعود الزيد و « المبحرون مع الرياح » .

* مجموعة شعرية لخليفة الوقيان و « الغوص على اللؤلؤ فى المصادر القديمة » تأليف عبد الله الغنيم كما يصدر « المرأة فى الكويت بين الحصير والمقعد الوثير » تأليف لورنس ديونا ترجمة عصام عسيران .

* صدر فى الكويت «على ضفاف مجردة» مجموعة شعرية لفاضل خلف و « رسوم النغم المفكر » مجموعة شعرية لمحمد الفايز .

* الشاعر ابراهيم العريض بعد ان قام برئاسة المجلس التأسيسي فى البحرين سافر لقضاء شهر فى الهند يلقي خلاله عدة محاضرات بدعوة من بعض الجمعيات .

* اصدرت مجلة « البيان » الكويتية فى مطلع شهر فبراير الماضي عددا خاصا بالمسرح الكويتي .

* اتفقت صحف الكويت على تخفيض عدد صفحاتها والتعطل يوما فى الاسبوع لمواجهة ازمة الورق .

ابــو ظبــي :

قال محمد علي بطل العالم السابق فى الملاكمة للوزن الثقيل انه يعتزم اعتزال الملاكمة بعد ان يستعيد لقبه ويكرس حياته للتبشير بالاسلام .

وابلغ الصحفيين عند وصوله الى ابو ظبي امس فى نطاق جولته عبر العالم الاسلامي ان محاولته لاستعادة لقبه من جورج فورمان يمكن ان تجري خلال ستة اشهر او سبعة .

وقال انني جئت الى ابو ظبي لمقابلة اخواني المسلمين الحقيقيين والتعرف عليهم وليس لاقامة اية مباراة في الملاكمة .

واضاف يقول انه يوجد في الولايات المتحدة الآن حوالي مليون مسلم وان العدد قد يرتفع في يوم من الايام الى 40 مليونا .

وقال الا انه من الصعب ان يعيش الانسان حياة اسلامية حقيقية في الولايات المتحدة . لانها بلد الخطيئة .

العـــــراق :

* انتخب الكتاب والمؤلفون العراقيون الباحث هلال ناجي رئيسا لاتحادهم. وجدير بالذكر ان هذا الاتحاد يضم زهاء الخمسمائة من الكتاب والمؤلفين العراقيين، وان مؤلفات الرئيس الجديد المطبوعة جاوزت الثلاثين وقد فاز بعضوية الهيئة الادارية للاتحاد : الدكتور علي الزبيدي وعبد الصاحب الملائكة والدكتور ضياء ابو الحب وحازم سعيد ووحيد الدين بهاء الدين وحازم مشتاق وياسين الحسيني .

* « الاحتيال بما في شعر ابي العتاهية من الحكم والامثال » لابن عبد البر القرطبي بقلم الدكتور محسن جمال الدين استاذ الادب الاندلسي في كلية الآداب بجامعة بغداد ، مستل من مجلة « البلاغ » العراقية العدد الثالث 1973 .

* القى الباحث العراقي الدكتور صفاء خلوصي محاضرة بعنوان « الضاد المغترب » في مقر اتحاد الطلبة العرب بلندن دعا فيها الى السعي لدى الدول العربية للاهتمام بالجالية العربية في انجلترا واقامة كلية عربية في لندن تمنح مختلف الدرجات العلمية في اللغة العربية وآدابها والتاريخ الاسلامي . واقامة مستشفى عربي مع دور تمريض ملحقة به لمعالجة المرضى الوافدين من الاقطار العربية لتوفير مبالغ كبيرة من العملة الصعبة .

* احرز الطالب العراقي عبد اللطيف اطيمش درجة الدكتوراه في الادب العربي من كلية الدراسات الشرقية والافريقية التابعة لجامعة لندن ، وكان موضوع رسالته « الشاعر كشاجم » وهي تضم نيفا وثلاثمائة صفحة وقد نوقشت من قبل المشرف توم جونستون والممتحن الخارجي سارجنت الاستاذ بجامعة كمبرج ، ويبدو ان المشرف قد ارتأى ترك قصائد كشاجم التي استشهد بها الطالب من غير ترجمة الى الانجليزية وكان الافضل الا يوضع النص العربي الى جنب ترجمة انجليزية دقيقة وهو المألوف المتعارف عليهفي مثل هذه الرسائل وقد قامتالمناقشة المغلقة (اي غير العلنية) اكثر من نصف ساعة .

* انجزت الاستاذة نبيلة عبد المنعم داود تحقيق الجزء الرابع من كتاب : « العيون والحدائق في الاخبار والحقائق » وهو لمؤلف مجهول يقال انه عاش في القرن السادس الهجري . كما يقال انه من رجال التاريخ في شمال افريقيا . والكتاب محقق من نسخة وحيدة في العالم موجودة في برلين ، وهي مملوءة بأخطاء كثيرة في اللغة والاملاء . ولكنها تستعمل محلها اخبار ووقائع تاريخية لا توجد في مصدر آخر مما تحت ايدينا .

ويرى الباحث العراقي مكي جاسم ان اسم الكتاب هو « العيون والحدائق في الاخبار والحقائق » اي العيون المحدقة بالاخبار ، ويشاركه الرأي الباحث العراقي عبد الرزاق الهلالي ويخالفهما الباحث المصري محمد عبد الغني حسن الذي يرى ان الحدائق هنا هي جمع « حديقة » بمعنى «الروضة» وان «العيون الجارية بالماء وليس العيون الباصرة ، لان الحديقة لا تأتي في معانيها « المحدقة » .

* صدرت عن مطبعة النعمان في النجف الاشرف بالعراق « الاحذية والنعال » وهو الكتاب الاول في سلسلة « صور من الحضارة العربية الاسلامية » تأليف الدكتور ابتسام مرهون الصفار والدكتور بدري محمد فهد ويقع في 98 صفحة حجم كبير .

* اعد الدكتور خليل ابراهيم العطية واخوه جليل العطية « ديوان ليلى الاخيلية » لطبعة ثانية مزيدة ومنقحة تصدر قريبا في بغداد .

* اعترافات مالك بن الريب ديوان يوسف الصائغ الذي يضم ست قصائد مطولة صدر في بغداد بطبعة ثانية مزيدة .

* احرزت الآنسة العراقية صدى صفاء خلوصي الجائزة الاولى فى مسابقة لرسم احسن غلاف لمجلة فى اكسفورد .

* صدر لجاسم السعدي « الدراسات النحوية واللغوية ومنهجها التعليمي فى البصرة » .

سوريـــــا :

* آخر رواية للكاتب السوري حنا مينه صدرت عن وزارة الثقافة السورية .

* تعتزم وزارة التعليم العالي فى سورية الاحتفال بذكرى مرور سبعمائة سنة على ولادة ابي الفداء المؤرخ الجغرافي العربي .

* اقامت جمعية الفرقة الشعبية للفنون بحلب مهرجانا شعريا قوميا تحت عنوان « الحرف والطلقة يتعانقان » وذلك على مسرح دار الكتب الوطنية وقد اشترك فى المهرجان كل من الشعراء : محمود علي السعيد ومحمد جميل الحافظ وعمر ابو سمرة ونواف الاحمد وعدنان الدربي ومحمد معشوق حمزة وقاسم سيد حسين ومصطفى احمد النجار وعادل اديب آغا .

* « الكميت » كتاب للدكتور محمد حاج حسين يبحث فيه الشاعر الكميت حياته وشعره صدر عن دار الاجيال بدمشق .

* الاديب السوري عبد الغني العطري صدر له عن دار العلم للملايين فى بيروت « قلب ونار » وهو مجموعة قصص مؤلفة ومترجمة ويقع الكتاب فى 192 صفحة كبيرة وقد قدم له عميد القصة العربية الفقيد محمود تيمور .

* صدر فى دمشق كتاب «الدكتور زكي المحاسني» باقلام الذين عرفوه فى ادبه ونضاله من اعلام المفكرين والادباء وذلك بمناسبة الذكرى الاولى لمرور عام على وفاته فى 23 ـ 3 ـ 1972 ويقع الكتاب فى 176 صفحة حجم كبير .

* عبد الله السمان ، صدرت الحلقة السابعة من سلسلة الثقافة الاسلامية .

* من حلب : الباحث والاديب محمود الفاخوري يعكف على تحقيق ديوان ابي محجن الثقفي معتمدا على خمس مخطوطات قديمة مضيفا اليها ما عثر عليه من شعره فى بطون الكتب المختلفة مما نسب اليه او اختلطت نسبته الى غيره . وذلك لنيل شهادة دبلوم الدراسات العليا فى الجامعة اللبنانية .

* اقام اتحاد الكتاب العرب بحلب مهرجانا للشعر فى قاعة المركز الثقافي العربي اشترك فيه كل من الشعراء : لؤي فؤاد الاسعد ، محمد ابو معتوق ، عادل اديب آغا ، عصام ترشحاني ، محمود علي السعيد ، خليل جعلوك ، سعيد رجو ، جلال تضيماتي ، نبيه الشعار . وكانت كلمة الافتتاح لرئيس اتحاد الكتاب العرب فى حلب خليل الهنداوي . وقد قدم الشعراء محمد كمال .

* الروائي والشاعر السوري الدكتور بديع حقي اصدرت له دار الآداب فى بيروت رواية عنوانها « احلام على الرصيف المجروح » وهي تجلو مأساة الانسان الفلسطيني اللاجيء المشرد باسلوب شاعري صاف يعج بالصور الحية المعبرة وتقع الرواية فى 176 صفحة حجم كبير . كما صدر له قبل ذلك عن مطابع دار العلم للملايين فى بيروت « روائع طاغور فى الشعر والمسرح » وهي مجلدة تجليدا فاخرا وتضم المجموعة الكاملة لآثار طاغور فى 488 صفحة .

* « الفرزوق » كتاب جديد من كتب التراجم للدكتور ممدوح حقي صدر فى سلسلة نوابغ الفكر العربي لدار المعارف .

* الاديب سعد صائب ستنشر له مكتبة اطلس بدمشق كتابا عنوانه « دراسات ادبية فى المجالين الابداعي والنقدي » كما ستنشر له وزارة الاعلام العراقية كتابا عنوانه « شعر وشعراء من امريكا الجنوبية » .

* يفتتح قريبا فى دير الزور بسورية اول معرض من نوعه للسلاح العربي القديم . فالبحاثة عبد القادر عياش صاحب الموسوعة الفراتية ـ الى جانب اهتمامه بالكتابة عن وادي الفرات ـ قام بجمع قطع السلاح الحربية القديمة منذ سنين طويلة حتى اصبحت لديه مجموعة كبيرة منها تؤلف احد اجنحة متحفه الكبير

الذى انشأه بجهوده الشخصية فأصبح المتحف الوحيد فى دير الزور . تضم المجموعة عددا كبيرا من السيوف والرماح والبنادق والمسدسات والحراب والعصي والدبابيس والفؤوس والمدى بالاضافة الى الوية اعلام الحرب .

※ صدر قرار حكومي بفرض غرامة مالية ضد كل من ينشر صورا مسيئة للاخلاق .

※ المديرية العامة للآثار والمتاحف فى سورية اصدرت عددا خاصا من مجلة الحوليات الاثرية عن وقائع المؤتمر الدولي التاسع للآثار الكلاسيكية الذى انعقد فى دمشق فى اكتوبر من عام 1969 .

※ صدر حديثا للشاعر السوري نهاد رضا ديواناه الخامس والسادس « موعدنا فى القمر » و « احتجاب الفارس الاخضر » كما دفع الى المطبعة بديوانيه السابع والثامن « هل يحبني انا ؟ » و « ذابح المهمات » .

※ « الوحدة العربية بين المد والجزر 1868 — 1972 » كتاب جديد للعلامة المؤرخ محمد جميل بيهم صدر عن الدار العلمية فى بيروت فى 248 صفحة وهو الكتاب رقم 23 فى سلسلة كتب المؤلف .

※ صدر فى حلب ديوان « افتراضات مضيئة على خارطة الوطن » للشاعر الفلسطيني الطبعي محمود علي السيد .

※ جمعية رعاية المكفوفين بدمشق اقامت ندوة ادبية حول ادب الدكتور طه حسين تكلم فيها الدكتور حسام الخطيب .

آسيــــا :

سيدنــــي :

※ صدر مؤخرا فى سيدني باستراليا العدد الاول من مجلة عربية جديدة باسم : (صوت الارز) هدفها تغطية جميع النشاطات التى تتعلق بالشؤون العربية والتركيز على لبنان بشكل خاص .

اندونيســــيا :

※ اعلن ناطق بلسان رئاسة الجمهورية ان الموظفين الحكوميين الاندونيسيين وافراد القوات المسلحة وزوجاتهم قد منعوا من ارتياد النوادي الليلية وصالات اللعب .

وقال انهذا الحظر الذى تضمنه مرسوم جمهوري واصبح ساري المفعول منذ يوم الثلاثاء الماضي فرض لان ارتياد مثل هذه الاماكن يقلل من كرامة موظفي الحكومة .

※ قامت اعداد كبيرة من الشباب الجامعي المسلم فى الشهر الماضي بتحطيم اماكن دور اللهو والرذيلة فى جاكرتا واتلاف الصور الخليعة التى تروج لها الضمائر المسيئة والتى تستهدف تفسخ الاخلاق بين الشعب المسلم فى اندونيسيا .

※ كان الامين العام لرابطة العالم الاسلامي الشيخ محمد صالح القزاز قد اجتمع خلال وجوده فى لاهور لحضور مؤتمر القمة الاسلامى الثاني الذى عقد هناك بالاستاذ آدم مالك وزير خارجية اندونيسيا ورئيس وفدها الى المؤتمر .. وعلم ان مصارحة تامة جرت فى هذا الاجتماع حول موجة التبشير التى تهدد البلد الاسلامي العريق اندونيسيا ولفت معالي الامين العام نظر معالي الدكتور مالك الى خطورة مثل هذه المؤامرات التى تتعرض لها اندونيسيا اليوم وخاصة ما نشر من ان مؤتمر اتحاد الكنائس العالمي المقبل سيعقد فى جاكرتا .. وهذا لا يتفق ومكانة اندونيسيا كدولة يدين اغلبية شعبها بالاسلام لا علاقة لها بمثل هذا المؤتمر .. واكد معاليه ان مثل هذا المؤتمر يهدف الى بث الفتن والاحقاد وغزو البلاد الاسلامية بالمؤامرات التخريبية وزرع الفرقة بين شعب مؤمن بالله متمسك بعقيدته الاسلامية .

هذا وقد علم مندوبنا أن معالي الاستاذ آدم مالك ابدى اهتمامه بهذا الموضوع ووعد بأنه سيبحث مع حكومته هذا الامر ويعمل على ما فيه تحقيق المصلحة الاسلامية .

اليابان :

اجتمع الامين العام للرابطة الشيخ محمد صالح القزاز بالسيد خالد كيبا المحامي الياباني وموفد مسلمي اليابان يرافقه الدكتور صالح مهدي السمرائي من جامعة الرياض حيث جرى فى الاجتماع بحث شؤون الدعوة الاسلامية فى اليابان واحوال المسلمين هناك واحتياجاتهم .

* (صوت الاسلام) عنوان النشرة التى تصدرها رابطة المسلمين اليابانيين باللغة اليابانية، مع ملخصات باللغة الانجليزية .

وقد بحث مجلس ادارة الرابطة فى آخر اجتماع له فى مشروع اقامة مبنى مستقل للرابطة ، كما قام باعداد قائمة بالكتب التى سوف تتم ترجمتها الى اللغة اليابانية فى المستقبل القريب .

* بدا الناس فى اليابان يقبلون على تسجيل اسمائهم لتعلم اللغة العربية التى تدرس فى 18 مركزا فى طوكيو وان فى المركز الاسلامي وحده هناك 50 طالبا يأخذون دروسا فى العربية مقابل 15 طالبا فقط فى العام الماضي .. ويقول الرسميون فى جامعة تاكيشو ان هناك 100 طالب سجلوا اسماءهم لاخذ دروس فى العربية مقابل 25 طالبا فى العام الماضي .

وقد بدات مجلة (معلومات عربية) فى الصدور قبل نهاية العام الماضي بقليل واشترك فيها حتى الآن 200 شركة يابانية .. وقد خصصت احدى المجلات ستا من صفحاتها للعالم العربي .

ماليزيا :

* بدات مجموعة من الخبراء فى كوالالمبور الاعمال التمهيدية لارساء التنمية الاسلامي. وقد اعلن طنكو عبد الرحمن رئيس اللجنة التحضيرية ان المجموعة التى تضم شخصيات رسمية وخبراء من الدول الاسلامية ستنهي اعمالها فى اواخر شهر مارس على الارجح ، ثم يناقش لاعضاء التقرير خلال شهر ابريل او فى بداية شهر مايو قبل تقديمه لوزراء مالية الدول الاسلامية .

وقد تقرر – كما هو معلوم – ان تكون جدة مقرا للبنك ، وان تنشأ له فروع فى كل الدول الاسلامية، ويبلغ راسماله الاصلي الفي مليون دولار .

واعلن طنكو عبد الرحمن انه سيبذل كل جهده لافتتاح البنك فى اقرب فرصة قبل نهاية 1974 .

* ادلى وزير التنمية الزراعية وزعيم الحزب الاسلامي الماليزي والذى يشترك فى الائتلاف الحكومي – بتصريح فى احد الاجتماعات قال فيه : ان البلاد الاسلامية سوف تصبح قريبا قوة سياسية كبرى ..

واضاف : ان مؤتمر القمة الاسلامي الذى انعقد فى لاهور فى باكستان يعتبر الآن محور اهتمام العالم ولم يعد بالامكان هذه المرة تجاهل صوت البلاد الاسلامية .

الهند :

* تتقدم مكتبة دلهي العامة بخطى سريعة نحو عصر استخدام الكتب الناطقة كجزء من برنامجها لخدمة المكفوفين .

ويقدر عدد المكفوفين الذين يعيشون فى دلهي بحوالي خمسة آلاف شخص ، ومن المرجح ان 75 فى المائة منهم اشخاص متقدمون فى السن فقدوا ابصارهم حديثا ولا يعرفون شيئا عن طريقة بريل .

ويقرر خبراء المكتبات ان طريقة الكتب الناطقة اصبحت من اهم وانجح وسائل الاتصال بالنسبة للمكفوفين ، بل انها اصبحت ايضا من اكثر هذه الوسائل انتشارا ، وتملك مكتبة دلهي حاليا مجموعة من الاسطوانات الطويلة الناطقة بالانجليزية يبلغ عددها حوالي خمسة آلاف اسطوانة سجلت عليها مجموعة من القصص الشعبي ومواضيع اخرى كثيرة ، وتأمل المكتبة ان تستحضر فى المستقبل القريب عدة تسجيلات جديدة ومجموعة من اجهزة عمل النسخ وسماع الاشرطة .

افتتح القسم الخاص بطريقة بريل فى مكتبة دلهي منذ عشر سنوات ، وتضم قائمة المستعيرين الآن حوالي 600 اسم كلهم من القراء النشيطين ، لان من لا يستطيع منهم الحضور بنفسه الى المكتبة يرسل صديقا ليستعير له الكتاب

الذى يريده او يطلب ارسال الكتاب اليه عن طريق البريـد .

وتم اخيرا تصميم مكتبة تقوم بتوصيل الكتب الناطقة لقراء مكتبة دلهي من المكفوفين كما تزور هذه المكتبة المتنقلة ثماني معاهد اخرى للمكفوفين .

كيـــــرالا :

※ شهدت مدينة كاليكوت موسما للشعر العربي اشبه بسوق عكاظ ، وهذه المدينة يعيش بها اغلبية كبيرة من المسلمين ، كما تكثر بها المساجد والمدارس والمعاهد الدينية .

وقد اقيم هذا الموسم الذى استمر اربعة ايام تحت رعاية اتحاد معلمي اللغة العربية بكيرالا ويضم هذا الاتحاد حوالي 5 آلاف من مدرسي اللغة العربية هناك .

وجدير بالذكر ان اللغة العربية اصبحت من اهم المواد التى تدرس على ابناء المسلمين في مقاعد الدراسة فى مختلف المراحل التعليمية وتوجد كتب دراسة للغة العربية اسمها (قراءة كيرالا) كما ان الحكومة المحلية تشجع على تعليم هذه اللغة ونشرها .

هذا وقد اشترك فى الموسم الادبي المشار اليه عدد كبير من رجال العلم والفكر نذكر منهم السيد محمد كويا وزير المعارف سابقا فى كيرالا والاستاذ محمد يوسف محاضر اللغة فى جامعة مدارس ورئيس القسم العربي بها وأقيمت خلال الموسم مسابقة بين القراء والخطباء الذين اشتركوا فيه كما اقيمت مسابقة فى تلاوة القرآن الكريم ومسابقة ادبية لاحسن مقال كتب باللغة العربية .

الباكستـــان :

※ قال الاستاذ ابو الاعلى المودودي رئيس الجماعة الاسلامية بالباكستان : ان فلسطين هي المشكلة الاولى فى العالم الاسلامي . وقال معلقا على مؤتمر قمة لاهور : ان من حسن حظ الامة الاسلامية ان يجتمع قادتها للمرة الثانية فى العصر الحديث ..

جاء ذلك فى مقال نشرته كبريات الصحف الباكستانية الصادرة باللغة الاردية .. وقال الاستاذ المودودي : ان اسرائيل تشكل خطرا عظيما على الاماكن المقدسة الاسلامية فهي قد اغتصبت القدس وتريد الاستيلاء على اماكن اسلامية اخرى . واشار العلامة المودودي الى انه لم يعد بالامكان تحمل الوجود الصهيوني بعد اليوم .. وقال : يجب القضاء على اخطبوط الصهيونية وكيانها المصطنع داخل فلسطين المحتلة .. ولابد من اقامة دولة للشعب الفلسطيني على كل التراب الفلسطيني وان الاجانب الذين جاءوا من الخارج كصهيونيين يجب اقصاؤهم عن البلاد المقدسة .. ودعا الاستاذ المودودي العالم الاسلامي الى الالتفات الى مشكلة كشمير .. وقال : ان كشمير المحتلة يجب تحريرها من قبضة الهند ..

※ وفى باكستان سافر مولانا ابو الاعلى المودودي الى الولايات المتحدة للعلاج .. شفاه الله.

※ احتفلت الباكستان بالذكرى المائوية لميلاد المفكر الاسلامي محمد اقبال والتى تصادف يوم 21 ابريل الماضي . وجعلت باكستان من هذه الذكرى مناسبة للاحتفال باقبال داخل البلاد وخارجها .

ترينـــداد :

※ خصصت جامعة الملك عبد العزيز منحتين دراسيتين لكل من مسلمي ترينداد فى امريـــكا الجنوبية ومسلمي كينيا فى شرق افريقيا وذلك بناء على ما جاء فى قرارات المجلس التاسيسي لرابطة العالم الاسلامي فى دورته الخامسة عشرة التى عقدت فى شهر ذي القعدة عام 1393 هـ . هذا وقد صرح معالي الشيخ محمد صالح قزاز الامين العام للرابطة لوكالة الانباء السعودية بان فى مساهمة وزارة المعارف والجامعات فى المملكة العربية السعودية ما يدل على ان افضل طريقة لنشر الثقافة الاسلامية هـو استيعابها لاكبر عدد ممكن من ابناء المسلمين من شتى انحاء العالم لتلقي دراساتهم فيمهبط الوحي ومنبع النور وقال معاليه وهذا يؤدي ايضا الى الرفع من مستوى الاقليات الاسلامية فى العالم ..

التايـلانـد :

❊ ذكرت مصادر رسمية مأذونة ان زعماء اربع محافظات اسلامية فى تايلاند قدموا مطالب من 5 نقاط لرئيس الوزراء ـ سانيا تاماساك ـ يحثونه فيها على منح المسلمين الاستقلال الذاتي .. كما طالبوا ايضا بالغاء الاتفاقيات غير المناسبة مع ماليزيا خاصة قضية ـ الحدود التايلاندية ـ الماليزية .. والاتفاقية مع امريكا .. وقالت هذه المصادر ان المسلمين يطالبون بانسحاب القوات الامريكية كلها من تايلاند ..

وقد كتبت هذه المطالب بالملايوية ووقعها تون عبد الله وهو عضو سابق فى الجمعية الوطنية عن مقاطعة ـ فطاني ـ ارسلت الى رئيس الوزراء فى 18 ابريل المنصرم ..

وتطالب النقاط الخمس بمنح مقاطعات يالا ـ ناراثيوت ـ ساتول ـ فطاني ـ وهي التى تسكنها اغلبية اسلامية ـ الاستقلال الذاتي ضمن اتحاد فيدرالي .. وبين النقط الخمس ايضا مطالب بتعليم لغة الملايو فى كل مدارس الولايات بدلا من التايلاندية وطرد جميع الرسميين المتهمين بالفساد فى الولايات وتعليم الاسلام فى الجنوب .

واكدت المطالب ان المقترحات باعطاء الجنوب الاستقلال الذاتي تعني الحفاظ على المقاطعات ضمن تايلاند مع وجود ملك البلاد كرئيس للدولة ..

وذكر ان تون عبد الله يعيش فى ماليزيا وهو اكثر زعماء المسلمين احتراما ونفوذا فى جنوب تايلاند .. وكان يحث الحكومة التايلاندية السابقة على عدم تجاهل وضع السكان فى الجنوب والا فانه سيستنفر المسلمين هناك ضد بانكوك .

ويذكر انه منذ عام 1926 ظهرت منظمة تطالب بالاستقلال الذاتي وكونت جيش تحرير العناصر الملايوية وقاومت سلطان الحكومة المركزية الغاشم والمتجاهل لحقوق المسلمين ..

اوربـــا :

اسبانيـــا

❊ صدر عن معهد الثقافة الاسباني العربي بمدريد مجموع مختار من الشعر العراقي ونثره مترجما الى اللغة الاسبانية .

❊ انتهت البعثة الاسبانية فى الاردن من اعمالها فى ترميم الصور الجدرانية فى قصر عمرة الاموي ، وبذلك يكون قد امكن انقاذ اشهر آثار الفن الاسلامي الذى يعود الى القرن الثامن الميلادي ، وتم اخراج هذا الفن من تحت سواد الدخان الذى تراكم منذ مئات السنين الى النور فى الاماكن التى لم تخربها يد الانسان ولا عوامل الطبيعة .

❊ صدرت الترجمة الاسبانية لرواية الاديب الاردني عيسى الناعوري وهي « بيت وراء الحدود » وقام بترجمتها رئيس قسم المطبوعات الثقافية فى وزارة الخارجية الاسبانية ونشرها البيت الاسباني العربي فى مدريد .

❊ اصدر معهد الدراسات القادسية كتابا بعنوان « قاموس الناشرين القادسيين » من تاليف الشاعر مانويل ربوس رويث الحاصل على الجائزة القومية فى الآداب . اشتمل الكتاب على بيانات هامة تشير الى مساهمة كتاب قادس فى النشاط الادبي الاسباني، كما اشتمل على دراسة اضافية تحت عنوان « اصول جزر قادس » من تاليف خوان غابالا لا بورده .

❊ القى البروفسور لويس البرتو سانشيث ، وهو من كبار مؤرخي الآداب الاسبانية ـ الامريكية ، محاضرتين فى معهد الثقافة الاسبانية تحت عنوان « تجاربي فى النقد الادبي » .

شغل البروفسور البرتو سانشيث منصب مدير جامعة سان ماركوس فى ليما عاصمة بيرو خلال عدة سنين ومارس التدريس فى بعض جامعات شمال امريكا .

❊ بمناسبة مرور العام المئوي الخامس على استخدام المطبعة فى اسبانيا ، القى الكاتب غيير مو دياث ـ بلاخا عضو الاكاديمية الاسبانية محاضرة فى دار ثيربانتيس ببلد الوليد بعنوان «اختراع المطبعة». اشار المحاضر الى ان هذا الاختراع اشاع الثقافة فى المحيط الشعبي بعد ان كانت قاصرة على الاديرة . واصبح الكتاب منذ ذلك التاريخ مثبتا للنصوص وظاهرة من ظواهر ممارسة الحرية .

ثم نوه المحاضر بما كان للمطبعة من اهمية فى امريكا ، وبأن وجودها فى المكسيك كان سابقا على وجودها فى الولايات المتحدة بنحو قرن ، وبما كان للكتاب من اثر فى استقلال امريكا . واشار الى المهمة التي اضطلعت بها اسبانيا فى توحيد ثقافة البلاد الناطقة بالاسبانية .

* افتتح وزير التعليم فى مدينة وادي الحجارة متحف الفنون الجميلة بالمقاطعة وقد اقيم فى الطابق الارضي من قصر الانفانتادو . يتألف المتحف من خمس قاعات عرض بها اكثر من مائة لوحة كان يحتفظ بها مجلس المقاطعة وكذا عدد من الاعمال النحتية قدمتها الادارة العامة للفنون الجميلة . ومما يذكر ان ستين لوحة زيتية من هذه اللوحات المشار اليها كانت موجودة بدير الشفقة القديم بمدينة وادي الحجارة خلال القرن الماضي .

ومن بين اللوحات المعروضة بالمتحف ، ثلاث من عمل كارينيو ده ميراندا من بينها لوحة بعنوان « الطاهرة » ، ولوحة لسان فرانثيسكو من عمل ريبيرا ، واخرى للعذراء من عمل الونصو كانو .

وقد صرح المدير العام للفنون الجميلة الذى حضر حفلة الافتتاح بأن المعروضات الحالية فى المتحف ستضاف اليها اقسام جديدة ، وبأن المتحف الحالي هو ثمرة للتعاون الوثيق بين الادارة العامة للمحفوظات والمكتبات ومجلس المقاطعة .

فرنســــا :

* كتبت وكالة فرانس بريس تعريفا للاسلام والاقطار الاسلامية بمناسبة انعقاد مؤتمر لاهور جاء فيه ما يلي :

ان الاسلام الذى ظهر فى القرن السابع الميلادي بالجزيرة العربية بوحي على النبي محمد عليه الصلاة والسلام يتكون الآن من عدة مذاهب اهمها : السنيون ويشكلون نسبة 90 فى المائة وهم مقسمون الى مختلف المذاهب اهمها الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي ، ويكون الشيعة نسبة 8,75 فى المائة وهم موجودون على الاخص فى ايران والعراق، واخيرا هناك الاباضية ويوجدون على الاخص فى مزاب بالجزائر .

وهناك 26 بلدا 14 منها عربية تتكون من اغلبية مسلمة ، لكن الاسلام موجود فى 43 قطرا آخر شكل فى بعض منها اقلية هامة كما هو فى الهند والصين والاتحاد السوفياتي ، وبالرغم من ان العرق واللغة والثقافة مختلفة فان اغلب هذه الدول لها بالاضافة الى انتمائها الى الاسلام مميزات مشتركة فهي منتمية للعالم الثالث وكانت فى فترة او فى اخرى خاضعة للاستعمار الفرنسي ، والاسلام بالنسبة لهذه الاقطار ليس معتقدات فقط بل انه ملاذ وطني ، وقد عرفت الديانة الوطنية نفوذا متزايدا فى القرن العشرين لافريقيا السوداء على الخصوص .

هولنــــدا :

* تبرعت حكومة هولندا بقطعة ارض تقع فى مكان رائع فى وسط امستردام لجمعية المسلمين فى هولندا لبناء مسجد ومركز اسلامي .

وكان رئيس جمعية المسلمين فى هولندا ، ف، سيد، قد بذل جهودا مستمرة حتى نجح فى الوصول الى هذه النتيجة فحقق بذلك امنية الجالية الاسلامية الهولندية .

بلجيكــــا :

* انتخب مجمع القانون الدولي فى بلجيكا اثناء انعقاد دورته الاخيرة فى روما الدكتور بطرس غالي عضوا بالمجمع مدى الحياة . وكان اول مصري انتخب عضوا بالمجمع هو الدكتور عبد الحميد بدوي منذ ربع قرن .

الدانمــارك :

* عقد الامين العام للرابطة اجتماعا فى مكتبه مع الاستاذ حسن الزين ممثل مسلمي الدانمارك حضره كل من سعادة الاستاذ حسين سراج المدير العام للرابطة ، وسعادة الاستاذ امين العبد الله المدير العام المساعد ، وسعادة الاستاذ محمد صفوت السقا اميني المدير العام المساعد لشؤون المجلس التاسيسي والمؤتمرات .. وقد عرض الاستاذ الزين احوال

المسلمين في الدانمارك وفى الدول الاسكندنافية وسير الدعوة الاسلامية ومتطلباتها .

* اصدرت احدى دور النشر بكوبنهاكن فى المدة الاخيرة كتيبا مدرسيا عن المغرب، ويتناول هذا الكتاب على الخصوص الجانب الجغرافي لجنوب المغرب جمال المعالم السياحية المغربية وخاصة هضبة وادي زيز .

فنلنـــــدا :

* عدد المسلمين فى فنلندا يصل الى حوالي الالف شخص . ورغم هذا العدد الضئيل فانهم منظمون تنظيما جيدا ، فهم جميعهم اعضاء فى رابطة المسلمين الاتراك ذلك لانهم فى اصلهم من الاتراك .. ولديهم مسجد تقام فيه فصول للدراسات الاسلامية .. وكذلك لديهم ناد للشباب . ويعمل 95 ٪ منهم فى تجارة الفراء ويعمل الباقون فى مختلف حقول الخدمات العامة . وهم يحافظون على لغتهم وتراثهم .

* اعلن مدير معهد نوبل السيد تيم قريق بأن عدد المرشحين لجائزة نوبل للسلام لسنة 1974 بلغ 46 شخصا ، ولم يعلن عن اسماء المرشحين لهذه الجائزة ، الا انه من المؤكد ان الاسقف هلدركامارا فى قائمة المرشحين ، وسبق ان تسلم الاسقف هلدركامارا الجائزة الشعبية للسلام التى تبلغ قيمتها مليون ونصف كرونة .

تشيكوسلوفـــاكيـــا :

* افتتح فى عاصمة تشيكوسلوفاكيا المؤتمر الحادي عشر لممثلي اتحادات الكتاب فى البلاد الاشتراكية بمشاركة وفود من سبع دول من حلف فارسوفيا بالاضافة الى كوبا ومونغوليا وفيتنام الشمالية . ويلاحظ من خلال تشكيلات الوفود انه لم توجه دعوة لاي وفد اجنبي ، كما لم يحضر اي كاتب غربي كملاحظ .

وقد اشتمل جدول اعماله على « لائحة بنشاط اتحادات الكتاب خلال السنة المنصرمة وتصميم بنشاطهم خلال هذه السنة والسنة القادمة » . وقد قالت وكالة فرانس بريس انه لم تعط حتى الآن اية تفاصيل دقيقة عن المواضيع التى ستكون مثار التدخلات والمناقشات ، لكن يمكن التاكيد على ان (حالة سولجينيتسين) ستعرض امام الكتاب وتاخذ حظها من النقد والادانة . وفعلا فان كل ممثلي الدول الشرقية منضاف الى الحملة التى شنها الاتحاد السوفياتي على سولجنستين وظهرت بحدة فى تشيكوسلوفاكيا وهي البلاد المضيفة نظرا لان لها مشاكل مع كتابها ، وفى هذه الظروف سوف لا يلتفت الى النداء الذى وجهه للمشاركين هنريش بول ولاحظ فيه العراقيل التى يواجهها بعض الكتاب واجبارهم على السكوت ، وطالب من المشاركين اعادة النظر فى هذا الوضع ، الا ان هينريش بول نفسه سبق ان هوجم مرارا فى الصحافة الاشتراكية ولاسيما فى الصحافة التشيكية.

يوغوسلافيـــا :

* نشرت مجلة المعهد الاستشراقي فى سارايفو تقريظا للكتاب المستشرقي الفرنسي الكبير غاردت عن الاسلام . وقد تم نشره فى مجلة « غلاسنيق » ليعم نفعه .

ومن الواجب ان تقول ان غاردت من المؤلفين الغربيين النادرين الذين يبحثون عن الاسلام بانصاف .

وكتاب غاردت « الاسلام » يشكل بحثا علميا شاملا لم يكن له نظير بين المؤلفين الاوروبيين تناول فيه مبادىء الاسلام وتعاليمه بتحقيق علمي دقيق .

* صدر كتاب المولد النبوي الشريف للاستاذ رشاد قاضيتش ، الطبعة الثالثة ، ويحتوي الكتاب على احسن قصيدة فى مدح الرسول ، نظمت على اللغة اليوغسلافية وهي خالية من بعض الخرافات والخزعبلات التى تذكر غالبا فى مثل هذه القصائد .

كما صدر كتاب المدخل فى الاسلام للاستاذ الدكتور حميد الله ، والكتاب مترجم من الفرنسية.

* صدر فى هذه الايام كتاب « احكام التجويد » للاستاذ الحافظ ابراهيم تره بينلتش والحافظ كامل صيلايجيتش ، وهما مدرسان فى مدرسة الغازي خسرو بك بسارايفو . ودعت الحاجة الماسة الى هذا الكتاب . وسيستخدم هذا المؤلف ككتاب مدرسي فى مدرسة الغازي خسرو بك .

ان المسلمين في يوغوسلافيا يولون عناية خاصة واهتماما بالغا باجادة تلاوة القرآن وحسن ادائها ، وعندما كان العلماء والمدرسون يقومون بتدريس علم التجويد في المساجد ، كان الحضور لهذه الدروس غير محصور في الطلبة وانما كان يحضرها غيرهم من التجار واهل الصناعات والموظفين .

وكتاب « احكام التجويد » يشمل 172 صفحة ويحتوي على المقدمة وتعريف التجويد وسبع فصول وملحق ودعاء .

والكتاب ملأ فراغا كان يشعر به الطلبة والتلاميذ منذ زمن بعيد .

المانيـــــا :

※ في يوليوز 75 ستحتفل الجمعية الادبية العالمية، في المانيا الديمقراطية ، بمرور مائة عام على مولد الكاتب الالماني الكبير توماس مان . وفي سبيل الاعداد لهذا الاحتفال صدر مؤلف ضخم من جزاين بعنوان : « عن ادب توماس‌مان وحياته » « من 1898 – 1969 » ، ويعتبر هذا الكتاب اوفى مرجع ظهر حتى الآن في هذا الموضوع : فهو يضم حوالي 1500 بحث في اكثر من ثلاثين لغة .

※ وجد علماء الآثار بانه اصبح لابد عليهم من استخدام العقول الالكترونية ايضا في فرعهم اسوة بباقي الفروع العلمية الاخرى . وقد شرع ارشيف البحوث الخاص بالتماثيل واعمال النحت الرومانية القديمة التابع لمعهد علم الآثار بجامعة كولونيا في استخدام عقل الكتروني يسير على نظام خاص ويطلق عليه اسم « جوليم 2 » ويقوم خلال ثوان معدودات بالرد على جميع الاسئلة الخاصة التي تتعلق بالتماثيل واعمال النحت الرومانية القديمة . وقد تم قبل ذلك اعداد استمارات خاصة ملئت بجميع مواصفات القطع الاثرية الرومانية ثم لقم بها العقل الالكتروني . وقد زود العقل الالكتروني بـ 12 الفا من المعلومات المتعلقة بذلك وسوف يمكن العلماء من اقتصاد الكثير من الوقت اثناء البحث عن المعلومات الاثرية في الارشيف لاسيما وانه لم يعد من الممكن للاخصائيين اليوم الاحاطة بجميع ما ينشر في فروع اختصاصاتهم العلمية بسبب كثرة ظهور المؤلفات والمواضيع الجديدة فيها .

※ القى الدكتور رينر كلاكو رئيس تحرير مجلة « الشرق » بهامبورغ محاضرة حول الاستشراق . وقد قال المحاضر ان الاستشراق الكلاسيكي في الجامعات الالمانية في حاجة الى اعادة النظر حتى يمكنه الانسجام مع مقتضيات العصر الحديث . فالاستشراق الذي تعرض للنقد بسبب اتجاهاته التي تمت الى الماضي مهدد كعلم تقليدي ولذلك يجب صياغة تعريف جديد للمحافظة على مكانته . وبالاضافة الى ذلك هناك عقبة امام المستشرقين الذين لهم تكوين جامعي متين تتمثل في قلة فرص العمل ، اذ لا يجد المستشرقون الحائزون على الشهادات امكانيات العمل .

ويقول المحاضر ان العربية تترك محلها كلفة الى فرع آخر هو فيلولوجية تقليدية محضة ، ولا تؤخذ بعين الاعتبار في هذا الصدد علوم البوليتولوجيا والعلوم الاقتصادية والاجتماعية وكذلك ثقافة الدول الشرقية . مع ان المستقبل يلح على ان يكون البحث مشتركا بين علوم الاستشراق والاجتماع والاقتصاد وعلوم الطبيعة .

ايطـاليـــا :

※ « سيكون لدى المسلمين المقيمين في العاصمة الايطالية والبالغ عددهم 35 الفا مسجد خلال الفترة القادمة .. وبعد فترة من الانتظار الطويل ذللت العقبات الكبرى في سبيل اتمام هذا المشروع .. كما ان ازمة البترول التي ترقب عليها توثيق العلاقات بين ايطاليا والدول العربية قد اوجدت ظروفا مواتية للقضاء على العوائق التي كانت قائمة كما علمت الوكالة ان المشروع الآن يجتاز مرحلة متقدمة

وبناء على ما وصل الينا من معلومات تم اختيار ثلاث قطع من الارض في جهات مختلفة من انحاء روما .. والمساحة اللازمة لاقامة المسجد تبلغ حوالي 3.000 متر مربع ..

وسيدرس المشروع النهائي لمسجد روما – مركز المسيحية – بمعرفة لجنة مكونة من اربعة او خمسة من المهندسين من ذوي الشهرة العالمية .. وطبقا لمشروع اعد فعلا بمعرفة المهندس المعماري التونسي بوزيد سيشمل المبنى سبع مآذن تمثل التلال السبعة لمدينة روما .. وكذا مركز ثقافي ومكتبة واقسام للخدمات .. ومن المنتظر ان تستغرق اقامة هذه المباني ثلاث سنوات او اربع على الاكثر .

* مركز العلاقات الايطالية العربية فى روما اقام بالتعاون مع المعهد الثقافي الايطالي فى بيروت معرضا فى صالة العرض بدار الفن ببيروت عرضت فيه نصوص الدراسات الاسلامية وفن الطباعة العربية المنشورة فى ايطاليا ابتداء من القرن الخامس عشر حتى القرن العشرين .

* اعرب المركز الاسلامي الثقافي بايطاليا عن تقديره وشكره لرابطة العالم الاسلامي على ايفادها اماما لمسجد المركز هو الشيخ عبد الحميد رشيد الذى وصل الى روما وهو شخصية اسلامية مثقفة ويقوم بتدريس تعاليم الشريعة الاسلامية واللغة العربية فى المركز كما انه من خريجي كلية اصول الدين بالازهر ويجيد الانجليزية والفرنسية والايطالية ..

انجلتـــــرا :

* تمت الموافقة على دستور الرابطة الاسلامية لاوروبا من جانب اللجنة التنفيذية للرابطة الاسلامية فى اوربا فى لندن ، وقد بعث امينها العام السيد سالم عزام المستشار بالسفارة السعودية مسودة قرر تتضمن التصديق على انشاء نحو ثلاثين مركزا ومنظمة اسلامية تابعة للرابطة فى نحو اثني عشر بلدا اوروبيا وقد تم تشكيل المجلس الاسلامي لاوربا خلال شهر مايو القادم وذلك بعد مرور سنة على المؤتمر الذى عقد فى لندن فى العام الماضي برئاسة دولة تنكو عبد الرحمن الامين العام السابق للمؤتمر الاسلامي وبفضل التبرعات المالية السخية والدعم الذى قدمه جلالة الملك فيصل المعظم ، هذا وقد صرح السيد سالم عزام امين عام الرابطة الاسلامية لاوربا لمندوب وكالة الانباء السعودية فى لندن انه يعتقد ان المجلس سيكون قادرا قريبا على البدء بنشاطه وتنفيذ القررات التى اتخذها فى العام الماضي وتتضمن تلك المقررات برنامج يهدف لتعزيز صورة الاسلام فى القارة الاوربية وخاصة عبر وسائل الاعلام بما فيها التلفزيون والعمل على جعل الحكومات الاوربية تمنح النشاطات والمنظمات الاسلامية التسهيلات التى تمنح المنظمات فى البيانات الاخرى وتشكيل لجان قانونية وانشاء ماوى للعجزة وآخر للمعاقين وغير ذلك من المشاريع الاجتماعية ، كما تم رسم مخطط لتعزيز التربية الاسلامية ونشر المباديء الاسلامية .

* توفى فى مراكش الكاتب الانجليزي المعروف فى المغرب مستر روم لاندو عن سن تناهز الخامسة والثمانين . وقد اقام روم لاندو فى المغرب بعد الاستقلال . وكان يتردد على المغرب قبل الاستقلال حيث كتب عدة كتب عن التاريخ الحديث للمغرب . كما تعاون فى بعض الفترا تمع مكتب حزب الاستقلال فى نيويورك . واعجب بالمغرب ونضاله ولذلك فضل ان يقضي بقية حياته فى مراكش بعد ان تنقل كثيرا بين انجلترا والولايات المتحدة الامريكية . وكثير من كتبه عن المغرب ترجمت الى اللغة العربية .

* من اهم الشخصيات التى تبرعت بنفقات بناء مسجد لندن المزمع اقامته هو جلالة الملك فيصل وقد تفادت الجمعية الملكية الجغرافية فى بريطانيا غلطة كادت ان تقع بشأن القبلة فى المسجد المزمع اقامته فى لندن .

وقد تحققت الجمعية فعلا من انه لو كان قد تم تشييد المسجد الذى سيقام فى ريجنت بارك وفقا لرسم المهندس المعماري فان قبلته لم تكن موجهة شطر مكة بل كان بناؤه سيتم بحيث تكون القبلة فيه صوب ميدستون فى مقاطعة كنت .

وفقا لرسم المهندس المعماري كان المسجد سيشيد فى اتجاه زاوية تبلغ 103 درجة . ولما قامت الجمعية الملكية الجغرافية البريطانية بمراجعة الزوايا لاحظت انه ينبغي تحوير زاوية المسجد الى 117 درجة حتى تصبح القبلة فيه شطر مكة المكرمة .

وقد بديء فعلا فى تشييد هذا المسجد الذي سيتكلف بناؤه مليوني جنيه استرليني حوالي 22 مليون فرنك فرنسي .

* يفكر صبري حافظ الذى سجل طالبا فى كلية الدراسات الشرقية والافريقية التابعة لجامعة لندن بكتابة اطروحة دكتوراه فى «القصة القصيرة المصرية» باشراف توم جونستون المختص بدراسة لهجات الخليج العربي ، ويفكر كذلك بالانخراط فى « كلية الادب الانجليزي » بلندن ليستطيع ان يطعم رسالته بلمع ومقارنات من الادب الانجليزي المعاصر ، والمعروف ان صبري حافظ كان قد احرز درجة الماجستير فى الآداب من مصر برسالة عن «مسرحيات تشيخوف » وقد تم طبع الرسالة على نفقة وزارة

الاعلام العراقية مع تقديم مكافأة مائتي دينار تقديرا له .

※ جاء فى تقرير لمراسل وكالة الانباء السعودية فى لندن ان العمل سيبدأ فى بناء اكبر واحدث مسجد مركزي ثقافي اسلامي فى العاصمة البريطانية وان آخر التقديرات تشير الى ان تكاليفه ستبلغ الفين ونصف مليون جنيه استرليني على ان تكون مدة التنفيذ سنتين ونصف وهي مدة وجيزة اذا ما قورنت بعشرات السنين التى كان المسلمون خلالها فى بريطانيا يتطلعون الى تحقيق مثل هذا الحلم سيما وان عددهم قد ازداد من الفين او ثلاثة آلاف فى مستهل هذا القرن حتى وصل الى اكثر من مليون فى يومنا هذا وتطرق المراسل فى تقريره الى الجهود التى سبق وان بذلها الدبلوماسيون المسلمون فى سبيل انشاء مثل هذا المشروع كسعادة سفير المملكة السابق فى لندن الذى شرع فى التخطيط لمثل هذا المشروع حوالي عام 1962 وقبله تكونت لجنة خاصة بالمسجد المركزي فى لندن عام 1951 وبين الحربين العالميين الاولى والثانية انشيء صندوق لبناء مسجد تبناه عدد من الدبلوماسيين والمبعوثين وفى عام 1943 قدمت الحكومة البريطانية للصندوق هبة تتألف من بناء كبير يدعى ريجنت لودج بالاضافة الى مساحة واسعة من الارض على طرف ريجنت بارك حديقة ريجنت واخذت لجنة امانة الصندوق بعد الحرب مع ظهور العديد من الدول الاسلامية المستقلة وانشاء سفارات ومفوضيات ومندوبيات جديدة فى لندن اخذت بالاتساع حتى شملت الآن ما يزيد على عشرين من رؤساء البعثات الدبلوماسية الاسلامية اعضاء فى اللجنة وقد وافقت لجنة الصندوق على التصاميم التى قدمها احد المهندسين المعماريين للمشروع وفى عام 1945 قام سفير المملكة وعدد من رؤساء البعثات الدبلوماسية بوضع حجر الاساس .

هذا وقد واصلت لجنة الصندوق اجتماعاتها برئاسة عمداء السلك الدبلوماسي الاسلامي وفى مقدمتهم سعادة الشيخ عبد الرحمن الحليسي سفير المملكة السعودي فى لندن والذى دفع المخطط الجديد الى حيز الوجود ويضيف مراسل وكالة الانباء السعودية فى لندن قائلا ان مسجد لندن المركزي والمركز الثقافي سيكونان بعد اقامتهما مأثرة رائعة ويبلغ ارتفاع المأذنة 43 مترا والقبة مطلية بالذهب وارتفاعها 25 مترا وسيحيط بتلك المآثر بنايات اضافية كالمكتبة التى ستضم 75000 كتاب وقاعات محاضرات ومدرسة ومركز للاغراض الدينية والثقافية والادارية ومرافق اخرى متعددة وستكون ساحة الطابق الارضي للمسجد متسعة لحوالي الف شخص وفى ايام الاعياد ستزود الساحة الامامية بوسائل التدفئة والتى تتسع لالف وثلاثمائة شخص وكذلك مكان يتسع لالف شخص فى الطابق الارضي تحت مستوى القاعة الرئيسية هذا وقد شاركت البلدان الاسلامية فى التبرع لانشاء هذا المسجد ولا زالت التبرعات تتوالى لكي يغطي التقديرات المتوقعة واللازمة لانشائه ..

امريكـــا :

※ يزداد الكتاب والفنانون الامريكيون اهتماما بدراسة المرحلة التى سادتها « المكارثية » فى اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات : ففي ذلك الوقت الرهيب ، اعتبر عدد من مثقفي وفناني امريكا معادين لبلادهم ، وطلب اليهم اعلان التخلي عن افكارهم واستنكارهم امام « لجنة النشاط المعادي لامريكا » التى كان يرأسها مكارثي .

ومن بين الكتب التى صدرت اخيرا ، عن هذه الفترة ، كتاب الناقد المعروف « اريك بنتلي » بعنوان « ثلاثون عاما من الخيانة » ، ومسرحية الكاتب الامريكي الشاب جيسون ميلر « عندما كنا ابطالا » و « يوميات سنوات الطاعون » لستيفان كثيقر .

عن هذا الكتاب الاخير يقول محرر الكتب الجديده فى مجلة « التايم » : « انه تقويم لفصل من اشد فصول التاريخ السياسي الامريكي حزنا واكثرها غباء » .

ترى .. اي فصول التاريخ السياسي الامريكي اشد حزنا وغباء من الآخر ؟

※ توفي فى سان باولو بالبرازيل الشاعر المهجري نقولا المعلوف وهو من مواليد زحلة بلبنان سنة 1910 وهاجر سنة 1957 وتوفي فجاة فى 5 اغسطس الماضي .

※ توفي فى الولايات المتحدة الامريكية الصحفي المناضل الاستاذ سعيد داود فياض مؤسس جريدة « نهضة العرب » فى ديترويت ميشغن . رحمه الله .

* « اطايب شعرية » عنوان الديوان الذي صدر في سان باولو بالبرازيل للشاعر المهجري برنردس القزي ويقع في 120 صفحة حجم كبير وقد قدم له الاديب امين طعمة .

* لقي اربعة من المسلمين مصرعهم على ايدي انصار اليجا محمد، وقد سقطوا شهداء في مسجدهم في حي بروكلين بنيويورك .

* قالت صحيفة اخبار اليوم القاهرية ان مجلس التربية والتعليم في ولاية كاليفورنيا قرر تدريس اللغة العربية في جميع المدارس الثانوية بالولاية ، واعتبارها اللغة الاجنبية الثانية .. كما طلبت جامعة بركلي من الجامعة الامريكية قبول اكبر عدد في وحدة تعليم اللغة العربية للاجانب لتوفير الاعداد اللازمة من المدرسين .

* بعد فترة تردد طويلة وافق وزير الخارجية الامريكية هنري كيسنجر على نشر مذكراته ، الا انه اشترط ان يكون الغلاف جميلا جدا وان يدفع له حوالي 10 ملايين سنتيم .

كما قبلت اخيرا احدى دور النشر الامريكية ان تنشر قصة سبيرو اغنيو ، نائب الرئيس الامريكي السابق هي بعنوان : (يوميات نساء البيت)

* صدر في اقليم الكيبيك بكندا اول عدد من صحيفة يومية سميت « لوجور » وهي تدعو الى التحرر الكامل من التبعية السياسية .

* فرضت سلطات مونتيفيديو على وكالات الانباء العالمية ان تحيل على الرقابة كل قصاصة اخبارية تبعث بها مكاتب هذه الوكالات لمراكزها في امريكا ولندن وباريس .

ولاول مرة في تاريخ الصحافة تراقب وكالات الانباء العالمية .

الاتحاد السوفياتي :

* من جملة الكتب التي ستصدر في الاتحاد السوفياتي باللغة العربية هذه السنة (مشاكل تصنيع البلدان النامية) و (التاريخ الاحداث للبلدان العربية) وهو الجزء الثاني من كتاب لوتسكي و (زاوية الهجوم) عن الابحاث الكونية و (شيوخ الادب الروسي) و (ابنة القائد) لبوشكين و (بطل من هذا الزمان) للبرمنتوف .

* دراسات في تاريخ المغرب الحديث :

ذلك هو عنوان الكتاب الذى أصدرته ن. لوتسكايا في موسكو ، يتناول الكتاب التغيرات التى عرفها المغرب بعد الحرب العالمية الثانية .

فهرس العـــدد الســـادس

صفحة

وصل في الايام الاخيرة الى المغرب الشاعر الكبير ابو فرات محمد المهدي الجواهري .

وبهذه المناسبة الفريدة اقام الدكتور السيد حمد دلي الكربولي سفير العراق بالمغرب حفلة استقبال بمنزله تكريما للشاعر الجواهري ، وقد حضر هذا الاحتفال بعض رجال السلك الدبلوماسي كسفير المملكة الاردنية الهاشمية ، وسفير جمهورية لبنان ، وعدة شخصيات من عالم الفكر والادب .

وقد كانت الامسية اللطيفة الشاعرية التى اقامها السيد السفير فى غاية الروعة والبهاء حيث انهى الشاعر الكبير الجواهري الحفلة بذكرياته العذاب ، وارتساماته اللطاف ، وبغرر قصائده الرائعة ، ومقطعاته الفريدة مما زاد اعجاب الحضور بشاعرية الجواهري الفياضة .

وقد ابدى الشاعر اعجابه العظيم بالمغرب وطبيعته الساحرة ، واثنى على الجهود الكبرى التي تبذل فى نطاق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بقيادة الملك الهمام الذى استمع بامعان الى خطابه الاخير فى رحلة الخير والبركة لاقليمي الجديدة وسطات .

وسينظم له اتحاد كتاب المغرب عدة لقاءات واسعة مع مثقفي المملكة .

فمرحبا بالشاعر الكبير ابو فرات محمد المهدي الجواهري ومقاما طيبا وسعيدا .

